

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

العدد الأول

أَهْلُ الْبَيْتِ

مجلة فصلية محكمة تصدر عن جامعة أهل البيت عليهما السلام

رئيس التحرير: د. عباس حسين جواد
سكرتير التحرير: د. فاروق محمود الحبوبي

أعضاء هيئة التحرير

أ. م. د. مهدي داخل العبيدي
أ. م. د. عباس مرزوك فليح
أ. م. د. حكمت عبيد حسن

المقوم اللغوي

السيد صادق جعفر القزويني

كربيلا، شارع فاطمة الزهراء عليهما السلام ، جامعة أهل البيت عليهما السلام
ص.ب: ١٠١٩ ، هاتف: ٣٢٧٣١٦

Karbala, Fatimah-al-Zahra street, P.O.Box: 1019,Tel: 327316
www.ahlulbaitonline.com ، karbala@ahlulbaitonline.com

الهيئة الاستشارية

محتويات العدد

٥	كلمة هيئة التحرير
٨	دور المدارس القدية في بناء الجامعات الجديدة (د. حسين علي محفوظ)
٣٦	خصائص الإدارة عند الإمام علي بن أبي طالب <small>عليه السلام</small> (د. محسن باقر الفزوبي)
٨٢	أثر نهج البلاغة في مصادر الفكر السياسي الإسلامي (د. محسن باقر الفزوبي)
١٣٨	صياغة السياسات العامة: أطوار منهاجي (أ.د. عباس حسين جواد/ أ.م.د. أرزوقي عباس عبد)
١٧٠	أثر التضخم ومعدلات الفائدة في أسعار الصرف (أ.د. حاكم محسن محمد)
١٨٦	موازنة الآمني بين النظرية والتطبيق (د. فاروق محمود الحبوي)
.....	نافذتان نقديتان على الشاعر العيسوي (د. فاروق محمود الحبوي)
٢٢٤	أحمد بن يوسف (ت ٢١٣هـ) والإعراق في الكتابة
٢٤٢	ابن العميد (ت ٣٦٠هـ) بين التسجيع والمزواجة
٢٦٠	المؤسسة الدينية والمقومات المرجعية والتقليد (د. فيصل عبد الجبار النصيري)
٢٧٠	العقد الاجتماعي: الأسس النظرية وأبرز المنظرين (د. مكي عبد مجید)
٢٩٨	العقود المستشارة من التفاصيل الربوي في الشريعة الإسلامية (د. فرات شاكر وتوت)
٣٢١	أهمية وكالات الانباء كمصدر من مصادر الاعلام (د. صالح شاكر وتوت)
٣٤٣	الخبر الصحفي عنصر اساسي من عناصر العملية الاعلامية (د. صالح شاكر وتوت)
٣٧١	أبو البركات البغدادي (الأبناري) أثر عصره عليه وآراءه النحوية (أ. مجید حمید البدری)

كلمة هيئة التحرير

لقد عاش العراق خلال العقود الثلاث الماضية فراغاً فكرياً وثقافياً عانى منه المفكرون ما عانوه من انعزال علمي عن مدخلات وخرجات العالم وانفجار المعلومات وتطور الأساليب مما أبعدهم عن متطلبات النهوض الفكري وتقييد مساراته وأخراجهما وأخسارها بداعٍ من تسلط الدولة وتحجيم الأفكار وتجفيفها وتعنيف الأقلام وتجريفها وشراء الذمم وتجريفها ورسم سياسية قطع الوصل من الداخل والخارج وإسكات صوت الحق ومنع الكلمة من الإرسال والتلقي.

ثم غرب ذلك العهد، وحل عصر جديد نريد منه أن يتبنى النهضة الفكرية الهدافة التي تلبي طموح المرحلة وتجعل المستقبل مشرقاً نابضاً بالحيوية. وهذا الأمر يستدعي تكاتفاً وتعاوناً على البر والتقوى وزرع النماذج الحية التي ستستمر لا محالة..

و نحن من جهتنا في جامعة أهل البيت عليه السلام ، تجسد روح العلم وتصعيد وتائر أصالة الفكر الإسلامي وتعزيز سمو لغة القرآن ورسم صمامنا على إصدار مجلة علمية فصلية محكمة؛ تعنى بنشر البحوث العلمية، وتعمل على إجراء حوارات مفتوحة، وندوات لتبادل الآراء والأفكار والخبرات، لغرض تعميق المناهج الدراسية وتطوير كفاءات الأساتذة والتدريسيين.

والجامعة اليوم بهيئة تحرير مجلتها تقدم باعتزاز العدد الأول، وهو سفر حافل بالبحوث والدراسات الإنسانية آداباً وشريعة وقانوناً.

إن هذا العدد باكورة ثقافية الطريقة الصحيحة للإعلام الهداف الحر؛ في هذه المدينة المقدسة
(كربلاء) الخالدة قطرنا العزيز.

دور المدارس القديمة

في بناء الجامعات الجديدة

**وأهمية التراث العربي في وضع تقاليد التعليم العالي ومناهج البحث
العلمي وأصول الدراسة والتدريس**

د. حسين علي محفوظ

دور المدارس القديمة في بناء الجامعات الجديدة

وأهمية التراث العربي في وضع تقاليد التعليم العالي ومناخ البحث العلمي وأصول الدراسة والتدريس

عناصر الدراسة:

- قدم (المدرسة) في التراث.
- مواضع الدراسة وأمكنة التعلم والتعليم.
- اتصال تقاليد الجامعة الجديدة بأصول التعليم والتعلم في التراث.
- الكتب الستة الأصول في التربية والتعليم في التراث.
- الكتب العربية في موضوعات التعلم والتعليم.
- ليست النظامية أول مدرسة في الإسلام.
- كلمة (مدارس) كانت واضحة المفهوم في أواخر القرن الثاني للهجرة.
- الخليفة المعتصم يمكن أن يعد من أوائل المفكرين في بناء المدارس الجامعية في أواخر القرن الثالث.
- آداب المعلم والمتعلم وأوصافهما وشروطهما في التراث.
- طرق طلب العلم وروايته وحمله ونقله (أنباء التحمل) السبعة.
- شروط كتابة العلم.
- بيوت الحكمة ودور العلم في العالم في التراث.

- تعذر إحصاء المدارس.
- أهم المعاهد والمدارس في بلاد الإسلام.
- دائرة المعارف العثمانية في الهند.
- أقسام الكتاب في قواعد العلوم.
- شروط التأليف.
- ما يجب أن لا يخلو منه الكتاب.
- فرائض التأليف العلمي.
- الرؤوس الثمانية في التأليف.
- أنحاء التعليم.
- فنون التأليف في التراث.
- المنعطفات المتميزة في التعليم عند العرب في التراث.
- المصادر والمراجع.

قدم (المدرسة) في التراث:

المدرسة قديمة في التراث، معروفة في المؤثر، تعود أوائلها إلى بدايات الحضارات في وادي الرافدين ووادي النيل قبل الوف السنين، وفي بلاد اليونان والروماني من بعد. وهي سلسلة موصولة لم تقطع في تاريخ السنين منذ عرف البشر العلوم والمعارف، والفنون والصناعات.

وقد كانت الديارات والكنائس، والصوماع والبيع، والصلوات والمعابد، والأسوق والمواسم، والمحال والجامع، والأئدية دور الندوة، والمعاهد والمنازل، والمغاني والمرابع قبل الإسلام بمنزلة المدارس اليوم.

وأشرت الأرض، وأصطفى الله الإسلام، ودخل الناس في دين الله. وكان غار حراء، وبيت النبي والمسجد أول المدارس في تاريخ الإسلام.

سار العرب في الأرض، ومشوا في مناكمها، ودخلوا المشارق والمغارب، وكانت المساجد والجومع والحلقات وال المجالس ، والكتاتيب والمكاتب ، وخزائن الحكمه ودور العلم ، وبيوت الحكمه والمدارس ، والزوايا والتكايا ، والربط والخوانق ، والبيوت والمساكن ، والدور والقصور ، والبلاطات والدواوين ، والشاهد والراقد والتراب والمقابر ، والدكاكين والأسوق أهم مواطن التعليم ، وأظهر مواضع التعلم ، وأشهر أمكنة التدريس والدراسة والتلقين والتلقي والمدارسة والتدارس .

تتصل تقاليد الجامعة الجديدة حديثاً بأصول التعليم والعلم ، وطرائق التدريس والتلقي والتلقين والإملاء والاستملاء في المدرسة المأثورة قديماً .

والعود إلى مناهج القديم وما ألفوا في أدب العالم والمتعلم والمفید والمستفید ، وما صنفو في طلب العلم والسعی له والرحلة من أجله ، وما كتبوا في التأليف والتصنيف والمناكرة والمحاصرة والمناظرة والمطالعة والمحاورة ، وما دونوا في أوصاف الدارس وشروط الدارس ، وما سنو من آداب التدريس والدراسة يوضح الصلة الوثيقى بين القديم والجديد ، ويبين أثر الماضي في الحاضر .
ولابد - قبل الدخول في أعمق الموضوع - من الإشارة إلى أن كلمة (آداب) و(آداب) و(رسوم) تعنى (التقاليد) والشروط ، وما يسمى اليوم - أيضاً - بالمواصفات .
وقد اشتملت الكتب الستة الأصول في التربية والتعليم وهي :

- ١- آداب المعلمين .
- ٢- الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين ، وأحكام المعلمين والمتعلمين .
- ٣- آداب المتعلمين .
- ٤- تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم .
- ٥- منية المرید في آداب المفید والمستفید .
- ٦- الدر النضيد في آداب المفید والمستفید .

على كل ما يحتاج إليه من شروط ، وكل ما يلزم من أوصاف ، وكل ما ينبغي إتباعه من تقاليد في الدراسة والتعليم في القديم .

هذا . وقد ضمت المكتبة العربية جناحيها على أهم التقاليد في العمل العلمي ، واشتملت على كل ما لابد منه من تعاليم ، ولقد أفرد العلماء عشرات الكتب في موضوعات التعلم والتعليم والبحث العلمي ، منها :

- ١ - آداب الإجازة.
- ٢ - آداب الاستجازة.
- ٣ - آداب الاستعارة.
- ٤ - آداب الاستفتاء.
- ٥ - آداب الاستسلامة.
- ٦ - آداب الإعارة.
- ٧ - آداب الإفتاء.
- ٨ - آداب الإلقاء.
- ٩ - آداب الإملاء.
- ١٠ - آداب البحث.
- ١١ - آداب التأديب.
- ١٢ - آداب التأليف.
- ١٣ - آداب التحديث.
- ١٤ - آداب التحقيق.
- ١٥ - آداب التخريج.
- ١٦ - آداب التدريس.
- ١٧ - آداب التسليلك.
- ١٨ - آداب التصحيح.
- ١٩ - آداب التعلم.
- ٢٠ - آداب التعليم.
- ٢١ - آداب التلقين.
- ٢٢ - آداب الجدل.
- ٢٣ - آداب جمع الكتب.
- ٢٤ - آداب خزن الكتب.
- ٢٥ - آداب الخطابة.
- ٢٦ - آداب الدرس.
- ٢٧ - آداب الرحلة.
- ٢٨ - آداب الرواية.
- ٢٩ - آداب السلوك.
- ٣٠ - آداب السمع.
- ٣١ - آداب الصحبة.
- ٣٢ - آداب الضبط.
- ٣٣ - آداب الضرب.
- ٣٤ - آداب الطلب.
- ٣٥ - آداب العلم.
- ٣٦ - آداب الكتابة.
- ٣٧ - آداب الكشط.
- ٣٨ - آداب الحمو.
- ٣٩ - آداب المذاكرة.
- ٤٠ - آداب المطالعة.
- ٤١ - آداب المعارضة.
- ٤٢ - آداب العاشرة.

-
- | | |
|-----------------------|---------------------|
| ٤٦ - آداب النسخ. | ٤٣ - آداب المقابلة. |
| ٤٧ - آداب النظر. | ٤٤ - آداب المقال. |
| ٤٨ - آداب وضع الكتب.. | ٤٥ - آداب الماظرة. |

وسائل ما يتصل بالتعلم والتعليم، والتأليف والبحث من موضوعات.

لذا تعذر إحصاء ما في التراث من الكتب في التقاليد الجامعية، والعمل العلمي فان الإشارة إلى أهم ما ألفه جماعة من العلماء بين القرن الثالث والعشر للهجرة في التعلم والتعليم، والعدة التي ربما جاوزت الخمسين من العلماء والمؤلفين في القرون الأربع عشرة تكفي في بيان اهتمام العلماء العرب والمسلمين بالعلم إضافة إلى معطيات المكتبة العربية في الأخلاق والفضائل والحصلان.

كان الناس يرون أن المدرسة النظامية التي أسسها الوزير نظام الملك في بغداد سنة ٤٥٩ هـ هي أول مدرسة في الإسلام، ويعتقدون أن نظام الملك "هو أول من أنشأ المدارس فاقتدى به الناس"، وهو زعم ابن خلkan (٦٨١ هـ) وقلده الذهبي (٧٤٨ هـ).

وكان بعض المؤرخين يرى أن "أول من حفظ عنه انه بنى مدرسة في الإسلام أهل نيسابور" (كذا..).

وقد فسر المقريزي (٨٤٥ هـ) كون النظامية أول مدرسة كان فيها رواتب ومحضات ومساكن للطلاب.

لم يكن نظام الملك مبدعاً في تأسيس المدارس ونظام الجامعة في تاريخ الإسلام كما تصور بعض القدامى ومن تابعهم من الجدد، وإنما يعود تاريخ المدرسة إلى عهد متقدم تقاصداً كلمة (مدرسة) (مدارس) في اللغة، وهو الموضوع الذي يدرس فيه، وقدم كلمة درس ودارس وتدارس ودراسة، وقدم الحلقة وهي من ألفاظ الحديث.

وتبدو كلمة (مدارس) واضحة المفهوم والدلالة والمقصود في أواخر القرن الثاني للهجرة في تائية دعبد بن علي الخزاعي المتوفي سنة ٢٤٦ هـ التي نظمها في حدود سنة ٢٠٠ هـ.

ونفيid الكلمة المقريزي في الخطط إن الخليفة (المعتضد) يمكن أن يعد من أوائل المفكرين في بناء المدارس الجامعية من الخلفاء في تاريخ الإسلام، في أواخر القرن الثالث الهجري (٢٨٩-٢٧٩ هـ) فقد "استزاد في الزرع بعد أن فرغ من تقدير ما أراد (لما نوى بناء قصره في بغداد) فسئل عن ذلك،

فذكر انه يريده ليبني فيه دورا ومساكن ومقاصير يرتب في موضع رؤساء كل صناعة ومذهب من مذاهب العلوم النظرية والعملية، وتجرى عليهم الأرزاق السنوية ليقصد كل من اختار علما أو صناعة رئيس ما يختاره فيأخذ عنه".

والقصر الذي تشير إليه حكاية المقريزي هو قصره المعروف بالشريا الذي أنفق عليه أربعمائة ألف دينار (٤٠٠.٠٠٠) وكان طول هذا القصر ثلاثة فراسخ (حوالى ٥٨٠ كم) وفي أخبار المعتصم أنه "لم يكن له رغبة إلا في النساء والبناء"، وكان يسمى (السفاح الثاني) لأنه جدد ملك بني الباس".
وإذا تركنا اعدده المؤرخون من سيئات المعتصم فان الخلافة لما افضت اليه "سكنت الفتنة وصلحت البلدان، وارتقت الحروب، ورخصت الأسعار، وهذا البرج.. وكان مظفرا قد دانت له الأمور، وانفتح له الشرق والغرب.." كما قال المسعودي.

وفي مختصر التاريخ لابن الكازروني (٦٩٧هـ) انه "كان ذا رأي وحزم وشجاعة وسمحة وعدل في الرعية، حتى أنه تقدم إلى كافة أصحابه وخواصه بلزم الطريقة المثلثي.." وحسبه أنه فكر في بناء المدرسة الجامعية في ذلك العصر، ويكتفي أن منهجه - لو تم - كان فيه ما يكمل دور (خزانة الحكمة) التي أسسها الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ)، والمأمون (١٩٨-٢١٨هـ) في بغداد من قبل.

تقدمت الإشارة إلى الكتب الستة المهمة الأصول من مصادر التربية والتعليم في التراث، وهي كتاب آداب المعلمين لحمد بن سحنون (٢٥٦هـ) والرسالة الفصلية لأحوال المتعلمين وأحكام المتعلمين والمتعلمين للقابسي (٤٠٣هـ)، وكتاب آداب المتعلمين للنصير (٦٧٢هـ)، وكتاب تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم لابن جماعة الكناني (٧٣٣هـ)، وكتاب منية المرید في آداب المفید والمستفید لزین الدین بن علی بن احمد الشنامی العاملی الشهید الثانی (٩٦٦هـ)، وهو من شهداء العلماء في القرن العاشر الهجري، وكتاب الدر النضید في آداب المفید والمستفید لبدر الدین الغری (٩٨٤هـ).

وقد لاحظت أن في كتاب (منية المرید) الذي اعزز بالانتساب الى مؤلفه من جهة بعض الأمهات، ما في الكتب الأخرى مع الزيادة والبساط والتفصيل.

أوضح المؤلفون في التربية والتعليم آداب المعلم والمتعلم وأوصافهما وشروطهما، وهي ثلاثة أنواع:

١ - الآداب المشتركة، وهي آداب اشتراكاً فيها، وهي آدابهما من أنفسهما، وآدابهما في مجلس الدرس.

أما آدابهما في أنفسهما فهي ستة، وأما آدابهما في الدرس فهي ستة كذلك، وهي تؤكد جمياً
الإخلاص والاجتهاد في طلب العلم وتعليمه، ولزوم مكارم الأخلاق وحميد الأفعال والقه،
ودوام التعلم، والعمل بالعلم، والمحافظة على الشعائر والأحكام، وترك المراء والملاحة والجدال
والاستكبار وحب الظهور والغلبة والتجميل والتعجيز والطعن، وبطر الحق وغمط الناس.
وأهمها الانقياد للحق، والرجوع عند المهمشات، وان لا يتغى الأستاذ والطالب حب المال
والشرف والتعالي والسعى للجاه، والركض إلى الشهوات.

٢ - الآداب التي يختص بها الأستاذ في نفسه، ومع طلبه وفي مجلس درسه.

أما آدابه في نفسه فهي ثمانية وأما آدابه مع طلبه فهي عشرون، وأما آدابه في مجلس درسه فهي
ثلاثون.

وهي تلخص ضرورة الأهلية وتكامل المعرفة، وصون العلم وخدمته وقضاء حقه وتعظيمه،
والعمل بالعلم، وحسن الخلق والتواضع، وبذل الوسع في تكميل النفس وإكرام عزتها، وان
لا يمنع العلم أهله، وإلى أن يذله عند وجود المتعلم المستحق المستفيد، وعدم مخالفه الأفعال
للأقوال.

وإظهار الحق، وترغيب الطبة في العلم، وتعويدهم على خصال الخير، وتعليمهم على
التدریج، وان يحب لهم ما يحب لنفسه، ويكره لهم ما يكره لها، وان يزجرهم عن سوء الأخلاق،
وينهفهم عن المحرمات والمكرورات، وأن يلين لهم، ولا يتعاظم عليهم، ويسأل عنهم وعن
أحوالهم..

وأن يكون سمحاً ببذل العلم سهلاً بإلقائه، متلطفاً في إفادة طالبيه، حريصاً على تعليمهم،
بادلاً وسعاً في تفهيمهم وتقريب العلوم إلى أفهمهم وأذهانهم، وان ينصفهم في البحث ولا يظهر
تفضيل بعضهم على بعض.

وان يخرج إلى الدرس كامل الأهبة، مع السكينة والرفق والتودد والوقار والهيبة في اللباس والهيئة والنظافة، والتواضع والاستقرار. وأن يحسن خلقه مع الجلساء والطلاب، وان يتحرى التفهم بأيسر الطرق وأذب الألفاظ.

وأن يقول ما يعلم، ويقف عند ما لا يعلم، و(لا أدرى ثلت العلم) و(قول العالم لا أدرى لا يضع منزلته، بل يزيدها رفعة، ويزيده في قلوب الناس عظمة).

٣- الآداب المختصة بالطالب المتعلم:

وهي ثلاثة أقسام كما مر:

آدابه في نفسه وهي ثانية، وآدابه مع أستاذه وهي أربعون، وآدابه في مجلس الدرس وهي ثلاثون.

وموجز آداب الطالب، تحسين النية، وتطهير القلب، وتهذيب النفس، والاجتهد في طلب العلم، والجد في تحصيله، والحرص على التعلم والمواظبة عليه، والابتداء في التعلم بالأولى والأهم فالأهم.

وتعظيم الأستاذ وتقديره، والاستماع لليه والإقبال عليه، والاعتراف له، ورعاية حق تابوته والوفاء بحق تربيته فانه (الأب الحقيقى والوالد الروحانى)، والنظر على الأستاذ بعين الاحترام والجلال والإكرام، والتواضع له والانتقاد إليه، والإذعان لنصحه، وتحري رضاه، وتبجيله في الحضور والغيبة والخطاب والجواب.

وتعظيم حرمته، ومراعاة هديه، والاقتداء به، والشكر له، والصبر على جفوة تصدر منه. وأن يدخل على الأستاد نشيطاً منشرح الصدر، فارغ القلب من الشواغل غير الدرس.

وان لايفوت الطالب على نفسه دروس الأستاذ فان كل درس يفوت لاعوض له.. وان يجلس بين يديه جلسة الأدب بإطراف وتواضع، وان يصغي إليه، ويقبل بكليته عليه، وان لايرفع صوته في مجلسه، وأن يحسن خطابه مع الأستاذ، وان يتحفظ من مخاطبته بما لا يليق، وان لايسقه ولايقطع عليه كلامه، وان يصغي لليه إصغاء المستفيد، وان يستوضحه ويفتنم سؤاله، ويتلطف فيه.

وأن يكون ذهنه حاضراً، وأن لا يشتغل بما يبده الفكر ويحير الذهن وأن يحضر معه مايلزم من الكتب والآلات والأدوات، وأن يرتب الأهم فالأهم في الحفظ والمطالعة والتصحيح، وأن يقسم أوقاته، وأن يكرر بالدرس، ويبالغ في الجد والطلب، ويغتنم وقت الفراغ وشrex الشباب، وأن يلزمه جميع مجالس الأستاذ ما مكن، وأن يتأنب مع رفقة وأصدقائه من الطلاب، وأن لا يتكلم في أثناء الدرس، وأن يراعي الأدب مع الكبير.

وقد كانت طرق طلب العلم وروايته وحمله ونقله سبعاً يسمونها (أنحاء التحمل) وهي :

- ١ - السمع من الأستاذ، وهو على أربعة وجوه.
- ٢ - القراءة على الأستاذ، ويسمى (العرض) وهو ستة أنواع.
- ٣ - الأجازة مشافهة وكتابة، وهي خمسة أقسام تشتمل على تسعه انواع.
- ٤ - المناولة، وهي ضربان.
- ٥ - الكتابة، بأن يكتب الأستاد مرويه للطالب بخطه، أو يأمر بكتابته له، وهي ضربان.
- ٦ - الإعلام بأن يعلمه أن هذا مرويه.
- ٧ - الوجادة، بأن يجد الطالب المروي مكتوباً بخط فلان، أو يخبره فلان أنه خط فلان.

وقد أضفوا (الوصية) إلى أنحاء التحمل السبعه.

واشتربتوا في كتابة العلم وتقييده :

- ١ - تبيين الخط ، والاهتمام بصحته وتصحيحه.
- ٢ - عدم ادمج بعضه في بعض.
- ٣ - إعراب ما يخفى وجهه.
- ٤ - اجتناب التعليق ، وهو خلط الحروف التي ينبغي تفريقها.
- ٥ - اجتناب الكتابة الدقيقة وأجود الخط أبينه.
- ٦ - تحجيد الكتابة.
- ٧ - اجتناب الكتابة عشرة القراءة مشتبكة الحروف والكلمات.
- ٨ - عدم قرمطة الحروف والإتيان بها مشتبهه بغيرها.
- ٩ - إعطاء كل حرف حقه وكل كلمة حقها.

- ١٠ - مقابله الكتاب بأصل صحيح موثوق به.
- ١١ - ضبط مواضع الحاجة، بالقلم وضبط القلم هو وضع الحركة على الحرف، والضبط هو التعرض للكلمة بكونها بالفتح أو الضم أو الكسر، والضبط بالحروف.
- ١٢ - اعجم المعجم المشكّل، وضبط المشتبه.
- ١٣ - ضبط الملتبس من الأسماء.
- ١٤ - اجتناب دقة الخط وضيق الأسطر.
- ١٥ - استعمال علامات الفصل بين الكلام (الترقيم) فان وصل الكتابة كلها على طريقة واحدة فيه ما فيه من عسر استخراج المقصود والمطلوب، وتضييع الوقت والزمان.

وراعوا في صور الحروف خمسة أشياء:

- ١ - التوفيه.
- ٢ - الإ تمام.
- ٣ - الإكمال.
- ٤ - الإشاع.
- ٥ - الإرسال.

كما راعوا في أوضاعه أربعة أشياء:

- ١ - الترصيف.
- ٢ - التأليف.
- ٣ - التفصيل.
- ٤ - التسطير.

انتشرت بيوت الحكمة ودور العلم في العالم تدور حول علوم القرآن، وعلوم الحديث، وعلوم الدين، وعلوم الشريعة، وما يقترن بها من العلوم العربية والأدبية، وعلوم الأوائل منذ القرن الثاني، واستمرت وأمتد بها الزمان حتى ظهرت (الجامعة الجديدة) في أوروبا.

وإذا تعذر إحصاء المدارس العربية والإسلامية في الشرق والغرب فقد نستطيع الإشارة إلى جانب من أهم المدن التي خرجت العلماء وذكرت المصادر بعض ما فيها من مدارس ومعاهد،

ومنها: آبه، آمل، آنوله، اب، اجين، الإحساء، احمدآباد، احمدآباديدر، احمد نكر، آذربیجان، اربيل، اردبیل، ارمیه، استانبول، ستراباد، اصبهان، الاعظمية، اکلریدور، اکره، امامیه، امیتهی، اندونسیه، انصار، اطالیه، اوده، اورنک آباد (کیا)، اورنک آباد (الدکن)، ایدج، ایلجبور، بامیان، البحرين، بخاری، بدایون، برکی، بعلبک، برونه، بروهیلکمند، بربلی، البصرة، بعدان، بعلبک، بغداد، البقاع، بلکرام، بنارس، بنت جبيل، ابنجاب، بنکاله، بیجاپور، بیروت، بیلی بهیت، تبریز، تستر، تعز، تکریت، تلمسان، تون، جبع، جرباذقان، جرجان، جزیره ابن عمر، جزین، الجند، جونبور، جوین، جویا، جیلان، حانین، حران، حلب، الخلة، حماة، حمص، حنوبه، الحویزة، حیاة نکر، حیدر آباد، خانسار، خلاط، خوارزم، خوزستان، خوین دارانکر، دامغان، دانابور، الدکن، دمشق، دنیسر، دهلي، دوریست، ذوجبلة، ذو السفال، رأس العین، رامبور، رانسین، رنکبور، الري، زبید، زنجان، سارنکبور، ساري (= ساریه)، سبزوار، السحول، سرخس، سکون سمرقند، سمنان، سنجار، السندي، سندیله، سورت، سیوستان، شاه آباد، شاهجهان بور، الشحر، شحور، شقراء، شهرستان، شیراز، صنعت، صهبان، صور، صیدا، طالقان، طبرستان، طرابلس، طیردبا، ظفر آباد، عادل بور، عثمان بور، عدن، عظیم آباد، علیکره، العمادیة، عیا الزط، عیناثا، غرنطة، فقوعیة، قاشان، القاهرة، القدس، قزوین، قعطمونیة، قنا، قونیة، قیصریة، الكاظمية، کربلاء، کرک نوح، کفرحونا، کفرعیما، کفره، کلاباذ، کلین، الكوثیریة، الكوفة، کجرات، کویامئو، کولکنده، لارنده، لکھنؤ، ماردين، مالوہ، مجدلسلیم، مخلاف بنی شعیب، مخلاف الشوافی، المدینة، مراغة، مرو، مرو الروذ، مشفری، مشهد، مصر، ملتان، المنارة، مندو، الموصل، میبد، میس، النباتیة، النجف، نصیین، المیریة، نھرواله، نیسابور، هراة، همدان، الهند، هو، واسط، الو WCS، وصاب، یزد، الیمن.. وغيرها.

وإذا تعذر إحصاء المدارس واستحال تحديد أسمائها جميعاً فان من أهم المعاهد والمدارس في بلاد الإسلام - غير المساجد والجوامع الكبار - خزانة الحكمـة، وهي بيت الحكمـة ودار الحكمـة، في بغداد، وهي خزانة الرشید والمؤمنون، ومدارس نیسابور، ودار العلم في الكرخ بين السورين (٣٨١هـ) ودار الحكمـة في القاهرة (٣٩٥هـ) ودار العلم في جوار الأزهر، ودار الكتب في القصر،

وبيت الكتب التي تركها الصاحب بن عباد (٣٨٥هـ) بالري ، ودار الكتب التي أنشأها ابن سوار الكاتب في رامهرمز ، والنظميات في بغداد ، وبليخ ، ونيسابور ، وهراة واصبهان والبصرة ومرو وأمل طبرستان ، والموصل ، وجزيرة ابن عمر . ولاسيما النظمية في بغداد (٤٥٩هـ) ومدرسة أبي حنيفة (٤٥٩هـ) والمدارس الشرابية في بغداد (٦٢٩هـ) وواسط (٦٣٢هـ) ، ومكّة (٦٤١هـ) ، والمدرسة المستنصرية (٦٣٠هـ) ، والمدرسة المرجانية (٧٥٨هـ) .

ومنها مدرسة الشيخ في النجف (٤٤٨هـ) ، وحلقة الخليفة الناصر في المشهد الكاظمي سنة ٦٠٨هـ ، ومدارس الخلة ، ومدارس قرطبة ، والقبة والمرصد بمراغة (٦٥٦هـ) ، والمدارس الشمان في القسطنطينية ، التي كان من شرو التدريس فيها حفظ كتاب الصاحاح في اللغة للجوهري ، والمدرسة المربعة في سمرقند في زمن الوغ بك (٨٥٣هـ) ، ومدرسة الرنيق التي بناها السلطان اورخان (ق٨٥هـ) ، وهي أول مدرسة بنيت في الدولة العثمانية ، وكان مدرسهها الشيخ داود القيصري .. وغيرها مما يستصعب إحصاؤه .

ونـ أواخر المعاهـد المهمـة فيـ الـهـند (بيـتـ الـعـلـمـ)ـ المعـرـوفـ بـدـائـرـةـ الـعـارـفـ الـذـيـ أـسـسـتـهـ جـمـعـيـةـ دـائـرـةـ الـعـارـفـ الـعـثـمـانـيـةـ فـيـ الدـوـلـةـ الـأـصـفـيـةـ فـيـ الـدـيـارـ الرـكـنـيـةـ بـالـهـنـدـ،ـ وـأـوـلـ مـنـ اـعـتـنـىـ بـتـأـسـيـسـ هـذـهـ جـمـعـيـةـ مـوـلـانـاـ السـيـدـ حـسـيـنـ الـبـلـجـرـامـيـ الـمـخـاطـبـ بـالـنـوـابـ عـمـادـ الـمـلـكـ نـاظـرـ مـعـارـفـ الـدـوـلـةـ الـأـصـفـيـةـ،ـ وـكـاتـبـ السـرـ لـحـضـرـةـ السـلـطـانـ الـنـظـامـ السـادـسـ (الـسـلـطـانـ الـأـمـيرـ مـحـبـ عـلـيـ خـانـ بـهـادـرـ نـظـامـ الـمـلـكـ آـصـفـجـاهـ السـادـسـ،ـ فـسـ سـنـةـ ١٣٠٨ـهـ)،ـ وـمـولـانـاـ اـوـارـ اللهـ خـانـ..ـ "ـخـدـمـةـ الـعـلـومـ الـعـرـبـيـةـ وـالـفـنـونـ الـقـدـيـةـ وـالـمـآـثـرـ الـإـسـلـامـيـةـ..ـ الـتـيـ دـارـتـ عـلـىـ محـورـهـ الـعـقـولـ وـالـفـهـوـمـ وـالـآـثـارـ الـإـسـلـانـيـةـ مـنـ الـقـرـونـ الـوـسـطـىـ إـلـىـ الـاعـصـارـ الـبـاقـيـةـ..ـ"ـ،ـ وـقـرـرـتـ..ـ أـنـ تـطـبـعـ الـكـتـبـ الـقـدـيـةـ مـنـ الـعـلـومـ الـعـرـبـيـةـ...ـ".ـ

"ـلـمـ انـفـجـرـتـ يـنـابـيعـ الـعـلـمـ فـيـ هـذـاـ الـعـهـدـ..ـ بـتـأـسـيـسـ الـجـامـعـةـ الـكـبـرـىـ الـعـثـمـانـيـةـ،ـ وـاقـامـةـ دـارـ التـأـلـيفـ وـالـتـرـجـمـةـ،ـ وـافتـتاحـ الـمـارـسـ الـغـنـيـةـ وـالـمـعـاهـدـ الـأـدـيـةـ بـذـلـ (الـسـلـطـانـ مـيرـ عـثـمـانـ عـلـيـ خـانـ نـظـامـ الـمـلـكـ آـصـفـجـاهـ السـابـعـ الـمـعـرـوفـ بـسـلـطـانـ الـعـلـومـ)ـ عـنـيـتـهـ الـجـمـيـلـةـ..ـ إـلـىـ هـذـهـ جـمـعـيـةـ الـعـلـمـيـةـ وـشـرـفـهـاـ بـالـخـطـابـ وـالـمـعـونـةـ الـعـظـيمـةـ،ـ وـأـشـارـ فـيـ توـقـيـعـهـ الـمـلـوـكـيـ الـمـؤـرـخـ غـرـةـ جـمـادـيـ الـآـخـرـةـ ١٣٣٨ـهـ..ـ إـلـىـ مـقـاصـدـهـ الـجـلـيلـةـ،ـ وـأـمـرـ بـافـتـاحـ دـارـ تـصـحـيـحـ لـلـكـتـبـ الـقـدـيـةـ مـنـ الـعـلـومـ الـعـرـبـيـةـ..ـ"

ومن المعاهد المهمة في الهند - أيضاً - (ندوة العلماء) التي أسستها (جماعة في قيادة مولانا محمد علي المونكيري .. سنة ١٣١١هـ .. من أهدافها الرئيسية التقرير بين علماء المذاهب .. وتقدير الفجوة بين الطوائف الإسلامية، وتنسيق الجهود في إصلاح التعليم المسلمين، وتطوير مناهج الدرس ..).

ويجرنا الكلام على المدارس إلى الكتاب العلمي والكتاب المدرسي أو الكتاب المنهجي، والتأليف والتصنيف.

يفرق العلماء أحياناً بين التأليف والتصنيف، ولكن الكلمتين - استعمالاً واصطلاحاً - بمعنى واحد تقريراً، وقد كان من أغراض التأليف - عندهم - تدوين المعرفة أولاً ثم ألفوا للتعليم التدريس، وهو الكتاب المدرسي والمنهجي الذي يقرب العلم للطالب، ويهيئ له من مادة العلم ما يحتاج إليه.

وهم يقسمون الكتاب في قواعد العلوم إلى ثلاثة أقسام:

١ - المختصر، يجعل تذكرة لرؤوس المسائل تفدي المبتدئ في التعلم، وتنفع المنتهي في استحضار العلم.

٢ - المتوسط، وهو كتاب يجمع ما يحتاج إليه من مقاصد العلم بلا تطويل غير نافع، ولا اختصار لا يوصل مادة العلم.

٣ - المبوسط، وهو الذي يحوي مادة العلم، وما يتعلق بها من فوائد وضوابط ومسائل ونكات وفروع، وما يتصل بها من معارف وأشياء.

وقد اشترطوا في التأليف:

١ - إتمام الناقص ولكماله.

٢ - شرح الجمل المغلق وتفصيله.

٣ - تعين المبهم وإيضاحه.

٤ - إصلاح الخطأ وتبيينه.

٥ - ترتيب المختلط.

٦ - اختصار المطول وتهذيبه بلا إخلال بشيء من معانيه ومقاصده وأغراضه.

٧ - جمع المتفرق من مادة المعرفة والعلم.

٨ - تأليف مختصر جديد لم يسبق.

٩ - نظم المشور لتسهيل الحفظ وتسهيل الاستظهار، فان حفظ النثر قد لا يخلو من شعر، وهو من أنواع (العقد) في البديع، ويسمى (الشعر التعليمي).

١٠ - نشر النظوم لتوسيعه، وهو (الخل) في الصنائع البديعة.

وقد اختار العلماء النظامون (الشعر المزاوج) و(المزدوجات) و(النظمات) والأرجيز لنظم العلم.

وأوجب القدامي في المؤلف أن لا يخلو كتابه من خمس فوائد، هي:

١ - استنباط شيء، كان مفصلاً.

٢ - جمعه إن كان متفرقاً.

٣ - شرحه إن كان غامضاً.

٤ - إحسان نظمه وتأليفه.

٥ - إسقاط حشوه وتطوبله.

كما فرضواأشياء:

١ - إتمام الغرض الذي وضع الكتاب لأجله، من غير زيادة ولا نقص.

٢ - استعمال الألفاظ الواضحة البينة السهلة التي يرتاح إليها السمع.

٣ - هجر الألفاظ الغربية، والكلمات النافرة الوحشية، والكلمة غير المأنوسية التي تنفر منها المسامع، والمجازات غير المفهومة.

٤ - عدم إدخال علم في علم لثلا يقع التخليط والتشوش، ويفسح الوقت.

٥ - حسن الترتيب، ووضوح الدلالة على المقصود.

٦ - الأمانة العلمية، وعزوه الفوائد والمسائل والنكت والأشياء إلى أصحابها، وقد كان أولوا الإنصاف لا يذكرون في شيء من تصانيفهم حرفاً إلا معزواً إلى قائله من العلماء، مبينين كتابه الذي ذكر ذلك الأمر فيه.

٧ - أن يكون التأليف من البيان والإيضاح والكشف على قدر إدراك من يمؤلف له لكتاب من المتعلمين، وبقدر ما تدعو إليه الحاجة، وبمقتضى ما يوجبه التفهيم والتعليم.

٨ - الاحتياط في النقل عن الغير، ومراعاة الأمانة العلمية والدقة والضبط في النقل والإسناد.

٩ - لا يقوم الاختصار مقام الإكثار، ولا يغنى التلويح عن التصريح إذا دعت الحاجة إلى التفصيل والبيان، ولكل مجال مقال، ولكل مقام كلام.

وقد وضع العلماء المبادئ في التأليف، وهي (الرؤوس الثمانية) في علم التأليف، "فإنها مما يعين على فهم ما في الكتاب معرفة ليست باليسيرة"، وهم يذكرونها في صدر الكتاب وهي :

١ - الغرض ، وهو الغاية من التأليف.

٢ - المنفعة ، وهي الفائدة التي ترجى من الكتاب.

٣ - السمة والعنوان ، الذي يشير إلى مادة الكتاب ، ويدل على موضوعه.

٤ - وجة التعليم ونحوه المستعمل فيه ، وبيان الطريق المسلوك في تحصيل الغاية والمطلوب والمقصود الذي أُلف من أجله.

٥ - نوع العلم وموضوعه.

٦ - اسم الواضع للكتاب وهو المؤلف.

٧ - المرتبة ، مرتبة الكتاب ، وتعيين موضعه في سلسلة تحصيل العلم.

٨ - قسمة الكتاب بالأجزاء ، والمقالات والعلامات ، إلى ترتيب الكتاب وتبويبه ، وبيان أقسامه وفضوله.

وأنماط التعليم في مصطلح قدماء المؤلفين في المدارس القدية خمسة :

١ - التقسيم.

٢ - التركيب.

٣ - التحليل.

٤ - التحديد.

٥ - البرهان.

ومن فنون التأليف عند العلماء العرب:

١- الاختصار والتخلص.

٢- الشرح، وهو عدة أقسام منها:

أ) الشرح بقال أقول.

ب) الشرح بقوله قوله.

ج) الشرح المزجي ، وهو الشرح الممزوج.

٣- الحاشية.

٤- التعليق.

هذا . وإذا صح استعمال كلام (منعطفات) للدلالة على المنجز البارز ، والمعطى الأمثل فان من المنعطفات المتميزة في التعليم في التراث :

١ - طلب العلم فريضة وواجب.

٢ - طلب العلم في الصغر والكبير، من المهد إلى اللحد ، من الميلاد إلى الموت.

٣- الرحلة في طلب العلم والسفر من أجل تحصيله.

٤ - طلب العلم في الصحة والمرض.

٥ - طلب العلم في الإقامة والسفر ، في الحاضرة والبادية.

٦ - طلب العلم ولو بالمكان النائي والبلد الشاسع والموضع بعيد السحيق.

٧ - احترام الأستاذ وإجلاله ، وتوقيره وتعظيمه والتواضع له.

٨ - تبجيل الأستاذ في الخطاب والجواب والغيبة والحضور.

٩ - الأستاذ هو (الأب الحقيقي والوالد الروحاني).

١٠ - الطلب بمنزلة الولد والابن.

١١ - الخنو على الطالب والحرص على تعليمه وتهذيبه.

١٢ - الصبر على مشقة التعلم وتعب الدراسة.

١٣ - تمجيد العقل ، وهو دعامة العلم.

١٤ - العلم حياة وعماد.

- ١٥ - أهل العلم اقرب الناس من درجة النبوة، والعلماء ورثة الأنبياء.
- ١٦ - العلماء مصابيح الأرض وخلفاء الأنبياء.
- ١٧ - الجمع بين العلم والعمل والعلم أساس العمل بناء.
- ١٨ - مكارم الأخلاق، والخلق وعاء الدين، وحسن الخلق نصف الدين.
- ١٩ - وضع قواعد التعليم والتعلم.
- ٢٠ - وضع قواعد التأليف.
- ٢١ - استعمال الرموز والعلامات والاختصارات.
- ٢٢ - احترام الكتاب، والاهتمام بمخزائن الكتب.
- ٢٣ - الاهتمام ببناء دور العلم وتأسيس خزائن الحكمة.
- ٢٤ - بذل العلم وانفاقه.
- ٢٥ - تأسيس المدارس.
- ٢٦ - اهتمام المرأة بتأسيس المدارس.
- ٢٧ - وقف الكتب.
- ٢٨ - الاهتمام بصنعة الكتاب.
- ٢٩ - وضع المعاجم.
- ٣٠ - وضع التعريفات والحدود والمواضعات والاصطلاحات.
- ٣١ - نقل العلوم وترجمتها.
- ٣٢ - وضع تقاليد التوقعات التدريسية.

المصادر والمراجع

للتوثيق والتوضيح والاستشهاد والمقارنة ومزيد المعلومات

المصادر:

- ١ - مختصر كتاب العالم والمعلم، الترمذى (٢٨٠ هـ).
- ٢ - منية المرید في أدب المفید والمستفید، الشهید الثانی (٩٦٦ هـ).

- ٣ - تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم ، ابن جماعة الكناني (٧٣٣هـ).
- ٤ - كتاب آداب المعلمين ، ابن سحنون (٢٥٦هـ) ، تحقيق د. محمود عبد المولى.
- ٥ - مناظرات فخر الدين الرازي ، فخر الدين الرازي (٦٠٦هـ).
- ٦ - الأدب الوجيز للولد الصغير ، ابن المفع (١٤٣هـ) ترجمة النصير (٦٧٢هـ).
- ٧ - رسائل اخوان الصفا ، اخوان الصفا (اواسط القرن الرابع).
- ٨ - إحياء علوم الدين ، الغزالى (٥٠٥هـ).
- ٩ - أيها الولد ، الغزالى (٥٠٥هـ).
- ١٠ - آداب المتعلمين ، النصير (٦٧٢هـ).
- ١١ - مقدمة ابن خلدون ، ابن خلدون (٨٠٨هـ).
- ١٢ - تحرير المقال ، ابن حجر المبسمى (٩٧٤هـ).
- ١٣ - تعليم المتعلّم طريق التعلم ، الزرنوخي (القرن ٦هـ).
- ١٤ - شرح تعليم المتعلّم للزرنوخي (قـ٦هـ) ، ابن إسماعيل (٩٨٢+هـ).
- ١٥ - كشف الظنون ، حاجي خليفة (١٠٦٧هـ).
- ١٦ - مفتاح السعادة ، طاشكربى زاده (٩٦٨هـ).
- ١٧ - المعيد في أدب المفید والمستفید ، العلموي (٩٨١هـ).
- ١٨ - الدر النضيد في أدب المفید والمستفید ، بدر الدين الغزي (٩٨٤هـ).
- ١٩ - بيان زغل العلم والطلب ، الذهبي (٧٤٨هـ).
- ٢٠ - الشماريخ في علم التاريخ ، جلال الدين السيوطي (٩١١هـ).
- ٢١ - إفادة النصيح في التعريف بسند الجامع الصحيح ، ابن رشيد السبتي الفهري (٧٢١هـ).
- ٢٢ - قفو الأثر في صفو علم الأثر ، التاذني (٩٦٣هـ).
- ٢٣ - بلغة الغريب في مصطلح آثار الحبيب ، السيد محمد مرتضى الزبيدي (١٢٠٥هـ).
- ٢٤ - أدب الفتيا ، السيوطي (٩١١هـ).
- ٢٥ - ما لا يسع المحدث جهله ، ابو حفص الميانشي (٥٨٣هـ).
- ٢٦ - الاغباط لمعرفة من رمى بالاختلاط ، سبط ابن العجمي (٨٤١هـ).

- ٢٧ - أسماء المدلسين، السيوطي (٩١١هـ).
- ٢٨ - الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية، طاشكربى زاده (٩٦٨هـ).
- ٢٩ - العقد المنظوم في ذكر أفضضل الروم، طاشكربى زاده (٩٦٨هـ).
- ٣٠ - الخلاصة في أصول الحديث، الحسين بن عبد الله الطبيبي (٧٤٣هـ).
- ٣١ - مجلسان من مجالس الحافظ ابن عساكر في مسجد دمشق، تحقيق محمد مطيع الحافظ.
- ٣٢ - الكفاية في علم الرواية، الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ).
- ٣٣ - علوم الحديث، ابن الصلاح (٦٤٣هـ).
- ٣٤ - المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، الرامهرمي (٣٦٠هـ).
- ٣٥ - الالامع الى معرفة أصول الرواية وتقيد السماع، القاضي عياض (٥٤٤هـ).
- ٣٦ - الوجيزة، بهاء الدين العاملي (١٠٣٠هـ).
- ٣٧ - معرفة علوم الحديث، الحاكم ابن البيع (٤٠٥هـ).
- ٣٨ - الرحلة في طلب الحديث، الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ).
- ٣٩ - تقيد العلم، الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ).
- ٤٠ - الدرائية (شرح مختصر في علم درائية الحديث)، الشهيد الثاني (٩٦٦هـ).
- ٤١ - المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي، ابن جماعة (٧٣٣هـ).
- ٤٢ - وصول الأخيار الى أصول الأخبار، حسين بن عبد الصمد الحارثي الهمданى (٩٨٤هـ).
- ٤٣ - العقد الفريد، ابن عبد ربه (٣٢٧هـ).
- ٤٤ - مروج الذهب، المسعودي (٣٤٦هـ).
- ٤٥ - الاحتجاج، الطبرسي (القرن ٦هـ).
- ٤٦ - الدارس في تاريخ المدارس، عبد القادر بن محمد التعيمي الدمشقي (٩٢٧هـ).
- ٤٧ - رسالة في اصول الحديث، السيد الشريف الجرجاني (٨١٦هـ).
- ٤٨ - المختصر في علم الأثر، الكافي جي (٨٧٩هـ).
- ٤٩ - ادب الاملاء والاستملاء، السمعاني (٥٦٢هـ).
- ٥٠ - معجم البلدان، ياقوت الحموي (٦٢٦هـ).

- ٥١ - معید النعم ومبید النقم ، عبد الوهاب السبکی (٧٧١ھـ).
- ٥٢ - مکاتبات رشیدی ، رشید الدین فضل الله (٧١٨ھـ).
- ٥٣ - وفيات الأعيان ، ابن خلکان (٦٨١ھـ).
- ٥٤ - کامل الصناعة الطبية ، علي بن العباس المجوسي (٣٨٤ھـ).
- ٥٥ - القاموس الحيط ، الفیروزابادی (٨١٦ھـ).
- ٥٦ - لسان العرب ، ابن منظور (٧١١ھـ).
- ٥٧ - تاج العروس ، السيد محمد مرتضى الزبيدي (١٢٠٥ھـ).
- ٥٨ - مختار الصحاح ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازی (٦٩١+ھـ).
- ٥٩ - المصباح المنیر ، الفيومي (٧٧٠ھـ).
- ٦٠ - أساس البلاغة ، الزمخشري (٥٣٨ھـ).
- ٦١ - الموطأ ، مالک (١٧٩ھـ).
- ٦٢ - مسنند احمد بن حنبل ، أحمد بن حنبل (٢٤١ھـ).
- ٦٣ - صحيح البخاري ، البخاري (٢٥٦ھـ).
- ٦٤ - صحيح مسلم ، مسلم (٢٦٠ھـ).
- ٦٥ - سنن ابی داود ، ابو داود (٢٧٥ھـ).
- ٦٦ - سنن الترمذی ، الترمذی (٢٧٩ھـ).
- ٦٧ - سنن ابن ماجة ، ابن ماجة (٢٧٣ھـ).
- ٦٨ - سنن النسائي ، النسائي (٣٠٣ھـ).
- ٦٩ - الكافي ، ابو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الرازی (٣٢٩ھـ).
- ٧٠ - الروضۃ ، ابو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الرازی (٣٢٩ھـ).
- ٧١ - من لا يحضره الفقيه ، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى الفقيه (٣٨١ھـ).
- ٧٢ - الاستبصار ، الشيخ (٤٦٠ھـ).
- ٧٣ - التهذیب ، الشيخ (٤٦٠ھـ).
- ٧٤ - تحف العقول عن آل الرسول ، ابن ثعلبة البحراني (٤٤ھـ).

- ٧٥ - الوسائل، محمد بن الحسن الحر العاملي (١١٠٤ هـ).
- ٧٦ - نهج البلاغة من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، الشريف الرضا (٤٠٦ هـ).
- ٧٧ - غرر الحكم ودرر الكلم، الأدمي (٣٧١ هـ).
- ٧٨ - اساس الاقتباس، اختيار الدين بن غياث الدين الحسيني (٨٩٧+ هـ).
- ٧٩ - رسالة الحدود، ابن سينا (٤٢٨ هـ).
- ٨٠ - طبقات الامم، ابن صاعد الاندلسي (٤٦٢ هـ).
- ٨١ - معالم الكتابة ومجامع الإصابة، عبد الرحيم بن علي بن شيث القرشي (٦٢٥ هـ).

المراجع:

- ١ - تاريخ التربية الإسلامية، الدكتور أحمد شلبي.
- ٢ - تاريخ علماء المستنصرية، ناجي معروف.
- ٣ - في التراث العربي، مصطفى جواد.
- ٤ - دليل خارطة بغداد قديماً وحديثاً، مصطفى جواد وأحمد سوسة.
- ٥ - التربية عند العرب، خليل طوطح.
- ٦ - بيت حكمة، سعيد الديوه جي.
- ٧ - المستنصرية في التاريخ، د. محمد جاسم المشهداني، واسامة النقشبendi.
- ٨ - تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني، عبد الرزاق الهلالي.
- ٩ - المدرسة المستنصرية، د. حسين أمين.
- ١٠ - مدارس بغداد في العصر العباسي، د. عماد عبد السلام رؤوف.
- ١١ - مجلة الأستاذ، كلية التربية.
- ١٢ - المدرسة العالية في بغداد، د. عماد عبد السلام رؤوف.
- ١٣ - محمد رؤوف العطار، د. عماد عبد السلام رؤوف.
- ١٤ - نشاط المدارس المستقلة في الإسلام، ناجي معروف.
- ١٥ - المدرسة المستنصرية في بغداد، خالد خليل حمودي الأعظمي.

- ١٦ - التعليم في رأي القابسي ، د. أحمد فؤاد الاهري.
- ١٧ - المدرسة المستنصرية ، ناجي معروف.
- ١٨ - إلى ولدي ، احمد أمين.
- ١٩ - حياتي ، أحمد أمين.
- ٢٠ - التربية الإسلامية ومصادرها العربية ، عبد الرحيم محمد علي.
- ٢١ - عرض في التعليم التونسي بين القديم والجديد ، د. ابراهيم السامرائي.
- ٢٢ - التربية والتعليم في الإسلام ، سعيد الديوه جي.
- ٢٣ - مدارس واسط ، ناجي معرف.
- ٢٤ - مدارس مكة ، ناجي معروف.
- ٢٥ - التوفيقيات التدريسية ، ناجي معروف.
- ٢٦ - ابن الجوزي ونظراته في التربية والتعليم ، جليل رشيد فالح.
- ٢٧ - التعليم في القرن الرابع الهجري ، د. مليحة رحمة الله.
- ٢٨ - تاريخ التربية عند الامامية وأسلافهم ، د. عبد الله فياض.
- ٢٩ - الشرائع العراقية القديمة ، د. فوزي رشيد.
- ٣٠ - فتح العليم في آداب المعلم والعلم ، الداه الشنقيطي الموريتاني.
- ٣١ - آداب المتعلمين ورسائل أخرى في التربية الإسلامية ، احمد عبد الغفور عطار.
- ٣٢ - المتنبي وسعدي ، د. حسين علي محفوظ.
- ٣٣ - الذريعة ، الرازى.
- ٣٤ - طبقات الاعلام ، الرازى.
- ٣٥ - هدية العارفين إسماعيل باشا البغدادي.
- ٣٦ - الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية ، دكتور حسين البasha.
- ٣٧ - الاجازات العلمية عند المسلمين ، د. عبد الله فياض.
- ٣٨ - القوانين في العراق القديم ، د. فوزي ريد.
- ٣٩ - مسلة حمورابي ، د. بهيجة خليل اسماعيل.

- ٤٠ - مقدمة في أدب العراق القديم، طه باقرز.
- ٤١ - مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، طه باقرز.
- ٤٢ - تقدم التعليم العالي في العراق، حسن الدجيلي.
- ٤٣ - معجم مصطلحات توثيق الحديث، د. علي زوين.
- ٤٤ - الجواجم التركية المشهورة، نعمت بيراقدار (ترجمة: خالد النوري).
- ٤٥ - تطور التعليم الوطني في العراق، د. إبراهيم خليل أحمد.
- ٤٦ - ثلاث رسائل في علوم الحديث، علي حسن علي عبد الحميد.
- ٤٧ - من قضايا التعليم، مكتبة التربية العربي لدول الخليج.
- ٤٨ - المدارس اليودية والإيرانية في العراق، د. فاضل البراك.
- ٤٩ - المساجد، د. حسين مؤنس.
- ٥٠ - دور العرب في تكوين الفكر الأوروبي، عبد الرحمن بدوي.
- ٥١ - الفكر العربي والعالم الغربي يوجين أ. مايرز (ترجمة: كاظم سعد الدين).
- ٥٢ - مبادئ في مناهج البحث العلمي، فؤاد الصادق.
- ٥٣ - الهند في العهد الإسلامي، السيد عبد الحفيظ الحسيني.
- ٥٤ - سير فرهنگ...، دكتور عيسى صديق.
- ٥٥ - تاريخ فرهنگ...، دكتور عيسى صديق.
- ٥٦ - علم الحديث، كاظم مدير شانه جي.
- ٥٧ - اثر الحديث في نشأة التاريخ عند المسلمين، د. بشار عواد معروف.
- ٥٨ - رسالتان في مصطلح الحديث، . علي زوين.
- ٥٩ - ضياء الدرية، السيد ضياء الدين العلامة.
- ٦٠ - المشيخة، الرازى.
- ٦١ - نهاية الدراسة في شرح الوجيز، السيد حسن الصدر.
- ٦٢ - الزهر اللطيف في مسلك التأليف، الشيخ قاسم القيسي.
- ٦٣ - معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة.

- ٦٤ - الاعلام، الزركلي.
- ٦٥ - شمس العرب تسطع على الغرب، زيفريد هونكه (ترجمة: فاروق بيضون وكمال دسوقي).
- ٦٦ - المدارس الشرابية ببغداد وواسط ومكة، ناجي معروف.
- ٦٧ - علماء النظamiات ومدارس المشرق الإسلامي، ناجي معروف.
- ٦٨ - أصالة الحضارة العربية، ناجي معروف.
- ٦٩ - موجز تاريخ الحضارة العربية، ناجي معروف، وعبد العزيز الدوري.
- ٧٠ - تاريخ نظم ونشر، سعيد نفيسي.
- ٧١ - المدارس الإسلامية في اليمن، إسماعيل بن علي الأكوع.
- ٧٢ - المكتبات في الإسلام، محمد ماهر حمادة.
- ٧٣ - خزائن الكتب القديمة في العراق، كوكيس عواد.
- ٧٤ - الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والأثار، دكتور حسن البasha.
- ٧٥ - تاريخ الفكر الإسلامي في اليمن، أحمد سين شرف الدين.
- ٧٦ - لكنى والألقاب، الشيخ عباس بن محمد رضا.
- ٧٧ - ريحانة الأدب، محمد علي مدرس.
- ٧٨ - كتاب الأعيان، السيد محسن الأمين الحسيني العاملبي.
- ٧٩ - تاريخ الحضارة الإسلامية، ف يار تولد، (ترجمة حمزة طاهر).
- ٨٠ - معجم مطبوعات العربية والمعربة، يوسف اليان سركيس.
- ٨١ - التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول، الشيخ منصور علي ناصف.
- ٨٢ - مختار الأحاديث النبوية والحكم الحمدية، السيد احمد الهاشمي.
- ٨٣ - فتح الرحمن لطالب آيات القرآن، علي زاده فيض الله الحسني المقدسي.
- ٨٤ - المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، ونسنک.
- ٨٥ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي.

- ٨٦ - شعر دعبدل بن علي الخزاعي ، دعبدل بن علي الخزاعي (٢٤٦ هـ) ، تحقيق د. عبد الكريم الاشتبي.
- ٨٧ - دليل الاعارب على علم الكتب وفن المكاتب ، يوسف اسعد داغر.
- ٨٨ - مقالة تحفظ علوم قديمة ، سيد هاشم ندوى.
- ٨٩ - مقالة تاريخية ، دائرة المعارف العثمانية.
- ٩٠ - تصنيف لعلوم والمعارف ، الدكتور يوسف العشن.

من أعمال الدكتور حسين علي محفوظ في الموضوع:

- ١ - صورة الأستاذ في التراث.
- ٢ - الأستاذ في التراث.
- ٣ - الأستاذ الفاضل في التراث.
- ٤ - التقاليد الجامعية بين الاصالة والاقتباس.
- ٥ - جامعة بغداد وارثة مدارس بغداد وأم الجامعات في العراق.
- ٦ - تقويم جامعة بغداد.
- ٧ - تقويم الجامعة المستنصرية.
- ٨ - سجل المدارس في العراق.
- ٩ - سجل المدارس في تاريخ الإسلام.
- ١٠ - الأستاذ وبغداد بين التراث والمعاصرة.
- ١١ - الطفل والمعلم والتربية في التراث العربي.
- ١٢ - مناهج المؤلفات العربية في التربية والتعليم.
- ١٣ - نظرة الى الطفل في التراث العربي.
- ١٤ - صورة الأستاذ في التراث وضرورة استلهام المثل الأعلى من التراث في اعداد الأستاذ العربي ورسم آداب التعلم والتعليم.
- ١٥ - مجمع الاجازات.

- ١٦ - مطالعاتي.
- ١٧ - مقالات ودراسات.
- ١٨ - نقول.
- ١٩ - نص مغمور في التحقيق والتعليق والتصحيح والتخرير والكتابة والضبط.
- ٢٠ - فصول في علم المخطوطات.
- ٢١ - التلميذ الوفي صورة حية جديدة للأستاذ.
- ٢٢ - التعليم العالي في مكتبة التراث.
- ٢٣ - الاهتمام بالطالب بين التراث والمعاصرة.
- ٢٤ - التعليم العالي وجامعة بغداد والأستاذ.
- ٢٥ - احترام الأستاذ قصة مكررة معادة ذات بداية.
- ٢٦ - المعلم : العظيم الكريم المعطاء الفياض المتواضع المغمور، نتحنن كلنا جمیعاً في حضرته ، ومتواضع كلنا جمیعاً له.
- ٢٧ - صورة الأستاذ.
- ٢٨ - العالم والأستاذ.
- ٢٩ - يوم الجامعة.
- ٣٠ - الألقاب العلمية والثقافية وما يتعلق ويتصل بها.
- ٣١ - آداب التعليم والتعلم في التراث العربي.
- ٣٢ - الطالب في التراث العربي.
- ٣٣ - التعليم في التراث العربي.
- ٣٤ - المدارس وال مجالس والحلقات.
- ٣٥ - أصول التعليم في التراث العربي.
- ٣٦ - مكتبة التعليم العالي في التراث العربي.
- ٣٧ - أصول التعليم العالي في التراث العربي.
- ٣٨ - مجالس.

٣٩ - المساجد.

٤٠ - العـمـارـات وـالـمـبـانـي (محـاضـرات وـدـرـاسـات وـأـبـحـاث وـمـقـالـات).

٤١ - مـدارـس بـلـاد الرـوم.

٤٢ - مـدارـس بـلـاد الـهـنـد.

٤٣ - إـحـصـاء المـدارـس فـي التـرـاث.

٤٤ - الرـحـلـة فـي طـلـب الـعـلـم.

٤٥ - المـنـعـطـفـات المـتـمـيـزة فـي التـعـلـيم عـنـد الـعـرب.

خصائص الادارة

عند الامام علي بن أبي طالب عليه السلام

د. محسن باقر القزويني

خصائص الإدارة عند الإمام علي بن أبي طالب عليهما السلام

يتميز الفكر الإداري عند الإمام علي عليهما السلام بجذبه ومتانته وتواسكه واستناده إلى قواعد منطقية رصينة، فجاء هذا الفكر متميزاً بخصائص قد لا يظفر بها أيُّ مفكر إداري غربي. فهو فكر إنساني لأنَّه ينظر إلى الادارة بنظرية إنسانية، فالذي يتحرَّك في أفق الادارة هو الإنسان وليس الآلة، كما وأنَّ نظرية الإمام إلى المؤسسة الإدارية؛ إنَّها مجتمع مصغر تتضامن فيه جميع المقومات الاجتماعية، كما وأنَّ نظرته إلى الادارة؛ أنها جهاز منظم وليس خليطاً من الفوضى، وأنَّ لهذا الجهاز هدفاً ساماً فالتنظيم لم يوجد عبثاً، بل من أجل تحقيق أهداف كبيرة في الحياة.

استناداً إلى هذه الرؤية الشمولية عند أمير المؤمنين عليهما السلام فإنَّ الادارة هي كيانٌ حيٌّ ينبض بالحياة وهي متصفَّة بالصفة الإنسانية والصفة التنظيمية والصفة الجماعية والصفة الهدفية. فهي إذن كيانٌ إجتماعيٌّ حيٌّ يعيش في وسط المجتمع يسعى من أجل أهداف كبيرة في الحياة. وسنأتي على توضيح أهم تلك الصفات فيما يأتي :

أولاً: الصفة الإنسانية

يتميز فكر الإمام أمير المؤمنين عليهما السلام بالتناسق والتعاضد لأنَّ رؤيته للحياة رؤية شاملة لكل أبعادها وأركانها وأجزائها.

فالاقتصاد متداخل مع السياسة وهو يعتمدان على الادارة، فإذا ما تبعنا حلقات فكر الإمام أمير المؤمنين عليهما السلام لوجدنا أنها تستمد من رؤيته الثابتة عن الإنسان، طبيعته، وأساليب رقيه،

مشاكله وكيفية مواجهته لها، فكان لا بد من عرض رؤية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عن الإنسان قبل أن نستعرض نظريته في الإدارة. ذلك لأنّ الإدارة في المنظور الإسلامي ليست أدوات صماء، بل هي تقوم على أكتاف البشر، والبشر فيهم عوامل قوة وعوامل ضعف. وبقدر تفعيل عوامل الخير وتحريك الطاقات الكامنة في البشر تقدم المؤسسات والمشاريع وهي بأجمعها رهن الإدارة الجيدة.

المدير الجيد هو الذي يعرف طبيعة الناس الذين يتعامل معهم، ويعلم ما الذي يحركهم؟ وماذا يشطب عزائمهم؟ يعرف متى يتقدموه ومتى يتأخرون؟ وما من نظرية إدارية إلا وهي قائمة على رؤية أصحاب هذه النظرية إلى الإنسان، فالرأسمالية الاحتكارية التي تنظر إلى الإنسان ككتلة من اللحم الصماء تعامل معه بطريقة خاصة تقوم على هذه الرؤية، فهي لا تغير أهمية للمحفزات المعنوية التي تدفع بالإنسان إلى الأمام عشرة أضعاف المحفزات المادية.

إذن النظرية الإدارية المتكاملة هي التي تبدأ أولاً بالإنسان.. ماهيتها، وممّ يتكون، وكيف يتعامل مع الحياة؟ وما هي مشاكله وكيف يتقدم؟ وما هو السبيل إلى توجيهه الوجهة الصحيحة؟.

ما هو الإنسان وكيف حُقِّ؟

يقول أمير المؤمنين عليه السلام في وصفه لخلق الإنسان: ثم جَمَعَ سُبْحَانَهُ مِنْ حَزْنِ الْأَرْضِ وَسَهَلَهَا، وَعَذِّبَهَا وَسَبَخَهَا تُرْبَةً سَنَهَا بِالْمَاءِ حَتَّى خَلَصَتْ، وَلَا طَهَا بِالْبَلَةِ حَتَّى لَزَّبَتْ، فَجَبَلَ مِنْهَا صُورَةً ذاتَ أَحْنَاءٍ وَوَصُولٍ، وَأَعْضَاءٍ وَفُصُولٍ: أَجْمَدَهَا حَتَّى اسْتَمْسَكَتْ، وَأَصْلَدَهَا حَتَّى صَلَصَلَتْ لِوقْتٍ مَعْدُودٍ، وَأَمْدَ مَعْلُومٍ، ثُمَّ نَفَخَ فِيهَا مِنْ رُوحِهِ فَمَثَلَتْ إِنْسَانًا ذَا أَذْهَانَ يُجِيلُهَا، وَفِكَرٌ يَتَصَرَّفُ بِهَا، وَجَوَارِحٌ يَخْتَدِمُهَا، وَأَدَوَاتٌ يُقْلِبُهَا، وَمَعْرِفَةٌ يَفْرُقُ بَهَا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَالْأَذْوَافِ وَالْمَشَامِ وَالْأَلْوَانِ وَالْأَجْنَاسِ، مَعْجُونًا بِطِينَةِ الْأَلْوَانِ الْمُخْلَفَةِ وَالْأَشْبَاهِ الْمُؤْلَفَةِ، وَالْأَضَادِ الْمُتَعَادِيَةِ، وَالْأَخْلَاطِ الْمُتَبَايِنَةِ، مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرِّ، وَالْبَلَةِ وَالْجُمُودِ.

فالإنسان هو قبضة من طين الأرض من السهل والسبخ، ونفخة من روح الله، وهذه النفخة هي التي جعلت منه إنساناً، هي التي منحته القدرة على التفكير والقدرة على الحركة والقدرة على

^١ باب الخطب رقم (١) يذكر فيها إبتداء خلق السماء والأرض.

التمييز، فأخذ يُفـكـر لـحـيـاتـه وـحـيـاتـه أـبـنـائـه، وأـخـذـ يـتـحـركـ مـنـ وـحـيـ تـلـكـ الفـكـرـةـ التـيـ توـصـلـ إـلـيـهـاـ،ـ وأـخـذـ يـمـيـزـ الـحـقـ عـنـ الـبـاطـلـ.

ولولا تلك النـفـخـةـ الـعـلـوـيـةـ لـظـلـتـ أـطـرـافـهـ بـلاـ حـرـكـةـ،ـ ولـظـلـ لـسـانـهـ بـلاـ إـحـسـاسـ لـلـأـذـواقـ،ـ ولـظـلـ

أنـفـهـ غـيرـ قـادـرـ عـلـىـ تـحـسـسـ الـرـوـاهـ،ـ ولـظـلـتـ عـيـنـهـ غـيرـ قـادـرـةـ عـلـىـ تـمـيـزـ الـأـلـوـانـ.

إـذـ الـإـنـسـانـ هـوـ رـوـحـ وـجـسـدـ،ـ فـالـرـوـحـ هـيـ مـنـ آـثـارـ تـلـكـ النـفـخـةـ الـعـلـوـيـةـ وـالـجـسـدـ مـنـ الطـينـ الذـيـ

صـنـعـ مـنـهـ كـلـ الـبـشـرـ،ـ وـإـلـىـ هـذـاـ الـمعـنـيـ يـشـيرـ أـمـيرـ الـمـؤـمـنـيـنـ عـلـيـهـ لـلـهـ فـيـ قـوـلـهـ عـنـ أـوـلـيـاءـ اللهـ:ـ وـصـاحـبـوـ الـدـنـيـاـ

بـأـبـدـانـ أـرـوـاحـهـاـ مـعـلـقـةـ بـالـمـحـلـ الـأـعـلـىـ^٢.

فـهـيـ مـعـلـقـةـ بـالـمـحـلـ الـأـعـلـىـ لـأـنـهـاـ فـيـ الـأـصـلـ مـسـتـمـدـةـ مـنـ تـلـكـ النـفـخـةـ الـعـلـوـيـةـ أـمـاـ الـأـبـدـانـ فـهـيـ

لـيـسـ إـلـاـ أـوـعـيـةـ لـلـأـرـوـاحـ.

الـإـنـسـانـ عـقـلـ وـهـوـ

وـيـنـشـأـ عـنـ هـذـاـ النـفـخـةـ نـورـ يـهـتـدـيـ بـهـ الـإـنـسـانـ طـرـيقـهـ فـيـ الـحـيـاتـ وـهـذـاـ النـورـ هـوـ الـعـقـلـ.

يـقـولـ أـمـيرـ الـمـؤـمـنـيـنـ عـلـيـهـ لـلـهـ:ـ الـإـنـسـانـ بـعـقـلـهـ^٣.ـ وـيـقـولـ:ـ الـعـقـلـ فـضـيـلـةـ الـإـنـسـانـ^٤.

وـمـنـتـهـىـ كـمـالـ الـإـنـسـانـ عـنـدـمـاـ يـكـتـمـلـ عـنـدـهـ الـعـقـلـ،ـ يـقـولـ أـمـيرـ الـمـؤـمـنـيـنـ عـلـيـهـ لـلـهـ:ـ كـمـالـ الـإـنـسـانـ

الـعـقـلـ^٥.ـ وـيـقـولـ أـيـضاـ:ـ إـنـ أـغـنـىـ الـغـنـىـ الـعـقـلـ^٦.ـ وـيـقـولـ أـيـضاـ:ـ لـاغـنـىـ كـالـعـقـلـ^٧.

وـكـانـ مـنـ مـسـؤـولـيـةـ الـإـنـسـانـ أـنـ يـنـشـطـ عـقـلـهـ،ـ فـيـ وـصـفـهـ عـلـيـهـ لـلـسـالـكـ إـلـىـ اللهـ؛ـ قـدـ أـحـيـاـ عـقـلـهـ،ـ

وـأـمـاتـ نـفـسـهـ^٨.

^٢ الغـرـ ٢١٤/٦.

^٣ الغـرـ ٦١/١.

^٤ الغـرـ ٦٧/١.

^٥ الغـرـ ٦٣١/٤.

^٦ قـصـارـ الـكـلـمـاتـ رـقـمـ ٣٨.

^٧ قـصـارـ الـكـلـمـاتـ رـقـمـ ٥٤.

^٨ بـابـ الـخـطـبـ رـقـمـ ٢٢٠.

وعندما يزول العقل يتحول الإنسان إلى جسد ميت: أيها القوم الشاهدة أبدانهم الغائبة عنهم
عقولهم^٩.

ويضرب الإمام لنا مثلاً مجسداً عن أهمية العقل في توجيه الإنسان، يقول الإمام معاوية بن أبي سفيان؛ يا معاوية لئن نظرت بعقلك.. لتتجذبني أبراً الناس...^{١٠}

وإذا غاب العقل يستولي مكانه الهوى، يقول الإمام: آفة العقل الهوى^{١١}. ولا عقل مع
الهوى^{١٢}.

ويقول عن معاوية: قد دعاه الهوى فأجابه^{١٣}. وهذا هو الشقي؛ الشقي في الدنيا، وهي شقيّ
لنفسه ولغيره أيضاً: والشقي من المخدع لهواه وغوره^{١٤}. وأكثر فتن التاريخ مصدرها إتباع الحكام
لأهوائهم. يقول الإمام أمير المؤمنين: إنما بدء وقوع الفتن أهواه تتبع وأحكام تُبتعد^{١٥}.

ويفسر الإمام الاح Rafi التارخي الذي أدى إلى انحراف الناس: هذا الدين قد كان أسيراً في
أيدي الأشرار يُعمل فيه بالهوى^{١٦}.

فأين كانت العقول يوم حكمت الأهواء البلاد؟.. إنها كانت أسيرة مثلكما كان الدينُ أسيراً.

وكم من عقلٍ أسيرٍ تحت هوى أمير^{١٧}.

^٩ باب الخطب رقم .٩٧

^{١٠} باب الكتب والرسائل رقم .٦

^{١١} الغرر/٣ .١٠١

^{١٢} الغرر/٦ .٣٦٣

^{١٣} باب الكتب والرسائل رقم .٧

^{١٤} باب الخطب رقم .٨٦

^{١٥} باب الخطب رقم .٥٠

^{١٦} باب الكتب والرسائل رقم .٥٣

^{١٧} الكلمات القصار رقم .٢١١

وما هو الحال؟؟ الحال أن يتمدد العقل على الإغلال وأن يقف بقوّة بوجه الهوى مقاتلاً صلباً.. يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام : إذا وقع الأمر بفصل القضاء (وخسر هنالك المبطلون) شهد على ذلك العقل إذا خرج من أسر الهوى ، وسلم من علائق الدنيا .^{١٨}

وهنا العقل سيسهر سيف الوعي ضد ظلام الهوى ، ويدخل معه في حرب لا هوادة فيها. يقول أمير المؤمنين عليه السلام العقل حسام قاطع ، فاستر خلل خلقك بهلك ، وقاتل هواك بعقلك .^{١٩} فالعقل سيف .. وهو سيف بتار يقطع كل إنحراف إذا ما استطاع الإنسان حمله وشهره. ولابد من مقاتلة الهوى لأن العدو الأول الذي يمنع الإنسان عن التقدم ، ويدفع به إلى الوراء ، ويتركه في الظلام الدامس يلقي مصيره المؤلم. وقد مثل أمير المؤمنين عليه السلام صراع العقل والهوى بمعركة وقعت بين جيشين فيقول : الهوى قائد جيش الشيطان .^{٢٠}

فامتلاك العقل يتوج عن مخالفة الهوى . يقول أمير المؤمنين عليه السلام : مخالفة الهوى شفاء العقل .^{٢١} ويقول أيضاً : ثمرة العقل مقت الدنيا وقمع الهوى .^{٢٢} فهناك علاقة متينة بين الهوى وحب الدنيا. ومنشأ هذه العلاقة : من أطاع هواه باع آخرته بدنياه .^{٢٣} إذن العقل والهوى في حالة معاكسة دائماً. طاعة الهوى تفسد العقل .^{٢٤}

الهوى عدو العقل .^{٢٥}

الهوى ضد العقل .^{٢٦}

^{١٨} كتابه إلى شريح قاضيه رقم ٣.

^{١٩} قصار الكلمات رقم ٤٢٤.

^{٢٠} الغرر ١٣٧/٢.

^{٢١} الغرر ١٣٠/٦.

^{٢٢} الغرر ٢٣٤/٣.

^{٢٣} الغرر ٢٧٩/٥.

^{٢٤} الغرر ٢٤٩/٤.

^{٢٥} الغرر ٦٨/١.

^{٢٦} الغرر ٢٥٨/١.

فهمَا لا يجتمعان في إنسان أبداً، بل هما في صراع دائم حتى يتغلب أحدهما على الآخر. لذا خاطب أمير المؤمنين عليهما السلام أصحابه قائلاً لهم:
إياكم وتمكّن الهوى منكم .^{٢٧}

ويقول أيضاً: إسترشد العقل وخالف الهوى تنج .^{٢٨}
وتترى التعليمات والوصايا..

إملك عليك هواك .^{٢٩}
إنك إن أطعت هواك أصمك وأعماك .^{٣٠}
قاتل هواك بعقلك تملك رُشك .^{٣١}

ثم يقول: قاتل هواك بعلمه^{٣٢} لأن العلم هو ثمرة العقل، فالإمام يضع الإنسان أمام أقسى عدو لا يمكن السكوت حياله.

هواك أعدى عليك من كل عدو فاغلبه وإلا أهلكك^{٣٣}. وأمام دغدغات الهوى التي تسبقه إلى عمل المنكرات، عليه أن يسوف الهوى، ولا يتعجل في تنفيذ رغباته لأن فيه الهلاك، يقول الإمام: كن لعقلك مسعفاً ولهواك مسوفاً .^{٣٤}

مصدر الفضائل والرذائل

يعتبر الإمام أمير المؤمنين عليهما السلام العقل مصدر كل الفضائل:

^{٢٧} الغرر ٣٢٥/٢.

^{٢٨} الغرر ١٨٤/٢.

^{٢٩} الغرر ١٩٩/٢.

^{٣٠} الغرر ٥٦/٣.

^{٣١} الغرر ٤/٤٩٩.

^{٣٢} الغرر ٥١٣/٤.

^{٣٣} الغرر ٢١٣/٦.

^{٣٤} الغرر ٦١٣/٤.

العقل فضيلة الإنسان^{٣٥}.

العقل ينبوع الخير^{٣٦}.

العلم مصباح العقل وينبوع الفضل^{٣٧}.

ولما كان العقل هو أصل العلم كما ورد في كلام الإمام^{٣٨}. فهو ينبوع الفضل أيضاً.
والأدب أحد الفضائل المهمة في الإنسان وأساسه العقل.

الأدب في الإنسان كشجرة أصلها العقل^{٣٩}.

والتواضع أحد الفضائل وهو رأس العقل كما ورد في الغرر^{٤٠}.

والسخاء وهو أحد الفضائل أيضاً ثمرة العقل كما في الغرر^{٤١}.

والحلم أحد الفضائل وهو الآخر ناتج عن وفور العقل: بوفور العقل يتتوفر الحلم^{٤٢}.

والعلاقة بين العدل والعقل علاقة وطيدة تُبيّنها هذه العبارة الرائعة: من علامات العقل العمل
بسنة العدل^{٤٣}.

والحكمة هي عصارة الفضائل منبعها العقل يقول أمير المؤمنين عليه السلام: بالعقل يُستخرج غور
الحكمة^{٤٤}.

والاعتبار بالأحداث وهو أحد الفضائل أساسه أيضاً العقل: من قوى عقله أكثر الاعتبار^{٤٥}.

^{٣٥} الغرر ٦٥/١.

^{٣٦} الغرر ١٧٣/١.

^{٣٧} الغرر ٧/٢.

^{٣٨} الغرر ٩١/٢.

^{٣٩} الغرر ١٠٩/٢.

^{٤٠} الغرر ١٥١/٢.

^{٤١} الغرر ١٥١/٢.

^{٤٢} الغرر ٢٢١/٣.

^{٤٣} الغرر ٢٤/٦.

^{٤٤} الغرر ٢٠٤/٣.

^{٤٥} الغرر ٢٦٩/٥.

والمرؤءة هي إحدى الفضائل التي يتبارى على التمسك بها الرجال وهي تستند أيضاً إلى العقل: مرؤة الرجل على قدر عقله^{٤٦}.

والفكر هو الآخر من مكتسبات العقل يقول الإمام: الفكر جلاء العقول^{٤٧}.

فالتفكير، الأدب، العلم، التواضع، الحلم، السخاء، العدل، الحكمة، الاعتبار، والمرؤءة كلها فضائل تجدها عند العاقل.

أما الجاهل الذي يتبع هواه فماذا تجد عنده؟

سبب كل الحن؛ الهوى أُسُّ الحن^{٤٨}.

عامل كل فتنة؛ الهوى مطية الفتنة^{٤٩}.

سبب الارتباك في الحياة؛ لا تتابع الهوى؛ فمن تبع هواه إرتكب^{٥٠}.

سبب الهلاك؛ من أطاع هواه هلك^{٥١}.

سبب الزلل؛ من ركب هواه زل^{٥٢}.

سبب لفساد النفس؛ فساد النفس الهوى^{٥٣}.

سبب عدم الاخلاص؛ كيف يستطيع الاخلاص من يغلبه الهوى^{٥٤}.

سبب الضلال؛ من ملكه هواه ضل^{٥٥}.

^{٤٦} الغرر ١٢٨/٦.

^{٤٧} الغرر ٢٢٢/١.

^{٤٨} الغرر ٢٦٢/١.

^{٤٩} الغرر ٢٧٦/١.

^{٥٠} الغرر ٢٩٦/٦.

^{٥١} الغرر ١٤٦/٥.

^{٥٢} الغرر ٢٠٢/٥.

^{٥٣} الغرر ٤١٧/٤.

^{٥٤} الغرر ٤٧٥/٤.

^{٥٥} الغرر ١٣٧/٥.

سبب العمى والصمم والذل ؛ من اتبع هواه أعماه وأصمته وأذله وأضلته^{٥٦}.
سبب الظلم ؛ من نظر بعين هواه إفتتن وجار^{٥٧}.

الدنيا والآخرة

الدنيا هي ميدان الانسان فهو يستطيع أن يحولها إلى منبع للخير، أو مصدر للشر^{٥٨}، فعن الذين حولوها إلى ميدان للخير يقول الامام: إن للدنيا رجالاً لديهم كنوز مذخورة مذمومة عندكم مذخورة، يكشف بهم الدين كشف أحديكم رأس قدره ويلوذون كالجراد فيهلكون جابرة البلاد^{٥٩}. فهؤلاء الرجال يستفادوا من الدنيا وصمموا على الجهاد لاقامة حكم المستضعفين في الأرض. يقول أمير المؤمنين عليه السلام:

إن الدنيا دار صدق من صدقها، ودار عافيةٌ لمن فهم عنها، ودار غنىٌ لمن تزود فيها، ودار موعضةٌ لمن تعظ بها^{٦٠}.

فخيرها متعلق بال موقف منها؛ فهي تكون طوع إرادة من حولها إلى الخير، فمن فهمها يعيش فيها بعافية، ومن تزود منها أغنته لأنها تكددس نعماً كثيرة يمكن الاستفادة منها. وهي في الوقت ذاته مدرسةٌ لمن أراد الموعضة والعبرة من حوادثها. أما من أرادها للشر فهي طوع يمينه أيضاً. يقول الامام: إن الدنيا يُونقُ منظرها ويُوبقُ مخبرها، قد تزيّنت بالغرور وغرت بزيتها، دار هانت على رِبها، فخلط حلالها بحرامها وخربها بشرها وحلوها بمرها^{٦١}. أما مظاهرها فهي حلوة نضرة حُتٌ بالشهوات، وهي كالحية لين مسها قاتل سُمها. فهي إذن ميدان للاختيار ودار يتحن فيها الإنسان فإن وقف منها موقف الخير فاز بها، وإذا وقف منها موقف الشر خسرها وخسر كل شيء: الدنيا دار محن، ودار بالبلاء معروفة^{٦٢}.

^{٥٦} الغرر ٤٦٥/٥.

^{٥٧} الغرر ١٣٧/٥.

^{٥٨} الغرر ٦٥٥/٢.

^{٥٩} الغرر ٦٥٢/٢.

^{٦٠} الغرر ٦٥١/٢.

فعلى الإنسان أن لا يرغب فيها رغبة واله، وأن لا يجعلها كل همه وأن لا يصبو إليها كهدفٍ في حياته، لأنها سريعة التحول، كثيرة التنقل، شديدة الغدر، دائم المكر.

لذا جاءت وصية أمير المؤمنين عليهما السلام : خذ من قليل الدنيا ما يكفيك^{٦٢}.

لأنه مخلوقٌ لشيء آخر، ولأنها مخلوقةٌ لأمر آخر أيضاً.

يقول أمير المؤمنين عليهما السلام : أما بعد فإن الله سبحانه وتعالى قد جعل الدنيا لما بعدها وابتلى فيها أهلها، ليعلم إيمانهم أحسن عملاً، ولسنا للدنيا خلقنا^{٦٣}.

ففي هذا النص يُبين لنا أمير المؤمنين عليهما السلام الهدف من خلق الدنيا والهدف من خلق الإنسان، فالدنيا مخلوقة للأخرة، والانسان مخلوقٌ ليتحمّنه الله ليعلم حسن عمله عن سيئه.

ويوضح الإمام ذلك بصورة اكثـر في هذا النص : إنَّ الدُّنْيَا لَمْ تُخْلَقْ لَكُمْ دَارَ مُقَامٍ وَلَا مَحَلَّ قَرَارٍ وَإِنَّمَا جَعَلْتُ لَكُمْ مِجَازاً لِتَزُوَّدُوا مِنْهَا الْأَعْمَالُ الصَّالِحةُ لِدَارِ الْقَرَارِ، فَكُونُوا فِيهَا عَلَى أُوفَازٍ وَلَا تُخْدِنُكُمْ مِنْهَا الْعَاجِلَةُ، وَلَا تُغْرِّنُكُمْ فِيهَا الْفَتْنَةُ^{٦٤}.

وبعد أن حدد الله سبحانه وتعالى الهدف من خلق الحياة والانسان ظهر أمامنا موقفان : إنَّ أولياء الله هم الذين نظروا إلى باطن الدنيا إذا نظر الناس إلى ظاهريها، واشتبهوا بأجلها إذا اشتغل الناس بمعاجلها^{٦٥}.

فهناك دائماً نطاف من البشر؛ نمط يجعل الدنيا هدفاً له، فينغمض فيها حي يغرق، ونمط يجعل الدنيا وسيلة للأخرة.

فماذا عن الآخرة التي خلقنا من أجلها : إنكم إنما خلقتם للأخرة لا للدنيا وللبقاء لا للفناء^{٦٦}.

^{٦١} الغر ٦٣٧/٢.

^{٦٢} الغر ٢٢٧/٣.

^{٦٣} الغر باب الخطب رقم ٥٥.

^{٦٤} ٦٦٢/٢.

^{٦٥} قصار الكلمات رقم ٤٣٠.

^{٦٦} الغر ٦٦/٣.

مرارة الدنيا حلاوة الآخرة^{٦٧}.

غاية الآخرة البقاء^{٦٨}.

والآخرة فوز السعادة^{٦٩}.

الدنيا تضر والآخرة تسر^{٧٠}.

الدنيا أمد الآخرة أبد^{٧١}.

فإذا كانت الآخرة حلوة وهي باقية، وتسُرُّ، وفيها ينال الإنسان سعادته، إذا كانت هكذا؟
فلماذا لا يعمل الإنسان من أجلها؟ فهو عُرضة دائمًا لجذب الدنيا التي تحاول أن تشغله عن
الآخرة، فالإنسان بين الدنيا والآخرة بين جذب وتنافر، وقد مثل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام حيرة
الإنسان بين الدنيا والآخرة كحيرة المتزوج بزوجتين، يقول في ذلك: إن مثل الدنيا والآخرة كرجلٍ
له أمرتان إذا أرضى إحداهما أُسخط الأخرى^{٧٢}.

فكيف السبيل إلى غلبة الآخرة على الدنيا؟

التقوى

التقوى في تعريفات الشرع: «حفظ النفس عما يؤثم، وذلك بترك المحظور ويتم ذلك بترك
بعض المباحات»^{٧٣}.

ولن تتحقق التقوى إلا بخطة تدريجية،

^{٦٧} الغرر ١٤٠/٦.

^{٦٨} الغرر ٣٧٠/٤.

^{٦٩} الغرر ١٨٣/١.

^{٧٠} الغرر ٤٥/١.

^{٧١} الغرر ١٠/١.

^{٧٢} الغرر ٥٣٨/٢.

^{٧٣} الراغب الأصفهاني: المفردات، ص ٥٣٠.

الخطوة الأولى: يُقلل من يُريد التقوى إهتمامه بالدنيا يقول الإمام: خُذ من قليل الدنيا ما يكفيك^{٧٤}.

الخطوة الثانية: الإكثار من العمل الصالح؛ والعمل الصالح حرش الآخرة^{٧٥}.

ويقول أيضاً: نقلوا موازينكم بالعمل الصالح^{٧٦}.

الخطوة الثالثة: عقد صفقة تجارية بين الدنيا والآخرة، يقول أمير المؤمنين عليهما السلام: الأعمال في الدنيا تجارة الآخرة^{٧٧}. أربح الناس من إشترى بالدنيا الآخرة^{٧٨}.

وهو يستخدم ما حصل عليه في الدنيا لشراء الآخرة، ومنه المال، يقول الإمام عليهما السلام: أزكي المال ما اشتري به الآخرة^{٧٩}. وستكون تجارتكم راجحة لأنك سيربح الدنيا والآخرة معاً.
من ابتعاد آخرته بدنياه رجهمها^{٨٠}.

ويقول أيضاً: الرابع من باع الدنيا بالآخرة^{٨١}. فهو لن يخسر شيئاً عندما يضع هدفه الأول - الآخرة. يقول في ذلك: من أصلح أمر آخرته أصلح الله له أمر دنياه^{٨٢}. فالمطلوب منه هو التقوى لأنك لم يخلق عبشاً، يقول أمير المؤمنين عليهما السلام: أيها الناس إنقوا الله مما خلق أمر عبضاً فيلهو ولا يترك سدى فيلغوا^{٨٣}.

فهذا النص يلخص لنا العلاقة بين التقوى وبين الدنيا والآخرة، وبينهما وبين الهدف من الخلقة.

^{٧٤} الغر ٤٤١/٣.

^{٧٥} الغر ٦٢/٢.

^{٧٦} الغر ٣٥٠/٣.

^{٧٧} الغر ٢٧٦/١.

^{٧٨} الغر ٤١٣/٢.

^{٧٩} الغر ٤٠٧/٢.

^{٨٠} الغر ٢٥٧/٥.

^{٨١} الغر ٧٠/٢.

^{٨٢} الغر ٣٧٣/٥.

^{٨٣} قصار الكلمات: ٣٤٠.

وهذه النُّقلة من حُبِّ الدُّنيا إلى حُبِّ الآخرة هي التقوى : فملائكة التقى رفضن الدُّنيا^{٨٤}.

فماذا تعنى التقوى عند أمير المؤمنين عليه السلام؟

يقول الإمام : التقوى اجتناب^{٨٥}.

وماذا يحصل لو أخذ المؤمن بالتقى؟

يعدّ الإمام نتائج التقى.

التقوى أزكي زراعة^{٨٦}.

التقوى رأس الحسنات^{٨٧}.

التقوى رئيس الأخلاق^{٨٨}.

التقوى مفتاح الصلاح^{٨٩}.

التقوى ظاهره شرف الدنيا [هذا في الدنيا أما في الآخرة] وباطنه شرف الآخرة^{٩٠}.

المتقون

وصل بنا مسار البحث حول رؤية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عن الإنسان إلى المتقين ، فمن هم المتقون؟

يتتصف المتقون بهذه الصفات :

الورع ؛ الورع شعار الأتقياء^{٩١}.

^{٨٤} الغرر / ١١٧.

^{٨٥} الغرر / ٥٣.

^{٨٦} الغرر / ١٦١.

^{٨٧} الغرر / ١٨٨.

^{٨٨} الغرر / ١٩٤.

^{٨٩} الغرر / ٢٣٣.

^{٩٠} الغرر / ١٠٦.

^{٩١} الغرر / ١٥٦.

القناعة؛ القناعة علامة الأنقياء^{٩٢}.

السخاء؛ إن الأنقياء كل سخيّ متغفف محسن^{٩٣}.

لأ طريق للحسد؛ ليس الحسد من خلق الأنقياء^{٩٤}.

التركيّة؛ المتقوّن أعمالهم زاكية^{٩٥}.

ذرف الدموع خشية؛ وأعينهم باكية^{٩٦}.

الخوف من الله؛ وقلوبهم وجلة^{٩٧}.

الزهد؛ الزهد شيمة المتقين^{٩٨}.

سَهْرُ الليل؛ سَهْرُ الليل شعار المتقين^{٩٩}.

ذكر الله؛ ذكر الله شيمة المتقين^{١٠٠}.

علامات المتقين

للمتّقين ثلث علامات: إخلاص العمل، وقصر الأمل، واغتنام المهل^{١٠١}.

فأولاً: إخلاص العمل.. ومعناه الصدق أثناء العمل.

ثانياً: قصر الأمل، ومعناه ترجمة عمله إلى واقع وإلى برنامج زمني مرحلي.

^{٩٢} الغر ١٦٥/١.

^{٩٣} الغر ٤٩١/٢.

^{٩٤} الغر ٧٣/٥.

^{٩٥} الغر ٩٢/٢.

^{٩٦} الغر ٣٢/٢.

^{٩٧} الغر ٩٢/٢.

^{٩٨} الغر ٣٢/٢.

^{٩٩} الغر ١٤٠/٤.

^{١٠٠} الغر ٢٩/٤.

^{١٠١} الغر ٤٧/٥.

ثالثاً إغتنام المَهَلِ: «وَالْمَهَلُ هُوَ التَّؤْدَةُ وَالسُّكُونُ»^{١٠٢}. وهي حالة في متنهى الفضيلة لا يبلغها إلا من رب نفسه تربية قاسية بحيث لا ينفعل حين وقوع المشكلة ولا يضطرب ولا يقلق عند وقوع حدث ما يستدعي منه التفكير والتحليل.

وهنا نلتقي بموضوع هذه الدراسة، هنا يُصافح بحث الإنسان مبحث الادارة، فالإنسان الذي يتربى به أمير المؤمنين عليه السلام وتترقبه الرسالة الإسلامية هو من يخلص العمل، ويقصر الأمل ويفتنم المَهَلِ، وهو الإنسان الذي يصلح للعمل الإداري سواء كان مديرًا أو عاملًا.

وهذا الإنسان لم يأت من فراغ، فلو تتبعنا عملية بنائه لوجدنا أنه في بداية أمره كان عقلاً وهوى، فقاتل عقله هواه فانتصر عليه عندما عرف أنَّ الله لم يخلقه للدنيا بل خلقه للآخرة، وأنه تحت الرقابة الدائمة، لأنَّه في حالة إمتحان متواصل، إمتحان الوعي والارادة.

فهل استخدم وعيه بصورة سليمة؟

هل أنه عرف الغاية من خلقه والغاية من خلق الدنيا؟

وهل إنه استخدم إرادته في مكانها؟ هل استخدمه في هدف دنيوي أم آخر؟
وعندما تغلب عقله على هواه وانتصرت الآخرة على الدنيا (كهدف مطلق) فاضت الفضائل من جوانبه وإنكسرت الرذائل التي هي نبع الهوى.. ماذا كانت نهاية هذا الإنسان؟
كانت نهاية كبداياته، عندما خلقه الله وفطره على حُبِّ الخير.

أصبح لدينا الآن إنسان يُغلب العقل على الهوى، ويُقدم الآخرة على الدنيا فتظهر عليه الفضائل ولا تُشاهد على سلوكه الرذائل، .. وهذا هو المتقي الذي يعده الإسلام من خلال منهاجه التربوي القيم الذي ساهم في إعداده القرآن الكريم من ناحية والسنّة النبوية وكلمات الأنمة المعصومين من ناحية أخرى.

هذا هو الإنسان الذي يجب أن يعرفه من يريد قيادته وتوجيهه، وهذا هو الإنسان الذي تقوم الادارة على أكتافه، فإذا حدث تقدُّم فمنشأه هو الإنسان نفسه، وإذا حدث تراجع فسببه هو أيضًا.

^{١٠٢} الراغب الأصفهاني: المفردات ص ٤٧٦.

فالادارة التي يُؤسسها أمير المؤمنين عليهما السلام هي التي تقوم على سُلْمٍ عقريّة هذا الإنسان الصاعد نحو سلم الحياة بإمكاناته وكفاءاته.

ثانياً: الصفة التنظيمية

يبدأ الفكر الإداري في الإسلام بالتركيز على النظم والنظام، فأكبر مصدق للنظم هو تنظيم شؤون الدولة وأمور المجتمع، وقد جاء الإسلام بهذه الفكرة يوم كانت الغوضى هي الحالة السائدة في البلاد العربية، وتقدم المسلمين لأنهم كانوا أكثر تنظيماً من غيرهم، إنتصروا في الحرب لأنهم أوجدوا نظاماً للقتال.. وانهالت عليهم الثروات لأنهم وضعوا نظاماً للاقتصاد يقوم على تحريك الموارد الجمدة التي كانت بيد الأغنياء واستطاعوا أن يوجدوا دولتهم لأنهم أقاموها على أساس من التنظيم ونشروا العلم لأنهم وضعوا نظاماً للتعليم.. وهكذا سادت الادارة المنضبطة سائر أرجاء البلاد الإسلامية بفضل الحث المتواصل على التنظيم والنظام. ويمكننا القول بكل ثقة: بفضل التنظيم يستطيع المسلمون أن يكتسحوا العالم ويوصلوا الإسلام إلى آخر بقعةٍ من بقاع الأرض.

وعلى هذا النسق أغار أمير المؤمنين عليهما السلام إهتماماً كبيراً لنظم الأمور وتنظيم الشؤون حتى أنه لم ينس أن يوصي أولاده وأصحابه وجميع المسلمين في آخر كلمة له قبل أن يرحل إلى الرفيق الأعلى بنظام أمرهم.

فقد جاءت وصيته في النظم بعد وصيته بالتقوى لتأخذ مكان الصدارة في هذه الوثيقة الهامة:

أوصيكمَا وجمِيع ولدي وأهلي وَمَنْ بَلَغَهُ كُتَابِي بِتَقْوِي اللَّهِ، ونَظِيمْ أَمْرِكُمْ^{١٠٣}.

وفكرة النظم لم تكن وليدة الساعة أو الحاجة فقد امترجت هذه الفكرة بكلمات أمير المؤمنين عليهما السلام وبعقله قبل أن تأتيه الخلافة، فهذا عمر بن الخطاب يستشيره في الشخصوص لقتال الفرس، فيوصيه بأن يلتزم النظام في عمله، فيقول له: ومكان القيمة بالأمر مكان النظم من الخرز - يجمعه ويضممه فإن انقطع النظام وتفرق الخرز وذهب، ثم لم يجتمع بمحاذيره أبداً^{١٠٤}.

^{١٠٣} باب الوصايا رقم ٤٧.

^{١٠٤} باب الخطب رقم ١٤٦.

فال مدیر هو كالفص الكبير في المساحة التي تجمع بقية الفصوص، فإذا انفصل عن المساحة إنفطرت جميع الفصوص. فبدون النظام لا يمكن أن تقوم لأحد قائمة، بل ستكون النتيجة الانفراط والتمزق وكيف لا يكون ذلك وقد اتحد المسلمون لأنه أنزل الله إليهم ما ينظم شؤونهم وهو القرآن الكريم.

لنستمع إلى أمير المؤمنين عليه السلام وهو يشير إلى ذلك في خطبة يُبين فيها فضل القرآن الكريم: ذلك القرآن فاستنبطوه، ولن ينطق، ولكن أخبركم عنه، إلا إن فيه علمٌ ما يأتي، والحديث عن الماضي، ودواء دائمٍ ونظمٍ مابينكم^{١٠٥}.

يُشير أمير المؤمنين عليه السلام في هذا النص إلى عظمة القرآن الكريم، وإنها تتجلى في هذا الأمر بالذات في نظم أمر الناس وإدارة شؤونهم الحياتية - فالنظم هو أحد أربعة أمور أوجدها القرآن الكريم في الأمة الإسلامية: ١- الحديث عن المستقبل - ٢- الحديث عن الماضي - ٣- معالجة المشكلات - ٤- تنظيم شؤون الناس.

هذا هو التنظيم، وهذا مقدار أهميته عند أمير المؤمنين عليه السلام وهو بهذه النصوص يضع أمامنا نطفة الجنين الذي يُراد له أن يولد من خلال هذه الدراسة حول النظرية الإدارية للإمام أميراً لمؤمنين عليه السلام وعندما نفتح ملف النظم في فكر الإمام سنجد أنفسنا أمام حشد كبير من روائع الكلمات وهي تتناول هذه القيمة الأساسية في الإدارة في شعبٍ مختلفٍ.

ويكمن تصنيف الحالات التي ورد فيها لفظ النظم إلى الأمور التالية:

كيف ينشأ النظام؟

كيف يقوى النظام؟

كيف ينهار النظام؟

^{١٠٥} باب الخطب رقم ١٥٨.

أولاًً: كيف ينشأ النظام؟

أولاًً وقبل كل شيء كان من المفترض أن نتعرف على النبع الذي ينطلق منه النظام، في هذا المضمار يقول أمير المؤمنين عليهما السلام : عقل المرء نظامه^{١٠٦}.

فالعقل هو الرحم الذي يستقبل نطفة النظم فتلتتصق بجداره، وهناك تأخذ بالنمو لتحول إلى جنين... ومن ثم يخرج الجنين من الرحم إلى الوجود على شكل خطة ونظام.

فالعقل هو المصدر الأول للنظام، وبدونه لا يمكن لأمة أن تكون منظمة في حياتها.

فالعقل هو مصدر الفكر.

والعقل هو مركز التخطيط.

والعقل هو نبع البرامج.

والفكرة والخطة والبرمجة هي ألف باء النظام.

فالعقل يضع بين أيدي البشر النظام قبل التطبيق، يبقى المسؤول عن تطبيقه هو العلائق الحسنة التي تنمو في المجتمع ، والتي تقوم على أساس من الحقوق المتبادلة. يقول أمير المؤمنين عليهما السلام : من تلك الحقوق حق الوالي على الرعية ، وحق الرعية على الوالي ، فريضة فرضها الله - سبحانه - لـ كُلّ على كُلّ ، فجعلها نظاماً للأقوام^{١٠٧}.

وعلى مبدأ الحقوق يقوم النظام، ويتحول إلى منهج في الحياة بعد أن كان مجرد فكرة في العقل، أي انه يدخل حيز التطبيق.

وهنا نقف عند مبدأ مهم يضعه أمير المؤمنين عليهما السلام بين أيدي الأجيال، وهو أن الحقوق المتبادلة بين الرئيس والمرؤوس هي الأساس في تكوين النظام الإداري. فمثلاً للرئيس حق عليه واجب أيضاً إزاء المرؤوسين، وكما أن للمرؤوسين واجباً، لهم حقوق على الرئيس، وعلى أساس هذه الحقوق المتبادلة تنشأ العلاقات الاجتماعية في المجتمع وينشأ من شبكة هذه العلاقات ما نطلق عليه (النظام الإداري). ويجدر بنا أن نذكر هنا أنّ النظام الإداري الذي لا يقوم على المصالح الفردية الآنية ، ولا

^{١٠٦} الغرر ٣٦٤.

^{١٠٧} باب الخطب رقم ٢١٦.

يقوم على الرابطة العرقية أو القومية، بل يقوم على مبدأ الحقوق والواجبات لهم النظام الثابت والقوى الذي لا يمكن أن ترخصه أية قوة جباره.

من هنا؛ فقد أرسى أمير المؤمنين عليه السلام أقوى نظام إداري يمكن أن يسيطر على شؤون البلاد الإسلامية التي كانت متaramية الأطراف وكانت تموّج بالاضطرابات والقلائل، فعلى رغم هذه الظروف إستطاع النظام الإداري ان يفرض الأمن والنظام في طول البلاد وعرضها.

ثانياً: كيف يقوى النّظام؟

النُّظم الإدارية التي يوجد لها الإسلام تنظيمات قوية منيعة تقوم على روح الجماعة، وعلى الاستعداد الجمعي للتعاون والتآزر.

ولا ننس دور الأخلاق والفضيلة في إنشاء التنظيمات وتقويتها، لأنَّ التنظيم عملٌ جماعي، ولما كان الهدف من الخلق الحميد هو الحدِّ من طغيان الفردية فإنه السبيل الأقوى دائمًا لتأسيس التنظيمات الاجتماعية.

فالمجتمع الذي تنمو فيه الأخلاق هو الأقدر على تنظيم نفسه وتشكيل أعضائه ولا ننس هنا أيضًا دور القانون في إرساء النُّظم الإدارية وترسيخها حيث أنَّ القانون يحافظ على العلاقات التي تجمع أفراد التنظيم ويحافظ على ديمومتها وتقويتها. والمجتمعات التي يسود فيها القانون يسودها الضبط الاجتماعي أيضًا.

أما كيف يرى أمير المؤمنين عليه السلام سُلْطُن تقوية النظام بصورة عامة والنظام الإداري بصورة خاصة؟
الجواب: عبر هذه الوسائل:

أولاً: العدل؛ العدل بمثابة العصا التي يمسك بها من يريد موازنة جسمه فوق حبل رفيع في ألعاب السيرك. فلو لا هذه العصا لا يستطيع رجل السيرك موازنة نفسه فهو عرضة للسقوط في أية لحظة إذا ماغامر نفسه ووقف فوق حبل السيرك.

يلعب العدل دور العصا في تنظيم المجتمع فوق حبل الحياة القاسية، فهو السبيل إلى الموازنة، فكلما مال الجسم إلى جهة أسعفه العدل في الجهة المقابلة، وهكذا حتى يستقيم المجتمع.

يقول أمير المؤمنين عليهما السلام : العدل نظام الإمرة^{١٠٨}. ثم يقول : حسن العدل نظام البرية^{١٠٩}.

وهذه قاعدة عامة لا تختص بالنظام الاداري وحسب بل تشمل كل نظام حتى لو أقيمت على مبدأ آخر غير الاسلام.

ثانياً : الحلم ؛ هدوء الأعصاب عند الإنفعال ، وعدم الانفعال عند الاشارات وهو من قواعد الادارة، بل هو من قواعد التنظيم بصورة عامة ذلك لأن التنظيم يقوم على الأفراد ، وكان لابد من وجود علاقات طيبة بين هؤلاء الأفراد ، ومن أهم أسباب هذه العلاقة ، سيادة الحكم في العلاقات وعدم حدوث ردود فعل إنجعالية أثناء العمل والتي تعود إليها أهم عوامل المشاكل في التنظيمات الادارية.

ثالثاً : روح التعاون بين الأفراد كالحسان إلى الآخرين ، ومواساة الاخوان والكرم وهي صفات تنبُّ عن روح جماعية ، وعن ضمور للروح الفردية التي تهدد التنظيمات الادارية.

لتأمل هذه النصوص التي تحمل هذا المفهوم .

نظام المروءة حسن الأخوة^{١١٠}.

نظام الدين خصلتان إنصافك من نفسك ومواساة إخوانك^{١١١}.

نظام الكرم مولاة الاحسان ومواساة الاخوان^{١١٢}.

نظام الفتوة إحتمال عثرات الاخوان وحسن تعهد الجيران^{١١٣}.

^{١٠٨} الغرر ١٩٨/١

^{١٠٩} الغرر ٣٨٥/٣

^{١١٠} الغرر ٦١٧٦/٦

^{١١١} الغرر ٦١٧٦/٦

^{١١٢} الغرر ٦١٨٤/٦

^{١١٣} الغرر ٦١٨٥/٦

رابعاً: الدعوة إلى الطاعة؛ لأنّ من وجود محور تجتمع عليه التنظيمات والمؤسسات الاجتماعية، وهذا المحور هو طاعة الله سبحانه وتعالى فكلما زادت الطاعة إزدادت التنظيم قوة وترابطاً، لأنّ الطاعة ستركت الالتزام القانوني في التنظيم أو المؤسسة.

خامساً: التواضع؛ التواضع قيمة اجتماعية بدونها لا تقوم للمجتمع أية قائمة، وإذا أردنا أن نتعرف على أثر هذه القيمة الأخلاقية لتصور المجتمع وقد حفّت به جماعة من المتكبرين، كيف سيكون حاله.

إن التكبر هو عامل تشتت وتمزق في المجتمع، والمجتمعات التي تنمو فيها مظاهر التكبر عرضة للانهيار أكثر من المجتمعات الأخرى.

إذن التواضع هو السبيل لايقاف حالات التداعي والانهيار في المجتمعات البشرية، وقد جاء حيث الإسلام على التواضع لصيانة المجتمع من الانهيار والحفاظ عليه من السقوط السريع. من هنا أقرّ أمير المؤمنين عليه السلام قاعدة حيوية للحفاظ على حيوية المجتمع هي: بخفض الجناح تتنظم الأمور^{١١٤}.

وخفض الجناح هو كنایة عن التواضع، وهو كنایة عن تواضع الكبار من ذوي المسؤوليات لأن التعبير هو خفض الجناح لم يمتلك القدرة على الطيران، فهو لا يقع عليهم مسؤولية التواضع، وهذا هو السبيل الأوفق لتنمية التنظيم والحيولة دون انهياره وسقوطه.

سادساً: الأمانة؛ عندما يشعر كل فرد في التنظيم الإداري أو أي تنظيم إجتماعي بأنه أمين على مصالح الجماعة فإنّ إلتزامه نحو الجماعة ومصالحها سيكون متيناً للغاية وخلافاً للتنظيمات التي تقوم على التنافس المحموم والذي من شأنه أن يُفسِّر التنظيمات من داخلها في كل لحظة، خلافاً لها أقام الإسلام نظامه الإداري على مبدأ الأمانة، فقد خاطب الله سبحانه وتعالى أفراد المجتمع الذين يتحملون مسؤولية إجتماعية قاتلاً لهم: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤْدُوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ) ^{١١٥}.

^{١١٤} الغرر ٦/١٨٤.

^{١١٥} سورة النساء، آية ٥٨.

فالنظام الاداري الذي يطمح إليه الاسلام هو النظام القائم على الأمانة، الذي يجعل من كل فرد أميناً على مصالح الأمة أميناً على ممتلكاتها، أميناً على قيمها ومثلها، أميناً على أسرارها وأفكارها.

وعلى النسق القرآني استعار أمير المؤمنين عليهما السلام فكرة الآية الكريمة حول الأمانة فذكر في إحدى كلماته :

❖ فرض الله... الأمانة نظاماً للأمة .^{١١٦}

والسؤال : كيف تصبح الأمانة نظاماً للأمة؟

الجواب : عندما يتحسس المسؤول الكبير سواء كان حاكماً أو ولياً أو مديراً أو رئيساً بأنه أمين على مصالح الأمة ، وعلى كل فرد منها ، وإنه سيُسأل يوم القيمة عن هذه الأمانة . وعندما يشعر كُلَّ فرد من أبناء الأمة بأنه أمين أيضاً على مصالح الأمة فعليه أن يصونها ويذود عن حياضها ويحميها حق حمايتها . وأي ضعف عن أداء هذه المسؤولية سيحاسب عليه وسيواجه بأشد العقوبات .

ثالثاً: كيف ينهار النظام؟

الأنظمة عُرضة للانهيار ، كما ينهار البناء عندما يتسلل إليه الماء والرطوبة ، فالأنظمة تتسرّع كما يتسرّع الكرسي الموضوع في زاوية من البيت ولا يحصل على الرعاية المطلوبة ، وأكبر معوّل يهدّم نُظم الجماعة هو الخلاف ، وقد قال تعالى في كتابه الكريم (ولَا تنازعوا فتتشلّوا وتذهب ريحكم) .^{١١٧}

وقال أمير المؤمنين عليهما السلام : الأمور المنتظمة يفسدها الخلاف .^{١١٨}

^{١١٦} قصار الكلمات رقم ٢٥٢ .

^{١١٧} سورة الأنفال ، آية ٤٦ .

^{١١٨} الغرر ٣٠٧/١ .

والخلاف هو جرثومة تبدأ صغيرة ثم تكبر فتنتشر فتهدد كيان المجتمع بأسره، والخلاف يبدأ صغيراً في نفس الإنسان ثم ينمو كبيراً في كيان المجتمع.
وأول عملية هدم تتم بعول الخلاف هو هدم الآراء، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: **الخلاف يهدم الآراء**.^{١١٩}

فيظهر الخلاف وينتشر إلى كافة الرعية: **آفة الرعية مخالفة الطاعة**.^{١٢٠}
ثم يسري إلى قمة المؤسسات الاجتماعية فيصل حتى إلى المقاتلين: **آفة الجندي مخالفة القادة**.^{١٢١}
عندما سينهار المجتمع ويتمزق شرّ ممزق، يقول أمير المؤمنين عليه السلام عن نتائج الاختلاف: سبب **الفرقة الاختلاف**.^{١٢٢}

وعندما تبلغ الجرثومة إلى هذا المستوى من التأثير يجب الالسراع في العلاج، وتقع على حكماء المجتمع وعقلائه مسؤولية وضع حد لهذا الانهيار بإيقاف حالة التداعي في المجتمع، وذلك بالعمل وفق هذه الخطوات:

أولاً: الرفق بالآخرين، وهو يضع حدًا للمخالفات، يقول الإمام عليه السلام: **الرفق يغلب حد المخالفة**.^{١٢٣}

ثانياً: الانصاف، وهو نوع من العدل، يظهر فيه تساوي الإنسان بين نفسه والآخرين، يقول الإمام عليه السلام: **الانصاف يرفع الخلاف ويوجد الائتلاف**.^{١٢٤}

^{١١٩}. الغرر ٢٧٠/١.

^{١٢٠}. الغرر ١٠٤/٣.

^{١٢١}. الغرر ١٠٣/٣.

^{١٢٢}. الغرر ١٢٣/٤.

^{١٢٣}. الغرر ١٥٠/١.

^{١٢٤}. الغرر ٣٠/٢.

هذا ما يمكن القيام به عند وقوع الاختلاف في المجتمع وما يتحمله المسؤول أو المدير من أعباء للحفاظ على النظم الاجتماعية. وهذه هي إحدى الخواص التي تمتاز بها النظم الادارية عند أمير المؤمنين عليهما السلام فهي إدارة منتظمة متسقة الأجزاء لا مجال فيها للفرقة والاختلاف.

ثالثاً: الصفة الجماعية

لا تنشأ الإدارة إلا بين جمع من الناس، ولابد لهذا الجمع من روابط تربطهم، وكلما قوي هذا الرابط قويت الجماعة وأصبحت الادارة متيسرة على المدير. فالجماعة هي البيئة التي تنشأ فيها الادارة، وب بدون مراعاة هذا الجانب تصبح الادارة أشبه ما تكون بمعادلة حسابية، وقد وجّهت إنتقادات إلى المفكر الألماني (ماكس فيبر) عندما لم يهتم بالبيئة الاجتماعية التي تنشأ فيها الادارة فجاء نموذجه في - البيروغرافية. تُقصى الروابط الإنسانية. كذلك يؤخذ على (تيлер) إتجاهه إلى مكنته الإنسان في العمل.

وقد زخر فكر الإمام أمير المؤمنين عليهما السلام بنصوص كثيرة في مجال المجتمع والجماعة، وهي بحد ذاتها تكون لدينا دراسة متكاملة عن المجتمع ودور الفرد في الجماعة، لكن سنقتصر على النصوص التي تحتاجها في تأكيد الصفة الاجتماعية في الادارة.

فالادارة التي تستقي أبعادها من كلام أمير المؤمنين عليهما السلام هي التي تنشأ في رحم المجتمع والجماعة. وقد أشرنا سلفاً أن المفردة الاجتماعية تحمل مساحة كبيرة من فكر الإمام أمير المؤمنين عليهما السلام فكان علينا أن نقتطع ما ينفع دراستنا وهو الاشارة إلى ضرورة وجود المجتمع للحياة، وعوامل تكوين الجماعة، وتصنيف المجتمع وما إلى ذلك من الموضوعات التي سنأتي على ذكرها.

أولاً: ضرورة وجود المجتمع

حاجة الفرد إلى الجماعة ك حاجته إلى الهواء فهو لا يستطيع الاستمرار في الحياة بدون الجماعة، لأن تعقيدات الحياة تختتم عليه أن يعاشر الأفراد ويرتبط بهم برباط الأخوة، يقول أمير المؤمنين عليهما السلام

عن ذلك: عاشر أهل الفضل تسعد وتبطل^{١٢٥}. فلا سعادة للانسان إلاّ عندما يكون في دائرة المجتمع، لذا أمر الاسلام أبناءه بحسن العشرة.

وفائدة العشرة الحسنة هي: بحسن العشرة تدوم المودة^{١٢٦}. وبحسن العشرة تأنس الرفاق^{١٢٧}. وبحسن العشرة تدوم الصلة^{١٢٨}.

ويقول في حثه على كسب الصداقات: من لا أخاً له لا خير فيه^{١٢٩}.

وهو لا يقصد الأخ الحقيقي للانسان لأنه: ربُّ أخٍ لم تلدُ أُمك^{١٣٠}.

ومن محمل النصوص المتقدمة، ونصوص أخرى لا مجال لذكرها ندرك ما يوليه الامام أمير المؤمنين عليه السلام من أهمية لوجود الكيان الاجتماعي الذي تقوم العلاقات بين أفراده على أساس الأخوة الصادقة.

فالأخوان زينة في الرخاء وعدة في البلاء^{١٣١}.

ثانياً: الحث على الارتباط بالمجتمع

إذا كان للمجتمع تلك الأهمية حيث لا تستقيم حياة الانسان ولا تصلح أخلاقه إلاّ من خلاله فقد وردت النصوص الكثيرة وهي تحث على الالتزام بالجماعة، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: الزموا الجماعة واجتنبوا الفرقة^{١٣٢}.

الزموا السواد الأعظم فإن يد الله مع الجماعة^{١٣٣}.

^{١٢٥} الغر ٣٥٦/٤

^{١٢٦} الغر ٢٠١/٣

^{١٢٧} الغر ٢١٠/٣

^{١٢٨} الغر ٢٢٠/٣

^{١٢٩} الغر ٢٢٤/٥

^{١٣٠} الغر ٧٦/٤

^{١٣١} الغر ٣٩٤/١

^{١٣٢} الغر ٢٤٠/٢

^{١٣٣} باب الخطب رقم ١٢٧.

^{١٣٤} والزموا ماعقد عليه حبل الجمعة

^{١٣٥} وعليكم بهذا السواد الأعظم .

هنا نجد أنفسنا أمام نصوص تدعو إلى الارتباط بالجماعة حفظاً على وحدتها وكيانها السياسي حتى لا يتسرّب إليها الفرق والاختلاف.

فالاحفاظ على وحدة المجتمع مسؤولية شرعية، وهو أمانة في عنق كل مسلم؛ اما الخروج على هذه الوحدة وشق عصا المسلمين فهو الخيانة لأنّه تحول إلى معول لهدم مركز مهم من مركبات التقدم لدى المسلمين وهو وحدة المجتمع الإسلامي.

لذا يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام : أعظم الخيانة خيانة الأمة ^{١٣٦} .

وخيانة الأمة هي الخروج على وحدتها القائمة على أساس من الحق وليس على الباطل، لأنّ الأمانة التي فُرضت على المسلم هي : التعاون على إقامة الحق أمانة وديانة ^{١٣٧} . فالخروج على هذا المبدأ هو الخيانة، بل هو أعظم خيانة، لأنه خيانة لكل أبناء الأمة الإسلامية.

ثالثاً: كيفية تكون الجماعة

هذه الجماعة التي دُعينا إلى الارتباط بها لابد وأن تقوم على أساس متينة، وهي :

الوفاء : الوفاء قوام الأمة وزين الأخوة ^{١٣٨} . لأنّه يطّن صدق العلاقة، وإخلاص الترابط.

التناصح : لآخر في قوم ليسوا بنا صحّين ولا يحبون النصح ^{١٣٩} .

ويقول في هذا المضمار : خير الأخوان أنصحهم وشرهم أغشهم ^{١٤٠} .

^{١٣٤} باب الخطب رقم ١٥١.

^{١٣٥} باب الخطب رقم ٦٦.

^{١٣٦} الغرر ٢٨٨/٢.

^{١٣٧} الغرر ٣٥٠/١.

^{١٣٨} الغرر ٦٨/٣.

^{١٣٩} الغرر ٤٢٧/٦.

^{١٤٠} الغرر ٤٣٣/٣.

فالعلاقة القائمة في هذا المجتمع هي علاقة فاعلة تتحرك باتجاه الايجابية ، فإذا ظهر الخطأ من أحد الأفراد يُسرع الآخرون إلى تغييره.

التعاون على إقامة الحق : التعاون على إقامة الحق أمانة وديانة^{١٤١} . فوجود الفرد في المجتمع يحمله مسؤولية تحتم عليه العمل من أجل إرساء صرح الحق من أية زاوية كانت. يقول الإمام : الزم أهل الحق وأعمل عملهم^{١٤٢} .

إقامة العدل : العدل قوام البرية^{١٤٣} . فالمجتمع الذي يقوم على العدل هو المجتمع المسلم المعافي من كل مرضٍ ، لأن العدل هو الذي يحافظ على توازن أطراف المجتمع . ويحافظ عليه من حالة الافراط والتغريب . يقول أمير المؤمنين ع : العدل قوام الرعية^{١٤٤} .

الشريعة : وهو العنصر الأهم في بناء المجتمع يقول أمير المؤمنين ع : الشريعة صلاح البرية^{١٤٥} فالشريعة هي التي تحدد الاطار القانوني للجماعة ، وبدون القانون لا يستطيع المجتمع من الحياة ولا النمو.

المجتمعات تتكون من عنصر إنساني تنتج عنه العلاقات الاجتماعية ، ومن عنصر قانوني تفرزه الشرائع والأعراف وال العلاقات ، ولا يبلغ المجتمع حالة السمو إلا عندما تحكمه الشريعة ، لأنها قانون صادر عن الله سبحانه وتعالى.

المسؤولية : وجود الفرد في المجتمع يفرض عليه المسؤولية لأن العلاقة الاجتماعية هي مسؤولية بحد ذاتها ، يقول أمير المؤمنين ع : قوام الدنيا بأربع عالم يعلم بعلمه وجاهل لا يستنكف أن

^{١٤١} الغرر ٣٥٠/١

^{١٤٢} الغرر ٣٦٦/٢

^{١٤٣} الغرر ٢٠٣/١

^{١٤٤} الغرر ١٨٣/١

^{١٤٥} الغرر ١٨٣/١

يتعلم وغني يجود به على الفقراء، وفقير لا يبيع آخرته بدنياه، فإذا لم يعمل العالم بعلمه إستنكف الجاهل أن يتعلم، وإذا بخل الغني به على الفقير آخرته بدنياه^{١٤٦}.

فالمجتمع التي يرسمه الإمام من خلال هذا النص هو مجتمع التكافل والمسؤولية، يحمل كل فرد فيه مسؤولية إعتبارية، فإذا ما قام كل فرد بأداء مسؤوليته فإن هذا المجتمع سيتقدم أشواطاً إلى الإمام، أما إذا لم يؤد ما عليه من مسؤولية فإنه سينتكس ويتراجع.

رابعاً: تصنيف المجتمعات

يصنف الإمام أمير المؤمنين عليهما السلام المجتمعات البشرية إلى قسمين: مجتمع الأخيار ومجتمع الأشرار.

مجتمع الأخيار:

من صفات هذه المجتمع - كما يقول أمير المؤمنين عليهما السلام - الاحسان غريرة الأخيار والإساءة غريرة الأشرار^{١٤٧} فهذا المجتمع قائم على صفات ذاتية أصلية. يتصرف افراده بهذه الصفات: حسن الطاعة: بحسن الطاعة يُعرف الأخيار^{١٤٨}.

لين الكلام وإفشاء السلام: سنة الأخيار لين الكلام وإفشاء السلام^{١٤٩}.

الصدق والأمانة: الزم الصدق والأمانة فإنهمما سجية الأبرار (الأخيار)^{١٥٠}.

الإيثار، وهي علاقة مجسدة للروح الجماعية: الإيثار سجية الأبرار وشيمة الأخيار^{١٥١}.

فهو لاء الأخيار الذين يبنون مجتمعاً مثالياً، وهو يستقبل أعضاءً جددًا، يقول أمير المؤمنين في حثه للناس على الالتحاق بركب الأخيار: خير الإختيار موادة الأخيار^{١٥٢}. ويقول أيضاً: ثمرة العقل

^{١٤٦} الغرر ٥١٨/٤.

^{١٤٧} الغرر ١١٥/٢.

^{١٤٨} الغرر ٥٣٦/٣.

^{١٤٩} الغرر ١٣٠/٤.

^{١٥٠} الغرر ١٨٧/٢.

^{١٥١} الغرر ١٨٧/٢.

^{١٥٢} الغرر ٤٢٦/٣.

صحبة الأخيار^{١٥٣}. ويقول أيضاً: صحبة الأخيار تكسب الخير^{١٥٤}. ويقول: ليس لشيء أدعى لخير وأنجى من شرِّ من صحبة الأخيار^{١٥٥}. ويقول: مِنْ أَحْسَنِ الْاخْتِيَارِ صَحْبَةُ الْأَخْيَارِ^{١٥٦}.

مجتمع الأشرار:

صفات هذا المجتمع كما ورد في كلمات أمير المؤمنين عليه السلام: الاحتكار شيمة الفجار (شيم الأشرار)^{١٥٧}.

من صفاتهم: الحقد من طبائع الأشرار^{١٥٨}.

ومن عادتهم: عادة الأشرار أذية الرفاق^{١٥٩}.

والأشرار لا يخافون من أحد حتى من الله سبحانه وتعالى: شرُّ الأشرار مَنْ لَا يَسْتَحِي مِنَ النَّاسِ وَلَا يَخَافُ اللَّهَ سَبْحَانَهُ^{١٦٠}.

والإساءة هي رذيلة ذاتية متّصلة فيهم: والإساءة غريزة الأشرار^{١٦١}.

فهؤلاء الأشرار يجب أن يفرّ الناس منهم ولا يدنون منهم لأنّ مصادقتهم تجلب السقوط

والهلاك: مصاحبة الأشرار توجب التلف^{١٦٢}.

وهم كالنار يحترق من يقترب إليها، يقول الإمام: إِيَّاكَ وَمَعَاشَةُ الْأَشْرَارِ فَانْهُمْ كَالنَّارِ مُبَاشِرُهَا

تحرق^{١٦٣} .٠

^{١٥٣}. الغرر. ٣٢٧/٣

^{١٥٤}. الغرر. ٢٠٢/٤

^{١٥٥}. الغرر. ٨٧/٥

^{١٥٦}. الغرر. ٢١/٦

^{١٥٧}. الغرر. ٢٢٢/١

^{١٥٨}. الغرر. ١٦٣/٢

^{١٥٩}. الغرر. ٣٣٢/٤

^{١٦٠}. الغرر. ١٢٦/٦

^{١٦١}. الغرر. ١١٥/٢

^{١٦٢}. الغرر. ١٢٦/٦

^{١٦٣}. الغرر. ١١٥/٢

وعلى العكس؛ على الإنسان أن يختار دائمًا مجتمع الأخيار وينفر من الأشرار، يقول الإمام:
جانبوا الأشرار وجالسو الأخيار^{١٦٤}.

فكان لا بدًّ أولاًً أن يميز بين الأشرار والأخيار: الاختبار معيار يُفرق بين الأخيار والأشرار^{١٦٥}. لأنّ هناك من يحاول أن يزكي الأشرار ويظهرهم بظهور الأخيار، ويقول أمير المؤمنين عليهما السلام: أكبر الأوزار تزكية الأشرار^{١٦٦}. وبعد الاختبار يختار المسلم المجتمع الطيب ويفضله على مجتمع الأشرار، يقول الإمام: من حُسن الاختيار مقارنة الاختيار ومفارقة الأشرار^{١٦٧}. أما الأشرار فلا بدّ من إعترافهم والابتعاد عنهم: ينبغي لمن عرف الأشرار أن يعتزلهم^{١٦٨}، ذلك لأنّ: مصاحب الأشرار كراكب البحر، إن سليم من الغرق لم يسلم من الفرق^{١٦٩}. فهو بين كمامتين، كمامشة السقوط وكمامشة الحزن.

خامسًا: كيفية الاتساع إلى المجتمع الصالح

خطى المسلم خطوات وطيدة للحاق بركب الصالحين فقد اختبر مجتمعه فعرفه بالاختبار العملي ثم إختاره على المجتمع الصالح، والآن كيف السبيل إلى اللحاق به.
الاقتداء بالمجتمع الصالح، يقول أمير المؤمنين عليهما السلام: الزم أهل الحق واعمل عملهم^{١٧٠}. وتكرار عملهم ليس تقليداً أعمى، بل هو الانسجام التام مع أهل الحق يجعلهم يسلكون طريقهم في الحياة، لأنّه الطريق الصائب.

^{١٦٤} الغرر ٣٦٢/٣.

^{١٦٥} الغرر ٤/٥١٦.

^{١٦٦} الغرر ٢/٣٩٢.

^{١٦٧} الغرر ٦/٤٧.

^{١٦٨} الغرر ٦/٤٤٣.

^{١٦٩} الغرر ٦/١٣٨.

^{١٧٠} الغرر ٢/٣٦٦.

مشاركة المجتمع الصالح: يقول الامام: شاركوا أهل الدنيا في دنياهم^{١٧١} وهي مشاركة الانسان العامل الذي يضع رأسماله إلى جانب رأسمال الآخرين ليسارعوا إلى العمل بجد وهمة، والمشاركة في الدنيا تعبير عن المشاركة في الأمور الاقتصادية وال عمرانية.

الصادقة مع الشر: يقول الامام: ضادوا الشر بالخير^{١٧٢}. فقتل الشر في النفس يمكنها من الاقتراب إلى دائرة الخير.

الأخذ بالصدق والأمانة: لأنهما جواز سفر إلى المجتمع الطيب، يقول الامام أمير المؤمنين عليه السلام: إلزم الصدق والأمانة فإنهما سجية الآخيار^{١٧٣}.

الصبر وتحمل الصعب: يقول الامام أمير المؤمنين عليه السلام: إن صبرت أدركـت بصبرك منازل الأبرار^{١٧٤} لأن الانتماء إلى المجتمع الصالح بحاجة إلى ضرورة، على الانسان أن يدفعها، عليه أن يصبر على ضغط سلطان الشهوة، وعلى ضغط سلطان الزمان، وإذا أردنا أن نلخص الفكرة الاجتماعية نستطيع القول إن المجتمع الذي يطمح إليه الامام أمير المؤمنين عليه السلام هو:

المجتمع المترنـ، الذي يقوم على دعامة العدل.

المجتمع النشـط الذي يعمل بدوافع المسؤولية.

المجتمع المفتوح الذي يستقبل في كل يوم جمـعاً جديداً من المؤمنين.

المجتمع المقـنـ، الذي يستند إلى قانون الشريعة الاسلامية.

المجتمع الذي يحتضـن أفراده وينـحـمـمـ الفـرـصـ والأـدـوارـ.

المجتمع المتـطـورـ الذي لا يـعـرـفـ التـوقـفـ في حـيـاتـهـ.

وهـذـهـ هيـ الخـصـالـ الـضـرـورـيـةـ لـلـنـظـيـمـ، فـأـيـ تـنظـيـمـ إـدـارـيـ يـشـأـ فيـ وـسـطـ هـذـاـ مجـتمـعـ سـيـنـمـوـ سـرـيـعاـ، وـيـترـسـخـ بـقـوـةـ لـأـنـ سـيـقـامـ عـلـىـ أـعـمـدـ إـجـتمـاعـيـةـ متـيـنةـ.

^{١٧١} الغر ٧٨٩/٢

^{١٧٢} الغر ٢٣١/٤

^{١٧٣} الغر ٣٢٠/٢

^{١٧٤} الغر ٤/٣

رابعاً: الصفة الهدفية

الحياة لم تخلق عبثاً، فهي لم تخلق بالصدفة - كما يذهب البعض - ولا خلقتها الطبيعة العميماء - كما يقول آخرون - ولم تخلق الدنيا نفسها - كما هو رأي البعض - بل خلقها خالق قادر متعال، عالم قادر رازق حكيم عادل، فمن الخطأ أن يعتقد المرء بأنَّ لهذا الوجود خالق ثم يقول باللاهدفية، فأينما رمي ببصرك فثمة دليل قاطع على هدفية الكون والحياة، هذا ما يؤكده لنا القرآن الكريم والسنّة النبوية وما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام في كلماته الرائعة، فتسلسل الفكرة يفرض علينا هذه الخطوات، وأن نسأل هذه الأسئلة.

أولاً: هل خلق الله هذا الكون عبثاً؟

أم إنَّ هناك هدفاً واضحاً من خلق الكون والسماءات والأرضين، مما هو جواب أمير المؤمنين عليه السلام يقول الإمام: ما خلق السموات والأرض وما بينهما باطل^{١٧٥}. والعبرة (اللاهدفية) هو صنف من أصناف الباطل لأنَّه إذا قلنا بالعبثية لواجهنا هذا السؤال، ما الفائدة إذن من الخلق هل لي فهو الخالق بخلقه؟! يضع الإمام الجواب البين على هذا السؤال وغيره من التساؤلات: ما خلق الله سبحانه أمراً عبثاً في فهو^{١٧٦}.
والبشر هو من هذا (الأمر) الذي لم يخلقه الله عبثاً. وهنا نصل إلى المخطة الثانية.

ثانياً: هل خلق الله البشر عبثاً؟

يجيب أمير المؤمنين عليه السلام: لم يخلقكم الله سبحانه عبثاً ولم يترككم سدى^{١٧٧}.
وعندما يشاهد أمامة أنساً يلهو في هذه الدنيا فيخاطبهم خطاباً صارماً: اهجر اللهو فإنك لم تُخلق عبثاً فتلهمو، ولم تُترك سدى فتلغو^{١٧٨}.

^{١٧٥} الغرر ٦١٣/٢

^{١٧٦} الغرر ٨٠/٦

^{١٧٧} الغرر ١٠٣/٥

^{١٧٨} الغرر ٢٢٢/٢

فعندهما يصنع الصانع آلةٌ يريد لآلة أنه أن تعمل وفق الهدف المرسوم لها، لا أن تُرمى بعيداً بدون أن يستفاد منها. فالله الذي خلق الإنسان أراد له أن يعمل وفق الهدف الذي وضعه له. وأن يكون في دائرة المسؤولية التي ألقاه فيها. فإذا وجده يلهمو بغير الهدف المرسوم له، يغضب عليه لأنه عاكسه في أصل الخلقة وهو الهدف من خلقه. وهنا نصل إلى المحطة الثالثة وهي الهدف من خلق الإنسان.

ثالثاً: ما هو الهدف من خلق الإنسان؟

يُجيب أمير المؤمنين عليه السلام : رضا الله سبحانه أقرب غاية تدرك^{١٧٩}. إذن رضا الله سبحانه هو الهدف الكبير، والسؤال: كيف يتحقق رضا الله سبحانه وتعالى؟
لقد بعث الله الأنبياء والرسل وأرسل الكتب وبين فيها ما يريد وما لا يريد، فالعمل بهذه الكتب، وبما يقوله الانبياء هو تحقيق لمرضاة الله سبحانه وتعالى، يقول الإمام في ذلك: إنَّ للإسلام غاية فانتهوا إلى غايتها وأخرجوا إلى الله ما إفترض عليكم من حقوقه^{١٨٠}. فالعمل بالاسلام هو ما يريد الله تبارك وتعالى، وغاية الاسلام هي إخراج الحقوق المفروضة على المسلم حق نفسه عليه، وحق الآخرين عليه، وحق الله عليه، وبذلك تتحقق الغاية الكبرى والهدف الأسمى من الخلقة.
إذن رضا الله هو الاطار العام للهدف الذي من أجله خلق الله الإنسان، أما تفاصيل هذا الاطار فهو العمل بالاسلام بكل جزئاته وتفاصيله، فهو الطريق المعبد إلى رضا الله وبالتالي هو الهدف من خلق الإنسان في هذه الحياة.

وتبقى هناك قضية تمس حياة الإنسان في كل صغيرة وكبيرة وهي: خلق الله الإنسان وخلق معه الدنيا، فكم أخذ من الدنيا وكم يعطيها، وهل الدنيا لذاتها هدف للإنسان أم إنها وسيلة لهدف آخر؟ الجواب على ذلك هو الخطوة الرابعة من بحثنا.

^{١٧٩} الغرر .٩١/٤

^{١٨٠} الغرر .٥٣٥/٣

رابعاً: الدنيا وسيلة وليس هدفاً

هناك خط رفيع يفصل بين عمل الدنيا الذي فيه رضا الله، وعمل الدنيا الذي ليس فيه رضا الله، والانسان الذي لا يستطيع أن يميز هذا الخط سينغمر في الدنيا وقد يغرق في مياها، فكيف نستطيع ان نميز هذا الخط؟

هذا هو السؤال الشائك الذي قامت على جوابه المذاهب والفلسفات والأفكار والنظريات من قديم الزمان وحتى يومنا هذا.

فما هو جواب امير المؤمنين عليه السلام يقول الامام مخاطباً الانسان: إنك لم تُخلق للدنيا فازهد فيها وأعرض عنها.^{١٨١}

وهذا لا يعني أن يترك الانسان الدنيا وشأنها بل معنى ذلك أنَّ الدنيا ليست هدفاً فلابد أن يزهد فيها الانسان فلا يتعلق بها تعلق الحبيب بمحبوبه، بل يأخذ منها ما يكفيه، والذي يكفيه هو إشباع حاجاته الضرورية وهي ثلاثة:

أولاً: الحاجات الضرورية لبقاءه في الحياة وهي الحاجة إلى الطعام والشراب والسكن.

ثانياً: الحاجات الضرورية لبقاء النوع، وهي الحاجة إلى الزواج وما يتعلق بها.

ثالثاً: الحاجات الاجتماعية كالاحترام والتقدير، فمن حق الانسان ان يأخذ من الدنيا ما يشبع هذه الحاجات، لكن ان لا يزيد عن ذلك، يقول الامام: إنَّ الدنيا دار منها لها الفناء، ولأهلها منها الجلاء، وهي حلوة خصبة قد عجلت للطالب والتبتست بقلب الناظر، فارتحلوا عنها بأحسن ما يحضركم مِنَ الزادِ ولا تسألو فيها إلَّا الكفافَ ولا تطلبُوا منها أكثرَ مِنَ البَلَاغِ.^{١٨٢}

فإذا لم تُخلق للدنيا فلا ي شيء خلقنا يا ترى؟

^{١٨١}. الغرر ٥٧/٣

^{١٨٢}. الغرر ٦٦٠/٢

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: إنكم إنما خلقتم للأخرة لا للدنيا، وللبقاء لا للفداء^{١٨٣}. فإذا كان الأمر كذلك إذن: وما يصنع بالدنيا من خلق للأخرة^{١٨٤}. عليه أن يغتنم من الدنيا لآخرته: الأعمال في الدنيا تجارة الآخرة^{١٨٥}.

وهي تجارة راجحة، لأنها متاجرة بين شيء زائل وشيء باق يقول الإمام: الرابع من باع الدنيا بالآخرة^{١٨٦}.

فالدنيا ليست إلا ساحة سباق يتسابق فيها الناس إلى غاية اسمى يقول الإمام: المؤمن الدنيا مضماره، والعمل همته والموت تحفته والجنة سبقته^{١٨٧}. نص رائع يشتمل على قمم البلاغة.. إذن الدنيا ساحة سباق والهدایة يأخذها عند الممات، أما الجائزة التي يسعى من أجلها فهي (الجنة). هذا هو حال المؤمن أما حال الكافر: الكافر الدنيا جنته، والعاجلة همته والموت شقاوته، والنار غايته^{١٨٨}.

صورتان متعاكستان؛ متسابقان أحدهما إنخد الدنيا ساحة سباق أما الآخر فاتخذها هدفاً له، فإلى أين إنتهى المتسابقان أحدهما إلى الجنة، والآخر إلى النار. فالغاية إذن هي الجنة يقول أمير المؤمنين عليه السلام: غاية المؤمن الجنة^{١٨٩}.

خامساً: من الجنة؟

وصلنا إلى أن الهدف الذي خلق الله الإنسان له هو الجنة، والجنة ليست المكان وحسب، بل هي متضمنة شروط الوصول إلى هذا المكان. وعندما يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: غاية المؤمن

^{١٨٣} الغر ٦٦/٣.

^{١٨٤} الغر ٢٣٣/١.

^{١٨٥} الغر ٣٤٥/١.

^{١٨٦} الغر ٧٠/٢.

^{١٨٧} الغر ٨٧/٢.

^{١٨٨} الغر ٨٨/٢.

^{١٨٩} الغر ٣٧٠/٤.

الجنة يختصر كل شيء في هذا النص القصير، فالغاية هنا نقطة النهاية أي المكان الذي سيتهي إليه المؤمن، والغاية هنا أيضاً تحقيق الشروط التي توصل الإنسان إلى تلك النقطة النهاية وشروط الوصول هو الإيمان المتحقق في المؤمن.

فتحن إذن أمام نص يجمع بين البداية والنهاية، الإيمان البداية والجنة هي النهاية، الإيمان شرط للوصول، والجنة مكان ومتكين، فمن حصل على تلك الشروط فهو واصل إلى الجنة لا محالة.

ويكرر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام هذه الحقيقة قائلاً: الجنة جزء كل مؤمن محسن^{١٩٠}.

إذن الإيمان هو الطريق إلى الجنة، وأول خطوة في طريق الإيمان هو الجهاد مع النفس، لأنه من لا يفرغ قلبه من الشر لا يستطيع أن يملأه بالإيمان، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: لا يجوز الجنة إلا من جاهد نفسه^{١٩١}.

سادساً: من هو المؤمن؟

في هذه المخطبة نصل إلى المؤمن، أو بعبارة أخرى من ترجم الائمه في حياته يقول الإمام: ثلاثة من كن فيه كامل إيمانه: العقل والخلم والعلم^{١٩٢}. فالمؤمن على درجات، لأن العقل والخلم والعلم على درجات أيضاً، فإذا كملت هذه العناصر الثلاثة كُمل إيمانه أيضاً، وعلى أساس هذه الدرجات تكون درجته في الجنة، فكلما ارتفعت درجة إيمانه ارتقى درجة في الجنة أيضاً.

إذن هدف الإنسان في الحياة هو كسب الأمور الثلاثة المذكورة: العقل والخلم والعلم، فكان لابد من التوقف عند كل واحدة منها.

١. العقل

للعقل مكانة مرموقة في فكر الإمام علي عليه السلام، فهو جزء فاعل ومتفاعل في حياة الإنسان، فالعقل عند الإمام عليه السلام ليس - كما هو عند أصحاب النظريات الفلسفية المعقولة - فهو يُعرف من خلال آثاره وعبر نتائجه.

^{١٩٠} الغرر ٣٨٣/١.

^{١٩١} الغرر ٦٥/٥.

^{١٩٢} الغرر ٢٣٥/٣.

إذن ماهو العقل ، وماهي فوائده ، وماهو دوره في حياة الانسان ، وكيف يمكن صيانته؟

ستلـم بـهـذـه الـاسـتـفـهـاـتـ الـخـمـسـةـ مـنـ خـلـالـ النـصـوصـ الـوارـدـةـ عـنـ أـمـيرـ الـمؤـمنـينـ عـلـيـهـ السـلـامـ

أ. ما هو العقل :

العقل عند أمير المؤمنين علـيـهـ السـلـامـ : هو السلطة التي تقود الانسان إلى الخير والسعادة . يقول الامام في ذلك : العقل إنك تقتصد فلا تصرف وتعـدـ فـلاـ تـخـلـفـ إـلـاـ غـضـبـ حـلـمـتـ ^{١٩٣} ويقول : إنما العقل التـجـنـبـ مـنـ الـاثـمـ وـالـنـظـرـ فـيـ الـعـاـقـبـ وـالـأـخـذـ بـالـحـزـمـ ^{١٩٤} وهو أداة السلطة التي يستخدمها الانسان في مواجهة حالات الضعف والسقوط التي قد نعترى به ، يقول الامام : العقل سلاح كل أمر ^{١٩٥} . وإذا ما دققنا في النصوص الأخرى التي تحكي عن ماهية العقل نجد أنها تتفق على أنَّ العقل قوة وسلطة تساعد الانسان على نقله من دائرة الشر إلى دائرة الخير .

ب. فوائد العقل :

عندما يستخدم الانسان سلطة العقل في توجيه حياته فإنه سيكسب كل خير ، وسيتجنب كل شر ، سيكسب الحياة وما فيها من خيرات وسيكسب التعالي في بناء شخصيته وما تتحلى به من فضائل .

من هنا : فإن ثمرة العقل : الاستقامة ^{١٩٦} . لزوم العقل ^{١٩٧} العمل للنجاة ^{١٩٨} مداراة الناس ،
الصدق ^{٢٠٠} قمع الهوى ^{٢٠١} .

^{١٩٣} الغرر . ١٤٥/٢

^{١٩٤} الغرر . ٨٤/٣

^{١٩٥} الغرر . ٢١٠/١

^{١٩٦} الغرر . ٣٢٢/٣

^{١٩٧} الغرر . ٣٢٠/٣

^{١٩٨} الغرر . ٣٢٩/٣

^{١٩٩} الغرر . ٣٢٩/٣

^{٢٠٠} الغرر . ٣٣٣/٣

^{٢٠١} الغرر . ٣٣٤/٣

يقول الإمام: مَنْ عَقْلٌ... فَهُمْ^{٢٠٣} ، عَفْ^{٢٠٤} ، إِسْتِقَالٌ^{٢٠٥} ، سَمْحٌ^{٢٠٦} ، قَعْ^{٢٠٧} ، صَمْتٌ^{٢٠٨} ، كَثْرٌ إِعْتِبارٍ^{٢٠٩} ، .. اعْتَبَرْ بِأَمْسِهِ وَإِسْتَظَهَرْ لِنَفْسِهِ^{٢١٠} ، يَعْتَظُ مِنْ غَفْلَتِهِ^{٢١١}.

ج. مَنْ هُوَ الْعَاقِلُ :

عرفنا العقل وفائدة و قد آن الأوان لنعرف مَنْ هُوَ الْعَاقِلُ ، يستخدم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عبارة العاقل للدلالة على مَنْ استخدم عقله ، وكأنَّ هذا العقل قد تسرَّب إلى أنحاء بدنَه كما أنَّ الدَّمَ يَتَشَرَّبُ وَيَتَسَرَّبُ فَيَمْنَحُ الْحَيَاةَ لِأَعْضَاءِ بَدْنِ الْإِنْسَانِ.

فالعقل هو الحاكم على أعضاء بدنَه ، بل كل خلية في كيانه تديره سلطة العقل ، فهو خاضع له خصوص طاعة واعية ، مُنصَّاعَةٌ إِلَيْهِ لِأَنَّهُ سلطة تقوده إلى الخبر والسعادة ، لذا: يَسْتَدِلُّ عَلَى عَقْلِ الرَّجُلِ بِالْتَّحْلِيِّ بِالْعَفَّةِ وَالْقَنَاعَةِ^{٢١١} ... بِمَا يَجْرِيُ عَلَى لِسَانِهِ^{٢١٢} ... بِكَثْرَةِ وَقَارَهِ^{٢١٣}.

فكِّلْ جوارحه وجوانحه وأعضائه منسقة منضبطة لسلطة العقل : فالْعَاقِلُ لَا يَنْخُدُ^{٢١٤} ... يَضْعُ نَفْسَهِ^{٢١٥} ... مِنْ وَعْظَتِهِ التَّجَارِبُ^{٢١٦} ... مِنْ أَمَاتِ شَهْوَتِهِ^{٢١٧} ... مِنْ صَدَقِ أَقْوَالِهِ افْعَالِهِ^{٢١٨} ... مِنْ

^{٢٠٢} الغرر ١٣٥/٥ ذ.

^{٢٠٣} الغرر ١٣٥/٥ .

^{٢٠٤} الغرر ١٤٠/٥ .

^{٢٠٥} الغرر ١٤٥/٥ .

^{٢٠٦} الغرر ١٥٠/٥ .

^{٢٠٧} الغرر ١٥٤/٥ .

^{٢٠٨} الغرر ٢٥٨/٥ .

^{٢٠٩} الغرر ٣٥٩/٥ .

^{٢١٠} الغرر ٣٩٧/٥ .

^{٢١١} الغرر ٤٤٨/٦ .

^{٢١٢} الغرر ٤٤٨/٦ .

^{٢١٣} الغرر ٤٥٣/٦ .

^{٢١٤} الغرر ١١٦/١ .

^{٢١٥} الغرر ١٧٨/١ .

وقف حيث عُرف^{٢١٩} ... مَن تورّع عن الذنوب^{٢٢٠} ... إِذَا سَكَتْ فَكَرْ وَإِذَا نَطَقْ ذَكَرْ وَإِذَا نَظَرْ إِعْتَبَرْ^{٢٢١} ... مَن وَضَعَ الْأَشْيَاءَ مَوَاضِعَهَا^{٢٢٢} ... يَجْتَهِدُ فِي عَمَلِهِ^{٢٢٣} ... لَا يَفْرَطُ بِهِ عَنْفَ^{٢٢٤} ... مَن يَمْلِكُ نَفْسَهُ إِذَا غَضِبَ وَإِذَا رَغَبَ وَإِذَا رَهَبَ^{٢٢٥} ... مَن قَمَعَ هَوَاهُ بِعُقْلَهُ^{٢٢٦} . الفكرة التي تطرّحها هذه النصوص هي: أنّ العقل قوة تعمل على تنظيم أجزاء الإنسان بما تفرض من قواعد وضوابط، ومن ثُمَّ هو المسؤول عن تفعيل هذه الأجزاء بطريقة متسقة، وينتج عن ذلك إنساناً متزناً منضبطاً تتحرّك أجزاؤه وفق معايير وقواعد، وتكون الحركة بطبيعة الحال باتجاه أهداف خيرة.

د صيانة العقل :

إِذَا كَانَ لِلْعُقْلِ هَذِهِ الْأَهْمِيَّةُ، فَكَيْفَ يَكُنْ صِيَانَتُهُ وَالْحَفَاظُ عَلَيْهِ؟ يَقُولُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : شُرُّ آفَاتِ الْعُقْلِ الْكَبِيرِ^{٢٢٧} فَالْتَّكَبْرُ يَعْزِلُ النَّاسَ عَنِ التَّكَبْرِ حَتَّى لَوْ كَانَ عَالَمًا عَاقِلًا^{٢٢٨} ، مِنْ هُنَا كَانَ: جَهَادُ النَّفْسِ بِالْعِلْمِ عَنْوَانُ الْعُقْلِ^{٢٢٩} . وَيَقُولُ الْإِمامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنِ مَعَاوِلِ الْعُقْلِ: سَبُّ فَسَادِ الْعُقْلِ الْهُوَى^{٢٢٩} وَأَيْضًا^{٢٣٠}: سَبُّ فَسَادِ الْعُقْلِ حُبُّ الدُّنْيَا^{٢٣٠} .

^{٢١٦} .٣١٢/١ الغرر

^{٢١٧} .٣١٣/١ الغرر

^{٢١٨} .٣٦٥/١ الغرر

^{٢١٩} .٣٦٦/١ الغرر

^{٢٢٠} .٣٦/٢ الغرر

^{٢٢١} .٥٥/٢ الغرر

^{٢٢٢} .٧٩/٢ الغرر

^{٢٢٣} .٩٢/٢ الغرر

^{٢٢٤} .١٠٧/٢ الغرر

^{٢٢٥} .١١١/٢ الغرر

^{٢٢٦} .١٦٢/٢ الغرر

^{٢٢٧} .١٧٨/٤ الغرر

^{٢٢٨} .٣٦٨/٣ الغرر

^{٢٢٩} .١٢١/٤ الغرر

ويقول أيضاً: ذهاب العقل بين الهوى والشهوة^{٢٣١}.

فمنطقه الخطر التي تهدى العقل حدودها الهوى ، فكلما اتسعت هذه الدائرة إشتد خطرها ، لذا كان لا بد من التحذير الدائم لصيانة العقل من هذه المخاطر.

يقول الإمام: ردع النفس عن زخارف الدنيا ثمرة العقل^{٢٣٢}.

ويقول أيضاً: كسب العقل الاعتبار والاستظهار^{٢٣٣}.

ويقول أيضاً: لا تصحن من لا عقل له^{٢٣٤}.

وأفضل وسيلة لصيانة العقل هو مجالسة الحكماء ، يقول أمير المؤمنين عليهما السلام: مجالسة الحكماء حياة العقول وشفاء النفوس^{٢٣٥}.

٢. الحلم:

هدف آخر يسعى من أجله الإنسان ليصبح متمكناً من نفسه من شهواته وغضبه ، والحلم هو سلطة لارغام النفس على إتخاذ حالة الاعتدال ، يقول أمير المؤمنين عليهما السلام: إنما الحلم كظم الغيط وملك النفس^{٢٣٦}. أما فائدته فتتعكس على سلوك الإنسان فيوضعه في مكانة مرموقة داخل المجتمع ، يقول أمير المؤمنين عليهما السلام: الحلم عشيرة^{٢٣٧} ومن ثمار الحلم الرفق - كما يقول الإمام عليهما السلام - وهذه الحال ذات أثر واقعي على حياة البشر لأنها تفتح الطريق أمام التوسيع في العلاقات الأخوية الصادقة. أضف إلى ذلك فإن الحلم يستر معایب الفرد إذا كانت فيه معایب ، فسطوع هذه الفضيلة

^{٢٣٠} الغرر ١٢٥/٤.

^{٢٣١} الغرر ٣٢/٤.

^{٢٣٢} الغرر ٨٨/٤.

^{٢٣٣} الغرر ٦٢٧/٤.

^{٢٣٤} الغرر ٢٦٢/٦.

^{٢٣٥} الغرر ١٥١/٦.

^{٢٣٦} الغرر ٧٤/٣.

^{٢٣٧} قصار الكلمات رقم ٤١٨.

سيُعطي على العيوب، لذا كان الحلم غطاءً ساتر^{٢٣٨} يستر على جوانب ضعفه الذاتية التي لا دخل له فيها كالبكم والصم. وحتى لو كانت فيه رذيلة فإن الحلم يستر عليها، ويختفي من آثارها.
أما كيف تصبح حليماً؟

يضع الإمام أمير المؤمنين أمامنا عدة طرق لكتابته هذه الفضيلة، من هذه الطرق مجالسة الحلماء:
جالس الحلماء تزد حلماً^{٢٣٩}. ويقول أيضاً: صاحب الحكماء وجالس الحلماء^{٢٤٠}.
كما لأبدٍ من مكافحة الآفات التي تقف حجر عثرة أمام الحلم منها المذلة: آفة الحلم الذل^{٢٤١}،
لأن الذليل يفقد موازين القيم.

٣. العلم:

هدف ثالث من أهداف الإنسان في الحياة. فهو يتعلم من أجل أن يحيا حياةً أفضل، وبالعلم يستطيع الإنسان أن يقود مسيرة حياته وأن يحسن معيشته يقول أمير المؤمنين عليه السلام: إكتسبوا العلم يكسبكم الحياة^{٢٤٢}. والعلم عندما يقترن به العمل يتحوّل إلى حركة صحيحة في الحياة، يقول أمير المؤمنين: العلم أصل كل خير^{٢٤٣}. ويقول أيضاً: العلم حياة وشفاء^{٢٤٤} ، العلم خير دليل^{٢٤٥} فالعلم هو الوسيلة التي تنقل الإنسان من الطريق المظلم إلى الطريق الواضح، وتنحنه القدرة على إدارة نفسه وتخليصها من المفاسد والآفات، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: العلم ينجي من الارتكاك في الحيرة^{٢٤٦} لأنه يضيء الطريق أمام البشر و يجعلهم متبرسين بأحكام الله وقدرين على تفهم الظروف

^{٢٣٨} قصار الكلمات رقم ٤٢٤.

^{٢٣٩} الغرر ٣٥٧/٣.

^{٢٤٠} الغرر ٣٢٦/٤.

^{٢٤١} الغرر ١٦/٣.

^{٢٤٢} الغرر ٢٤٠/٢.

^{٢٤٣} الغرر ٢٠٥/١.

^{٢٤٤} الغرر ١٨٢/١.

^{٢٤٥} الغرر ١٥٦/١.

^{٢٤٦} الغرر ٣٤/٢.

المحيطة بهم، وما الذي يجب فعله، يقول أمير المؤمنين: العلم يرشدك إلى ما أمرك الله به^{٢٤٧}.

ولو تعمقنا في النصوص الواردة عن أمير المؤمنين عليه السلام لاستنتجنا ما يلي:

العلم لا يكون نافعاً إلا إذا اقترن بالعمل: علم بلا عمل كشجر بلا ثمر^{٢٤٨}.

لا فائدة من العبادة بدون العلم: المتعبد بغير علم كحمار الطاحونة^{٢٤٩}.

تجارب الإنسان في الحياة، وهو نوع من العلوم: التجارب علم مستفاد^{٢٥٠}.

وهناك علوم متنوعة، يجب تعلم الأفضل: خذوا من العلم أحسنها^{٢٥١}.

وهناك علوم تؤدي من تعلمها إلى الضلال يجب إجتنابها: رب علم أدى إلى مضلتك^{٢٥٢}.

بالعلم يسعد الفقير والغني: العلم زين الأغنياء وغنى الفقراء^{٢٥٣}.

وبالعلم يتلذث الانسان المقومات الاجتماعية: تعلموا العلم تعرفوا به واعملوا به تكونوا من

أهلها^{٢٥٤}.

من مظاهر العلم الخشية: أعظم الناس علمًا أشدتهم خوفاً لله سبحانه^{٢٥٥}.

لابد من أن يعلم العالم الجاهل: المال تُقصصه النفقة والعلم يزكوا على الإنفاق^{٢٥٦}. ويقول أيضاً: زكاة العلم نشره^{٢٥٧}.

^{٢٤٧} الغرر ٦٠/٢.

^{٢٤٨} الغرر ٣٥٠/٤.

^{٢٤٩} الغرر ١٢٥/٢.

^{٢٥٠} الغرر ٢٦٠/١.

^{٢٥١} الغرر ٤٥٨/٣.

^{٢٥٢} الغرر ٧٦/٧.

^{٢٥٣} الغرر ٣٩٤/١.

^{٢٥٤} الغرر ٢٩٧/٣.

^{٢٥٥} الغرر ٤٢٨/٢.

^{٢٥٦} الغرر ١١٦/٢.

^{٢٥٧} الغرر ١٠٤/٤.

إذا اقترنت الرعامة بالعلم فستكون زعامة متميزة: سياسة النفس أفضل سياسة ورياسة العلم ^{٢٥٨}. أشرف رياضة.

لابد من التعب والنصب من أجل تحصيل العلم: لا يدرك العلم براحة الجسم ^{٢٥٩}. هذا هو العنصر الثالث عنصر العلم الذي يجب على الإنسان أن يسعى للحصول عليه.

وحدة الهدف بين العقل والحلم والعلم

من الشروح السابقة للعقل والحلم والعلم تبين لنا وجود نسق مشترك بين هذه الأركان الثلاثة، فالعقل كما يقول الإمام؛ مركب العلم، والعلم - كما يقول - مركب الحلم، وفي نص آخر: العقل ^{٢٦٠} أصل العلم وداعية الفهم.

ولا خير في عقل لا يقارنه حلم ^{٢٦١}.

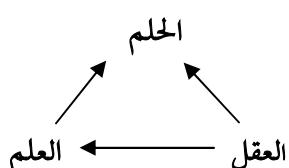
والحلم هو تمام العقل ^{٢٦٢}.

ومع العقل يتتوفر الحلم ^{٢٦٣}.

والعلم مصباح العقل ^{٢٦٤}.

والعلم قائد الحلم ^{٢٦٥}.

ما تقدم نستطيع أن نرسم معادلة الهدفية في الحياة.



^{٢٥٨} الغرر ٤/١٣٥.

^{٢٥٩} الغرر ٦/٣٨٧.

^{٢٦٠} الغرر ٢/٩١.

^{٢٦١} الغرر ٦/٣٩٦.

^{٢٦٢} الغرر ١/٢٦٤.

^{٢٦٣} الغرر ٦/١٢١.

^{٢٦٤} الغرر ١/١٤٤.

^{٢٦٥} الغرر ١/٢١١.

فالعقل يؤدي إلى العلم وهم ما يؤديان إلى الحلم. وهذه هي الصفات الأساسية للشخصية المتكاملة التي يسعى من أجلها كل إنسان. وهي وبالتالي صفات يجب توفرها في المدير المناسب القادر على إدارة دفة الأمور.

فالعقل والحلم والعلم هي شروط يجب توفرها في المدير الجيد القادر على الادارة فسلطة العقل تتدفق في آثارها منعكسة على الادارة، يقول أمير المؤمنين عليهما السلام : أول شيء يدل على غزارة العقل حسن التدبير^{٢٦٦} . لأنّ بالعقل يتمكن الإنسان العاقل أن يُدير الناس أفضل إدارة. يقول أمير المؤمنين عليهما السلام : عنوان العقل مدارة الناس^{٢٦٧} . ومدارة الناس هي إحدى أركان الادارة الجيدة، وهي معرفة ما يرضيهم وما يزيدهم من فاعليتهم في الحياة. أما شرط الحلم في المدير، فنذكر هنا ما ورد في عهد أمير المؤمنين إلى مالك الأشتر وهو يذكره بشروط تنصيب القادة العسكريين فيقول له : فولِ من جنودك.. وأفضلهم حلماً^{٢٦٨} . أما العلم فهو أحد أركان الادارة والقيادة عند الامام أمير المؤمنين عليهما السلام : رياضة العلم أشرف رياضة^{٢٦٩} . فالادارة ليست فناً وحسب ، بل هي علم أيضاً. من هنا كان الهدف تنمية قدرات الإنسان ليستطيع من تحمل المسؤولية وإدارة دفة الأمور.

خلاصة البحث:

ما سبق تبين لنا أن الادارة عند أمير المؤمنين عليهما السلام ليست فعلاً ميكانيكيًا بل هي مجموعة صفات وخصائص متزوج فيما بينها للحصول على المدير الجيد والإدارة الجيدة، وهذه الصفات هي التنظيم، فلا إدارة بدون تنظيم ونظام، فإذا حلَّ نقص التنظيم حلَّ محله الغوضى.

^{٢٦٦} الغرر ٤٢٩/٢.

^{٢٦٧} الغرر ٣١٠/٤.

^{٢٦٨} باب الرسائل ، رقم ٥٣.

^{٢٦٩} الغرر ١٣٥/٤.

والصفة الثانية: الانسانية بمعنى ان الذي يتحرك ويفعل الادارة هو الانسان وليس الآلة، فكان لا بد من معرفة الانسان والتعریف على نقاط قوته ونقاط ضعفه، فالادارة الجيدة هي التي تحاول أن تستثمر نقاط القوة في أعضائها وتعالج نقاط الضعف فيهم.

أما الصفة الثالثة: فهي الحالة الاجتماعية، أي أن الادارة تشكل بمجموعها مجتمعاً منظماً تنشأ فيه العلاقات الانسانية وتنمو فيه الروح الجماعية. وعندما تتحرك هذه الادارة كأنما المجتمع بأسره قد تحرك وهذه النظرة تخالف أولئك الذين ينظرون إلى الادارة وكأنها متكونة من أجزاء بشرية منتاثرة لا يربطها رابط سوى القوانين الصارمة، كما هي البير وقراطية والتلرية العلمية.

أما الصفة الرابعة: فهي الهدافية، فلابد أن يكون للادارة هدفاً وأن يكون هذا الهدف منسجماً مع أهداف الانسان في الحياة، وبالتالي يجب أن تكون هذه الأهداف منصبة في بناء الادارة القوية، وهنا نجد أنفسنا أمام دائرة متكاملة شاملة وهي المعبرة عن الفضائل الانسانية والساعية أيضاً إلى تحقيقها في الحياة.

المصادر:

القرآن الكريم.

نهج البلاغة.

غرس الحكم ودرر الكلم / الآمدي.

المفردات / الراغب.

**أثر نهج البلاغة
في
مصدر الفكر السياسي
الإسلامي**

د. محسن القزويني

أثر نهج البلاغة في مصادر الفكر السياسي الإسلامي

مصادر الفكر السياسي كثيرة ولا يمكن أن تُحصى عدداً، وأول مصدر للفكر السياسي الإسلامي هو القرآن الكريم، ومن بعده كتب الصاحب، ثم كتب العقائد والفقه والتفسير، حيث نجد فيها مباحث الإمامة، الحقوق، الحدود، البغاء وأهل الذمة، القضاء، الخراج إلى آخره من الموضوعات السياسية، ويأتي بعد هذه المصادر في الأهمية، كتب التاريخ والترجم وكتب الأدب والبلاغة التي تتضمن وصفاً لأحداث سياسية مرت في التاريخ الإسلامي.

وبعد هذه المصادر الرئيسية، تأتي مصادر أخرى كتبها علماء مجتهدون استندوا في دراساتهم على الأصول الأولى من القرآن والسنة. وحاولوا من خلال بحثهم أن يستبطوا أفكاراً سياسية تتحقق لهم أغراضهم التي وضعوا كتبهم من أجلها. فبعضهم حاول أن يستبطن نظرية سياسية من المصادر الأولى والبعض حاول أن يقدم دراسة شافية للسلطان كي يتمكن من إدارة دفة الأمور. والبعض حاول أن يقدم من خلال دراسته رؤية عن المشاكل السياسية التي تعاني منها الأمة، وطرق معالجتها، والبعض الآخر جاء على ذكر المواضيع السياسية عرضاً. ولاريب إن أكثر من كتبوا في هذه الموضوعات تأثروا بخطب الإمام علي عليه السلام، وقسم كبير منهم جاؤوا على ذكر هذه الخطب في مواطن الاستشهاد، والذي يهمنا هو أن نتناول هذه المصادر لاعتبارين، الأول، إن أغلب أصحاب هذه التأليفات هم من المجتهدين القادرين على الاستنباط، وفي موارد الاستنباط كلمات وخطب

الإمام أمير المؤمنين. والإعتبار الثاني ؛ إن هذه الكتب هي المصادر الرئيسية التي بين أيدي الدارسين والباحثين في الفكر السياسي الإسلامي ، والتي لا يمكن لأي كاتب أو باحث في الفكر السياسي الاستغناء عنها.

وستتناول اثر نهج البلاغة على هؤلاء المؤلفين بحسب التسلسل التاريخي.

عبد الله بن المفعع: متوفى سنة ٤٦ هـ:

من أئمة الكتاب ، وأول من عني في الإسلام بترجمة كتب المتنطق. ترجم له ، ابن النديم في الفهرست ، ذاكراً اسمه بالفارسية روزبه ، ويكتنى قبل إسلامه أبا عمرو ، فلما اسلم اكتنى بأبي محمد ، وكان يكتب لعيسي بن علي الوالي على كرمان ، ويدرك من كتبه الأدب الصغير والأدب الكبير.

عند التفحص في كتابه الشهير ((الأدب الصغير والأدب الكبير ورسالة الصحابة)) نلاحظ تأثيره البالغ بالإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ، حتى إنه اعتاد على نقل نصوص من خطب الإمام دون أن يذكر اسم الإمام ، وما ذلك إلا تحفيفاً من السلطات العباسية التي كان يعمل موظفاً لديها. وقد أشار إلى ذلك دون أن يدلّي بما هو أكثر ذكر في الأدب الصغير.

وقد وضعت في هذا الكتاب من كلام (الناس) المحفوظ حروفاً.

فمن هم هؤلاء الناس يا ترى؟ يذكر صاحب مقدمة الكتاب وهو يوسف أبو حلقة : فيرى (أي ابن المفعع) أن البناء الأول في النثر العربي الأدبي الفني كان عند أمير المؤمنين الإمام علي في نهج البلاغة.^١

كما ويشير إلى ذلك ، محمد كرد علي في ترجمته لحياة ابن المفعع :

وقيل أنه تخرج في البلاغة بخطب علي بن أبي طالب.^٢

^١ ابن المفعع : الأدب الصغير ، ص ٣٧.

^٢ أبو حلقة : مقدمة الأدب الصغير ص ٦.

^٣ كرد علي : محمد أمراء البيان ، ج ٢ ، ص ١٠٥ .

فهل كان الإمام علي عليه السلام هو مثله الأعلى في الحكم والسياسة كما هو في الأدب؟

الأدب الصغير والأدب الكبير ورسالة الصحابة ((الدرة البنتية))^٤:

يحاول ابن المقفع ومن خلال كتاباته أن يرسم نظرية سياسية. فالاتجاه السياسي هو الغالب على كتاباته، وحتى القسم الذي ترجمه من الفارسية الغالب عليه الجانب السياسي. ومن كتبه الشهيرة الأدب الصغير والأدب الكبير ورسالة الصحابة التي طبعت في كتاب واحد، وتضمنت مجموعة نثرية جاءت في صياغتها على نسق رسائل الإمام علي عليه السلام الخاصة في ولاته، ووصاياته إلى أبنائه. وبالرغم من أنه لم يذكر اسم الإمام في كتابه مطلقاً، إلا أنه أخذ من الإمام الكثير من أقواله وخطبه.

وهذه نماذج مما نقله في ((الأدب الصغير والأدب الكبير)).

يقول في ص ٤٩ : ومن نصب نفسه للناس إماماً في الدين فعليه بتعليم نفسه وتقديها في السيرة والطعمة.

وهي مأخذة من كلمة الإمام علي عليه السلام : من نصب نفسه للناس إماماً فليبدأ بتعليم نفسه.^٥
ويقول ابن المقفع في ص ٥٢ : ثم على الملوك بعد ذلك تعهد عمالهم وتفقد أمرورهم حتى لا يخفى عليهم إحسان محسن ولا إساءة مسيء... وهذا أيضاً مأخذ من الإمام علي عليه السلام ، من رسالته إلى مالك الأشتر: ولا يكن الحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء، فإن في ذلك تزهيداً لأهل الإحسان، وتدربياً لأهل الإساءة.^٦

ويقول في ص ٥٣ : والدنيا دول، فما كان منها لك أتاك على ضعف، وما كان عليك لم تدفعه بقوتك.

وهي عبارات نقلها ابن المقفع من أمير المؤمنين عليه السلام :

^٤ ذكرها كل من ترجم لابن المقفع، اعتمدنا الطبعة ٣، ص ٧٠، الأدب الصغير، مكتبة البيان، ١٩٦٤، شرح يوسف أبو حلقة، واعتمدنا الدرة البنتية تصحيح شبيب أرسلان، طبع بيروت ١٨٩٧ ، المطبعة الأدية.

^٥ عبدة: محمد، نهج البلاغة، ص ٦٧٢.

^٦ عبدة: محمد، نهج البلاغة، ص ٦٠٤.

وإن الدنيا دار دول، فما كان منها لك أتاك على ضعفك، وما كان منها عليك لم تدفعه بقوتك.^٧

وجاء في الصفحة ٦٢ : العجب آفة العقل، واللجاجة معقود الهوى؛ وهو قريب لكلام أمير المؤمنين عليه السلام :

عجب المرء بنفسه أحد حсад عقله.^٨

ويذكر في الصفحة ٨٤ : الظفر بالحزم والحزم بإجالة الرأي، والرأي بتكرار النظر وتحصين الأسرار.

وهو كلام منقول نصاً للإمام أمير المؤمنين عليه السلام :

الظفر بالحزم، والحزم بإجالة الرأي، والرأي بتحصين الأسرار.^٩

ويقول ابن المفع في الصفحة ٨٩ ؛ سمعتُ العلماء قالوا : لا عقل كالتدبر، ولا ورع كالكفر، ولا حسب كحسن الخلق، ولا غنى كالرضا.

وهو أيضاً مستمد من كلام أمير المؤمنين عليه السلام :

لا مال أعود من العقل، ولا وحدة أو حش من العجب ولا عقل كالتدبر، ولا كرم كالتفوى، ولا قربن كحسن الخلق. ولا ميراث كالأدب، ولا قائد كال توفيق، ولا تجارة كالعمل الصالح.. إلى آخر الخطبة.^{١٠}

ويورد على الصفحة ٤٦ من الأدب الصغير؛ وعلى العاقل_ ما لم يكن مغلوباً على نفسه_ أن لا يشغله شغل عن أربع ساعات: ساعة يرفع فيها حاجته إلى ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يفضي فيها إلى إخوانه وثقاته الذين يصدقونه عن عيوبه، وينصحونه في أمره، وساعة يُخلّي فيها بين نفسه وبين لذاتها مما يحمل ويحمل. وقد استوحى هذه الجمل من كلام

^٧ عبدة: محمد، نهج البلاغة، ص ٦٤٨.

^٨ عبدة: محمد، نهج البلاغة، ص ٧٠٥.

^٩ عبدة: محمد، نهج البلاغة، ص ٦٦٩.

^{١٠} عبدة: محمد، نهج البلاغة، ص ٦٨٣ - ٨٦٢.

أمير المؤمنين عليه السلام ؛ للمؤمن ثلاث ساعات ، ساعة يُنادي فيها ربه ، وساعة يُرمي معاشه ، وساعة يخلّي بين نفسه وبين ذاتها^{١١} . وجاء في نهاية الأدب الكبير أو ((الدرة البتيمة)) :

إني مخبرك عن صاحب ، كان أعظم الناس في عيني ، وكان رأس ما أعظمه عندي ، صغر الدنيا في عينه ، كان خارجاً من سلطان بطنه ، فلا يشتهي ما لا يجد ولا يُكثر إذا وجد ، وكان خارجاً من سلطان فرجه فلا يدعه إليه مرؤته ، ولا يستحق رأياً ولا بدناً وكان خارجاً من سلطان الجهالة فلا يقدم إلا على ثقة أو منفعة ، وكان أكثر دهره صامتاً فإذا قال بذ القائلين ، كان يُرى متضعفاً مستضعفاً فإذا جاء الجد فهو الليث عاديًّا . وكان لا يدخل في دعوى ولا يُشرك فيرأي ولا يدللي بمحجة حتى يجد قاضياً عدلاً وشهوداً عدو لاً ، وكان لا يلوم أحداً على ما قد يكون العذر في مثله حتى يعلم ما اعتذاره . وكان لا يشكو وجعاً إلا من يرجو عنده البرء ، ولا يصبح إلا من يرجو عنده النصيحة . وكان لا يتبرم ولا يتسرّط ولا يتشهى ولا يتشكى فهو لا ينتقم من الولي _ ولا يغفل عند العدو ، ولا يخض نفسه دون إخوانه بشيء من اهتمامه وحياته وقوته^{١٢} .

وهذا الكلام مستوحى أيضاً بكماله من خطبة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام مطلعًا :

كان لي فيما مضى أخ في الله ، وكان يعظمه في عيني صغر الدنيا في عينه .. إلى آخر الخطبة^{١٣} .
نكتفي بهذا القدر من هذه الاقتباسات التي قام بها ابن المفع من خطب وكلمات الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، وقد لاحظنا كيف أنه ينقل كلاماً للإمام مع بعض التغيير الطفيف وفي بعض المرات دون أدني تغيير ، وقد دفع هذا النهج ببعض الكتاب إلى تصورات خاطئة بعيدة عن الواقع . فقد تصور الأستاذ محمد كرد علي إن الشريف الرضي أخذ كلامين لابن المفع هما (وعلى العاقل .. الخ) وإنني مخبرك عن صاحب .. الخ) إن نسبهما للإمام أمير المؤمنين عليه السلام :

نورد تعليقه على كلام ابن المفع (إنني مخبرك .. الخ).

^{١١} الشريف الرضي : نهج البلاغة (الملحق لمعجم ألفاظ نهج البلاغة) ، ص ٢٢٢.

^{١٢} ابن المفع : الأدب الصغير والأدب الكبير ، ص ١٨٦.

^{١٣} أورده الشريف الرضي ، ص ٢١٢ ، من (الملحق) و ذكره السيد عبد الزهراء الحسيني في مصادر نهج البلاغة ، ص ٤ ، ص ٢٢٦ ، وأورد مصادر هذه الخطبة قبل الشريف الرضي وبعده .

وقد أورد الرضي في نهج البلاغة هذا الوصف ونسبه إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بتحريف وزيادة^{١٤}.

ثم يستنتج بعد ذلك قائلاً:

ونرجح أن عزو هذا الكلام إلى علي بن أبي طالب أو إلى الحسن بن علي، هو من فعل من أضافوا على كلام أمير المؤمنين ما ليس منه ساقحهم الله^{١٥}.

ثم يشير إلى نفس الملاحظة عند تعليقه على الكلمة الثانية لابن المقفع (وعلى العاقل... الخ) فيقول:

ومن ذلك ما نسبه لعلي وهو لابن المقفع ((للمؤمن ثلاث ساعات ينادي بها ربه... الخ))^{١٦}. ولمناقشة الأستاذ محمد كرد علي نورد هذه الملاحظات:

١- خلط الأستاذ محمد كرد علي بين ما هو مذكور في نهج البلاغة وما هو مذكور في الأدب

الصغير، ف((للمؤمن ثلاث ساعات ينادي بها ربه...)) هو كلام أمير المؤمنين في نهج البلاغة، أما كلام ابن المقفع فهو ((وعلى العاقل.. الخ)).

٢- هناك فرق ملموس بين ما أورده الشريف الرضي وبين ما جاء في الأدب الصغير، والأدب الكبير، فقد بدأ ابن المقفع بعبارة ((إنني مخبرك عن صاحب كان أعظم .. الخ)) و((على العاقل..)) وهما في نهج البلاغة بشكل آخر هو ((كان لي فيما مضى أخ في الله...)) و((للمؤمن ثلاث ساعات...)) كما مرسلاً.

٣- هناك نصوص كثيرة ذكرنا قسماً منها أوردها ابن المقفع وهي من كلمات أمير المؤمنين عليه السلام ولم يغير فيها ابن المقفع أي تغيير، فماذا يقول محمد كرد علي في هذه النصوص هل نقلها الشريف الرضي عن ابن المقفع أيضاً.

^{١٤} كرد علي: محمد، أمراء البيان، ج ٢، ص ٥٧٣.

^{١٥} كرد علي: محمد، أمراء البيان، ج ٢، ص ٥٧٤.

^{١٦} كرد علي: محمد، أمراء البيان، ج ٢، ص ٥٧٥.

- ٤- ذكر ابن المفع في بداية الأدب الصغير، أنه وضع هذا الكتاب من كلام الناس، ولم يذكر اسم الذين نقل عنهم، وطبعاً على رأسهم كما عرفا الإمام أمير المؤمنين عليهما السلام.
- ٥- أقر الأستاذ محمد كرد علي بهذه الحقيقة أيضاً عندما ذكر في كتابه أمراء البيان، وقيل إنه تخرج في البلاغة بخطب علي بن أبي طالب.. ثم يقر ذلك في النتيجة النهاية التي ينتهي إليها: وما نحال ذلك كافياً في بلوغ الغرض لقلة المؤثر من تلك الخطب يومئذ.
- فالأستاذ محمد كرد علي يقلل من تأثير خطب الإمام علي عليهما السلام في ابن المفع بحججه إنها غير كافية أو متوفرة بشكل كاف حتى يتخرج عليها أديب كبير كابن المفع.
- ولو كان الأستاذ كرد علي قد اطلع على رأي المسعودي في مروج الذهب حيث أشار إلى حفظ الناس لخطب الإمام^{١٧} وقد بلغ عدد الخطب التي حفظها الناس أكثر من أربعين ألف خطبة. وهذا يكفي للدلالة على صحة نظرية القائلين بأن ابن المفع تخرج على خطب الإمام عليهما السلام.
- ٦- عندما تدقق في كلام أمير المؤمنين (ليس للعاقل .. الخ) نجد أنه ورد في كتاب المحسن بسنته عن الأصبهي بن نباتة المتوفى سنة ١٠٠ للهجرة^{١٨} أي قبل أن يولد ابن المفع بست سنين، وهذا ما يؤكد لنا أن النص هو للإمام أمير المؤمنين عليهما السلام وليس لابن المفع أي دور سوى نقل هذا النص كما هو عادته في نقل نصوص أخرى للإمام أمير المؤمنين عليهما السلام.

أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥ للهجرة:

كبير أئمة الأدب، ورئيس الفرقـة الجاحظـية من المعـزلة^{١٩}. مولـده ووفـاته في البـصرـة، فـلـجـ في آخر عمرـه، وـكان مشـوهـاًـ الخـلـقةـ وـمـاتـ وـالـكتـابـ عـلـىـ صـدـرـهـ، قـتـلـتـهـ مجلـدـاتـ منـ الـكـتبـ وـقـعـتـ عـلـيـهـ. لـهـ

^{١٧} ذكره ابن أبي الحميد عن عبد الحميد الكاتب إنه قال: حفظت سبعين خطبة من خطب الأصلع، ففاضت ثم فاضت، وقال ابن نباتة: حفظت من الخطابة كثراً لا يزيد الإتفاق إلا سعة وكثرة، حفظت مائة فصل من مواعظ علي بن أبي طالب (ابن أبي الحميد، شرح نهج البلاغة، وبيدو إن حفظ خطب الإمام كانت من عادة الأدباء والبلغاء، الجزء ١ / ص ٢٤).

^{١٨} البرقي: المحسن، كتاب السفر، ص ٢٧٤. والاصبهي بن نباتة من خاصية أمير المؤمنين (ع) وعمره بعده، وروى عهد مالك الأشتر الذي عهد إليه أمير المؤمنين لما وله مصر وروى الكثير من وصاياه و كلماته (الطوسي: الفهرست، ص ٣٧).

^{١٩} الزرکلی: خیر الدین، الأعلام، ج ٥، ص ٧٤.

تصانيف في كل فن، له مقالة في أصول الدين، ومن أحسن تصانيفه وأمتعها الحيوان، وكذلك البيان والتبيان^{٢٠}.

وبحكم اهتمام الجاحظ بالأدب والبلاغة فقد تأثر بخطب وكلمات الإمام أمير المؤمنين عليه ، حتى أنه ألف مجموعة اختار فيها مائة كلمة لأمير المؤمنين، اختار الشريف الرضي جملة منها وأثبتها في النهج^{٢١}. روى ذلك الخطيب الخوارزمي بسنده عن أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد، قال: قال أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر صاحب أبي عثمان الجاحظ: كان الجاحظ يقول لنا زماناً: إن لأمير المؤمنين عليه مائة كلمة، كل كلمة منها تعني بألف كلمة من محاسن كلام العرب، قال: و كنت أسأله دهراً بعيداً أن يجمعها لي، ويليها علي، وكان يدعني بها، ويتغافل عنها، ظناً بها، قال: فلما كان آخر عمره أخرج جملة مسودات مصنفاته فجمع منها تلك الكلمات وأخرجها إلى بخطه، فكانت الكلمات المائة هذه^{٢٢} وقد أورد الجاحظ كلمات الإمام أمير المؤمنين في جميع كتبه، البيان والتبيين، الحيوان، والمحاسن والأضداد، التاج.

١- المحاسن والأضداد^{٢٣}:

وهو يشتمل على موضوعات متنوعة تصب في هدف المؤلف من تأليفه، وهو أبرز الفضائل والرذائل في كل صنف من صنوف الصناعات، وفي كل طبقة من طبقات المجتمع.
يقول الجاحظ عن كتابه في المقدمة:

^{٢٠} ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٣، ص ٤٧١.

^{٢١} الخطيب: عبد الزهراء، مصادر نهج البلاغة وأسانيده، ج ١، ص ٦٠.

^{٢٢} الخوارزمي: المناقب ، ص ٢٧١ ، والخوارزمي؛ هو الموفق بن أحمد الملكي الخوارزمي ، ابو المؤيد مؤلف (مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة) و (مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب) كان فقيها، أديبا له خطب و سفر، أصله من مكة أخذ العربية عن الزمخشري بمخارزه، وتولى الخطابة بجامعها.

(الزرکلي: خير الدين ، ٣٢٣/٧ ، ذكر كتاب مناقب أمير المؤمنين حاجي خليفة في كشف الظنون، ص ١٨٤٤).

^{٢٣} ذكر المناقب ونسبته إلى الجاحظ: المحاسن والأضداد، ص ١٦٠٩ ، والبغدادي في هدية العارفين ١/٨٠٣، والزرکلي الاعلام، ٧٤/٥ ، وقد اعتمدنا الطبعة الأولى من الكتاب، مطبعة السعادة، سنة الطبع ١٩١٢ م بصرى.

وجملة الكتاب وإن كثر ورقه فليس مما يحمل ، لأنه وإن كان كتاباً واحداً ، فإنه كتب كثيرة في خطابه والعلم بالشريعة والأحكام والمعرفة بالسياسة والتدبیر^٤ .

ويتضمن الكتاب جملة موضوعات أخلاقية منها ما يتعلق بحكام البلاد مثل محسن المشورة وضده ، محسن الولايات وضده ، محسن الشجاعة وضده ، محسن حب الوطن وضده ، محسن الدهاء والخيل وضده .. إلى آخره.

ولا يُخفى الجاحظ تأثره بخطب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام سواء ذكر اسمه في طيات في كتبه أو لم يذكره.

وفي فصل محسن المودة ينقل هذه الوصية للإمام أمير المؤمنين^٥ . إلى ولده الحسين عليهما السلام : إبذل لصديقك كل المودة ولا تطمئن إليه كل الطمأنينة ، وأعطيه كل المواساة ولا تفشي إليه كل الأسرار^٦ .

ثم يذكر موقف الإمام علي عليه السلام من معاوية عندما اتصل به مسیر معاوية فقال : لا أرشد إليه قائدة ، ولا أسعد رائده ، ولا أصحاب غيثاً ، ولا سار إلا ريشاً ، ولا رافق إلا ليشاً ، أبعده الله وأسحقه وأوقد على أثره وأحرقه ، لاحظ الله رحله ، ولا كشف محله ، ولا بشر به أهله ، ولا زكي له مطلب ، ولا رحب له مذهب ، ولا يسر له مراحًا ، ولا فرج الله له غمه ، ولا سرى همه ، لا سقااه الله ماء ، ولا حل عقده ، ولا اروى زنده ، وجعله الله سفر الفراق وعصى الشفاق^٧ .

وحول محسن الدنيا نقل هذا الكلام لأمير المؤمنين عليه السلام .

الدنيا دار صدق لمن صدقها ، ودار عافية لمن فهم عنها ، ودار غنى لمن تزود منها إلى آخر الخطبة^٨ .

^٤ الجاحظ ، المحسن والأضداد ، ص ٧.

^٥ الجاحظ ، المحسن والأضداد ، ص ٢٨ ، وذكر الشريف الرضي كلام أمير المؤمنين بهذا الكشل (إياك ومشاورة ... الخ) ضمن وصاياته إلى ولده الحسن (نهج البلاغة ، ص ١٦٢ (المحقق) .

^٦ الجاحظ : المحسن والأضداد ، ص ٤٧.

^٧ الجاحظ : المحسن والأضداد ، ص ٩٦.

^٨ الجاحظ : المحسن والأضداد ، ص ٩٦٠.

ثم يذكر الجاحظ، عندما دخل علي صلوات الله عليه المدائن، فنظر إلى إيوان كسرى أشد بعض أصحابه شعراً (وذكر الشعر) .. فقال علي صلوات الله عليه: أبلغ من ذلك (يعني الشعر) قول الله تعالى: «كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم. ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها قوماً آخرين، فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين».^{٣٩}

٢- كتاب الحيوان:^{٤٠}

وهو يتناول الحيوانات وما يرتبط بها من أدب، وأخبار، وروايات، ويحاول الجاحظ أن يستتبع من حياة الحيوان العبر التي تنفع الإنسان في مجالات حياته المختلفة.

وذكر الجاحظ في هذا الكتاب الكثير من كلمات الإمام أمير المؤمنين ع^{عليه السلام} لا مجال لذكرها جميعاً لتنوع أبوابه، لكن نأخذ بعض ما يهمنا في الفكر السياسي. فحول إمارات الباهة، يذكر ما يلي: وكان يُقال يُستدل على نباهة الرجل في الماضين بتباين الناس فيه، وقال: ألا ترى أن علياً رضي الله عنه، قال: يهلك في فتنان، محب مفرط، ومبغض مفرط. وهذه صفة أنه الناس وأبعدهم غاية في مراتب التدين وشرف الدنيا.^{٤١}

ومن مشتقات البيضة، يذكر هذه الكلمة للإمام علي ع^{عليه السلام}: أنا بيضة البلد.^{٤٢}

وحول استعارات اليусوب، وهو فعل التحل يشهد بكلام الإمام قائلاً:

وكما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه، في صلاح الزمان وفساده، ((ماذا كان ضرب يعسوب الدين بذنبه))^{٤٣}.

^{٤٩} الجاحظ: المحسن والأضداد، ص ١٣٥ ، والأية: الدخان/ ٢٩.

^{٥٠} ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون بتفصيل ص ٦٩٦ ، واعتمدنا الطبعة الأولى، منشورات الحلبي وأولاده سنة ١٩٣٨ م، تحقيق عبد السلام محمد هارون.

^{٥١} الجاحظ: الحيوان، ٩٠/٢ ، وقد أورده الشريف الرضا بهذا الشكل؛ وسيهلك في صنفان، محب مفرط يذهب به الحب إلى غير الحق (نهج البلاغة ص ٦٦ الملحق).

^{٥٢} الجاحظ: الحيوان، ٣٢٩/٣.

^{٥٣} الجاحظ: الحيوان، ٣٢٩/٣ ، وقد أورده الشريف الرضا هكذا؛ فإذا كان ذكر ضرب يعسوب الدين بذنبه، فيجتمعون إليه، كما يجتمع فرع الخريف. نهج البلاغة ص ٢١٠ الملحق.

وللحاظ بالإضافة إلى هذين الكتابين، كتاب الناج في أخلاق الملوك، وهو كتاب أخلاقي سياسي كتبه على نسق وصايا أمير المؤمنين عليه السلام لولده الحسن، وقد جمع فيه جملة أفكار استعارها من كلمات وحكم الأولين ومنهم أمير المؤمنين عليه السلام.^{٣٤}

أبو جعفر البرقي المتوفى سنة ٢٧٤ أو سنة ٢٨٠:

هو أبو جعفر أحمد بن محمد البرقي، ذكره الطوسي قائلاً: أصله كوفي، وكان جده محمد بن علي حبسه يوسف بن عمر، والي العراق بعد قتل زيد ابن علي بن الحسين عليهما السلام، ثم قتله، وكان خالد صغير السن فهرب مع أبيه عبد الرحمن إلى برقة قم فأقاموا بها، وكان ثقة في نفسه، غير أنه أكثر الرواية عن الضعفاء واعتمد المراسيل، وصنف كتاباً كثيرة منها المحسن وغيرها.^{٣٥}

وذكر ابن النديم، باسم آخر هو أبو عبد الله محمد بن خالد البرقي، وذكر أنه من أصحاب الرضا، وذكر كتبه: كتاب العويس، كتاب التبصرة، كتاب المحسن، كتاب الرجال، وفيه ذكر من روى عن أمير المؤمنين عليه السلام.^{٣٦}

كتاب المحسن^{٣٧}.

الكتاب كما قيمه المصحح السيد محمد صادق بحر العلوم في المقدمة: إن كتابه هذا كان مرجعاً لعلماء التاريخ، والجغرافية والتراجم، كما كان مرجعاً لعلماء الحديث.

والكتاب يتضمن موضوعات سياسية، مثل الغمامنة، والولاية، والعدل، ويضم كتاب مصابيح الظلم على موضوعات من قبيل البدع، إظهار الحق، ويضم كتاب الصفوة والنور

^{٣٤} راجع كتاب الناج في أخلاق الملوك، تحقيق أحمد زكي، ط١، مطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩١٤م.

^{٣٥} الطوسي: الفهرست، ص٢٠، وذكر في وفاته روایین كما جاء في أعيان الشيعة، ٣٩٩/٩.

^{٣٦} ابن النديم: الفهرست، ص٣٢٣.

^{٣٧} اعتمدنا السخة المطبوعة في النجف عام ١٩٦٤م، المطبعة الحيدرية، قدم لها محمد صادق بحر العلوم.

والرحمة على موضوعات من قبيل البدع، إظهار الحق، ويضم كتاب الصفة والنور والرحمة على موضوعات الولاية، والمؤمن وصفاته الأساسية وهي المعرفة والحب للitan لهما طابعاً سياسياً. وفي كتاب عقاب الأعمال يُبين بعض الموضوعات المتعلقة بموقف الإنسان مثل عقاب من شك في علي، عقاب من أنكر آل محمد، عقاب من لم يعرف إمامه، عقاب من اتخذ إمام جور، عقاب من نكث صفة الإمام، والكتاب يتضمن الكثير من كلمات أمير المؤمنين عليه السلام، بل عده العلامة عبد الزهراء الخطيب من مصادر نهج البلاغة^{٣٨}، حيث اعتمد عليه في الكثير من الكلمات القصار. وأورد البرقي كلمات الإمام في الموضوعات السياسية بالإضافة إلى الموضوعات الأخرى فذكر في الصفحة ٧٢ عن الإمام أنه قال: ثلات موبقات، نكث الصفة، وترك السنة، وفرق الجماعة. وأورد في كتاب مصابيح الظلم (من المحسن) كلام أمير المؤمنين عليه السلام:

أيها الناس لا تستوحشوا في طريق الهدى لقلة أهله، فإن الناس قد اجتمعوا على مائدة شبعها قصير، وجوعها طويل^{٣٩}.

نكتفي بهذا القدر القليل لأن ما ورد في الكتاب كثير من كلمات الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بل نستطيع أن نجزم أن الكتاب كله تقريباً هو من كلمات أمير المؤمنين عليه السلام. أو كلمات أبنائه الأئمة من أهل البيت عليهما السلام.

أبو محمد عبد الله بن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ هـ:

عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدنيوري، عالم مشارك في أنواع من العلوم، كاللغة وال نحو وغريب القرآن ومعانيه، وغريب الحديث، والشعر، والفقه، والأخبار، وأيام الناس، وغير ذلك. سكن بغداد وحدث بها، وولي القضاء في دنيور. وتعتبر كتب ابن قتيبة من المصادر المهمة لنهج البلاغة. وتتجلى الأغراض السياسية في كتابين للمؤلف هما عيون الأخبار، الإمامة والسياسة.

^{٣٨} الخطيب: عبد الزهراء، مصادر نهج البلاغة وأسانيده، ص ٤٠.

^{٣٩} البرقي: المحسن، ص ٢٠٨ ، وأورد الشريف الرضي هذا الكلام في نهج البلاغة، راجع نهج البلاغة، بشرح محمد عبده، ص ٤٥٩.

١- عيون أخبار^{٤٠}:

حقاً يعتبر هذا الكتاب من المصادر السياسية، لأنه اشتمل على موضوعات سياسية متنوعة خصص المؤلف الجزء الأول من الكتاب لموضوع السلطانالجزء الثاني للحرب، وذكر المؤلف في الجزئين حكايات وكلمات وحكم لا يمكن أن يستغني عن مراجعتها كل باحث في الفكر السياسي الإسلامي. فحول الإصابة بالظن والرأي يذكر كلام أمير المؤمنين عليه السلام :

إنه لينظر إلى الغيب من ستر رقيق^{٤١} وهو في الأصل لله در ابن عباس إنه .. الخ.

وفي فصل خيانات العمال، يذكر كلام أمير المؤمنين عليه السلام عندما كان يدخل بيت المال ويقول يا حمراء ويا بيضاء، أحمرى وأيضاً غري غيري^{٤٢}.

ويواصل كلامه حول خيانة الولاة، فينقل رسالة من الإمام إلى أحد ولاته بعد أن ظهرت منه الخيانة وهي ؛

إنني أشركتك في أمانتي ، ولم يكن رجل من أهلي أوثق منك في نفسي ، فلما رأيت الزمان على ابن عمك قد كلب ، والعدو قد حرب قلبت لابن عمك ظهر الجن ، فرقته مع المفارقين .. الخ^{٤٣} .
ويرى ابن قتيبة إن الوالي المقصود هو ابن عباس ، بينما يرفض آخرون ذلك منهم ابن أبي الحديد ، وستتناول هذا الموضوع في مكان آخر.

^{٤٠} كل من ترجم حياة ابن قتيبة ذكر هذا الكتاب، ذكره ابن النديم؛ الفهرست، ١٢١، و ذكره ابن خلكان: وفيات الأعيان، ٤٢/٣، و ذكره حاج خليفة في كشف الظنون، ص ١١٨٤.

^{٤١} اعتمدنا الطبعة المصرية، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ١٩٧٣ م.

^{٤٢} المصدر نفسه/١٢٥، وأورده التوارزمي في المتاقب، ص ١٢٧.

^{٤٣} ابن قتيبة: عيون الأخبار، ٥٧/١، و ذكره الصدوق هكذا: يا صفراء يا بيضاء لا تغريني غري غيري. الصدوق، الأموي، ١٦٩، وأيضاً الجلبي: بحار الأنوار/٤١، ١٠٢/٤١.

^{٤٤} ذكر ابن أبي الحديد الرسالة بهذا الشكل: (أما بعد ، فاني كنت أشركتك في أمانتي ، و جعلتك شعاري وبطانتي ، ولم يكن في أهلي رجل أوثق منك في نفسي لمواساتي و مؤازرتني ، وأداء الأمانة إلى ، فلما رأيت الزمان على ابن عمك قد كلب ، والعدو قد حرب ، وأمنة الناس قد خربت ، و هذه الأمة قد فتكت و شرحت ، قلبت لابن عمك ظهراً لجن .. إلى آخره). ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ١٦٧/١٦٧، و نقل الرسالة الإمام محمد عبده كما هي في شرح ابن أبي الحديد مع اختلاف في كلمة فتكت فذكر بدلاً عنها، كلمة فنك (أي صارت ماجنة) انظر نهج البلاغة بشرح محمد عبده، ص ٥١.

وفي فصل آداب الحرب ومكائدتها ينقل رواية طويلة عن ابن عباس يصف بها أمير المؤمنين يوم صفين قائلاً :

ما رأيت رئيساً يوزن به، لرأيته يوم صفين وكان عينيه سراج سليط وهو يحمس أصحابه، إلى أن انتهى إلى وأنا في كثيف، فقال : عشر المسلمين استشعروا الخشية وعنوا الأصوات وتجلبيوا السكينة وأكملوا اللوم وأخفوا الخون، وقلقلوا السيوف في أغمامها قبل السلة والحظوا الشزر وأضعناها النبر، ونافحوا بالضبا وصلوا السيوف بالخُطا والرماح بالنبل، وامشو إلى الموت مشياً سجحاً، وعليكم بهذا السود الأعظم والرواق المطنب، فاضربوا شبهجها، فإن الشيطان راكد في كسر نافع خصيبة مفترش ذراعيه قد قدم للوثبة يداً وآخر للنكوص رجلاً^{٤٤}.

ومن تعاليمه في الحرب يذكر ابن قتيبة، قوله لابنه الحسن :

يابني لا تدعون أحداً إلى البراز، ولا يدعونك أحد إليه غلاً أجنته فإنه بغيٌ^{٤٥}. وفي العدة والسلوك يذكر هذه الكلمة للإمام علي في السيف :

السيف أئمّي عدداً وأكثر ولداً^{٤٦}.

ثم يذكر إن درع علي (رضي الله عنه) صدرأ لا ظهر لها فقيل له في ذلك فقال :

إذا استمكنا عدوينا من ظهري فلا يُقْ^{٤٧}.

وفي فصل آداب الفروسية يذكر هذه الكلمة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

عصوا على الناجذ من الأضراس، فإنه أنبي للسيوف عن الهم^{٤٨}.

وفي فصل أخبار الجبناء، فيذكر كلمة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في عمرو بن العاص :

^{٤٤} ابن قتيبة : عيون الأخبار ، ص ١١٠ ، ذكره محمد عبده ، مع بعض الإضافات (نهج البلاغة ، ص ١٦٦) ، و ذكره صبحي الصالح في الصفحة ٩٧.

^{٤٥} ابن قتيبة : عيون الأخبار ، ص ١٢٨ ، و ذكره الشريف الرضي في نهج البلاغة ، ص ٢٠٨ (الملحق).

^{٤٦} ابن قتيبة : عيون الأخبار ، ص ١٣٠ ، و جاء في نهج البلاغة للشريف الرضي (بقي السيوف أبقى عدداً ، وأكثر ولداً) نهج البلاغة ، ص ١٩٥ ، (الملحق لمعجم المفهوس لأنلفاظ نهج البلاغة).

^{٤٧} ابن قتيبة : عيون الأخبار ، ص ١٣١ .

^{٤٨} ابن قتيبة : عيون الأخبار ، ص ١٣٣ ، وقد أورد الشريف الرضي كلام أمير المؤمنين بهذا الشكل عصوا على الناجذ ، فإنه أنبي للسيوف (نهج البلاغة : ص ٢٧ (الملحق).

عجبًاً لابن النابغة، يزعم أنني تلعابة، أعافس، وأمارس، أما وشر القول أكذبه.. إلى آخر الخطبة.^{٤٩}.

وفي فصل الحيل في الحروب وغيرها، يذكر ابن قتيبة:

أرسل علي بن أبي طالب رضي الله عنه عبد الله بن عباس لما قدم البصرة فقال:
إئت الزبير ولا تأت طلحة، فإن الزبير ألين وأنت تجد طلحة كالثور، عاقصاً قرنه، يركب الصعوبة ويقول هي أسهل، فاقرأه السلام وقل له يقول لك ابن خالك: عرفتني بالحجاز، وأنكرتني بالعراق، فما عدا مما بدا.^{٥٠}

وفي فصل ذكر الأمصار، ذكر خطبة الإمام علي عليه السلام حين دخل البصرة:
يا أتباع البهيمة ويا جند المرأة، رّغا فأجبتم، وعقر فانهزتم، دينكم نفاق وأخلاقكم رقاق
وماؤكم زُعاق.. الخ^{٥١}. وللإمام كلام آخر في أهل البصرة سنورده في مكانه إن شاء الله تعالى.

٢- الإمامة والسياسة^{٥٢}:

ويتضمن الكتاب الوقائع التاريخية من بداية الخلافة الراشدة حتى نهاية حكم الرشيد عام ١٩٥ هـ . ولذا يسمى أيضًا بـ (تاريخ الخلفاء). ويتسم الكتاب بالسمة السياسية لأنَّه يُركِّز على الأحداث السياسية الهامة وما دار في تلك الحقبة من التاريخ الإسلامي من حوادث وصراعات سياسية ، فقد ذكر المؤلف في نهاية الجزء الثاني ؛ قد تم بعون الله تعالى ما به ابتدأنا ، وكم وصف

^{٤٩} ابن قتيبة: عيون الأخبار، ص ١٦٤ ، أرود الخطبة الشريف الرضي، نهج البلاغة، ص ٣٥ (الملحق) كما وأوردها محمد عبده في الصفحة ٢٠٠ مشيرًا أنها في عمرو بن العاص.

^{٥٠} ابن قتيبة: عيون الأخبار، ص ١٩٠ ، وأورد الشريف الرضي هذا الكلام بهذا الشكل.

^{٥١} ابن قتيبة: عيون الأخبار، ص ٢١٧ ، و نقلها الشريف الرضي بشكل آخر؛ كتم جُند المرأة وأتباع البهيمة، رغا فأجبتم، و عقر فهربتم، أخلاقكم دقاق، و عهdkم شفاق، و دينكم نفاق، و ماؤكم زُعاق (عبدة: نهج البلاغة ص ٩٨-٩٩) (الملحق) ص ٩.

^{٥٢} لم يأتي ابن النديم على ذكر السياسة والإمامية (انظر: الفهرست، ص ١٢١) و كذلك حاجي خليفة في كشف الظنون، و كذلك الغدادي في هدية العارفين، ص ٤٤ من الجزء الأول ، ولم يأتي على ذكر كحالة (انظر : معجم المؤلفين، ١٥٠/٦) أما الزركلي فقد أورد اسم الكتاب عند ترجمته لابن قتيبة لكنه ذكر (وللعلماء نظر في نسنته اليه (الاعلام، ٤/١٤٧)، و ذكره بركلمان قائلاً: و أما كتاب الإمامة والسياسة المنسوب الى ابن قتيبة فتوجد مخطوطاته في برلين، المتحف البريطاني، بشاور، بنكيور، بوهار مكتبة جامعة لندن، (تأريخ الادب العربي، ج ٢، ص ٢٢٩) ، و ذكره جرجي زيدان في (تأريخ آداب اللغة العربية: ج ٢، ص ١٩٨) قائلاً: و هو كتاب بجزئين طبع عدة طبعات. و اعتمدنا النسخة المطبوعة في مصر سنة ١٩٦٣ م الطبعة الثانية.

ما قصصنا من أيام خلفائنا وخير أئمتنا، وفتن زمانهم، وحروب أيامهم، وانتهينا إلى أيام الرشيد.^{٥٣}

وقد اشتمل الجزء الأول من الكتاب على العشرات من كلمات الإمام أمير المؤمنين علیه السلام (خطبه – رسائله – كلماته الغربية – حكمه القصار) واتخذه صاحب كتاب مصادر نهج البلاغة مصدراً لكتابه^{٥٤}.

ولكثرة ما ورد في الكتاب من خطب الإمام علیه السلام، اكتفيت بالإشارة إلى تلك الخطب مع أرقام الصفحات، فهي تكفي للدلالة على أثر خطب الإمام علیه السلام في هذا الكتاب.

كلام الإمام علیه السلام حول الخليفة عمر ص ٢.

محاورة الإمام علی بن أبي طالب مع العباس بعد وفاة رسول الله ﷺ ، ص ٤.

قول الإمام علی حول الزبير ص ١٠.

كلامه أثناء بيعته لأبي بكر ص ١١.

احتجاج الإمام علی على المهاجرين ص ١٢.

السبب الذي دفع بالإمام علی لعدم المشاركة في السقيفة ص ١٢.

محاورة الإمام علی مع الخليفة عمر وإجباره على المبايعة ص ١٣.

كلامه أثناء بيعته للخليفة أبي بكر ص ١٤.

محاورة الإمام علی مع عبد الرحمن بن عوف حول الخلافة بعد وفاة الخليفة عمر ص ٢٦.

رد الإمام علی على معاوية بن أبي سفيان في مجلس عثمان ص ٣٠.

إقامة الإمام علی الحد على الوليد بن عقبة، وكلامه في ذلك ص ٣٤.

طلب الإمام علی من الخليفة عثمان إقالة ابن أبي سرح من عمله ص ٣٦.

محاورة بين الإمام علی وال الخليفة عثمان حول كتاب كتبه إلى عبد الله بن أبي سرح ص ٤٠.

خطبة للإمام علی علیه السلام قبل البيعة ص ٤٦.

^{٥٣} ابن قتيبة: الإمام و السياسة، ج ٢، ص ٢٠٧.

^{٥٤} انظر الجزء الأول صفحة ٣١ من مصادر نهج البلاغة للسيد عبد الزهراء الخطيب.

- كتاب الإمام علي عليه السلام إلى معاوية ص ٤٦ - ٤٩.
- محاورة بين الإمام علي عليه السلام والمغيرة بن شعبة ص ٥٠.
- خطبة الإمام علي بعد البيعة ص ٥٠ - ٥١.
- محاورة بين الإمام علي وطلحة والزبير حول البيعة ص ٥١.
- جواب الإمام علي لابن عباس عندما اقترح عليه تولية طلحة والزبير ص ٥٢.
- جواب الإمام علي عليه السلام لعمار بن ياسر بعد محاولاته لتغيير مواقف بعض الصحابة من البيعة ص ٥٣ - ٥٤.
- كتاب الإمام علي إلى أخيه عقيل ص ٥٥ - ٥٦.
- كتاب الإمام علي إلى طلحة والزبير ص ٧٠.
- كتاب علي عليه السلام إلى الأحنف بن قيس ص ٧١.
- كلام الإمام علي لطلحة والزبير قبل القتال ص ٧١ - ٧٢.
- تذكير الإمام علي الزبير بموافقه السابقة ص ٧٢.
- محاضرة الإمام علي لطلحة بين الصفين ص ٧٤ - ٧٥.
- حديثه لعبد الرحمن بن أبي بكر قبل القتال ص ٧٥.
- محاوراته عليه السلام أثناء القتال يوم الجمل، ص ٧٦ - ٧٧ - ٧٨ - ٧٩.
- محاورته عليه السلام مع عقيل عندما أظهر الحاجة ص ٨٠.
- كتاب الإمام علي إلى معاوية بعد معركة الجمل ص ٨٢.
- وصية الإمام علي إلى ابن عباس ص ٨٥.
- كتاب علي عليه السلام إلى جرير بن عبد الله عامله على همدان ص ٨٩ - ٩٠.
- كتاب علي عليه السلام إلى الأشعث بن قيس عامله على أذربيجان ص ٩١.
- كلام الإمام علي إلى جرير عندما أراد أن يرسله إلى معاوية ص ٩٢ - ٩٣.
- كتاب الإمام علي إلى معاوية ص ٩٣.
- كتاب الإمام علي إلى جرير وهو في الشام ص ٩٥ - ٩٦.
- جواب الإمام علي عليه السلام على كتاب معاوية ص ١٠٢.

- توبعة الإمام علي عليه السلام لأهل العراق للقتال ص ١٠٤ .
كلام الإمام علي للأشعث عندما بعثه إلى معاوية ص ١٠٥ .
دعا الإمام علي عليه السلام معاوية إلى البراز ص ١٠٦ .
محاوراته عليه السلام في معركة صفين ص ١٠٧ .
خطبة الإمام علي عليه السلام لأبي محمد بن الثقفي ص ١١٤ .
خطبة الإمام علي عليه السلام بعد مفارقة بعض أصحابه ص ١١٤ .
جواب الإمام علي على كتاب معاوية ص ١١٨ .
قرار الإمام علي عليه السلام في مجلس المشورة ص ١٢٥ .
كلام علي عليه السلام بعد مقتل عمار بن ياسر ص ١٢٦ .
كلام علي عليه السلام بعد مقتل عمار بن ياسر ص ١٢٦ .
كلام الإمام علي قبل التحكيم ص ١٣٢ .
كتاب الإمام علي إلى أبي موسى الأشعري بعد التحكيم ص ١٤٠ .
خطبة للإمام علي عليه السلام بعد التحكيم ص ١٤٣ .
كتاب الإمام علي عليه السلام للخوارج ص ١٤٣ .
كتاب الإمام علي عليه السلام إلى ابن عباس ص ١٤٤ .
خطبة الإمام علي عليه السلام لأهل الكوفة ص ١٤٥ .
ما قاله الإمام علي عليه السلام في الخثعمي ص ١٤٦ .
مطالبه عليه السلام بقتلة عبد الله بن خباب ص ١٤٧ .
خطبة الإمام علي عند انصرافه من النهر وان ص ١٤٩ .
خطبة له عليه السلام يعيي أصحابه لقتال الخوارج ص ١٥٠ .
كلامه عليه السلام للأشعث بن قيس الكندي ص ١٥١ .
جوابه عليه السلام من اقترح عليه تفريق الأموال على الإشراف ص ١٥٣ .
كتاب له عليه السلام لأهل العراق (وهو كتاب مطول) من صفحة ١٥٤ حتى صفحة ١٥٩ .
كلامه عليه السلام لرسول الله عليه السلام في المنام ص ١٦٠ .

وصيته عليهما السلام بالرحمة لقاتلته ص ١٦٠ .

وصيته عليهما السلام لأولاده ص ١٦٢ .

إبراهيم بن محمد البهقى كان حيا عام ٣٤٠ للهجرة :

نبغ في خلافة المقتدر، له كتاب الحاسن والمساوي^{٥٥} جاء في مقدمة الكتاب؛ كتاب وضعه إبراهيم بن محمد البهقى أحد علماء المسلمين وأدبائهم الذين لم تحفظ تراجم حياتهم بصورة يُستطيع معها معرفتهم معرفة كاملة، وكل ما ذكر عنه في فهرست دار الكتب المصرية أنه من علماء القرن الخامس الهجري، في حين تذكر مقدمة الطبعة الأوربية أنه عاش ونبغ في عهد خلافة المقتدر العباسى (٢٩٥ - ٩٣٢ هـ) (٩٠٨ - ٢٢٠ م) وإنه صاحب كتاب الحاسن والمساوي^{٥٦}. وقد كتبه على غرار الحاسن والأضداد، و Ashton على موضوعات سياسية، فذكر المؤلف محاسن المشورة، ومساوي^{٥٧} من يستشير، محاسن الولايات ومساواتها، ومحاسن النظر في الظالم، محاسن العفو، مساوي^{٥٨} تعدى السلطان. ففي محاسن المشورة ينقل عدداً من كلمات الإمام أمير المؤمنين القصيرة فمما ينقله على الصفحة ٣٧١ :

قال ابن عباس فلما قتل عثمان (رضي الله عنه) خرج علي وهو على بغلة رسول الله ﷺ ، وأنا على يمينه وابن القاريء على يساره وكان من أمر طلحه والزبير ما كان، وقتل طلحه عشية ذلك اليوم وأنا أرى الكراهة في وجه علي رضي الله عنه، فقال: أما والله لقد كنت أكره أن أرى قريشاً صرعى تحت بطون الكواكب، ولكن نظرت إلى ما بين الدفتين فلم أرَ يسعني إلا قتالهم أو الكفر، ولتن كان قال هؤلاء ماسمعت في طلحه وهو يشير إلى حادثة وقعت بينه وبين عميه العباس يعاتبه فيها على رد مشورته^{٥٩}.

^{٥٥} كحالة: عمر رضا، معجم المؤلفين، ٨٩/١، اعتمدنا النسخة المطبوعة في بيروت عام ١٩٦٠ م، الناشر دار صادر و دار بيروت.

^{٥٦} أورد محمد عبد نقلأ عن الشريفي الخطبة بهذه الصيغة؛ أما والله لقد كنت أكره أن تكون قريش قتلى تحت بطون الكواكب أدركـت و تـرىـ منـ بـنـيـ عـدـ مـنـافـ وـ اـفـلـتـنـيـ أـعـيـانـ بـنـيـ جـمـحـ، وـ لـقـدـ اـتـلـعـواـ عـنـاقـهـمـ إـلـىـ أـمـرـ لـمـ يـكـنـواـ أـهـلـهـ، فـوـقـعـواـ دـوـنـهـ نـهـجـ الـبـلـاغـةـ (عبدة: محمد، نهج البلاغة ص ٤٨١).

ويورد في الصفحة ٣٥٨ خطبة الإمام علي عليه السلام : الدنيا دار صدق.. إلى آخرها. والتي أوردها الجاحظ أيضاً في محسن صفة الدنيا.

ثم يذكر خطبة الإمام عندما وقف على المقابر:

اعتبروا يا أهل الديار التي طُبِقَ بالخراب مناظرها ويُشتد في التراب بناؤها^{٥٧}. ثم يذكر القصة التي ذكرها الجاحظ عندما مر الإمام علي عليه السلام على المدائن وما قاله الشاعر ثم رد الإمام على الشاعر بما هو أبلغ.

وحول محسن الشدة يقول: وخطب علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقال: تقول قريش جزع ابن أبي طالب من الموت ، والله لعلي آنس بالموت من الطفل بشدي أنه^{٥٨}.

ثم يذكر حكيم عنده إنه قال: ما أبالي وقعت في الموت أو وقع الموت على.

والبيهقي يُكثُر من إيراد خطب الإمام في الفصول الأخرى من الكتاب والتي تدور حول موضوعات مختلفة ، وقد خصص فصلاً للحديث حول محسن أمير المؤمنين عليه السلام ، ومساويه من عادي علياً أورد فيه الكثير من كلمات الإمام والموافقة.

أبو الحسن الأشعري المتوفى سنة ٣٢٤ أو ٣٣٠ للمهجرة:

هو أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري ، ينتهي نسبه إلى أبي موسى الأشعري ، إليه تنسب الطائفة الأشعرية.

من أبرز كتبه ((الرد على الجسمة)) و((مقالات الإسلاميين)) و((الإبانة عن أصول الديانة)) و((الرد على ابن الروندي)) و((اللمع في الرد على أهل الزبغ والبدع)) وأشهر كتبه على الإطلاق هو ((مقالات الإسلاميين)).

^{٥٧} البيهقي : إبراهيم بن محمد، المحسن والمساوية، ص ٥٣٨ ، وقد أورد الشريف الرضي الخطبة بشكل مختلف (انظر: الشريف الرضي: نهج البلاغة، الملحق ص ٢٠).

^{٥٨} البيهقي : إبراهيم بن محمد المحسن والمساوية ، ص ٤٨٣ ، وقد أورد الشريف الرضي الخطبة مع اختلاف طفيف في مكان (والله لعلي) جاء بـ (والله لا ابن أبي طالب) (انظر الشريف الرضي: نهج البلاغة، الملحق، ص ٨).

مقالات الإسلامية:

حرص الأشعري في هذا الكتاب أن يأتي بآراء جميع أهل الفرق الإسلامية وغيرها في مختلف الأصول والفروع، فهو ينقل الرأي دون أن يذكر مورد الاستناد، وفي بعض الأحيان يذكر حدثاً أو قولهً لدعم بعض الآراء التي يرجحها على الآراء الأخرى ولا يشذ الأشعري عن بقية العلماء والمصنفين الذين أخذوا من كلمات الإمام علي عليه السلام وعلى سبيل المثال يذكر في قضية التحكيم قول أمير المؤمنين عليه السلام :

قد أبىت عليكم في أول الأمر فأبىتم إلا إيجابتهم إلى ما سالوا، فأجبناهم وأعطيناهم العهود والمواثيق.. وليس يسوع لنا الغدر.^{٥٩}.

أحمد بن مسکویه توفي ٤٢١ هـ :

مؤرخ بحاث، أصله من الري وسكن أصفهان وتوفي بها. اشتغل بالفلسفة والكيمياء، والمنطق مدة، ثم أولع بالتاريخ والأدب والإنشاد، وكان قيماً على خزانة كتب ابن العميد، ثم كتب عضد الدولة ابن بويعه، فلقب بالخازن، ثم اختص بيها الدولة البويهي وعظم شأنه عنده^{٦٠}. من أهم كتبه ((تجارب الأمم وتعاقب الأمم)) وهو كتاب تاريخي انتهى به إلى السنة التي مات فيها عضد الدولة (٣٧٢ هـ).

وله كتاب آخر هو :

تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق^{٦١} :

هو كتاب يخرج بين الأخلاق والسياسة والمجتمع، فيعتبر مصدر من مصادر الفكر السياسي، يتخد ابن مسکویه من الإمام علي عليه السلام مثله الأعلى في الحاكم الملزم والإنسان المترتب بالأخلاق

^{٥٩} انظر من صفحة ٤٩ - ٥٥ من المحسن والمساويء، للبيهقي.

^{٦٠} ذكر الكتاب أكثر من ترجم للمؤلف . ذكر البغدادي : بعنوان مقالات المسلمين وجميع اختلافاتهم . البغدادي : هدية العارفين ، ٦٧٧/١ ، وذكره الزركلي : خير الدين ، الأعلام ، ٢٦٣/٤ ، اعتمدنا الطبعة الثانية ، نشر مكتبة النهضة ، سنة ١٩٦٩ م ، تحقيق محمد محيي عبد الحميد.

^{٦١} الأشعري : علي بن إسماعيل ، مقالات الإسلامية ، واختلاف المصلين ، ٦٤/١ ، الطبرى : تاريخ الأمم والملوك : ١١٣/٣ .

الفاضلة، وقد انعكس ذلك جلياً في موضوعات الكتاب المتنوعة التي تناولها، وكثيراً ما استشهد بكلمات الإمام أو مواقفه.

يقول في صفحة ٦٢. ومن سمع كلام الإمام صلوات الله عليه الذي صدوره عن حقيقة الشجاعة، إذ قال لأصحابه: أيها الناس إن لم تقتلوا قوتوا، والذي نفس ابن أبي طالب بيده لألف ضربة بالسيف على الرأس أهون من ميتة على الفراش.^{٦٢}.

فهو مثله الأعلى في الشجاعة كذلك مثله الأعلى في الفضائل الأخرى، منها كثرة المزام التي قد يتصور البعض أنها تتناقض والشجاعة، وكان من كثرة مزاحه أن عابه بعض الناس، فقال: لو لا دعابة فيه.^{٦٣}.

أبو الحسن الماوردي المتوفى سنة ٤٥٠ للهجرة:

هو أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري، الفقيه الشافعي، كان من وجوه الفقهاء الشافعية ومن كبارهم، وكان حافظاً للمذاهب وله في كتاب ((الحاوي)) الذي لم يطالعه أحد إلا وشهد له بالتبحر والمعرفة التامة بالمذهب. وفوض إليه القضاء ببلدان كثيرة، واستوطن بغداد في درب الزعفراني وروى عنه الخطيب أبو بكر صاحب ((تاریخ بغداد)) وقال: كان ثقة^{٦٤} وكان يميل إلى مذهب الاعتزاز.^{٦٥}

اصولي، مفسر، أديب، سياسي، درس بالبصرة، بغداد، وولي القضاء ببلدان كثيرة، وبلغ منزلة عند ملوك بنو بويه، وتوفي في بغداد.^{٦٦}

أهم كتبه، قوانين الوزارة، الأحكام السلطانية، آداب الدين والدنيا، تفسير القرآن الكريم.

^{٦٢} الزركلي: خير الدين، الاعلام، ٢١٢/١.

^{٦٣} ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون، ٥١٤/١، وذكره كحالة في معجم المؤلفين، ١٦٩/٢، اعتمدنا النسخة المصرية، مطبعة الوطن، سنة ١٢٩٨هـ صحيحة محمد عبد القادر المازني.

^{٦٤} ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ص ٦٢ وأورده الشريف الرضي في الملحق ص ٦٤.

^{٦٥} ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق، ص ١١٢ ، والذي عابه على ذلك هو الخليفة عمر بن الخطاب عندما أراد أن يوصي من بعده كما جاء في الكامل؛ فإن ولی عثمان فرجل فيه لین، وإن ولی علي ففيه دعابة.

^{٦٦} ابن خلkan: وفيات الأعيان، ٢٨٢/٣ (ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٦٧/٣). الطبری: تاريخ الأمم والملوک، المجلد الثاني، ٥٨١.

١- قوانين الوزارة وسياسة الملوك^{٦٧}.

ويسمى أيضاً بأدب الوزير، أو قوانين الوزارة وسياسة الملك، ويتناول الكتاب ما يتعلق بالوزير من أحكام وآداب مشتملاً على أحاديث نبوية، وكلمات مأثورة للإمام علي عليه السلام ولبقية الصالحة والسلطان العادلين وهو بحق مصدر من مصادر الفكر السياسي الإسلامي، لا يستغني عنه أي دارس في الفكر السياسي الإسلامي.

وتأثر الماوردي بالإمام أمير المؤمنين هو أمر طبيعي، فهو قد عاش بين البصرة وبغداد حيث كانت خطب الإمام علي عليه السلام تنشر في ذلك الوقت، فقد مضى نصف قرن على انتشار نهج البلاغة للشريف الرضي، كما وأن قرب الماوردي إلى ملوكبنيه وهم من الشيعة جملة قريباً إلى مذهبهم في حب علي بن أبي طالب عليهما السلام، مما جعل بين أمديه مصادر وكتب كثيرة تحيط بخطب الإمام ومواقفه.

لم يدع الماوردي فرصة فيها ذكر الإمام إلا ومجده ذلك الإنسان الذي جمع كل الفضائل، نقل عن الجاحظ هذه الجمل؛ وليت خزانة كتب الرشيد وتصفحت كتبه، فلنك أجد كلمة إلا وجدت لها نقيضه، إلا كلمات جاءت عن فيلسوف العرب علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قيمة كل أمرئ ما يحسن، ومن جهل شيئاً عاده، ولن يهلك أمرؤ عرف قدره^{٦٨}.

ويذكر الماوردي كلاماً لأمير المؤمنين في مقدمة الكتاب،

العقل حسام قاطع، والحلم غطاء سابق^{٦٩}.

وفي فصل الدفاع مهمة الوزير يستشهد بمحكمة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام وهي، خذ على عدوك بالفضل فإنه أحد الظفرتين^{٧٠}.

^{٦٧} الزركلي: خير الدين، الأعلام، ٣٢٧/٤.

^{٦٨} حالة: عمر رضا، معجم المؤلفين، ١٨٩/٧.

^{٦٩} ذكره البغدادي: هدية العارفين، ٦٨٩/١، اعتمدنا الطبعة المصرية، ط١، سنة ١٩٢٩م، مكتبة الخانجي.

^{٧٠} الماوردي: قوانين الوزارة، ص ٥٧، وذكر الشريف الرضي كلام أمير المؤمنين في مكаниن الأولى في صفحة ١٩٥ قيمة كل أمرئ ما يحسنه الثاني ص ٢٠٢ هلk امرؤ لم يعرف قدره (نهج البلاغة الملحق).

وحول حذر الوزير يذكر هذا الكلام لأمير المؤمنين عليه السلام .

من حاول أمراً بمعصية الله كان أبعد لما رجا، وأقرب لمجيء ما أنتهى^{٧١}.

وفي فصل العزل يذكر هذا القول لأمير المؤمنين عليه السلام :

لا خير في معين مهين ولا في صديق ضئيل^{٧٢}.

وحول الرأي والمشورة، وهي من ضرورات الوزارة والوزير أورد هذا الكلام لأمير المؤمنين عليه السلام :

ربما أخطأ البصير قصده وأصاب الأعمى رشده^{٧٣}.

وفي فصل (تابع العهود) أورد هذا الحكم لأمير المؤمنين عليه السلام :

انتهزوا هذه الفرص فإنها تمر من السحاب^{٧٤}.

وعن الدنيا وعواقب انصراف الوزير نحوها ينقل هذه الكلمة لأمير المؤمنين عليه السلام : احذروا الدنيا فإنها غلابة مكاراة ختارة خسارة، تستنكح في كل يوم بعلاً، وتستقبل في كل ليلة أهلاً، وتفرق كل يوم شملًا^{٧٥}.

٢- الأحكام السلطانية والولايات الدينية^{٧٦}:

وهي مجموعة من الأحكام الشرعية المتعلقة بالحكم والحكومة وإدارة الدولة، يقول المؤلف في مقدمة الكتاب.

^{٧١} الماوردي: قوانين الوزارة: ص ٧، وينظر الشريف الرضي كلام أمير المؤمنين بهذا الشكل، الخلم غطاء ساتر، والعقل حسام قاطع، فاستر خلل خلقك بحملك، وقاتل هداك بعقلك (الملحق ص ٢٢٥).

^{٧٢} الماوردي: قوانين الوزارة، ص ١٤ ، وقد ذكر الشريف الرضي هذه الحكمة بهذه الصورة. وخذ على عدوك بالفضل فإنه أحلى (أحد) الظفريين، نهج البلاغة (الملحق) ص ١٦٢.

^{٧٣} الماوردي: قوانين الوزارة ص ٢٢.

^{٧٤} الماوردي: قوانين الوزارة ص ٣٦، وأوردت الشريف الرضي بهذا الشكل، لا خير في معين مهين، ولا في صديق ظنين (نهج البلاغة الملحق ص ١٦١).

^{٧٥} الماوردي: قوانين الوزارة ص ٣٩، وأوردت الشريف الرضي في نهج البلاغة ص ١٦٢.

^{٧٦} الماوردي: قوانين الوزارة ص ٥٧؛ وقد أورد الشريف الرضي هذه الحكمة بهذا الشكل، والفرصة تمر من السحاب فانتهزوا رص الخير (نهج البلاغة الملحق ص ١٩).

وتتأثر الكتاب بالنهج وصاحب النهج الإمام علي عليه السلام أمر ملحوظ في هذا الكتاب لأن مؤلفه يحاول أن يستنبط من مواقف الإمام وكلماته أحكاماً شرعية من شأنها أن تنظم الحياة السياسية في الدولة الإسلامية.

٣- أدب القاضي:

وهو كتاب قيم طبع في جزئين، يتناول جانب هام من جوانب الدولة الإسلامية، وهو السلطة القضائية، وعلاقة هذه السلطة بالسلطات الأخرى.

احتوى الكتاب على الكثير من المواقف القضائية للإمام أمير المؤمنين عليه السلام وهو المعروف بتلك المواقف حيث كان ملاذ الخلفاء الراشدين الذين سبقوه والذين لم يجدوا بين جميع أصحاب رسول الله عليه السلام من هو أفضل من علي عليه السلام في القضاء، وهم الذين سمعوا من رسول الله عليه السلام، يقول في حق علي عليه السلام : ((أقضى هذه الأمة علي))^{٧٧}. فكان من الطبيعي أن يتضمن الكتاب قصص وحكايات قضائية كثيرة وعلى كلمات للإمام علي عليه السلام في القضاء.

ومن البدء يتوج الماوردي كتابه بكلمات الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، فيورد في المقدمة هذه الكلمة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام : إن القلوب تحل كما تحل الأبدان ، فاهدوا إليها طرائف الحكمة^{٧٨}.

ثم يذكر الماوردي وصية رسول الله عليه السلام للإمام علي عليه السلام عندما لا يناله القضاء ، قال رسول الله عليه السلام : إذا حضر الخصم إليك ، فلا تقض لأحدهما حتى تسمع من الآخر ، قال علي : مما أشكلت علي قضية بعدها^{٧٩}.

ويستدل الماوردي من هذه القضية بإنابة الإمام لأمور القضاء لمن تتوفر فيه شروط .

^{٧٧} الماوردي : قوانين الوزارة ، ص ٥٧ أورده الشريف الرضي في فصل الجد الخطبة (٢٣٠) بهذا الشكل ، فاحذروا الدنيا بانها غارة غرارة خدوع ، مطية قنوع ، ملبسة نزوع .. (نهج البلاغة المحقق ص ١٤١).

^{٧٨} ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون ص ١٩ وذكره كل من ترجم للماوردي فهو من أشهر كتبه ، اعتمدنا النسخة المطبوعة في إيران عام ١٤٠٦ الناشر مكتب الإعلام الإسلامي وهي صورة من النسخة المصرية.

^{٧٩} يقول محمد الكتباني محي هلال السرحان ، لم يكن (أدب القاضي) إلا جزئين من كتاب الحاوي الكبير في الفقه الشافعي. النسخة التي راجعتها مطبوعة عام ١٩٧١ مطبعة الإرشاد.

و حول الإجماع في أمور القضاء وأن المناط ليس رأي الأشخاص بل المناط هو الحق يورد كلام
أمير المؤمنين عليه السلام :
اعرف الحق تعرف أهله .^{٨٠}

والإجماع هو أحد وسائل معرفة الحقيقة.

و حول اجتهاد القاضي يذكر الماوردي قول الإمام علي لل الخليفة عمر ؛ إن كانا ما اجتهدا فقد
غشا ، وإن كانا قد اجتهدا فقد أخطأ فعليك الدية^{٨١} .

وفي فصل ، هل تثبت الأسماء والحدود والمقادير بالقياس ، و حول تسمية النبيذ خمراً يذكر
حكم أمير المؤمنين في شارب النبيذ وهو ثانين جلدة وذلك ؛ لأنه إذا شرب سكر ، وإذا سكر
هذا ، وإذا هذا افترى ، وحد المفترى ثمانون^{٨٢} .

وفي فصل جواز التقليد في الأمور السياسية ، ومنها القضاء ، يذكر لنا الماوردي المحاورة التي
دارت بين عبد الرحمن بن عوف والإمام علي عليهما السلام أثناء انتخاب الخليفة بعد عمر ابن الخطاب .

قال عبد الرحمن : أبايعك على كتاب الله وسنة رسوله وسيرة الشيفيين أبي بكر وعمر ، فقال
علي : بل كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وأجتهد رأيي^{٨٣} . فيستدل من جواب الإمام
بإتباعه سنة رسول الله عليه السلام على جواز التقليد ولكن هذا لا يسمى تقليداً إذ التقليد هو عمل العامي
برأي المجتهد . والمجتهد لا يقلد والإمام علي عليه السلام هو مجتهد بناءً على استدلال الماوردي فهنا يتضمن
التقليد ، أما إتباعه للرسول عليه السلام فلا عذر آخر هو إن السنة النبوية هي أحد مصادر الاجتهاد مثلها
مثل القرآن الكريم استناداً للأية الكريمة « وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى^{٨٤} »

^{٨٠} الخوارزمي : المناقب ، ص ٤١ .

^{٨١} الماوردي : أدب القاضي ، ٢٦٠/١ ، وأورده الشريف الرضي بهذا الشكل ، إن هذه القلوب تمل كما تمل الأبدان ، فابتغوا لها طائف
الحكم (نهج البلاغة الملحق ص ١٩٦) .

^{٨٢} الماوردي : أدب القاضي ، ١٣٠/١ وذكرها النسائي في الحصائص ص ١٥ .

^{٨٣} الماوردي : أدب القاضي ، ٤٧٦/١ ، وقد أورده الشريف الرضي بهذا الشكل ، قيل إن الحارث بن حوت أتاه فقال : أتداني أظن
 أصحابي كانوا على ضلاله ، فقال عليه السلام : يا حارث إنك نظرت تحتك ولم تنظر فوقك فحررت ، إنك لم تعرف الحق فتعرف أهله ،
ولم تعرف الباطل فتعرف من أتاه (عبدة : محمد ، نهج البلاغة ، ص ٧١٩) .

^{٨٤} الماوردي : أدب القاضي ، ٥٢٩/١ .

و حول مراقبة الإمام لولاته و عمله يذكر رسالته إلى عبد الله بن عباس والتي جاء فيها، فإن الإنسان ليس له إلا ما لم يكن ليقوته، ويسوءه فوت ما لم يكن ليدركه.^{٨٥}

و حول استضافة أحد الخصمين بدون حضور الخصم الآخر يستدل الماوردي بعدم جواز ذلك من موقف الإمام على عليه السلام عندما نزل عليه رجل فقال له الإمام. ألك خصم؟ قال: نعم، قال: تحول علينا فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لا تضيئوا أحد الخصمين إلا ومعه خصمه.^{٨٦}

وفي فصل القضاء على الغائب، يذكر الماوردي حكماً شرعاً مستندًا إلى رأي مالك والذي بدوره يستند إلى رأي أمير المؤمنين عليه السلام، فيذكر قائلاً: وقال مالك: لا يجوز أن يحضره إذا كان من أهل الصيانة، إلا أن يعلم أن بينهما معاملة، أو خلطة فيحضره احتجاجاً بما روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال:

لا يعدي الحاكم على خصم إلا أن يعلم بينهما معاملة.^{٨٧}

و حول جواز الاستخلاف على القضاء يذكر الماوردي هذه القضية من حياة رسول الله عليه السلام: روى أن رجلين أتيا النبي صلى الله عليه وسلم، فقال أحدهما: إن لي حماراً ولها بقرة، وإن بقرته قتلت حماري، فقال لأبي بكر ((اقض بينهما)) فقال: لا ضمان على البهائم، فقال عمر: اقض بينهما، فقال مثل ذلك، فقال لعلي: اقض بينهما، فقال علي: ((أكانا مرسلين)) فقالا: لا، قال: أكانا مشدودين؟، قالا: لا، قال: ألم كانت البقرة مشدودة والحمار مُرسل؟ قالا: لا، قال: ألم كان الحمار مشدوداً والبقرة مرسلة، قالا: نعم، قال: على صاحب البقرة الضمان.^{٨٨}

^{٨٥} الماوردي: أدب القاضي، ٦١١/١، وذكره المقيد في الإرشاد ص ١١٦.

^{٨٦} الماوردي: أدب القاضي، ٦٤٦/١، أورده ابن أبي الحميد في شرح نهج البلاغة، ١٨٨/١ بتغيير طفيف قبل اجتهاد رأيه.

^{٨٧} الجم ٤ - ٣.

^{٨٨} الماوردي: أدب القاضي، ٩٤/٢، أورد الشريف الرضا نص الرسالة كما يلي: أما بعد فإن المرء قد يسره درك ما لم يكن ليقوته، ويسوءه فوت ما لم يكن ليدركه. عبدة: محمد، نهج البلاغة، ص ٥٣٦).

ويورد الماوردي وبالإضافة إلى ما تقدم العشرات من الحوادث القضائية المقددة التي واجهت الدولة الإسلامية سواءً في زمن الخلفاء الثلاثة أو في عهده وكيف استطاع الإمام بحنكته القضائية أن يفصل في تلك القضايا المقددة.

أبو يعلى الفراء (المتوفى سنة ٥٨٤ هـ):

هو محمد بن الحسين بن محمد بن خلف الفراء، عالم عصره في الأصول والفروع وأنواع الفنون، من أهل بغداد، ولد القائم العُبَّاسي قضاء دار الخلافة والحرمين، وحران وحلوان، وكان قد امتنع واشترط أن لا يحضر أيام المواكب، ولا يخرج في الاستقبالات، ولا يقصد دار السلطان، فقبل القائم شرطه^{٩٠}. له تصانيف كثيرة منها ((الإيمان)) و((الأحكام السلطانية)) و((الكافية في أصول الفقه))^{٩١}.

الأحكام السلطانية^{٩٢}:

يقول المؤلف في مقدمة كتابه:

فإنني كنت صنفت كتاب الإمامة، وذكرته في أثناء كتب المعتمد، وشرحته فيه مذاهب المتكلمين وحجاجهم، وأدلتنا، والأجوبة عما ذكروه، وقد رأيت أن أفرد كتاباً في الإمامة، أحذف فيه ما ذكرت هناك من الخلاف والدلائل، وأزيد فيه فصولاً أخرى، تتعلق بما يجوز للإمام فعله من الولايات وغيرها^{٩٣}.

فهو كتاب يدور حول الدولة والولايات وما يدور حولها من أحكام وسائل وقد كتبه الفراء على غرار الأحكام السلطانية للماوردي الذي سبقه في تأليف الكتاب بسنوات قليلة، وعليه فقد أورد الفراء ما أورده الماوردي من استدلالات على كلمات الإمام أمير المؤمنين عائلاً.

^{٩٠} الماوردي: أدب القاضي، ٢٦٤/٢. ذكره الحر العاملبي في وسائل الشيعة إن أمير المؤمنين قال لرجل نز عنده: أخصم أنت؟ قال: نعم، فقال: تحول عن إِنْ رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَىْ أَنْ يُضَافَ الْخُصْمُ إِلَّا وَمَعَهُ خَصْمَهُ، الحر العاملبي: وسائل الشيعة ١٥٧/١٨.

^{٩١} الماوردي: أدب القاضي، ٣٢٠/٢.

^{٩٢} الماوردي: أدب القاضي، ٣٨٧/٢، وذكره المقيد في الإرشاد ص ١١٣.

^{٩٣} الزركلي: خير الدين، الأعلام، ٩٩/٦.

فـحـول قـتـال أـهـل الـبـغـي أـورـد الـفـرـاء ؟

وقد عرض قوم من الخوارج لعلي رضي الله عنه بمخالفة رأيه ، وقال أحدهم وهو يخطب على منبره ((لا حكم إلا لله تعالى)) فقال علي : ((كلمة حق أريد بها باطل))، لكم علينا ثلاث : لا نمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسم الله ، ولا نبدؤكم بقتال ، ولا نمنعكم الفيء مادامت أيديكم معنا^{٩٣} .

واستنبط الفراء من كلام أمير المؤمنين عليه السلام ، إذا لم يخرج الخوارج عن المظاهره بطاعة الإمام ، ولم يتحيزوا بدار اعتزلوا فيها ، وكانوا أفراداً متفرقين تناهم القدرة وفتنه إليهم اليد ، تركوا ولم يحاربوا وأجريت عليهم أحكام أهل العدل في الحقوق والحدود .

أما إذا اعتزلت هذه الطائفة الباغية أهل العدل ، وتحيزت بدار تحيزت فيها ، نظرت فإن لم تمتتع من حق ، ولم تخرج عن طاعة ، لم يحاربوا ، ومورد الاستدلال هو موقف الخوارج من الإمام علي عليه السلام . عندما اعتزلت طائفة من الخوارج علياً رضي الله عنه بالنهروان ، فولى عليهم عملاً أقاموا على طاعته زماناً ، وهو لهم موادع إلى أن قتلوه ، فأرسلهم إليهم : سلموا قاتله ، فأبوا ، قالوا : كلنا قاتله ، قال فاستسلموا إذا أقتلتم ، فسار إليهم ، فقتل أكثرهم^{٩٤} .

و حول التسوية في الحكم بين القوي والضعف ، والشريف والمشروف ، ذكر هذه الحادثة : وقد روی عن شريح أنه قال : أصحاب أمير المؤمنين علي رضي الله عنه درعاً له سقطت منه وهو يريد صفين - مع يهودي ، فقال : يا يهودي هذه الدرع سقطت مني ليلاً ، وأنا اريد صفين - فقال : بل هي درعي وفي يدي ، فقدمه إلى شريح ، فارتفع على علي على اليهودي ، ثم قال لشريح : لو لا أنه ذمي جلستُ معه مجلس الخصوم^{٩٥} .

^{٩٣} حالة : عمر رضا ، معجم المؤلفين ، ٢٥٤/٩ .

^{٩٤} ذكر الكتاب كل من ترجم الحياة المؤلف لأنه من أشهر كتبه ، واعتمدنا النسخة المطبعة في إيران عام ١٤٠٦ للهجرة ، الناشر مكتب الأعلام الإسلامي وهي صورة عن النسخة المصرية تصحيح محمد حامد فقي .

^{٩٥} الفراء : الأحكام السلطانية ، ص ١٩ .

وفي فصل ولادة القضاء، وبعد أن ذكر الشروط التي يجب توفرها في القاضي، أردد الفراء قائلاً: والعلم بأنه من أهل الاجتهاد يحصل بمعرفة متقدمة، وباختياره ومسئلته، قد قلد رسول الله عليه السلام علياً قضاة اليمن، ولم يختبره لعلمه به، ولكن صار تنبئه على وجه القضاء، فقال: إذا حضر الخصمان بين يديك، فلا تقض لأحدهما حتى تسمع من الآخر، قال علي: مما أشكلت علي قضية بعدها^{٩٦}.

وحول الديوان وهو موضوع لحفظ ما يتعلق بحقوق السلطة من الأعمال والأموال ومن يقوم بها من الجيوش والعمال، وكان أول من وضع الديوان في الإسلام عمر بن الخطاب، فأما سبب وضعه فروي؛ أن عمر استشار الناس في تدوين الدواوين، فالآن علي بن أبي طالب: تقسم كل سنة ما اجتمع إليك من المال ولا تمسك منه شيئاً^{٩٧}. والإمام هو أحد الذين استشارهم الخليفة عمر كما هو مذكور في التاريخ.

الوزير نظام الملك المتوفى سنة ٤٨٥ للهجرة:

هو أبو علي الحسن بن علي بن إسحاق بن العباس الملقب نظام الملك قوام الدين الطوسي، كان في أولاد الدهاقين، واشتغل بالحديث والفقه، ثم اتصل بخدمة علي بن شاذان المعتمد عليه بمدينة بلخ، ثم قصد داود بن ميكائيل بن سلجوق والد السلطان ألب أرسلان فظهر له منه النصح والمحبة، فسلمه إلى ولده الب أرسلان، دبر أمره فأحسن التدبير، وبقي في خدمته عشر سنين، فلما مات الب أرسلان وازدحم أولاده على الملك وطُرد الملكة لولده ملك شاه فصار الأمر كله لنظام الملك وليس للسلطان إلا التخت والصيد، وأقام على هذا عشرين سنة، وكان مجلسه عامراً بالفقهاء والصوفية، وكان إذا سمع الأذان امسك عن جميع ما هو فيه، بنى المدارس والمساجد،

^{٩٦} الفراء: الأحكام السلطانية، ص ٥٤ وأورده الماوردي أيضاً في الأحكام السلطانية ص ٥٨، وقد أورده الطبرى في تاريخ الأمم والملوك المجلد ٣ الصفحة ١١٤ ، ذكره مع تغيير.

^{٩٧} الفراء: الأحكام السلطانية، ص ٥٥ ، وذكره الطبرى مع تغيير في تاريخ الأمم والملوك. المجلد ٣/الصفحة ١٢٠ .

وأشهرها مدرسته ببغداد الذي شرع ببنائها سنة سبع وخمسين وأربعينات^{٩٨}. من كتبه أمالى نظام الملك في الحديث ، مطبوع من المنشورات الحديثة^{٩٩}.

سير الملوك ((سياسة نامه))^{١٠٠}

مكتوب باللغة الفارسية ، طُبع بطبعتين ، الأولى سياسة نامه ، والثانية بعنوان سر الملوك جاء في المقدمة.

أما علاقة الكتاب بنهج البلاغة فيفترض عن عهد نظام الملك قد شهد انتشار نهج البلاغة وبلغ صيته مدى واسع ، وقد أخذ الكثير من كلمات أمير المؤمنين واستشهد بهواقه.

ففي الصفحة ١٦٦ من سير الملوك أورد جواب أمير المؤمنين عليه على سؤال سئل ، أي الرجال أشد قوة؟ أجاب الإمام من ملك نفسه عند الغضب ، ولم يفعل ما يندم عليه.

وفي الصفحة ١٨٠ من (فصل عدم التعلج في الأعمال) نقل هذا الكلام عن أمير المؤمنين عليه: الثاني محمود في كل شيء إلا في عمل الخير.

وإلى جانب ذلك أورد نظام الملك مواقف عديدة من سيرة الإمام ومحاوراته مع الرسول الأكرم . والكتاب برمته هو محاولة من المصنف لوضع خطوط عامة أمام السلطان لإدارة دفة البلاد.

أبو حامد الغزالى المتوفى سنة ٥٠٥ للمحاجة:

هو محمد بن محمد بن أحمد الغزالى الملقب بحجۃ الإسلام زین الدين الطوسي الشافعى ، لم يكن للطائفة الشافعية في آخر عصره مثله ، واختلف إلى دروس إمام الحرمين أبي

^{٩٨} الفراء: الأحكام السلطانية، ص ٦٦ ، وذكره ابن الأثير في الكامل بهذا الشكل ؛ وجد علي درعاً له عند نصرياني فأقبل به إلى شريح، وجلس إلى جانبه، وقال لو كان خصمي مسلماً لساويته، وقال: هذه درعي! فقال النصرياني: ما هي غلا درعي، ولم يكذب المؤمنين؟ فقال شريح لعلي: ألم بيّنة؟ قال: لا، وهو يضمك، فأخذ النصرياني الدرع ومشي يسيراً ثم عاد وقال: اشهد أن هذه أحكام الأنبياء.. أمير المؤمنين قد مني إلى قاضيه، وقاضيه يقضى عليه، ثم أسلم واعترف أن الدرع سقطت من علي عند مسيره إلى صفين، ففرح علي بإسلامه، ووهب له الدرع وفرساً (ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٤٠١/٣).

^{٩٩} الفراء: الأحكام السلطانية، ٦٢ ، ذكره النسائي في الحصائر ص ١٥.

^{١٠٠} الفراء: الأحكام السلطانية، ص ٢٣٧ ، وذكر الماوردي في الأحكام السلطانية ص ١٩٩ ، أما الطبرى فينقل الحادثة بصورة أخرى فيدرك ولما أراد عمر وضع الديوان قال له علي وعبد الرحمن بن عوف ابدأ بنفسك. قال: لا بل أبداً بعم رسول الله • (ص) ثم الأقرب فالاقرب. (الطبرى تاريخ الأمم والملوك المجلد ٢ ، ص ٤٥٢).

المعالي الجويني، وكان أستاذه يتبرج به، ولم يزل ملازماً له إلى أن توفي، فخرج من نيسابور إلى العسكر، ولقي الوزير نظام الملك فأكرمه وعظمه، وفوض إليه تدريس مدرسته الناظامية بمدينة بغداد^{١٠١}، فيلسوف، متتصوف، له نحو مائتي مصنف، مولده ووفاته في الطابران قصبة طوس بخراسان، نسبته إلى صناعة الغزل، عند من يقول بتشديد ال Azerbaijani: [الزاي](#)، أو إلى غزله (من قرى طوس) لمن قال بالتفخيف^{١٠٢}. من أهم كتبه ((إحياء علوم الدين)) و((تهافت الفلسفية)) و((الاقتصادي في الاعتقاد)) و((المنقد من الضلال)) و((فضائح البطانية)) و((الولدية)) وكتب أخرى، والغالب على كتبه الجانب الأخلاقي والعقدي والرد على المذاهب الفكرية والعقدية.

ومن بين كتبه ((التبر المسبوك في نصيحة الملوك)) كتبه بالفارسية، وهو من مصادر الفكر السياسي الإسلامي.

التبر المسبوك في نصيحة الملوك^{١٠٣}

وهو كتاب أخلاقي صغير كتبه أبو حامد الغزالى للسلطان محمد بن ملكشاه السلجوقي بالفارسية ثم عربه بعضهم ونقله محمد بن علي المعروف ((بعاشق جلبي)) إلى التركية^{١٠٤} وتأثير كلمات أمير المؤمنين عليهما عليهما على الكتاب أمر ملموس في مجالين؛ الأول الطريقة التي تم بها صياغة الكتاب وهي على شكل وصايا الإمام إلى أولاده، وال المجال الثاني هو نقل أقوال وموافق الإمام عليهما عليهما . ويكتفي أن نشير إلى ما ذكره جلال الدين همداني محقق النسخة الفارسية عند حديثه حول مصادر الكتاب ما يقول :

إن من بين تلك المصادر خطب وكلمات أمير المؤمنين عليهما عليهما^{١٠٥}.

^{١٠١} ابن خلkan: وفيات الأعيان، ١٢٨/٢.

^{١٠٢} الزركلي: خير الدين، الأعلام، ٢٠٢/٢.

^{١٠٣} ذكره أبو حامد الغزالى في كتابه نصيحة الملوك (التبر المسبوك في نصائح الملوك) ص ١٢٢. اعتمدنا نسختين الأولى طبعت سنة ١٣٩٧هـ. الطبعة الثانية سنة ١٣٦٤هـ ش الناشر، وزارة التعليم العالى في إيران.

^{١٠٤} ابن خلkan: وفيات الأعيان، ٤/٢١٦-٢١٧.

^{١٠٥} الزركلي: خير الدين، الأعلام، ٧/٢٢.

وأول ما يبدأه الغزالى هو التحذير من مغبة الظلم، وإن هناك من هو فوق الملوك والسلطانين من يأخذ حق المظلوم من الظالم. فيورد كلاماً لأمير المؤمنين عليه السلام **ويل لقاضي الأرض من قاضي السماء.**

ثم يتناول بالشرح سياسة الوزراء وسير الوزراء فيذكر عن كاتب أمير المؤمنين عبد الله بن رافع، قال :

كنت أكتب كتاباً، فقال لي أمير المؤمنين : يا عبد الله ألق دواتك، وأطلق جلفة قلمك، ووسع بين السطور، وأجمع ما بين الحروف^{١٠٦}. وهو تأكيد على أهمية الاقتصاد وأهمية تحسين الخط أثناء كتابة الرسائل.

ثم ينقل حماورة فاطمة الزهراء عليها السلام مع أمير المؤمنين عليه السلام^{١٠٧} :

كانت فاطمة رضي الله عنها تطحن كثيراً بالجاروشة حتى أدمت أناملها فشككت ذلك في بعض الأيام إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال لها علي : قولي لا يك ليتاع لك خادمة^{١٠٨}.

أبو بكر الطروشى المتوفى سنة ٥٦٠ للهجرة:

هو محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب القرشي الفهرى الأندرسى الطروشى الفقيه المالكى الزاهد المعروف بابن أبي رندقة، صحب أبا الوليد الجاجى وقرأ الأدب على أبي محمد بن خرم بمدينة اشبيلية، ورحل إلى المشرق سنة ست وسبعين وأربعين، وحج ودخل بغداد والبصرة، وكان إماماً عالماً زاهداً ورعاً ديناً متواضعاً متقدلاً من الدنيا راضياً منها باليسر^{١٠٩} وهو من أهل طرطوشة TARTOSA بشرقي الأندرس، سكن الإسكندرية

^{١٠٦} ذكره حاجى خليفة فى كشف الظنون، ٣٣٧/١ بعنوان آخر وهو التبر المسبوك فى نصائح الملوك، وذكره البغدادى فى هدية العارفين، ٨٠/١، اعتمدنا الأصل الفارسي، تصحيح جلال الدين همدانى، والنسخة العربية المطبوعة عام ١٣٠٦، ج ١، المطبعة الخيرية المنشأة بجمالية مصر.

^{١٠٧} حاجى خليفة: كشف الظنون، ٣٣٧/١.

^{١٠٨} الغزالى: نصيحة الملوك، ص ٦٨.

فتولى التدريس واستمر فيها إلى أن توفي ، وكان زاهداً لم يثبت من الدنيا بشيء من كتبه ((سراج الملوك)) و((التعليقة)) في الخلافيات ، خمسة أجزاء ، وكتاب كبير عارض به إحياء علوم الدين للغزالى و((بر الوالدين)) و((الفتن)) و((الحوادث والبدع)) و((مختصر تفسير الشعبي))^{١٠٩} ونزل بيت المقدس^{١١٠}.

سراج الملوك^{١١١}:

اشتمل الكتاب كما ذكر حاجي خليفة : على جمع من سير الأنبياء وأثار الأولياء ومراجعات (مواقع) العلماء وحكمة الحكماء ونواذر الخلافاء ورتبه ترتيباً أنيقاً ، فيما سمع به ملك إلا استكتبه ، ولا وزير إلا استصحبه ، يستغني الحكيم بمدارسته عن مباحثة الحكماء والملك عن مشاورة الوزراء ، وذكر فيه الأمير أبا عبد الله محمد الأموي ، وأبوابه أربعة وستون باباً^{١١٢} .

وقد تضمن الكتاب مجموعة من خطب وكلمات الإمام علي عليه السلام ، وبعض كلماته جرت على قلمه بعقوبة دون أن يذكر اسم الإمام ، ويظهر من كثرة إيراده لكلمات الإمام عليه السلام ، إنه نهل من نهج البلاغة حتى ارتوى به قلمه الذي أخذ يسيطر على القرطاس بإيقاع من بلاغة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وفيما يلي بعض ما أورده.

أورد في الصفحة (٧) محاورة الإمام أمير المؤمنين مع أسقف قد أسلم ، وجاءت المحاورة ضمن موعظ ابن السماك لهارون الرشيد.

١- أورد على الصفحة (١١) الأبيات الشعرية التي قالها الإمام ، عند دفن السيدة الزهراء سلام الله عليها ومطلعها :

لكل اجتماع من خليلين فرقه^{١١٣}
وإن الذي دون الممات قليل

^{١٠٩} الغزالى : التبر المسووك ، ص ٣٠٩ وفي النسخة الفارسية ص ١٩٣ ، وارد الشريف الرضا كلام أمير المؤمنين بهذا الشكل ، ألق دواتك ، وأطل جلقة قلمك ، وفوج بين السطور ، وقرفط بين الحروف ، فإن ذلك أجر بصاحة الخط (نهج البلاغة الملحق ص ٢١٦).

^{١١٠} ذكره ابن حجر في الإصابة في تبييز الصحابة ، ١٥٩/٨.

^{١١١} ابن خلkan: وفيات الأعيان ٢٦٢/٥٤.

^{١١٢} الزركلي: خير الدين، الأعلام ١٣٣/٧.

^{١١٣} كحالة: عمر رضا ، ٩٦/١٢.

٢- أورد على الصفحة (٢٣) وصية الإمام أمير المؤمنين إلى الحسن والحسين والتي مطعها:
أوصيكم بتقوى الله والرغبة في الآخرة.^{١١٤}

٣- أورد على الصفحة (٢٤) هذه الرواية:

وروى أن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) لما رجع من صفين، فدخل أوائل الكوفة فإذا هو بقبر، فقال قبر من هذا؟، فقالوا: قبر خباب بن الأرث فوقف عليه، وقال: رحم الله خباباً أسلم راغباً، وهاجر طائعاً، وعاش مجاهداً وابتلى في جسمه آخرًا.. ثم وقف على القبر وقال:
السلام عليكم أهل الديار الموحشة، والمال المقرفة.^{١١٥}

٤- وفيما جاء في الولاية والقضاء، وما في ذلك من الغرور والخطر، نقل في الصفحة ٣٤ هذه الرواية عن الإمام علي عليه السلام:

وروى علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) قال: بعثني رسول الله عليه السلام إلى اليمن وأنا حديث السن، فقلت: يا رسول الله إنك تبعثني إلى قوم شيوخ ذوي أسنان... إلى آخر.^{١١٦}

٥- وفي بيان الحكمة في كون السلطان في الأرض، أورد على الصفحة (٣٩) العلة من كلام أمير المؤمنين عليه السلام، لهذا قال علي بن أبي طالب: أمران جليلان لا يصلح أحدهما بالتفرد ولا يصلح الآخر بالمشاركة وهم الملك والرأي.

٦- ثم يفرد باباً لوصية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى كميل بن زياد (هو الباب ٢٢ ص ٥٣) ومطلع الوصية: يا كميل إن القلوب أوعية، فخيرها أوعاها، فاحفظ عني ما أقول لك... إلى آخر الوصية.^{١١٧}

٧- في الباب (٢٣) في العقل والدهاء والخبث أورد في الصفحة (٥٥) أبيات للإمام أمير المؤمنين مطعها:

^{١١٤} ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون ٩٨٤/٢ راجعنا ط ١ سنة ١٣٠٦ هـ المطبعة الخيرية في مصر.

^{١١٥} حاجي خليفة: كشف الظنون، ٩٨٤/٢.

^{١١٦} أوردها العاملبي في أعيان الشيعة، ٥٥٢/١ مع تغيير طفيف.

^{١١٧} أورد الشريف الرضي هذه الوصية على الصفحة ١٦٩ من نهج البلاغة (الملحق).

إن المكارم أخلاق مطهرة فالعقل أولها والدين ثانيها

٨- وأورد في الصفحة (٥٦) في نفس الباب قول أمير المؤمنين عليه السلام : خير الأمور الأوسط ، إليه يرجع العالى ، ومنه يلحق التالى .^{١١٨}

٩- في الباب (٢٨) في الحلم أورد على الصفحة (٦٦) قول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام : الصفح الجميل ، الرضا بلا عتاب.

١٠- ويدرك على الصفحة (٦٧) وسئل علي بن أبي طالب رضي الله عنه كثيراً من كبراء فارس ، ومن أحد ملوكهم عندهم ، فقال ؛ لأردشير فضل السبق غير إن أحمد لهم سيرة أنوشروان ، قال : فأي أخلاقه كان أغلب عليه ، قال : الحلم والأناة . فقال علي رضي الله عنه : مما توأم يتوجهما على الهمة .^{١١٩}

١١- وفي الباب (٣٠) في الصفحة (٧٤) في الجود والشفاء ، ويدرك هذه الحكمة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام : ماجمعت من المال فوق قوتك فإنما أنت فيه خازن لغيرك .^{١٢٠}

١٢- وفي الباب (٣٢) على الصفحة (٧٩) يورد الطرطوشى في الصبر (من صفات السلطان) الصبر مطية لا تكتبو والقناعة سيف لا ينبو .^{١٢١}

١٣- ويدرك قوله عليه السلام للأشعث بن قيس على الصفحة (٨٠) حول الصبر والجنزع ؛ إن تجزع فقد استحق ذلك منك بالرحم وإن تصبر ففي ثواب الله تعالى خلف من ابنك ، إن تصبر جرى عليك القلم وأنت مأجور وإن جزعت جرى عليك القلم وأنت مأذور .^{١٢٢}

^{١١٨} أوردها الشريف الرضي على الصفحة ٢٠٠ من نهج البلاغة (الملحق).

^{١١٩} ذكرها النسائي في الحصائص ص ١٥.

^{١٢٠} أوردها الشريف الرضي : نهج البلاغة (الملحق) ص ٢٠١.

^{١٢١} أورد الشريف الرضي : كلام أمير المؤمنين (ع) بهذا الشكل ؛ ول يكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق ، (نهج البلاغة الملحق ص ١٧٣).

^{١٢٢} أورد الشريف الرضي ، كلام أمير المؤمنين (ع) : الحلم والأناة توأمان يتوجهما على الهمة (نهج البلاغة الملحق ص ٢٢٧).

١٤- وعلى الصفحة (٨١) أورد كلمة أخرى للإمام في عاقبة الصبر: والصبر كفيل بالنجاح والتوكل لا يحبطه والعاقل لا يذل بأول نكبة ولا يفرح بأول رفع. الصبر مناضل للحدثان والجزع من أعوان الزمان .^{١٣٣}

١٥- وفي الباب (٣٣)، ص (٨٤) و حول كتمان السر أورد هذه الحكمة: سرك أسيرك، فإذا تكلمت به صرت أسيرة .^{١٣٤}

١٦- و حول الشكر أورد في الصفحة (٨٨) قال علي عليه السلام : لا تكون من يعجز عن شكر أو تحيي ويستغى الزبادة فيما يقى، ينهى ولا ينتهي، ويأمر الناس بما لا يأتي، تحب الصالحين ولا تعمل بأعمالهم، وتبغض المسيئين وأنت منهم تكره الموت لكثرة ذنوبك ولا تدعها في طول حياتك .^{١٣٥}

١٧- وفي الباب (٤٧) في سيرة السلطان في بيت المال في الصفحة (١٠١) يورد هذا الموقف للإمام أمير المؤمنين عليه السلام : عندما أشرف على بيت المال وفيه مال، فقال: يا بيضاء ، يا حمراء ، يا بمضي ، واحمرى وغري غيري ، ثم أمر فقسم جميع ما فيه على المسلمين ، وأمر قنبرأن يكنسه ويرشه ثم دخل فصلى فيه ، ويعلق الطروشي على هذا الموقف قائلاً : ثم كثير من الملوك سادوا في الأموال على نحو هذه السيرة من ملوك الإسلام وملوك الروم.

١٨- وفي باب (٤٩) في سيرة السلطان في الأنفاق من بيت المال وسيرة العمال ، على الصفحة (١٠٧) ، وقال سعيد بن جبير إن علياً رضي الله عنه قدم الكوفة وهو خليفة وعليه إزاران قطريان قد رقع إزاره بخرقة ليست بقطدرية من ورائه فجاءه أعرابي فنظر إلى تلك الخرقه فقال: يا أمير المؤمنين ، كل في هذا الطعام والبس واركب فإنك ميت ، أو مقتول. فقال: إن هذا خير لي في صلاتي ، وأصلاح لقلبي وأشبه بشبه الصالحين قبلى وأجد ان يقتدى به من أتى من بعيد .

١٩- الباب (٥٥) في معرفة حسن الخلق على الصفحة (١١٩) يذكر هذه الرواية. أن عليا عليه رضي الله عنه دعا غلاما له ، فلم يجده فدعاه ثانياً وثالثاً فلم يجده ، فقام إليه فرأه مضطجعاً ، فقال:

^{١٣٣} أورده الشريف الرضا : نهج البلاغة الملحق ص ٢٠٥.

^{١٣٤} ذكره روي شهري في ميزان الحكمة : ٢٥٧/٥.

^{١٣٥} أورده الشريف الرضا ، نهج البلاغة (الملحق) ص ٢١٤.

أما تسمع يا غلام . فقال : نعم . قال : فما حملك على ترك جوابي ؟ قال : أمنت عقوبتك فتكاصلت . فقال : إمض فأنت حرّ لوجه الله .

٢٠- وذكر قول الإمام علي عليه السلام في الصفحة ١١٩ : أنا لنصلح أكفاراً نرى قطعها .

٢١- الباب (٦١) في ذكر الحروب وتدبرها وحيلها وأحكامها . يورد في الصفحة (٤٦) عند رفع المصحف ، قال الإمام علي عليه السلام : أي قوم ، هذه مكيدة .

٢٢- الباب (٦٣) وهو جاء مع أخبار ملوك العجم ، ينقل كلام أمير المؤمنين : قيمة كل أمرئ ما يحس على لسان المأمور^{١٣٦} .

٢٣- الباب (٦٤) وعلى الصفحة (١٥٩) اورد هذا الكلام لأمير المؤمنين عليه السلام : ما أهمني ذنب أمهلت بعد حتى أصلي ركعتين^{١٣٧} .

٢٤- وفي الصفحة (١٦٣) يذكر مجموعة حكم للإمام أمير المؤمنين عليه السلام : الساكت أخو الراضي ، الكاتم للعلم كمن لا علم له ، المرء مخبوء تحت لسانه ، قيمة كل أمرئ ما يحسن ، الحكمة ربيع القلوب ، الخصومة تكشف العورة وتورث المرة ، تجوع الحرة ولا تأكل بشديها ، الغضب عند المناظرة منشأة للحجارة ، إذا فسد الأمان كسدت الفضائل وضررت ونفقت الرذائل ونفعت ، وصار خوف الموسر أكثر من خوف المعرس ، وكلمات أخرى لا مجال لذكرها^{١٣٨} .

٢٥- وفي الصفحة ١٦٥ أورد الطرطوشى ، جملة من حكم الإمام السياسية التي ترتبط بسياسة الدولة وإداراتها ؛ وقال علي رضي الله عنه : ما يظل فعل الله ينططق به غثث خير من سمين غيرك . إن أحببت أن لا يفوتك ما تشتهي فأشتته ما يمكنك من قصد أسهل . أقطع الشر عن صدر غيرك بقطعة من صدرك ، وازجر المسيء بإبانية المحسن لكي يرغب في الإحسان ، لن يهلك من مالك ما وعظك ، الخلاف يهدم الرأي ، خير الناس لغيره خيرهم لنفسه ، إحسان الله مكفور عند من أصبح مصراً على ذنب مستور .

^{١٢٦} أورد الشيف الرضي بهذا الشكل ؛ الصبر ينضل الحدثان ، والجزع من أعون الزمان .

^{١٢٧} ذكر الآمدي في غير الحكم : ٤٣٧/١ . (نهج البلاغة الملحق ص ٢٠٦) .

^{١٢٨} وهي من مواضع المشهورة ذكرها الشيف الرضي (نهج البلاغة الملحق ص ٢٢٥) .

يصير التخلق خلقاً بالاجتهاد والاعتياد، الحجر الغصيб في البنيان وهن على الخراب، ربما شرق شارب الماء قبل ريه، ربرأي أفعى من مال وحزم أقوى من رجال، من إستوعب الحال شاقت نفسه إلى الحرام، من ذم الزمان لم يحمد الاخوان، بتقلب الأحوال نعلم جواهر الرجال، من عرف الزمان لم يحتاج إلى ترجمان، من عرف الأيام لم يغفل عن الاستعداد، رسولك ترجمان عقلك، الطاعة غيمة الأكياس عند تفريط العاجز، كلما اشتد الظلام حسن ضوء السراج، الشاء بأكثر من الاستحقاق ملقي والتقصير عن الاستحقاق عمى أو حسد، أولى الناس بالرحمة من احتاج إليها فحرمان من لم يدر قدر البلية لم يرحم أهلها. كفاك أدباً لنفسك ما كرهته لغيرها، مجالسة الأحمق غرور والقيام عنه ظفر، لا تسأل عما لم يكن فإن في الذي كان شغل، البخل جامع لمساويء العيوب وهو زمام يقاد به إلى كل سوء^{١٢٩}. يتبعنا ما تقدم إن كتاب سراج الملوك من الكتب التي يمكن اعتبارها مصدراً من مصادر نهج البلاغة بالرغم من أن الكتاب قد كتب بعد أكثر من مائة عام من تأليف نهج البلاغة . فقد تضمن الكتاب مجموعة كبيرة من كلمات أمير المؤمنين عليه السلام ، التي ترتبط بالحكم والإدارة وأخلاق الحاكم وعلاقة الحاكم بالرعية ، وفي نفس الوقت يعتبر هذا الكتاب مصدراً مهماً من مصادر الفكر السياسي ، فقد اعتمده كمصدر كل من كتب في هذا المجال ، ولا غرو أن يتخد من أفاد ذالفكر السياسي والاجتماعي مما عبد الرحمن بن خلدون وابن الأزرق كمصدر لكتابيهما (المقدمة) و (بدائع السلوك في طبائع الملك).

ابن أبي الربيع عاش في القرن السابع الهجري:

هو أحمد بن محمد بن أبي الربيع ، شهاب الدين ، أديب كان من رجال المعتصم (كما يذكر الزركلي).

سلوك المالك في تدبير المالك^{١٣٠} :

^{١٢٩} أورده الشريف الرضي بهذا الشكل ؛ قيمة كل أمرئ ما يحسنـه (نهج البلاغة الملحق ص ١٩٥).

^{١٣٠} أورده الشريف الرضي بهذه الصورة ؛ مأهمني ذنب أمهلت بعد حتى أصلـي ركعتـين ، وأسأل الله العافية (نهج البلاغة الملحق ص ٢٢٥).

يحاول المصنف في هذا الكتاب ومن خلال الأقوال التي ينقلها عن الحكماء والعلماء أن يرسم خطوطاً محددة لسياسة الدولة يتتفع بها الخليفة العباسي. وعلى رأس أولئك الذين نقل عنهم أمير المؤمنين عليهما السلام، فقد جاء كتابه زاخراً بكلمات الإمام وأفكاره بعضها أشار فيها إلى الإمام والبعض الآخر لم يشر فيها، إلا أنها واضحة بينة فعلى الصفحة ٨١ يذكر في تأديب الأولاد؛ وأما الولد في ينبغي أن يؤخذ بالأدب من صغره، فإن الصغير أسلس قياداً وأسرع موataة، ولم تغلب عليه عادة تمنعه من إتباع ما يردد منه، ولا له عزيمة تصرفه مما يؤمر به، فهو إذا اعتاد الشيء ونشأ عليه خيراً كان أو شراً لم يكدر ينتقل عنه^{١٣١}.

و هذا الكلام مأخوذ من كلام أمير المؤمنين عليهما السلام:
وأما القلب الحدث بالأرض الحالية، ما ألقى فيها من شيء قبلته^{١٣٢}. و على هذا فقس ما سواه من الأفكار والأقوال.

فكل فقرة من الكتاب مطعمة بروح نهج البلاغة وكلمات الإمام علي عليهما السلام، وفي بعض الأوقات لا يرى بأساً من ذكر الإمام علي عليهما السلام، دون أن يذكر غيره.

ابن الطقطقي المتوفى سنة ٧٠٩ هـ:

هو محمد بن علي بن محمد بن طباطبا العلوى، ابو جعفر المعروف بابن الطقطقى، مؤرخ بحاث ناقد، من أهل الموصل، خلف أبيه سنة ٦٧٢ هـ في نقابة العلوين بالخللة والنجمف وكربلاء، وتزوج بفارسية من خراسان، وزار مراغه سنة (٦٩٦ هـ) وعاد إلى الموصل، فألف فيها سنة ٧٠١ كتابه (الفخرى في الآداب السلطانية والدول الإسلامية) وقدمه إلى واليهما (فخر الدين عيسى ابن إبراهيم)^{١٣٣}.

^{١٣١} أورد أكثرها الشريف الرضا في النهج.

^{١٣٢} أورد الشريف الرضا جميع تلك الكلمات في أماكن متفرقة من النهج.

^{١٣٣} ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون ص ١٠٠٠، وذكره البغدادي في إيضاح المكتون (٢٦/١) وقد راجعنا نسخة حجرية كاتبه محمد علي المخاساني كتب بتاريخ ١٢٨٦، القاهرة.

الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية^{١٣٤} :

وهو كتاب يخرج بين السياسة والأخلاق، ويحاول من خلاله أن يرسم للوالى الذى هدى اليه الكتاب برنامجاً لإدارة أمور البلاد، وقد ابرز المصنف كفاءته في الفكر السياسي وذخيرته من اقوال الأئمة والعلماء في هذا الكتاب. ولا يشك في أن نهج البلاغ هو مصدره الأول عند تأليف الكتاب. وقد ذكر هذه الحقيقة بنفسه في مقدمة الكتاب ذاكراً اسم نهج البلاغة على غير عادة من سبقه من المفكرين السياسيين الذين ذكرناهم . والأكثر من ذلك ، ذكر لنا ابن الطقطقى ، حقيقة هامة قلما نجد من يعترف بها إلا من ملك الجرأة الأدبية الكافية ولم يتحيز إلى فتنة ، فقد ذكر في مقدمة الكتاب إن الناس كانوا متوجهين صوب المقامات الحريرية والبدعية ، فعدل الناس إلى نهج البلاغة من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام ، فإنه الكتاب الذي يتعلم منه الحكم والمواعظ والخطب والتوحيد والشجاعة والزهد وعلو الهمة وأدنى فوائده الفصاحة والبلاغة^{١٣٥} .

العلامة الحلي المتوفى سنة ٧٤٦ للهجرة:

هو جمال الدين أبو منصور الحسن بن سعيد الدين يوسف بن زين الدين علي بن محمد ابن مطهر الحلي المعروف بالعلامة الحلي.

ولد سنة ٦٤٧ هـ في الحلة وتوفي فيها ، من أشهر علماء الشيعة ، يقول عنه السيد محسن العاملي هو العالمة على الإطلاق الذي طار ذكر صيته في الآفاق ولم يتفق لأحد من علماء الإمامية أن لقب بالعلامة على الإطلاق غيره^{١٣٦} .

و من كتب العالمة (كتاب منهاج الكرامة في إثبات الإمامة). وقد حفل الكتاب بالكثير من كلمات وخطب الإمام أمير المؤمنين عليهما السلام ، فأورد في الصفحة ٣٣ عن أحمد بن حنبل في تفسيره للأية

^{١٣٤} ابن أبي الربيع : سلوك المالك في تدبير المالك ، ص ٨١.

^{١٣٥} الشريف الرضي : نهج البلاغة (المحلق) ص ١٥٧ .

^{١٣٦} الزركلي : خير الدين ، الأعلام ، ٢٨٤ - ٢٨٣ / ٦ ، وفخر الدين عيسى بن غبراهيم ، هو عامل السلطان المغولي على الموصل ، هيوار : دائرة المعارف الإسلامية ، ٢١٧ / ١ .

(إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة) ، قال أمير المؤمنين عليه السلام : ما عمل بهذه الآية غيري ونبي خفف الله تعالى عن هذه الأمة .^{١٣٧}

وأورد أيضاً في نفس الصفحة عن محمد بن كعب القرطي ، قال : افتخر طلحة بن شيبة وافتخر عباس بن عبد المطلب ، وعلي بن أبي طالب عليهما السلام ، قال علي : ما تقولات لقد صليت إلى القبلة ستة أشهر قبل الناس وأنا صاحب الجهاد .^{١٣٨}

وينقل في الصفحة ٢٤ خصيصة لأمير المؤمنين عليه السلام ، قال : انطلقت أنا والنبي صلى الله عليه وآله حتى أتينا الكعبة ، فقال لي رسول الله عليه السلام : اجلس فصعد على منكبِي فذهبَ لأنهض به فرأى في ضعفاً فنزل وجلس لي النبي الله وقال : أصعد على منكبِي فصعدت على منكبِه. قال : فنهض بي ، قال : فإنه تخيل لي أني لو شئت لنلت أفق السماء حتى صعدت على البيت وعليه تمثال من صفر ونحاس فجعلت أزواله عن يمينه وعن شماله وبين يديه ومن خلفه حتى إذا استمكنت منه ، قال لي رسول الله عليه السلام : أقذف به. فقذف به فنكسر كما تنكسر القوارير. ثم نزلت فانطلقت أنا ورسول الله صلى الله عليه وآله نسبق حتى توارينا بالبيوت خشية أن يلقانا أحد من الناس .^{١٣٩}

وفي صفحة ٣٨ من الكتاب ينقل عن عامر بن وائلة ، قال : كنت مع علي عليه السلام في البيت يوم الشورى ، فسمعت علي عليه السلام يقول : لهم لأجتنج عليكم بما لا يستطيع عريكم ، ولا عجميكم تغيير ذلك ، ثم قال : انشدكم الله ايها النفر... ثم ذكر خطبة طويلة للإمام عليه السلام يُبين فيها فضله وما ثراه .

ويسجل العلامة الحلي موقفاً آخر للإمام أمير المؤمنين عليه السلام عندما أصر على إجراء الحد على الوليد بن عتبة ، حده أمير المؤمنين ، وقال : لا يطلي حد الله وأنا حاضر ، ويدخل عليه رجل فوجده يأكل طعاماً متواضعاً فتعجب من ذلك ، فقال لأمير المؤمنين عليه السلام : بأبي أنت وأمي من لم

^{١٣٧} ذكره الزركلي في الاعلام ، ٦ ، ٢٨٤ ، وكحالة ، في معجم المؤلفين ، ١١ / ٥١ ، راجعنا النسخة المصرية المطبوعة سنة ١٣٤٠ للهجرة في المطبعة الرحمنية.

^{١٣٨} ابن الطقطقي : الفخرى في الآداب السلطانية ، ص ١١ .

^{١٣٩} العاملي : السيد محسن الأمين ، أعيان الشيعة ، ٥ / ٢٩٦ .

ينخل له طعام (رسول الله) ولم يشبع من خبز البر ثلاثة أيام حتى قبضه الله عز وجل واشتري يوما ثوبين غليظين فخير قنبرا فيها ، فأخذ واحداً ولبس هو الآخر ، ورأى في كمه طولاً عن أصابعه . فقطعه.

ويذكر موقفاً آخر للإمام علي عليه السلام تجلى منه صلته بالله وهو في أشد الساعات . يذكر على الصفحة ٧٤ ، قال ابن عباس : رأيته في حرب مع معاوية بن أبي سفيان وهو يرقب الشمس ، فقلت يا أمير المؤمنين ماذا تصنع ، فقال : أظظر إلى الزوال لأصلني فقلت في هذا الوقت ؟ فقال : إنما نقاتلهم على الصلاة . وهكذا يأخذ العلامة الحلي في سرد مآثر وموافق أمير المؤمنين عليه السلام ، موقف له في قضية قضائية مستعصية ، عجز عن حلها الآخرون ، وموقف له في غزوة أحد فر الكثير من ساحة الجهاد وبقي هو ونفر قليل من بني هاشم ، وموافق أخرى لا مجال لذكرها لكثرتها .

إبراهيم الشاطبي المتوفى ٧٩٠ للمحروة :

هو إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي : أصولي حافظ ومن أهل غرناطة ، كان من أئمة المالكية ^{١٤٠} .

وهو محدث فقيه أصولي ، لغوي ، مفسر ^{١٤١} .

من كتبه (الموافقات في أصول الفقه) و (المجالس) شرح به كتاب البيوع من صحيح البخاري و (الإفاءات والإنشاءات) رسالة في الأدب ، نشرت نبذة منها في مجلة المقتبس و (الاعتراض) .

الاعتراض ^{١٤٢} :

يتناول الكتاب البدعة وأحكامها ، فهو كتاب فقهي يتعرض لمسألة سياسية اجتماعية ثقافية هي البدعة .

^{١٤٠} الجادلة ١٢/ .

^{١٤١} النسائي : الخصائص ، ص ٥٦ .

^{١٤٢} ابن الصياغ المالكي المتوفي سنة ٨٥٥ هـ : الفصول المهمة ، ص ١٢٤ - ١٢٥ .

وقد احتوى الكتاب على مجموعة من مواقف وكلمات الإمام علي عليه السلام، تتعلق بهذا الموضوع، فقد تعرض الإمام أمير المؤمنين لظاهرة البدع في زمانه ومنها ظهور مذهب الخوارج، فماذا كان موقف الإمام من الخوارج؟

يذكر الشاطبي في الصفحة (٤٢) قال ابن الكواء على علي، فقال: يا أمير المؤمنين من الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً؟
قال: فهم أهل حرر راء.

وقد تكون البدعة حسنة، وهنا يضرب الشاطبي مثالاً على البدعة الحسنة بطلب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من أبي الأسود الدؤلي يوضح شيء في النحو^{١٤٣}.

وقد تكون البدعة هو الإفراط في التعبد ويضرب مثالاً على ذلك في الصفحة ٢٨١ من الجزء الأول. روى عن الربيع بن زياد الحارثي أنه قال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: أعدى على أخي عاصم. قال: ما باله؟ قال: ليس العباء يريد النسك. فقال علي رضي الله عنه: علي به، فأتى مؤترراً بعبأة مرتدية بالآخرى، شاعت الرأس واللحية، فعبس في وجهه، وقال: ويحك، أما استحييت من اهلك؟ أما رحمت ولدك؟ أترى الله أباح لك الطيبات وهو يكره أن تناول منها شيئاً؟
بل أنت أهون على الله من ذلك أما سمعت الله يقول في كتابه (والأرض وضعها للأئم..) إلى قوله (يخرج منها اللؤلؤ والمرجان)^{١٤٤}. أفترى الله أباح هذه لعباده ألا يتذلّوه ويحمدوا الله عليه فيشيّبهم عليه؟ وان ابتذالك نعم الله بالفعل خير منه بالقول. قال عاصم بما بالك في خشونة مأكلك، وخشونة ملبسك، قال: ويحك إن الله فرض على ائمة الحق أن يقدروا أنفسهم بضعة الناس^{١٤٥}.

^{١٤٣} النسائي: خصائص أمير المؤمنين، ص ٤٤ - ٤٥.

^{١٤٤} الزركلي: خير الدين، الأعلام / ٧٥ / ١.

^{١٤٥} كحالة: عمر رضا، معجم المؤمنين، ١١٨ / ١.

و مشكلة البدع تبع من تبعية الناس لبعض الرجال على اعتقاد أنهم أخيار في شرعيون لهم ما لم ينزل الله به من سلطان، ومن أجل ذلك أورد الشاطبي كلام أمير المؤمنين عليه السلام : إياكم والاستنان بالرجال ، فإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة ثم ينقلب لعلم الله .. إلى آخر الكلام .^{١٤٦}

وفي الجزء الثاني ينقل على الصفحة (١٤) عن البخاري في باب من حض بالعلم قوما دون قوم كراهة أن لا يفهموا عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : حدثوا الناس بما يعرفون ، أتحبون أن يكذب الله ورسوله .

و من أسباب رواج البدعة الشح ، ويذكر الشاطبي قوله لأمير المؤمنين عليه السلام : سيأتي على الناس زمان عضوض ، بعض الموسر على ما في يده ولم يؤمر بذلك .^{١٤٧}

وهناك بدعة حسنة في الأحكام منها ما ذكره على الصفحة ١١٨ الجزء الثاني عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام : من سكر هذى ومن هذى افترى ، فأرى عليه حد المفترى .^{١٤٨}

فالحكم جديد إذ لم يحدث شيء من هذا القبيل في زمان الرسول عليه السلام .

ثم يذكر الشاطبي : إن الخلفاء الراشدين قضوا بتضمين الضياع ، قال : علي رضي الله عنه (لا يصلح الناس إلا ذاك).

وفي بحث الفرق والفرقة الناجية ، ينقل الشاطبي عن ابن وهب هذا الحديث عن علي عليه السلام : إنه دعا رأس الجالوت وأسقف النصارى ، فقال : إني سألكما عن أمر وأنا أعلم به منكما ، فلا تكتما إلى أن يسألها ، الا ما أخبرتني على كم افترقت اليهود من فرقة بعد موسى ؟ فقال له : ولا فرقة واحدة . فقال له علي : كذبت والذي لا إله إلا هو . لقد افترقت على إحدى وسبعين فرقة كلها في النار إلا فرقة واحدة .

^{١٤٦} ذكره كحالة في معجم المؤلفين ، ١١٨/١ ، اعتمدنا النسخة المصرية بتعريف محمد رشيد رضا طبع المكتبة التجارية .

^{١٤٧} ذكره بالتفصيل ابن خلkan في وفيات الاعيان ، ٥٣٥/٢ .

^{١٤٨} الرحمن من آية ٢٢ - ١٠ .

علي بن هذيل عاش في القرن الثامن الهجري:

هو علي بن عبد الرحمن بن هذيل الفزارى، أديب أندلسي من علماء الاجتماع، من كتبه (عين الأدب والسياسة وزين الحسب والریاسة) قدمه إلى السلطان محمد بن يوسف النصري سنة ٧٦٣ (حلية الفرسان وشعار الشجعان) و(مقالات الأدباء ومناظرات النجاء) و(الفوائد المسطرة في علم البيطرة) و(تحفة الأنفس وشعار سكان الأندلس) و(تذكرة من أتقى) .^{١٤٩}

عين الأدب والسياسة وزين الحسب والریاسة^{١٥٠}

و الكتاب مجموعة من الحكم المرتبطة بالحياة التي يستفيد منها الحاكم والرعية لإدارة أمور الحياة والمملكة، وهو تقدمة إلى السلطان محمد بن يوسف وبوب الكتاب على أساس بداية الكلام أو بداية الحديث أو بداية الحكمة، ثم على أساس العدد. ومنهج المؤلف في الكتاب يقوم على إيراد ما ورد عن النبي ﷺ من أحاديث وحكم في الأبواب المتعددة، وبعد الأحاديث النبوية يسرد ما جاء على لسان الآخرين من الأئمة والحكماء، وقد فصل هذا القسم من الحكم ووضع له عنوان (ومن الحكم المأثورة عن السلف وغيرهم) وفي هذا المكان أورد المؤلف الكثير من الكلمات القصيرة للإمام أمير المؤمنين علیه السلام مع ذكر اسم الإمام أو بدون ذكره، وقلما ذكر موعظة أو حكمة للنبي ﷺ إلا وأعقبها بموعظة للإمام علیه السلام ، وعندما لا يجد المصنف كلاماً للرسول ﷺ يستهل به الفصل وما يناسب الموضوع يادر إلى ذكر كلام للإمام أمير المؤمنين علیه السلام مثل ما صنع في الصفحة (١٠) (الفصل ثانية) ذكر المصنف في البداية قائلاً : لم أجده في هذا الفصل حديثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لابنه الحسن رضي الله عنه : يابني احفظ عني هذه الثمانية خصال .. إلى آخر وصيته . ومعنى ذلك إن المصنف يعطي للإمام منزلة رفيعة ، فهو يأتي بعد رسول الله ﷺ في الحكمة والموعظة والخطب والكلمات المأثورة لا ينazuه في هذا الموقع أحد من الحكماء والأدباء على رغم كثتهم ومتزتهم.

^{١٤٩} ذكره الكليني في الاصول من الكافي ، ٤١٠/١ .

^{١٥٠} الشاطبي : الإعتصام ، ٣١٣/١ .

لقد أكثر المؤلف من ذكر الإمام إثيلاء، وأورد في كتابه الكثير من كلماته وحكمه حتى اتخذه السيد عبد الزهراء الخطيب أحد مصادره في نهج البلاغة.^{١٥١}

محمد بن الأزرق متوفى ٨٩٦هـ:

محمد بن علي الأصبهي الأندلسي، أبو عبد شمس أبو عبد الله شمس الدين الغرناطي ابن الأزرق، عالم إجتماع سلك طريقة ابن خلدون من أهل غرناطة ، تولى القضاء بها إلى أن استولى عليها الأفرنج، فانتقل إلى تلمسان ثم إلى المشرق يستنفر ملوك الأرض لنجدة صاحب غرناطة ثم حج ورجع إلى مصر فجدد الكلام في غرضه، فدافعوا عن مصر بقضاء القضاة في بيت المقدس فتولاه بتنزاهة وصيانة، ولم تطل مدة هناك حتى توفي به ١٥٢.

من كتبه (الأبريز المسوبك في كيفية آداب الملوك) و(تحيير الرياسة وتحذير السياسة) و(بدائع السلك في طبائع الملك).

بدائع السلك في طبائع الملك^{١٥٣}:

يطغى على كتابات ابن الأزرق الطابع السياسي، وأهم ما كتبه هو بدائع السلك في طبائع الملك. وقد اعتمد فيه بالدرجة الأولى على المقدمة لابن خلدون وعلى سراج الملوك للطروشي وقد أورد في الكتاب ما أورده ابن خلدون والطروشي.

ففي الصفحة ٨٠ أورد حكاية عبيدة السلماني الذي أورده ابن خلدون قال عبيدة السلماني لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه : يا أمير المؤمنين ما بال أبي بكر وعمر أطاع الناس لهما والدنيا عليهما أضيق من شبر واتسعت عليها ووليت أنت وعثمان فلم يكونوا لكم فصارت عليكم من شبر فقال : لأن رعية أبي بكر وعمر كانوا مثل عثمان ورعايتها اليوم مثلك وشبهك .^{١٥٤}

^{١٥١} أورد الشريف ارضي ؛ سألي على الناس زمان عضوض ، بعض المؤسر فيه على ما في يديه ، ولم يُؤمر بذلك قال سبحانه ﴿وَلَا تنسوا الفضل بينكم﴾ تهد في الأشار ، وتذل الآخيار ويباع المضطرون (نهج الملحق ص ٢٢٨).

^{١٥٢} ذكره المفيد: الإرشاد، ص ١١٦.

^{١٥٣} الزركلي: خير الدين، الأعلام، ٢٢٩/٤، وكحالة: عمر رضا معجم المؤلفين، ١٢١/٧.

^{١٥٤} ذكره البغدادي: إسماعيل بن محمد أمين، إيضاح المكتون في التذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ١٣١/٢. وقال عن مؤلفه حسن بن علي بن هذيل ، ربما أخطأ ذكر الكتبة مكان الإسم ، اعتمدنا الطبعة الثانية سنة ١٩٨٥ ، دار الكتب العلمية ، بيروت.

وفي مجال الاستشارة يذكر كلام أمير المؤمنين عليه السلام ، الاستشارة عين الهدایة ، وقد خاطر من استغنى برأيه .^{١٥٥}

و حول تنظيم المجلس وعوائده يذكر هذا الكلام لأمير المؤمنين عليه السلام . من أحب أن يكتال بالمكial الأولى ، فليقل آخر مجلسه ، أو حين يقول سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المسلمين والحمد لله رب العالمين^{١٥٦} . ويذكر أيضا قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : أن الله ملائكة ينزلون كل يوم يكتبون فيه أعمال العباد .^{١٥٧}

ثم يرود منظومة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام والتي بدايتها :
و لا تصحب أخا الجهل
و إياك وإياه ... إلى آخر المنظومة .^{١٥٨}

ثم يذكر وصفا للنبي عليه السلام على لسان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام : لم أر قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وآله وسلم .^{١٥٩}

رفيع الدين نظام العلامة توفي سنة ١٣٤٦ للهجرة :

هو السيد رفيع الدين بن علي أصغر بن رفيع بن أبي طالب الوزير بن سليم نائب الصدارا المنتهي نسبة إلى السيد علي الشاعر بن محمد بن أحمد الرئيس بن إبراهيم طباطبا الحسني الطباطبائي التبريزى .

^{١٥٥} الخطيب : مصادر نهج البلاغة وأسانيده ٤/٢٨٤.

^{١٥٦} الزركلي : خير الدين ، الأعلام ، ٦/٢٩٤.

^{١٥٧} ذكره البغدادي : إسماعيل باشا ، في إيضاح المكتون في الذيل على كشف الظنون ١/١٧٠ ، ذكره كحالة في معجم المؤلفين ، ١١/٤٣ ، النسخة التي تمت مراجعتها في جزئين من منشورات منارة الاعلام في العراق ، سنة الطبع ١٩٧٧م .

^{١٥٨} ذكره ابن خلدون في المقدمة ص ١٨١ .

^{١٥٩} انظر بدائع اسلك ص ٣٥٥ .

له من صفات أهمها (المقالات النظمية) و (تحفة الأمثال) و (التحقيقين العلوية) و (المجالس النظمية) و (تشريح التقويم) و (أسرار الشهادة) و (آداب الملوك) و (تحفة الولي) و (دستور الحكمة) .^{١٦٠}

آداب الملوك^{١٦١}

و هو كتاب باللغة الفارسية ، يقول المؤلف في المقدمة ، بالنظر إلى المصلحة العامة كنت أتمنى أن أجمع في آداب الملوك مجموعة من نصائح الحكام و مواعظ العلماء و تجارب العقلاة ، وأخبار الأنبياء والأولياء حتى تصبح دستورا للعمل يستفيد منه القارئ ، ويكون برنامجا للأمراء و ولادة العهد العظيم . وقد وجدت واثناء مطالعتي لخطب نهج البلاغة وجدت في ولاية أمير المؤمنين مالك الأشتر ضالتني التي كنت ابحث عنها ، فهي تتضمن جانباً كاملاً من الآداب الحسنة التي يحتاجها الحكام .. لقد قمت بشرح مختصر مع ترجمة هذه ((الولاية الشريفة)) حتى يعم نفعها الجميع .
ويضيف في مقدمة الكتاب :

وفي الحقيقة إن الالتزام بالنهج الذي بينه الإمام مالك الأشتر والحفظ على هذا الخط هو أفضل للسلطانين من الحفاظ على خزائن الأرض .

وجاء في الصفحة الأولى من الكتاب : عندما عرف السلطان مظفر الدين شاه^{١٦٢} بهذا الكتاب وما يتضمنه من فوائد للحكم فأمر بطبعه .

المنهج الذي اتبعه المنصف في تأليف الكتاب :

أولاً : نقل النص .

ثانياً : الترجمة .

ثالثاً : الشرح و يتضمن حكايات الملوك وما يتفق مع النص .

^{١٦٠} ابن الأزرق : بدائع السلك في طباع الملك ، ٣٦٢/١ .

^{١٦١} المصدر نفسه ، ٣٨٩/٢ .

^{١٦٢} المصدر نفسه ، ٤٣٢/٢ .

ثم بعد ذلك يستنبط قواعد للحكم، ويتضمن الكتاب بين دفتين ٣٢٣ صفحة تدور كلها حول ولادة الإمام مالك الأشتر. والكتاب هو محاولة لاستنباط وبرنامج عمل للدولة وللحاكم من خلال الولاية التي بعث بها الإمام أمير المؤمنين عائلاً إلى واليه على مصر مالك الأشتر.

المصادر والمراجع :

- ١- ابن أبي الحميد: شرح نهج البلاغة، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ١٩٦١م.
- ٢- ابن أبي الربيع: أحمد بن محمد، كتبه محمد علي الخراساني، طبع حجري، ١٢٦٨هـ.
- ٣- ابن الأثير: محمد بن محمد الشيباني، الكامل في التاريخ، دار صادر دار بيروت، ١٩٦٥م.
- ٤- ابن الأزرق: محمد بن علي الأصحابي، بدائع السلك في طبائع الملك، وزارة الإعلام، بغداد، ١٩٧٧م.
- ٥- ابن تيمية: السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعي، دار الكاتب العربي، بيروت.
- ٦- ابن تيمية: تقى الدين، منها السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدريه.
- ٧- ابن حجر العسقلاني: شهاب الدين أبي الفضل، الإصابة في عبير الصحابة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- ٨- ابن حجر العسقلاني: شهاب الدين أبي الفضل، لسان الميزان، طبع حيدر آباد ط١، سنة ١٣٣٠هـ.
- ٩- ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة.
- ١٠- ابن خلدون: عبد الرحمن، المقدمة، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.
- ١١- ابن خلkan: أبي عباس، شمس الدين أحمد بن محمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، حققه إحسان عباس، منشورات الشريف الرضي، قم، إيران.
- ١٢- ابن الصباغ: علي بن محمد المالكي، الفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمة عليهم السلام، مطبعة العدل، النجف، العراق.
- ١٣- ابن الطقطقي: محمد بن علي، الفخرى في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده، مصر وطبعه ثانية، المطبعة الرحمانية، مصر، ١٣٤٠هـ.

- ١٤- ابن قبية : الأمامة والسياسة .الحلبي وشركائه القاهرة ١٩٦٩ .
- ١٥- ابن قبية : عيون الأخبار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٣ م.
- ١٦- ابن قيم الجوزية : محمد بن أبي بكر ، الطرق الحكمية في السياسة الشرعية ، مطبعة السنة الحمدية ، القاهرة ١٩٥٣ م.
- ١٧- ابن مسکویہ : أحمد بن محمد ، تهذیب الأخلاق وتطهیر الأعراق ، صحّحه محمد عبد القادر المازنی ، ١٢٩٨ هـ.
- ١٨- ابن المفعع : الأدب الصغیر والأدب الكبير ورسالة الصحابة ، شرح يوسف أبو حلقه ، مكتبة البيان ، ط ٣ ، ١٩٦٤ م.
- ١٩- ابن المفعع : الدرة الیتیمة ، تصحیح الأمیر شکیب أرسلان ، المطبعة الأدبية ، بيروت ، ١٨٩٧ م.
- ٢٠- ابن هذیل : أبي الحسن علي بن عبد الرحمن ، دار الكتب العلمية ، بيروت عین الأدب السياسة وزین الحسب والریاسة ، ط ٢ ، ١٩٨٥ م.
- ٢١- الأشعري : أبي الحسن ، مقالات الإسلاميين واختلاف المسلمين تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، مكتبة النهضة ط ٢ ، عام ١٩٦٩ .
- ٢٢- أنصاریان : علي الدلیل على موضوعات نهج البلاغة ، انتشارات مفید ، طهران ، ١٩٧٨ م.
- ٢٣- البرقی : أبو جعفر أحمد بن محمد ، المحسن والأضداد ، المطبعة الحیدریة قدم له السيد محمد صادق بحر العلوم ، ١٩٦٤ م.
- ٢٤- بروکلمان : تاريخ الأدب العربي ، ترجمة عبد الحليم النجار ، دار المعارف ، ط ٣ ، مصر.
- ٢٥- البغدادی : إيضاح المکون في الذیل على کشف الظنون عن أسامی الكتب والفنون ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٨٢ م ، هدية العارفین في أسماء المؤلفین وآثار المصنفین من کشف الظنون ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٨٢ م.
- ٢٦- البغدادی : هدية العارفین في أسماء المؤلفین وآثار المصنفین من کشف الظنون ، دار الفكر ، بيروت ١٩٨٢ م.

- ٢٧- البيهقي: إبراهيم بن محمد، المحسن والمساوي، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠ م.
- ٢٨- التكريتي: ناجي، الفلسفة الإسلامية عند ابن أبي الربيع مع تحقيق كتاب سلوك المالك في تدبير المالك، دار الأندلس ط٢، ١٩٨٠ م.
- ٢٩- الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر، المحسن والأضداد، مطبعة السعادة، ١٩٣٨ م، وطبع سنة ١٩١٢ م.
- ٣٠- الجاحظ: الحيوان تحقيق عبد السلام محمد هارون، الحلبي وأولاده، ط١، القاهرة.
- ٣١- التاج في أخلاق الملوك، تحقيق أحمد زكي، مطبعة الأميرية، القاهرة، ط١، ١٩١٤ م.
- ٣٢- الحائرى: جعفر، نهج البلاغة الثاني، مؤسسة الهجرة، إيران.
- ٣٣- حاجي خليفة: مصطفى بن عبد الله، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الفكر، ١٩٨٢ م.
- ٣٤- الحلبي: جمال الدين الحسن بن يوسف بن مطر، منهاج الكرامة في إثبات الإمامة طبع حجري، بخط حجي هلال السرحان، مطبعة الإرشاد، ١٩٧١ م.
- ٣٥- الخطيب: عبد الزهراء، مصادر نهج البلاغة وأسانيده، مؤسسة الأعلمى، بيروت ط٢، ١٩٧٥ م.
- ٣٦- الخوارزمي: أبو جعفر محمد، المنق卜، المطبعة الخيدرية، قدم له العالمة محمد رضا الموسوي، ١٩٦٥ م.
- ٣٧- الزركلي: خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط٦، ١٩٨٤ م.
- ٣٨- زيدان: جرجي، تاريخ آداب اللغة العربية، دار الهلال، تعليق شوقي ضيف.
- ٣٩- السبكي: تقي الدين، الدرة المضيّة في الرد على ابن تيمية.
- ٤٠- الشاطبي: أبي اسحاق إبراهيم، المطبعة التجارية، الاعتصام، تعريف محمد رشيد رضا، طبع مصر، بلا تاريخ.
- ٤١- الشريف الرضي: حقائق التأويل في متشابه التنزيل، مطبعة الغري النجف الأشرف، ١٩٣٦ م.
- ٤٢- الصدوق: الأمالي، كتاب فروشي إسلامية ط٣، ١٣٥٥ هـ.

٤٣. الطرطoshi: أبي بكر محمد بن المواليد الفهري المطبعة الخيرية، مصر، سنة ١٣٠٦هـ.
٤٤. الطوسي: محمد بن الحسن، أبي جعفر، الطوسي، منشورات الشريف الرضي، صصحه العلامة السيد محمد صادق آل بحر العلوم، قم.
٤٥. العاملی: محسن، أعيان الشیعه، دار التعارف، بيروت.
٤٦. عبده: محمد، شرح نهج البلاغة، دار الذخائر، قم.
٤٧. الغزالی: أبو حامد محمد بن محمد، نصیحة الملوك، تصحیح جلال الدین الهمدانی، (بالفارسیة).
٤٨. الفراء: أبي يعلى، محمد بن الحسين، الأحكام السلطانية، مكتب الإعلام الإسلامي، طهران ١٤٠٦هـ. تحقيق محمد الفقي.
٤٩. کاشف الغطاء: الہادی إلى نهج البلاغة، مکتبة الأندلس، بيروت.
٥٠. کحالة: عمر رضا، معجم المؤلفين، مکتبة المشنی، ودار إحياء التراث العربي، بيروت.
٥١. کرد علی: محمد، أمراء البيان، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٧م.
٥٢. الكلینی: أبو جعفر، الأصول من الكافی.
٥٣. الماوردي: أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب، مركز النشر: مكتب الإعلام الإسلامي، الأحكام السلطانية، طهران، ١٤٠٦هـ.
٥٤. الماوردي: أدب القاضي، تحقيق محي هلال السرحان، مطبعة الإرشاد، ١٩٧١م.
٥٥. الماوردي: أدب الوزیر المعروف بقوانين الوزارة سياسة الملك مکتبة الخانجي، ط١، مصر ١٩٢٩م.
٥٦. المجلسی: محمد باقر، بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء، بيروت.
٥٧. مجموعة من المؤلفين: نهج الحياة، مؤسسة نهج البلاغة، ط١ بلا تاريخ، قم.
٥٨. محمدی: سید کاظم، المعجم المفهرس لأنفاظ نهج البلاغة ط٢، نشر إمام علی، قم ١٣٦٩هـ.ش.
٥٩. المفید: الارشاد، طبع حجري، ١٣٧٢هـ.

- ٦٠- المسعودي : أبي الحسن علي بن الحسين ، مروج الذهب ، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ، دار المعرفة ، بيروت بلا تاريخ.
- ٦١- النسائي : الحافظ أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب ، خصائص أمير المؤمنين ، المطبعة الحيدرية ، النجف ، ١٩٤٩ م.
- ٦٢- نظام العلماء : محمد رفيع التبريزي ، آداب الملوك ، طبع حجري ، ١٣٢٠ هـ.
- ٦٣- نظام الملك : أبو علي حسن بن علي ، سلوك الملوك ، تصحيح محمد القزويني ، انتشارات زوار إيران ، ١٣٩٧ هـ.
- ٦٤- هيوار : دائرة المعارف الإسلامية ، ترجمة محمد ثابت القندي.

صياغة السياسات العامة

(أطار منهجي)

الاستاذ الدكتور عباس حسين جواد
الاستاذ المساعد ارزوقي عباس عبد

صياغة السياسات العامة: أطار منهجي

مقدمة:

لقد أدركت الحكومات على تباين أنظمتها السياسية واتجاهاتها الفكرية أنها بحاجة الى دعم ومساندة شعوبها لما تتخذه من قرارات ، وما تقوم به من أعمال متنوعة في جميع الظروف والالوان . وحتى يتحقق لها ذلك ، فإنها اخذت تسعى جاهدة الى حل مشاكلهم والاستجابة لمطالعهم المتنوعة من خلال مجموعة من الخطط والبرامج (يطلق عليها السياسات العامة) الهدافه الى تحقيق جملة من المنافع وتحقيق المعاناة عن الغالية منهم.

أن ما يميز السياسات العامة هو شمولية نتائجها لشريحة واسعة من المجتمع ان لم يكن المجتمع كله ، مما يحتم الاهتمام بصياغتها أو رسمها بشكل يؤدي الى زيادة فرص نجاحها وتحقيق المنافع المتوقعة عند تفزيذها ، وتقليل احتمالات فشلها الى أقل نسبة ممكنة . فالسياسات العامة التي تصاغ بشكل دقيق بالاعتماد على معلومات ومعطيات صادقة وصحيحة ، تجنب المجتمع الكثير من التضحيات واللام والاحباط الذي يصاحب تنفيذ السياسات العامة الفاشلة أو المرسومة بشكل غير صحيح . ولكي يتم الوصول الى هذا الهدف لابد من الاجابة عن التساؤل التالية :-

- ١ _ كيف تم صياغة السياسات العامة ؟
- ٢ _ من يتولى مهمة صياغة السياسات العامة ؟
- ٣ _ ماهي المشاكل التي ترافق صياغة السياسات العامة ؟

٤_ ماهي مستويات السياسات العامة؟

وعليه فان هدف هذا البحث هو الاجابة عن التساؤت أعلاه من خلال عدّة فقرات تضمنت الاولى مناقشة مستفيضة لمشاكل السياسات العامة، بينما شملت الثانية تحديد وبحث الجهات التي تشارك في صنع السياسات العامة، أما الفقرة الثالثة فقد كرست للحديث عن عمليات رسم السياسات العامة في حين اختصت الفقرة الرابعة بالبحث والدراسة في مستويات السياسات العامة. وصولاً لتحقيق أهداف البحث المذكورة.

أولاً: مشاكل السياسات العامة

يمكن تعريف المشكلة لاغراض صنع السياسات العامة بانها: " موقف او حالة تحرّك الحاجات والشعور بعدم الرضا لدى افراد المجتمع. مما يدفعهم لطلب العون او بتدخل الحكومة للمساعدة في ازالة ما يعانون منه" (Smith: 1964: 604) فعلى سبيل المثال يمكن اعتبار تفشي الجريمة او البطالة او ارتفاع الاسعار (التضخم) او تفشي الوبئة والامراض وانتشار الآفات الزراعية وتلوث البيئة ونقص الغذاء وصعوبة المواصلات وازدحام الطرق وتدني مستوى الخدمات العامة وتفشي الرشوة والمحسوبيّة وغيرها، مشاكل تدعو صانعي السياسة العامة لدراستها وتحليلها من اجل وضع العالجات الضرورية لأن مشاكل كهذه تثير اهتمام وقلق شريحة - او اكثر - من شرائحه او فئاته الاجتماعية او السياسية وقد يتعدّ تأثيرها ليشمل المجتمع بكامل فئاته. كما عرفت المشكلة بانها: " حاجات غير مشبعة وقيم غير مدركة او مفهومة يمكن اشباعها او تحقيقها بالنشاط او الفعل الحكومي" (Dunny: 1979:) وان المعلومات الضرورية لمعرفة طبيعة المشكلة والحلول الالزمة لها يمكن الحصول عليها باستخدام اساليب التحليل المتنوعة. وما تجدر ملاحظته ان المعنيين بحل المشاكل العامة غالباً ما يفشلون في اختيار الحلول المناسبة لمواجهة مشاكل السياسات العامة بسبب فشلهم في اكتشاف او معرفة الاسباب الحقيقة للمشكلة العامة. اذ ان الصياغة الدقيقة للمشكلة ينتج عنها - في الغالب - حلولٌ صحيحة وقد قيل قدّيماً : إذا عُرِفَ الداء سهل وصف الدواء بعض المختصين بصياغة مشاكل السياسات العامة وتحليلها، ينظر الى نتائج المشكلة على انها المشكلة ذاتها لأن النتيجة التي تؤدي اليها المشكلة هي الجانب المنظور منها، مثال ذلك ، " كثرة الغيابات او

دوران العمل "، الذي تعاني منه بعض المؤسسات الحكومية والخاصة، اذ يتوهם بعض المعنيين بانها هي المشكلة من غير ان يبحث في الاسباب التي ادت اليها ونتج عنها تغيب العاملين او تركهم لوظائفهم في هذه المؤسسة العامة او تلك.

ان مشاكل السياسات العامة كثيرة ومتعددة، ويصعب اتفاق المعنيين على تحديد مكوناتها واسبابها، واساليب التعامل معها، مثل: التضخم، الانكماش، البطالة، الجريمة، الفقر، التلوث، وغيرها. اذ ان هذه المشاكل وامثالها غالباً ما تتبادر وجهات النظر حولها بين المهتمين والمعنيين والمحظيين انفسهم من جهة، وبينهم وبين المواطنين من جهة اخرى. ففي حين ينظر اليها بعض المعنيين على انها مشاكل حقيقة يعاني منها المجتمع، ولا بد من وضع الحلول الناجعة لها، بينما يرى البعض الاخر منهم على انها مجرد حالات تتشابك مع تحقيق بعض القييم وال حاجات الشخصية لعدد من الافراد، وانها لا تستحق ان تأخذ صفة المشاكل العامة. ويمكن عدّ التلوث من الامثلة على ذلك، فقد يُعدُّ بعضهم حالة طبيعية في المجتمعات المعاصرة نتيجة للتقدم التقني والحضاري الذي تشهده هذه المجتمعات، وبالتالي لا داعي للاهتمام له، وتحصيص المبالغ، وحشد الموارد للحد منه او معالجته. في حين يراه غيرهم مشكلة تمس افراد المجتمع جميعهم وانه من اللازم عدّه من المشاكل العامة المهمة، التي تحتاج الى وضع الحلول الالزمة لها، وهذا يعتمد على مجموعة من العوامل منها:

- ١- طبيعية مشكلة التلوث: من حيث كونها مشكلة اقتصادية او ادارية او اجتماعية او صحية.
- ٢- اسبابها المتمثلة بعوادم السيارات، او الغازات المتصاعدة من مداخن المصانع المتعددة، او رمي النفايات والمياه الثقيلة في الانهار والمجداول وغيرها.

٣- مدى خطورة المشكلة واتساع نطاقها:

ومن المفيد ان ننوه الى ان المشاكل على كثرتها وتنوعها لا تشير جميعها اهتمام صانعي السياسات العامة، الا عندما تكون واضحة. إذ ان هذا النوع من المشاكل يسبب قلق افراد المجتمع ويدفعهم الى القيام بأفعال قد تكون خارجة على الاعراف او القوانين المتبعة.

وهذا يعني ان بعض المشاكل تأخذ طريقها الى رسمي السياسات العامة، ويهمم بعضها الآخر او يؤجل الى وقت لاحق، وذلك بحسب اهميتها، وتأثيرها على جماعة او اكثرا من الجماعات المؤثرة في المجتمع فقد تعيش فتنة من المواطنين في بيئة غير ملائمة ولكنهم لا يبدون تذمراً، ولا يطالبون بتحسين بيئتهم او تغييرها، فكأنهم قانعون بوضعهم هذا او ان قناعتهم هذه قائمة على عدم امتلاكهم وسائل التأثير في المجتمع. فحالة كهذه لا تعد مشكلة بحسب تعريفنا السابق، اذ لم يقدم احد بطرحها او ايصالها الى الجهات الحكومية بصيغة مطلب جماعي او مشكلة تحتاج الى حل. فالمشاكل اذن لا بد ان تكون واضحة ليسهل ايصالها الى الجهات المعنية في الجهاز الحكومي.

وثمة سؤال آخر يجب الوقوف عنده ومحاولة الاجابة عنه وهو: هل ان المشكلة التي تناول الاهتمام هي التي يعرضها المعنيون بها من متضررين وغيرهم؟ وهل هناك اسلوب آخر لا ظهارها؟ الجواب: نعم، فهناك مطالب او قضايا يعرضها افراد او جهات من غير المتضررين منها، فتصبح مشاكل ملحة تستحوذ على جزء كبير من اهتمام صانعي السياسات العامة، مثل ذلك، قيام محرري الصحف، او جماعات المصالح او السياسيين باثاره الضجيج، والقيام بجموعة واسعة من الاتصالات حول ارتفاع منسوب المياه الجوفية في منطقة ما، او ارتفاع معدلات حوادث المرور، على سبيل المثال، مما يجعل منها مشكلة ملحة تحتاج الى حل او مطلباً لا بد من العناية به، اكثر بكثير مما يفعله الذين يقطنون تلك المنطقة، او المتضررين من حوادث المرور. وحتى تفهم وغierz مشاكل السياسات العامة عن سواها من المشاكل او القضايا فانها تميز بخصائص او بامور منها:

١- التبادلية: فمشاكل السياسات العامة تؤثر وتتأثر بعضها بالآخر، فهي متشابكة وذات اجزاء مترابطة من نظام متكامل وليس منفصلة عن بعضها تماماً.

٢- الذاتية: بمعنى ان تصنيف الظروف الخارجية او الداخلية التي تنشأ عنها مشاكل السياسات العامة - وتفسير تلك الظروف وتقييمها - يتم وفق الخبرات الذاتية او الشخصية للقائمين بصياغة السياسات العامة، أي ان لشخصية راسم السياسات العامة وحملتها واتجاهاته تأثيراً واضحاً في تفسير مشاكل السياسة العامة وتحليلها وتحديد اسلوب معالجتها.

٣- الوضعية: أي ان مشاكل السياسات العامة في الغالب تكون من صنع الافراد او الجماعات، فهي توجد أينما وجدت التجمعات البشرية.

٤- **الديناميكية:** ويقصد بها ان لمشاكل السياسات العامة حلولاً بقدر التعاريف المحتملة لها،
بمعنى انه لا يمكن الجزم بوجود حدود بينة او علاج محدد لایة مشكلة من مشاكل السياسات العامة.

أنواع مشاكل السياسات العامة:

يمكن ان نميز بين المشاكل او المطالب وفق مداخل عديدة، لعل أهمها: مدخل الشمولية،
ومدخل الموارد، ومدخل البيئة (النطاق). فمن حيث الشمولية، يمكن تصنيفها الى مجموعتين هما:
المشاكل الخاصة، والمشاكل العامة. فالمشاكل الخاصة:- هي تلك المعانات او المطالب التي تخص
شخصاً واحداً من افراد المجتمع، فعدم حصول أحد افراد المجتمع على دواء معين، هي قضية متعلقة
به فقط، ولا تهم غيره، فهي اذن مشكلة خاصة، كما ان تسريح عامل وطرده من العمل هي قضية
لاتخص احداً غير ذلك العامل ، اما المشكلة العامة فهي تلك التي تتأثر بها مجموعة من الافراد
وليس فرداً واحداً، وكلما زاد عددهم، احتلت مشكلتهم اهمية لدى صانعي السياسات العامة
ومنفيتها. ففي مثالنا اعلاه، لو أن مجموعة كبيرة من المرضى لم يوفقا للحصول على الدواء ، فان
ذلك يمكن ان يتحول الى مشكلة عامة، كذلك الحال لو ان عدداً من المنظمات العامة او الخاصة او
كليهما ، قامت بتسریح نسبة كبيرة من العاملين فيها لظروف معينة ، فان ذلك قد يخرجها من دائرة
الخصوصية الى دائرة الشمولية فتصبح قضية عامة.

ومن المفيد الاشارة الى ان بعض القضايا الخاصة يمكن ان تتحول الى قضايا عامة، عندما تتسع
دائرة المؤثرين بها. او المتعاطفين معها. فلو ان احد الآباء دفعه التذمر من قيام أحد المعلمين بضرب
ابنه في قاعة الدراسة، الى الاحتجاج لدى الجهات المعنية(كمديرية التربية) - مثلاً - او مثل منطقته
في المجلس الوطني ، فان ذلك لن يخرج تلك المشكلة من خصوصيتها لعدم اثارتها الاهتمام من لدن
رسمي السياسات العامة. ولكن لو ان هذا الاب تصرف بشكل آخر ، واتصل باولياء أمور التلاميذ
الآخرين ، واقنعهم بان ابناءهم سيكونون عرضة للضرب ايضاً. ان لم يقوموا بعمل ما ، وافلح في
اقناعهم بذلك وحصل على تأييدهم له ، وتعاطفهم معه ، واستطاع ان يرفع مذكرة باسمهم
جميعاً الى الصحفة ، والجهات الحكومية المعنية ، فتصل الى رسمي السياسات العامة وكأنها مشكلة
جماعية ، وذلك لاتساع دائرة المؤثرين بها ، عندئذ تتحول الى قضية او مشكلة عامة.

اما من حيث المجال، فيمكن تقسيمها الى نوعين هما: (اندرسون: ١٩٩٩ : ٧٩)

١- المشاكل الاجرائية: وهي تلك القضايا المتعلقة بكيفية قيام الحكومة واجهزتها المتنوعة بتنظيم شؤونها، وادارة اعمالها وانشطتها المتنوعة.

٢- المشاكل الاساسية: وهي القضايا التي تتعلق باهتمامات افراد المجتمع، كحرية الرأي والتلوث البيئي والاجور والامن الداخلي وغير ذلك.

وي يكن تصنيف المشاكل او القضايا من حيث الموارد وتوزيعها الى ثلاث مجموعات هي :

(Lowi: 1964: 682)

١- المشاكل التوزيعية: وهي التي تتعلق بكيفية توزيع الموارد بين الافراد او الجماعات او الاقاليم مثل مطالب مدينة ما بالسيطرة على الفيضان، واخرى بمعالجة قلة المياه، او مطالب المستوردين بتخفيف الضرائب الكمركية، والمتجمين المحليين بزيادتها ، وغير ذلك.

٢- المشاكل التنظيمية: وهي التي تتعلق بتنفيذ التصرفات او النشاطات العامة، او وقفها، او الحد من تدخل الآخرين في بعض المجالات. كمطلب الصناعيين واصحاب الشركات بالحد من تدخل نقابات العمال، او مطالب اصحاب السيارات القديمة بوقف اجراءات ترحيلها من العاصمة او من بعض المدن الكبيرة الى مدن صغيرة او غير ذلك.

٣- مشاكل اعادة التوزيع: وهي تلك التي تختص بنقل الموارد المتاحة من منطقة لآخر، او اعادة توزيع بعض المصادر او الموارد المتوافرة في منطقة ما الى المناطق التي تفتقر اليها لتحقيق العدالة الاجتماعية. مثل ذلك. إعادة توزيع القوى العاملة الماهرة المتوافرة في العاصمة على المحافظات الاخرى، او إعادة توزيع اساتذة الجامعات والمخصصين من اطباء ومهندسين بين الجامعات والاقاليم، والمنظمات التي تعاني من النقص في افراد هذه الفئات. او اقامة مصانع في بعض المدن التي تشكو من البطالة او قلة فرص العمل فيها او فرض ضرائب تصاعدية لتقليل الفوارق بين الدخول، وغير ذلك.

أما من حيث النطاق، فيمكن تقسيمها الى مجموعتين هما :

١- المشاكل الداخلية: وهي القضايا التي تتعلق بمواطني الدولة ذاتها، كذلك المتصلة بالصحة والتعليم والامن الداخلي والضرائب والنقل والمواصلات والبيئة والزراعة وغيرها.

المشاكل الخارجية: وهي تلك التي ترتبط بعلاقة الدولة مع الدول الأخرى كدول الجوار أو غيرها مثل مشاكل الانهار والمياه الدولية والملاحة البحرية والحدود الإقليمية بين الدول والصيد في البحار والانهار الدولية والتهريب وغيرها كثير.

أسبابيات أو أولويات السياسات العامة:

لا يمكن لآية دولة او حكومة مهما كانت امكاناتها المادية والبشرية ، ومواردها الاقتصادية من تلبية المطالب التي يتقدم بها مواطنوها ، او معالجة جميع مشاكلهم مرةً واحدة ، اما يتطلب ذلك العمل بنظام الصنفوف او الطوابير، أي تقديم الاهتمام على المهم من المشاكل والقضايا ، وفقاً لجدول الاسبقيات السياسية ، الذي يعد بهدف تلبية هذه المطالب ، وحل المشكلات الواحدة بعد الأخرى بحسب اهميتها او درجة الحاجها ، او قوة الفئة او المجموعة التي تتأثر بها او بنتائجها . وعلى العموم ، فان هناك مئات المشاكل او المطالب التي تركن على الرف (تهمل) ، ولا تدخل جداول الاسبقيات ، مقارنة بالقليل منها التي يجري العمل على تبنيها والفضائلة بينها ، وتحديد اولوية او اسبقية كل منها على غيرها في جداول الاولويات السياسية . وهذا ما اشرنا اليه في بداية هذا البحث . وعليه فجدول الاسبقيات : هو جدول اعمال يضم القضايا والمشاكل او المطالب العامة التي هي بحاجة الى تصرف او فعل حكومي بشأنها . وهو ليس جدولًا مثالياً او نموذجياً يوضع بصيغ او قوالب جامدة ، اما يختلف من موقف الآخر ، ومن جهة أخرى ، فجدول اعمال السلطة التشريعية (البرلمانات) ، قد لا يماثل جداول اعمال السلطات التنفيذية والقضائية التي قد لا تتشابه مع جداول اعمال الحكومات المحلية للمحافظات او الاقاليم . فكل منها يمتاز عن الآخر ، بمحفوبياته واسبقياته وكيفية اجراء النقاش لتحديد هذه الاولويات ، وهو غالباً ما يُعرف من خلال الجلسات العلنية للمجالس النيابية (مثلي الشعب) ، او ما تنقله وسائل الاعلام المتعددة من خطب وتصريحات بعض اعضاء السلطات الثلاث (التشريعية والتنفيذية والقضائية) والحكومات المحلية ، والمعنيين من موظفي الجهاز الاداري الحكومي وغيرهم . وعلى العموم فان اهم العوامل التي تساعد على ايجاد القضايا والمطالب الى جداول الاسبقيات هي الآتي :

- ١ _ فقدان بعض الجماعات او النخب مصالحها او جزء منها مصلحة جماعات او نخب اخرى ، مما يؤدي بها الى التحرك لاعادة التوازن لصالحها ، الامر الذي يستدعي قيام الاجهزة الحكومية بنشاط اضافي لمواجهة ذلك (Thomas: 1951: 30) ومن الامثلة على ذلك تحرك المتجمين المحليين لاقناع الحكومة بفرض ضرائب كمركية على البضائع المستوردة للحد من منافستها لمنتجاتهم .
- ٢ _ قادة الاحزاب السياسية ، وهم غالباً ما يحاولون تبني المطالب العامة ، والعمل على ايصالها الى اسماع صانعي القرار او السياسات لاستماله جمهور المواطنين بهدف الحصول على تأييد الرأي العام . (Walker: 1977: 428) وقد يقوم رؤساء الحكومات بمثل هذا النشاط للسبب نفسه .
- ٣ _ أهمية المشاكل او المطالب وخطورتها : اذ أن بعض المشاكل تمتاز بالحادتها ، وكثرة عدد المتأثرين بها ، وخطورة نتائج اهمالها مما يدعى المعنيين الى إعطائهما اولوية ضمن الاسبقيات التي لا مفرّ من اتخاذ الاجراءات السريعة لمعالجتها ، كالكوارث الطبيعية من امطار وفيضانات وزلزال ، وظهور الاوئمة والامراض المعدية فجأة في منطقة ما ، وغيرها (Cobb: 1972: 84) .
- ٤ _ المطالب او القضايا التي تشيرها المعارضة السياسية او الاضرابات التي تنظمها بعض الفئات المهنية ، كاضراب عمال الموانيء والمطافئ او المناجم وغيرها ، مما يصل قضایاهم ومطالبهم مباشرة الى اسماع صانعي السياسات العامة ، ووضعها في جداول الاسبقيات (; Lipsky Michael: 1968: 54) .
- ٥ _ وسائل الاعلام المتعددة المقروءة والمسموعة والمرئية وهي تلعب دوراً مهماً في ايصال بعض القضايا والمطالب الى اسماع رسمي السياسات العامة ، وعرضها على جداول الاولويات ، مثل ذلك ، مشكلة بعض اصحاب السيارات القديمة التي تقرر اخراجها من بغداد اعتباراً من ٢٠٠٢/٧/١ ، اذ تمكنت وسائل الاعلام من طرحها بشكل مباشر ، وصل الى اعلى المستويات ، مما ادى الى صدور امر بايقاف تنفيذ ذلك القرار .
- ولابد من الاشارة الى ان المشاكل والمطالب العامة لا تصل كلها الى رسمي السياسات العامة ، ولا تأخذ طريقها الى جداول اسبيقاتهم لا سباب عديدة منها :
- ١ - تعارض بعض المطالب او القضايا مع الاعتبارات او القيم والمبادئ التي يؤمن بها المعنيون من رسمي السياسات العامة ومنفذيها

- ٢- سيطرة جماعة معينة او فئة ما على المؤسسات الحكومية ووسائل الاتصال الجماهيري والاحزاب السياسية خصوصاً في الدول النامية ، والدول التي تكون مجتمعاتها من قوميات وديانات متعددة وخير مثال لذلك ، تركيا التي يسيطر فيها الاتراك المسيحيون ، والذين ينحدرون من عرقية ودينية مختلفة عن المسلمين ، والذين ينبعون من ممارسة حقوقهم السياسية والاجتماعية والثقافية بحرية كاملة

- ٣- الجهل ، وعدم الوعي او النضج السياسي والاجتماعي للغالبية من افراد المجتمع ، يجعلهم عاجزين عن فهم مشاكلهم والتعبير عن قضائهم واستخدام السبل الناجحة لإيصالها الى المعينين ، فسكان القرى والأرياف في معظم الدول النامية لا يستطيعون التعبير عن مشاكلهم وإيصالها الى المعينين مثل سكان المدن.

واخيراً" فإن من المناسب التنويه الى ان السياسات العامة ليست محصورة دوماً" على ما تنفذه الحكومة من أعمال وما تشرعه من لوائح وانظمة وقوانين ، بل تشمل ايضاً" ما تهملة او تمنع عن فعلة او تشريعية. (اندرسون: ١٩٩٩: ٨٧)

ثانياً: صانعوا السياسات العامة

وهم الافراد او الجماعات والجهات (الرسمية وغير الرسمية) الذين يشاركون في رسم السياسات العامة بصورة مباشرة وعلية فإنه يمكن تقسيم الاطراف التي تشارك في صنع السياسات العامة على نوعين رئيسين هما:

- ١- الاطراف الرسمية الحكومية.
- ب- الاطراف غير الرسمية.

اولاً: الجهات الرسمية الحكومية:

وهم الافراد الذين يخولون الصالحيات التي تسمح لهم بالمشاركة في صنع السياسات العامة، مثل اعضاء السلطة التشريعية والتنفيذية والقضائية ، والاداريين الاخرين من العاملين في الاجهزة الحكومية ، الذين يساهمون في اتخاذ القرارات وتنفيذ السياسات العامة بطريق ودرجات متفاوتة. وعليه يمكن تقسيم الاطراف الرسمية الى الاتي :

١- السلطة التشريعية:

تعد السلطة التشريعية من اهم المنظمات الرسمية الحكومية التي تضطلع اساساً بتشريع اللوائح والأنظمة والقوانين، ووضع القواعد العامة التي تنظم مختلف اوجه الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والصحية وغيرها في الدولة. (العاوبي :٢٠٠١ :٤٦). ان دول العالم تتباين في كيفية تشكيل السلطة التشريعية، ودورها وتأثيرها في عملية رسم السياسات العامة. فبعضها يأخذ بنظام المجلس (البرلمان) التشريعي الواحد، مثل لبنان وجمهورية مصر العربية وتركيا وروسيا وغيرها، اذ تكون السلطة التشريعية فيها من مجلس واحد يمثل المواطنين جميعهم والاحزاب السياسية الموجودة في ذلك البلد. والبعض الاخر تأخذ بنظام المجلسين ككندا، بريطانيا، والولايات المتحدة الامريكية.. وفي بريطانيا، مجلس العموم ومجلس اللوردات، وهكذا في الدول الاخرى. كما ان بعض الدول موحدة، كفرنسا، وسوريا، وجمهورية مصر العربية، ولibia، اذ يتآلف جهازها التشريعي من مؤسسة واحدة - سواءً كانت تأخذ بنظام المجلس - الواحد او المجلسين - لها سلطات اصدار اللوائح والتشريعات، والقوانين بما لا يتعارض مع دستور الدولة. والاعراف الاجتماعية السائدة التي لها صفة الدوام والثبات النسبي. وبعضها الاخر فدرالية، أي مكونة من اتحاد او اندماج مجموعة من الولايات كالولايات المتحدة الامريكية، او مجموعة من الجمهوريات، كالاتحاد السوفيتي (السابق). (الجمل، يحيى: بلا: ٤٣)، اذ يتكون جهازها التشريعي من مؤسستين اثنتين هما: المؤسسة الاتحادية، والمؤسسات التشريعية الاقليمية . (هلال، علي الدين: ٢٠٠٠ :١٤) يختص الاول بصنع السياسات على مستوى الدولة الاتحادية كلها، كما لو كانت دولة موحدة، بينما يختص الثاني بالتشريعات على مستوى الاقاليم او الولايات، التي يفترض ان تمثل تمثيلاً عادلاً او متساوياً في المجلس الاول.

وقد اختصَّ عدد من الدراسات الحديثة بمعرفة دور الهيئات التشريعية الاوربية، واهميتها في رسم السياسات العامة، فوجد بانها متباينة بحسب تباين انظمتها السياسية، (جابriel والموند: ١٩٩٨ :١٧٠). وقوة وسطوة النخب السياسية والاحزاب، وجماعات المصالح، وقدرة السلطة التنفيذية، ومدى تمثيلها لحزب واحد قوي او عددٍ من الاحزاب المُؤتلفة. فمجلس العموم البريطاني، يعد من اضعف المجالس التشريعية قدرة وفعالية في صنع السياسات العامة، بسبب

سيطرة حزب الأغلبية الحاكم عليه، وان اغلب اعضائه يشكلون السلطة التنفيذية ويبقى دوره منحصراً في مناقشة تأهيل النخبة وتوظيف افرادها (العاوی: ٢٠٠١: ٥٠) على عكس الكونكرس الامريكي الذي يلعب دوراً رئيساً في رسم السياسات العامة للحكومة الفدرالية من خلال لجانه المتعددة (جابريل: ١٩٩٨: ١٦٩).

٢- السلطة التنفيذية:

وتضم الافراد العاملين في البيروقراطية الحكومية المتمثلة بالمؤسسات والهيئات واللجان والاجهزة الادارية الحكومية المتنوعة، التي غالباً ما تضطلع بتنفيذ السياسات العامة، غير ان دورها في رسم السياسات العامة لا يمكن اخفاءه باي حال من الاحوال، اذ ان الشعوب تعيش عصر هيمنة السلطة التنفيذية بسبب الاعتماد بشكل كبير على القيادة التنفيذية في رسم السياسات العامة وتنفيذها (اندرسون: ١٩٩٨: ٥٨) ففي بعض الانظمة الحكومية الرئاسية يجمع رئيس الجمهورية بين قيادة العملية التنفيذية، وقيادة العملية التشريعية، كما في الكثير من دول العالم النامية ، ، كما يتدخل الرئيس الامريكي في الولايات المتحدة الامريكية، للحلولة دون تعطيل اقرار بعض البرامج والسياسات العامة من جانب اللجان والقوى الخづلية المتنافسة في الكونكرس الامريكي ، كما ان هناك كثير من اللوائح التي تجيز للرئيس الامريكي التدخل في صنع السياسات العامة، كلائحة التجارة الخارجية التي تحوله سلطات واسعة في رفع الرسوم الكمرمية المفروضة على السلع المستوردة او تخفيضها ، كذلك لائحة الاستقرار الاقتصادي لعام (١٨٧٠ م). التي منحته سلطات واسعة في مراقبة الاسعار منعاً للتضخم زد على ذلك السلطات والصلاحيات التي منحها الدستور الامريكي للرئيس في مجال السياسات الخارجية والعسكرية ، بل لا غرابة اذا قلنا ان السياسات الخارجية الامريكية هي من صنع الرئيس الامريكي (Dror: 1968: 17). وينطبق هذا الكلام على معظم السياسات الخارجية للدول الاخرى ، اذ تركت اليد الطولى لرئيس الحكومة في رسم السياسات الخارجية لبلاده ، مثل غانا ، تاييلندا ، سوريا ، والجزائر وغيرها. وما قيل عن دور رئيس الجمهورية ، يقال ايضاً عن الحافظين ، وحكام الولايات والاقاليم المحلية. اذ يمتد دورهم الى رسم او صنع السياسات العامة لولاياتهم او محافظاتهم ، مع تنفيذها. (اندرسون: ١٩٩٨: ٥٩).

كما ان المؤسسات البيروقراطية الاخرى، المتمثلة بالاجهزة الادارية العامة وهيئاتها او لجانها المتنوعة التي غالباً ما تتدخل في صنع السياسات العامة ومناقشتها، مع دورها الاساس في تنفيذها. بل ان هناك من يعتقد بان هذه الاجهزة قادرة على اعاقة رسم السياسات العامة تماماً كقدرتها على تنفيذها او عدم تنفيذها (اندرسون: ١٩٩٨: ٦٠). وذلك مرده الى كثرة القضايا والمطالبات التي تستوجب خبرات فنية متخصصة لرسم السياسات المتعلقة بها، ولنقص الخبرة الفنية لأفراد السلطة التشريعية فانهم غالباً ما يفوضون الاجهزة الادارية كثيراً من الصالحيات الازمة لرسم السياسات العامة من هذا النوع، والتخاذل قرارات لها مفعول السياسات العامة من حيث التأثير والأهمية وال نطاق مثل القضايا المتعلقة بالدفاع، والتلوث، والطرق السريعة، والعلاقات الخارجية، وغيرها. (اندرسون: ١٩٩٨: ٦٠).

٣-السلطة القضائية:

المقصود بها المحاكم سواء كانت على مستوى الدول - كمحكمة التمييز في العراق - ، او على مستوى المحافظات او الاقاليم او الولايات. وهي تتضطلع بمهام صياغة وتفسير النصوص القانونية ومدى مطابقة الانظمة واللوائح والقوانين مع دستور الدولة النافذ، واصدار الاحكام في المخالفات التي ترتكب بحق المواطنين من قبل الاجهزة الحكومية، زيادة على دورها الاساس في تحقيق العدالة، وتطبيق القانون والفصل في المنازعات والحكم في الجرائم والمخالفات المتنوعة. وللقضاء - مع هذا - دور مهم في رسم السياسات العامة في بعض الانظمة الحكومية، مثل المحكمة العليا في الولايات المتحدة الامريكية، التي تقوم بمراجعة نصوص اللوائح القانونية عند عرضها عليها لابداء المشورة قبل التصويت عليها في الكونغرس الامريكي، وقد تقترح تعديلاها او الغاءها عند مخالفتها للدستور الفدرالي، او القوانين النافذة، فالكونغرس يتعدد كثيراً عند الخوض في قضايا يتوقع ان يعترض عليها القضاء بحجج عدم شرعيتها او مخالفتها للدستور، ويدرك ان القضاء الامريكي لعب دوراً كبيراً في صنع السياسات الاقتصادية، كقضايا الملكية، والعقود، والعلاقة بين العمال ونقاباتهم من جهة، واصحاب المصنع من جهة اخرى.

(Zeigler: 1971:126) وقد حذت بعض الدول كالمانيا الاتحادية، وكندا، وبريطانيا، واستراليا، حذو الولايات المتحدة الأمريكية في هذا المجال. اما في الدول النامية، فان للقضاء دوراً محدوداً – أو لا يكاد يظهر – في رسم السياسات العامة.(اندرسون: ١٩٩٩ : ٦٣).

ان رقابة القضاء الفعالة على التصرفات التي تقوم بها الاجهزة الحكومية في رسم السياسات العامة او تنفيذها، يعد صمام الامان والضمانة الحقيقية ازاء التعسف الاداري، وذلك بالغاء القرارات الادارية المجنحة التي اتخذتها الجهات المعنية بحق المواطنين، او التعويض عن الاضرار التي نجمت عنها، (العويني: ١٩٨١ : ١١٥).

ثانياً: الجهات غير الرسمية (غير الحكومية):

ان عملية رسم السياسات العامة لا تتحصر فقط في مشاركة الجهات والقوى الرسمية، بل هناك جهات اخرى تصنف على انها حكومية (غير رسمية) تشارك هي الاخر بمحظ وافر في التأثير على صانعي السياسات العامة ومنفذتها، ومن هذه الجهات، على سبيل المثال، لا الحصر: الجماعات المصلحية (الضاغطة) الاحزاب السياسية، المواطنين (الرأي العام)، وفيما يلي توضيح لكيفية تأثير هذه الجهات في صنع السياسات العامة.

١_ الجماعات الضاغطة (المصلحية):

تعرف الجماعات الضاغطة بانها مجموعة من الافراد يتلقون في اهداف وصفات او خصائص معينة يسعون لاحداث التأثيرات المطلوبة في السلوك الذي يتخذه صناع القرار تجاه قضایاهم ومطالبهم، وتوجيهه لتحقيق مصالحهم المشتركة، (درويش: ١٩٦٨ : ٢٠١) مثل الاتحادات المهنية (اتحاد الصناعات، غرف التجارة، نقابة المحامين...). نقابات العمال، الجمعيات الاجتماعية والدينية، الشركات، البيوت المالية والاقتصادية، وغيرها. اذ تسعى هذه الجماعات للتأثير على اطراف صنع القرار للاهتمام بقضایاها ومشاكلها ودفعها لاتخاذ مواقف او قرارات لها صفة السياسات العامة لخدمة اهدافها وتحقيق مصالحها، لما تتمتع به من القوة والنفوذ المستمدین من العلاقات المتنوعة والمتدخلة مع رسمي السياسات العامة. (العاوی: ٢٠٠١ : ٦٢).

ان وجود قنوات مشتركة للاتصال الرسمي وغير الرسمي بين هذه الجماعات وبين رسمى السياسات العامة، يُعد مسألة اساسية لا يصال مطالبهم وقضایاهم بالسرعة والكيفية المطلوبتين واقناعهم بضرورتها، واهميّتها لادراجها ضمن مشاريع ولوائح السياسات العامة (عبد القوي، خيري : ١٩٨٩ : ١١٥). وعليه فان رسمى السياسات العامة يضطرون الى المواءمة او الموازنة بين مطالب هذه الجماعات، خصوصاً اذا كانت متعارضة ، وقد يستخدمون المساومة للخروج بحلول توفيقية مقبولة للجميع ، ورغم ذلك ، فان الجماعات الاحسن تنظيمًا ، والواسع حجمًا ، والاكثر موارداً" والافضل قيادة ، تضل اكثـر تأثيراً" في توجيهه كثير من السياسات العامة لصالحها على حساب الجماعات الـاخـرى الـاقل تنظـيمـاً ، وسـعة ، وامـكـانـيات ، ليس هـذا فـحسب بل ان للمـكانـة الـاجـتمـاعـية لـهـذـهـ الجـمـاعـة اوـتـلـكـ ، وـتـمـاسـكـ اـعـضـائـهـ ، وـدـرـجـةـ المـنـافـسـةـ بـيـنـ هـذـهـ الجـمـاعـاتـ ، وـمـوـقـفـ الـاجـهـزةـ الـحـكـومـيـةـ مـنـ مـطـالـبـهـاـ ، وـنـمـطـ اـتـخـاذـ الـقـرـاراتـ فـيـ النـظـامـ السـيـاسـيـ ، وـغـيرـهـ ، أـثـرـهـاـ الـواـضـحـ فـيـ اـتـخـاذـ الـقـرـاراتـ لـصـالـحـهـاـ . زـيـادـهـ عـلـىـ اـسـهـامـ الـجـمـاعـاتـ الـمـصـلـحـيـةـ فـيـ بـلـورـةـ الـمـطـالـبـ وـتـجـمـيعـهـاـ وـايـصالـهـاـ وـطـرـحـ الـبـدـائـلـ لـلـسـيـاسـاتـ الـعـامـةـ الـمـتـعـلـقـةـ بـهـاـ . كـمـاـ يـقـومـونـ بـتـزوـيدـ الـمـنـذـدـينـ بـالـعـلـومـاتـ الـوـاقـعـيـةـ عـنـ مـوـضـوعـاتـهـمـ ، خـصـوصـاـ حـينـ تـكـوـنـ الـمـوـضـوعـاتـ ذـاتـ طـبـيـعـةـ فـنـيـةـ ، وـبـهـذـهـ الـطـرـيقـةـ فـانـهـمـ يـسـهـمـونـ فـيـ تـرـشـيدـ الـسـيـاسـاتـ الـعـامـةـ الـمـرـسـومـةـ . (اندرسون : ١٩٩٩ : ٦٣).

أما اساليب الضغط التي تمارسها هذه الجماعات للتاثير على رسمى السياسات العامة، فانها تتباين من نظام سياسي لآخر، ومن دولة لآخر منها:

وجود من يمثلها لدى الجهات الرسمية عند مناقشتها للوائح ومشاريع السياسات العامة.
التاثير على الرأي العام، واستعماله للضغط على السلطات التشريعية والتتنفيذية لصالحها، او تحبيده على الاقل لامرار مشاريعها بدون معارضة تذكر . (عبد القوى : ١٩٨٩ : ١١٦).

٢_ الاحزاب السياسية:

يعرف الحزب بأنه "تنظيم سياسي له صفة العمومية والدؤام، وله برنامج يسعى بمقتضاه للوصول الى السلطة، (العزاوي : ١٩٩٨ : ٥٨). كما عرف بأنه: مجموعة من الافراد تربط بينهم روابط معينة، ومصالح مشتركة، ويهدفون الوصول الى السلطة او المشاركة فيها. (الماشمي : ١٩٩٠ : ٦٤). وعلى هذا فالحزب السياسي منظمة غير رسمية تنشأ في الوسط الاجتماعي باتفاق

مجموعة من الافراد في ظرف ، وزمن معينين ، لتحقيق مجموعة من الاهداف من بينها استلام القيادة السياسية في المجتمع او المشاركة فيها. وغالباً ما توجد في معظم الانظمة السياسية السائدة في البلدان مهما كانت الابدیولوجیة الفکریة التي تؤمن بها مجموعتان من الاحزاب (حزبان او اکثر) ، المجموعة الاولى : تقود السلطة السياسية في البلاد ، والمجموعة الثانية : خارج السلطة السياسية (معارضة) ، تتعقب خطوات المجموعة الاولى وتحصي عليها اخطاءها ، بهدف تأليب الرأي العام ضدها ، تمهدأ لكسب التأييد الجماهيري وحشده لمساندتها ، ومؤازرة افكارها وبراجها التي غالباً ما تعرضها في وسائل الاعلام العامة او الخاصة بها ، وفي اثناء الحملات الانتخابية المتعددة. هذا ما يخص الانظمة ذات التعددية الحزبية مثل : فرنسا ، لبنان ، الهند ، الباكستان ، الارجنتين ، كندا ، والمانيا الاتحادية ، وغيرها.

اما في الدول التي لا تؤمن بتنوع الاحزاب السياسية ، وهي الدول ذات الحزب الواحد ، كالصين ، والاتحاد السوفيتي (السابق) ، وبعض الدول النامية الاخرى التي حذت حذوها ، فانها تمتاز بسيطرة ذلك الحزب على كافة السلطات الثلاث (التشريعية والتنفيذية والقضائية) . وبالتالي فهو الذي يوجه هذه السلطات ويصنع السياسات العامة وينفذها. ولكن هذا لا يعني ان هذه الدول تخلي من التجمعات او الاحزاب الاخرى التي تعمل بصورة سرية للتأثير في الرأي العام بالاتجاه الذي يخدم مصالحها. ويشكل عامل ضغط على الحكومة لتلبية بعض المطالب والقضايا التي تنادي بها هذه الاحزاب المعتبرة عن المصلحة العامة في معظم الاحيان.

فالاحزاب السياسية تؤدي مجموعة من الوظائف في النظام السياسي ، منها التعبير عن الرأي العام ، وتوفير قدر من المشاركة في رسم السياسات العامة إذ انها تقوم بتجميع وبلورة المصالح وهي اداة من أدوات التنشئة السياسية ، والمساهمة في اضفاء الشرعية على أنظمة الحكم المتعددة (هلال : ٢٠٠٠ : ١٦٨).

ان تأثير الاحزاب السياسية في رسم السياسات العامة ، يمكن ان يتم خارج نطاق البناء السلطوي. او داخله. اذ ان الاحزاب السياسية تقوم بمجموعة من الوظائف منها : بلورة المطالب والقضايا العامة التي تناقش عند رسم السياسات العامة ، واثارة الرأي العام حولها ، ومحاولة اقناع المواطنين بتبني المواقف التي تتخذه هذه الاحزاب للضغط على الحكومة ، كما تعد وسيلة من

وسائل الرقابة السياسية على النشاط الحكومي. أما الشكل الآخر للتأثير في صنع السياسات العامة، فهو عندما تستلم هذه الأحزاب زمام السلطة، أو مقايد الحكم، فإنها تقوم بتشكيل السلطة أو تجديد بنيتها أو تغيرها، وتحديد مساراتها وتجهيزه عملية رسم السياسات العامة طبقاً للفلسفة التي تتبناها والتوجهات الفكرية التي تؤمن بها (الكاظام : ١٩٩١ : ٩٣) وبشكل عام فإن الأحزاب السياسية سواء كانت خارج السلطة أم داخلها تقوم بدور المراقب بعضها على البعض الآخر، فأحزاب المعارضة تترصد حركة الحكومة وكيفية صنعها للسياسات العامة، وتنفيذها. بينما تقوم الأحزاب الحاكمة بشرح سياسات الحكومة وموافقتها، والدفاع عنها، والعمل على اقناع الرأي العام بصحتها، وقدرتها على تحقيق المصلحة العامة.

وعلى أية حال، فإن الأحزاب السياسية تميز عن الجماعات المصلحية (الضاغطة) بتبنّيها ومناصرتها للمواقف والسياسات التي تتسم بالنفع العام أو الشمولي. بينما تهتم الجماعات المصلحية بالقضايا الصغيرة المتعلقة بمصالح اعضائها الخاصة. (Lindblom: 1968: 44).

وخلاصة القول، فإن الأحزاب السياسية تمتلك القدرة على التأثير في رسم السياسات العامة سواءً أكانت خارج السلطة أم داخلها، فعندما تكون خارجها، فإنها تقوم بدور المدافع عن مصالح الجماهير الواسعة ومحاولة إيصالها إلى اسماع صانعي السياسات العامة من خلال الضغط الجماهيري لتأخذ طريقها إلى اسبقيات هؤلاء. أما عندما تكون داخل السلطة، سواءً أكانت قائدة بمفردها للعملية السياسية المؤتلة، كما يحصل في معظم البلدان الديمقراطية التي تأخذ بالتنوعية الحزبية، كتركيا او الهند، وغيرها، فإن هذه الأحزاب تمارس التأثير في صنع السياسات العامة من خلال قيادتها للسلطات الثلاث - كما اسلفنا سابقاً - وينطبق هذا القول على الدول ذات الحزب الواحد كالصين، والاتحاد السوفيتي (سابقاً).

٣- الرأي العام (المواطنون):

إن مطالب ورغبات الأفراد (المواطنين) مكانةً و موقفاً مؤثراً في رسم السياسات العامة حتى في المجتمعات التسلطية أو الديكتاتورية (Lindblom: 1968:45). ففي القرون الوسطى كانت الدول التقليدية على الرغم من أنظمتها المستبدة تحرص على سماع اصوات المواطنين وتلبية بعض مطالبيهم لتقليل النكمة بين صفوفهم، والتحفيظ من عدم الارتكاب عندهم كما ان النظام في الاتحاد

السوفطي (السابق) لم يهمل جميع المطالب الفردية للمواطنين، بل كان يحرص على الاستجابة لبعض القضايا والمطالب لهذه المجموعة من المواطنين او تلك، فحرصه على الاستجابة لمطالب المستهلكين وترجمتها في سياسات الانتاج في السنوات الاخيرة التي سبقت انهياره، ما هو الا دليل على استجابة الانظمة مهما كان شكلها للرأي العام ولو بدرجات وكيفيات متفاوتة (اندرسون: ١٩٩٩: ٢٦٨).

كما ان الرأي العام لا يمثل بالضرورة رأي الغلبة (اصلا) بل يمكن ان يمثل رأي فرد او مجموعة قليلة من الافراد تجاه مطلب او قضية معينة في ظروف ووقت معينين، ثم تطور واتسع بالتفاعل والاتصال ليكون رأيا عاما لشريحة واسعة من المجتمع (الاسود: ١٩٩٩: ٧٩).

والرأي العام يمكن ان يؤثر في رسم السياسات العامة بطريقتين هما(حمادة: ١٩٩٣: ١٠٩).

الاولى: ما يفرضه الرأي العام على التنشاطات والتصرفات الحكومية من قيود او حدود في رسم وتنفيذ السياسات العامة.اما الثانية: فهي الخوف الذي يسيطر على بعض راسيي السياسات العامة ومنفيها من اتخاذ قرارات او مواقف يتوقع ان لا تحظى بتأييد او مساندة الرأي العام.

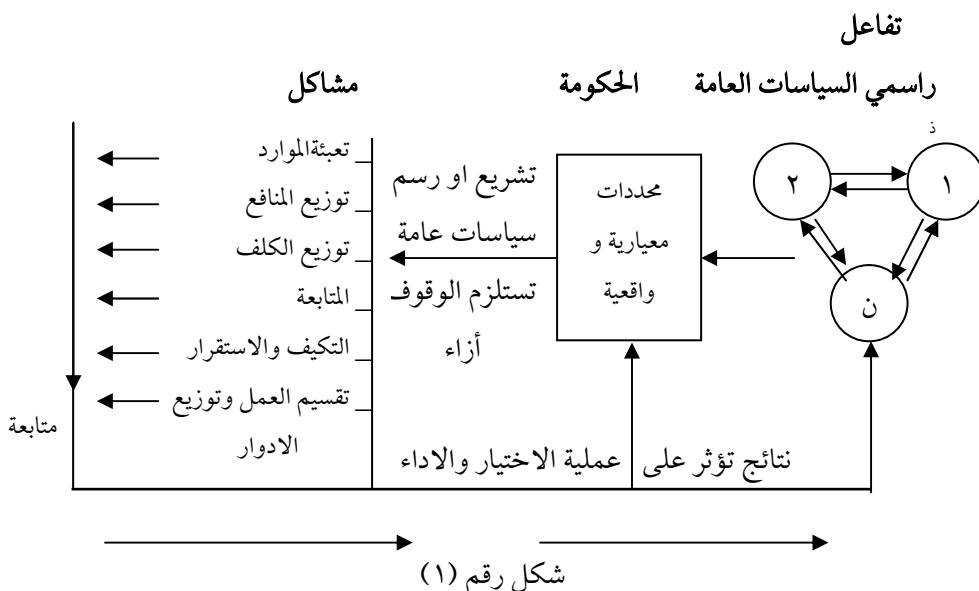
ويعتقد (الموند) ان الرأي العام يشارك في رسم السياسات العامة في المجتمعات الديقراطية ، وذلك بوضع قيم ومعايير وتوقعات للسياسات العامة ، اما السياسات العامة ذاتها فهي من صنع جماعات متخصصة تمثل براكز صنع القرار.(بسيوني: ١٠٩: ١٩٩٣). وعلى العموم يمكن القول با ان المواطنين (الرأي العام) لا يصنعون السياسات العامة من جهة وليسوا بعيدين عنها تماما" من جهة اخرى. فاتجاهات الرأي العام ، وتوقعاته حول كيفية مواجهة بعض القضايا الاساسية لا يمكن اهمالها من قبل صانعي السياسات العامة ، بل تعد الاطار العام الذي يفترض ان يتحرك ضمنه هؤلاء ، فهو يحدد ما هو مقبول ، وما هو مرفوض ، وما هو ناجح او فاشل من قرارات وسياسات ، خصوصا بعد تتنفيذ تلك القرارات (بسيوني: ١١٠: ١٩٩٣) زد على ذلك حرص الاحزاب المتنافسة (في الانظمة الديقراطية) على الحصول على اكبر قدر ممكن من اصوات الناخبين (المواطنين) من خلال تبني مشاكلهم ومطالعهم في البرامج والمشاريع الانتخابية التي ستتصبح بعد ذلك مادة لصناعة السياسات العامة (Brady: 1978:86) وعلى مستوى الافراد فان للأنشطة العلمية والفكرية لبعض المفكرين وعلماء الاجتماع والاقتصاد والسياسة ، وغيرهم الاثر البالغ في

توجهات وقرارات رسمي السياسات العامة عند قيامهم بصياغتها والتخاذل القرارات المتنوعة بشانها ومن ابرز الامثلة على ذلك مافعله (مارتن لوثر كنك) عام ١٩٦٠ في مجال الحقوق المدنية للسود في الولايات المتحدة الأمريكية. (اندرسون: ١٩٩٩ : ٩٩).

ان دائرة المؤثرين في رسم السياسات العامة قد لا تتحصر في الاطراف او الجهات الداخلية المذكورة في اعلاه (الجهات الرسمية وغير الرسمية) بل قد تتسع لتشمل اطرافاً خارجية، سواءً أكانت منظمات دولية، كالامم المتحدة، مجلس الامن الدولي، البنك الدولي للتنمية والاعمار، منظمة البلدان المصدرة للنفط (اوبيك)، منظمة الطاقة الذرية، وغيرها، ام اتحادات دولية، كالاتحاد الاوربي، مجلس الجامعة العربية او دولة واحدة ذات قوة اقتصادية وعسكرية متفوقة. ومن الامثلة على تأثير هذه الجهات، سياسة الاصلاحات التي تبنتها الحكومة التركية بتأثير من الاتحاد الاوربي بوصفها من شروط انضمام تركيا الى عضويته، والتغير الذي أحدثه الولايات المتحدة الأمريكية وحلفاؤها في أفغانستان والعراق بالقوة العسكرية، وتحديد السياسات المتعلقة بانتاج النفط واسعاره بالنسبة للدول المنتجة للنفط الاعضاء في منظمة (اوبيك)، والسياسات التي فرضت علىmania الغربية، واليابان في مجال قواتها المسلحة بعد انتصار الحلفاء عليها في الحرب العالمية الثانية، وغير ذلك كثير.

ثالثاً: عمليات رسم السياسات العامة

لا تميز عملية رسم السياسات العامة بالبساطة ووضوح المعالم وانما هي عملية غامضة، غاية في التعقيد والتشابك، تشارك في صياغتها اطراف وجهات متعددة داخلية وخارجية – كما ذكرنا في الفقرات السابقة – لكل منها قيم ومبادئ ومصالح لا تنسجم مع الاخر كلاً او جزءاً، كما وان طرائق صناعة السياسات العامة هي الاخرى متعددة ومتباينة بحسب تباين الاعتبارات والجهات المشاركة في صنعها، فضلاً عن انها قد تتضمن اختياراً واعياً ومدروساً لأهداف جماعية، وتتخذ - تبعاً لذلك - قرارات سلطوية ملزمة للجميع بعد إتخاذها صفة السياسة العامة، مع ما في ذلك من صعوبة التوفيق بين اهداف ومصالح الجماعات او الفئات المتباينة المؤثرة والمتأثرة بالسياسات العامة. والنموذج التالي يوضح عمليات رسم السياسات العامة.



(Source: Mitchell: 1968: 392) يوضح عملية رسم السياسات العامة

ان عملية رسم السياسات العامة لا يمكن فهمها مالم يؤخذ بعين الاعتبار كل عنصر من عناصر الشكل السابق، اذ ان كلاً منها يساعد في تعريف من يقوم برسم السياسة العامة، وكيفية رسمها، والזמן الملائم لذلك، ونتائج تفاعل المعين او المسؤولين عن رسم السياسات العامة. ولمعرفة عملية صنع السياسات العامة، لا بد من معرفة الخطوات التي تمر بها هذه العملية، وهي : (المنوفى:

(٢٩٣ - ٢٩٧ : ١٩٨٧)

- 1 - معرفة وتحديد القضايا والمشاكل العامة الناجمة عن مطالب ورغبات المواطنين غير المحببة والمشبعة. وقد سبق الكلام عن هذه الخطوة بالتفصيل في الفقرات السابقة.

-٢ تحديد بدائل السياسات العامة ، بعد جمع المعلومات والحقائق واستشارة الجهات المعنية او ذات المصلحة الحقيقة بالمشكلة قيد الدراسة ، وتشكيل لجان على مستوى الجهاز التشريعي (البرلمان) ، او الجهاز التنفيذي (الوزارات) لتنصي المعلومات ، وسماع آراء الخبراء والمحترفين من فنيين واداريين وقضاة ويتم تحديد مجموعة من البدائل المحتملة لتحقيق الهدف العام الموضوعة لها ، وتلبية حاجات ورغبات المواطنين ، في حدود الموارد المتاحة والمخصصة لكل منها.

-٣ اختيار السياسة المناسبة : في هذه المرحلة تجري عملية ومناقشة كل بديل من بدائل السياسات العامة المقترنة التي قد تكون على شكل برامج او مشاريع للخدمات العامة ، او مسودات ولوائح للانظمة والقوانين التي يراد اصدارها لمعالجة موضوع معين ، او استثمار فرصة ما او تجنب تهديد معين ، وغير ذلك. اذ تخضع بدائل السياسات العامة المقترنة للنقاش داخل المؤسسة الحكومية وفق دساتير الدول ، والمبادئ او القواعد المتعارف عليها ، فضلاً عن المناقشة التي تجري حولها في المؤتمرات العامة ، او الخاصة بالاحزاب والجماعات المصلحية ، والحملات الانتخابية ، ووسائل الاعلام المتنوعة. اذ يؤدي هذا التفاعل الى اختيار احد البدائل المطروحة ، بوصفه معبراً عن السياسة العامة الاكثر قبولاً من قبل الاطراف المستفيدة والمعنية برسم السياسات العامة. ان النقاش او التفاعل الذي يجري بين المستفيدین والمعنیین برسم السياسات العامة يمكن ان يأخذ احد الصيغ او الانماط التالية :

أ: المساومة

ب: المنافسة

ج: الصراع

د: الامر او الفرض

ه: التعاون

أ. المساومة:

تعرف المساومة بانها: "عملية تفاوض بين شخصين او اكثرين يتمتعون بالسلطة او الصلاحية للاتفاق على حل مقبول ولو جزئياً لمصلحة اهدافهما، وليس بالضرورة ان يكون حلاً مثالياً." (اندرسون: ١٩٩٩ : ١٠٧)، فهي اذن، "التوصل الى مبادرات مفيدة للطرفين" ، (المنوفي: ١٩٨٧ : ٢٩٥). وعليه فان المساومة هي محاولة الوصول الى تبادل منافع مشتركة بين المتساومين وفقاً لقاعدة (خذ واعط). أي ان كل فرد او مجموعة من الافراد تجد ان ما تصبو اليه من منافع متوفرة تحت سيطرة فرد او جماعة اخرى، ليس بمقدورها ان تحصل عليها كلاً او جزءاً الا بتقديم شيء ما يرغب به الطرف الآخر، او الوعود بتقديمه في زمان ومكان وكيفية معينة بالمستقبل، ومن الشروط الواجب توافرها لإتمام المساومة: توافر الرغبة لدى المتساومين، ووجود شيء ما عند كل مساوم يرغب به المساوم الآخر، مثال ذلك، وجود شخص يبحث عن وظيفة محاسب وجود شركة بحاجة الى موظف يجيد مهنة المحاسبة. ولكن طرف المساومة قد لا يكونان بالقوة نفسها، او المستوى من الحاجة للشيء موضع المساومة، مما يؤدي الى تقديم تنازلات اكثر من قبل الطرف الأضعف الذي يخضع بتأثير حاجته الملحة، للطرف الآخر، وهذا ما يمكن ان نسميه بالمساومة غير المتكافئة او غير المتوازنة، اما المساومة المتوازنة فهي التي يكون فيها طرفا المنافسة متساوين او متعادلين من حيث القوة، ومستوى الحاج الشعور بالحاجة للشيء قيد المساومة. كما يمكن ان تكون المساومة غامضة او ضمنية بطبيعتها، خصوصاً حين تعدد الاتفاques بين أطراف المساومة على أساس وعد مستقبلية، مثل الاتفاques التي تحصل بين الكتل السياسية في البرلمانات، عندما تقوم مجموعة من الأعضاء بدعم موقف مجموعة أخرى في أثناء المناقشات او التصويت، على أمل الحصول على تأييدهم لموافقتهم في المستقبل. (Mitchel: 1969: 438) كما قد تكون علنية، ذلك حينما يحدد كل من المتساومين مطالبه وشروطه بشكل واضح ومكتوب منعاً للالتباس وسوء الفهم الذي يتتب المساومات الضمنية وغير المكتوبة، وقد جرت مثل هذه المساومات (العلنية) عندما وافق الرئيس الامريكي (جونسون) عام ١٩٦٨ على زيادة الضرائب على الدخل، مقابل تخفيض النفقات (اندرسون: ١٩٩٩ : ١٠٨)، وفي جميع انواع المساومة، المتوازنة وغير المتوازنة، العلنية والضمنية، يجب ان يكون المساوم عارفاً، امكاناته وقدراته، وامكانيات وقدرات الآخرين، ، وما

يرغبون فيه، والظروف والمواصفات الملائمة، من حيث المكان والزمان التي يستطيع فيها ان يحصل على اكبر قدر ممكن من المنافع باقل قدر ممكن من التضحيات علماً ان هذه المعلومات - غالباً ما - يصعب الحصول عليها، وان المتوافر منها قد تنقصه الدقة.

ب. المنافسة:

تعرف المنافسة بانها: - نشاط يمارسه طرفان او اكثر بهدف الوصول الى الغاية نفسها (المتوفى: ١٩٨٧ : ٢٩٦) أي ان المنافسة تحصل عند وجود شخصين (أو وجهتين) أو اكثر تتعلق رغبتهما او اشباع حاجتهما بالحصول على شيءٍ ما يمتاز بالندرة النسبية، وان حصول أيٍّ منهما عليه يمنع الآخر من الحصول عليه كلاً او جزءاً، كمنافسة بين الاحزاب السياسية على اصوات الناخبين، المنافسة بين المؤسسات الحكومية للحصول على اكبر قدر من الموارد النادرة، وتتنافس الدول مع بعضها للحصول على الموارد الاقتصادية (الاسواق) او المكانة وغيرها. ومن الشروط الواجب توافرها في المنافسة، وجود طرفين او اكثر (حزبين، دولتين، جماعتين مصلحيتين)، ووجود هدف معين (موارد اقتصادية، اصوات ناخبيين، مقعد في البرلمان، ...، الخ)، يمتاز بالندرة النسبية أي عدم كفاية ما متاح منه لتلبية حاجات المتنافسين جميعاً، واخيراً يكون لكل طرف من الاطراف المتنافسة الرغبة بالاستحواذ عليه وحده، ومنع الاخرين من الحصول عليه. وعلى ذلك فان المتنافسين يعمد كل منهما الى تحقيق غايته دون تقديم ادنى نفع للاخر، بينما يحاول المتساوون تشجيع بعضهما البعض على قبول موقف او ظرف قد يفيد الجميع. غير ان هناك مواقف معينة تضطر المتنافسين الى اللجوء الى المساومة عندما يتعرض وجودهما معاً الى الخطر. مثل ذلك تكوين الحكومات الائتلافية او قبول المعارضة ببعض المكاسب التي تقدمها لها الحكومة. (Mitchell: 1969: 447).

ج. الصراع:

الصراع هو حالة من حالات التفاعل التي تحصل بين طرفين يفوز أحدهما بما يطمح إليه ولا يوفق الطرف الآخر إلى ذلك وإنما يتحمل كلفة فوز خصمه وقد ينشأ الصراع عن موقف تنافسي

، أي أن المنافسة قد تتطور لتصل إلى حالة من حالات الصراع عندما يحاول أحدهما تنحية الآخر أو إبعاده عن الموقف ، أو تحميلاه تكاليف لا يطيق تحملها.

كما أن الصراع يمكن أن يكون سلمياً عندما لا يتحول إلى جلب الأذى للطرف الآخر ، وينتهي عند حد التهديد والوعيد ، وربما يتخذ الصراع طابع المساومة وتحقيق بعض المنافع للطرفين ، وقد يكون عنيفاً" يؤدي إلى إيقاع الأضرار بأحد الطرفين المتصارعين او كليهما ، وينتهي بفوز أحدهما مقابل خسارة الآخر ، او تدمير سمعته او مركزه الاقتصادي او الاجتماعي ، او تجريده من القدرة على المنافسة. (Mitchell: 1968:460)

أن نتائج الصراع قد تؤدي إلى الحقد والتغضب والاعصب والاستياء لدى الطرف الخاسر ، فيتحين الفرص او المواقف المؤاتية للانتصار لنفسه في المستقبل ، لذلك فان الصراع على الرغم من فوائده ، يظل حاله مؤذيه غير مرغوبه ، والصراع يمكن ان يكون علينا" عندما تكون أطرافه معروفة ، كالصراع بين الدول ، أو الصراع بين أحزاب المعارضة والأحزاب الحاكمة ، وغيرها ، وقد يكون ضمنياً" ليس من السهولة ملاحظته من قبل الآخرين خارج حلبة الصراع ، كصراع بعض الكتل او المجموعات السياسية داخل الحزب الواحد ، او داخل البرلمان ، او غير ذلك.

دالأمر أو الفرض: command

يعرف الأمر بأنه : إصدار الأوامر والتعليمات من الأعلى إلى الأدنى في المنظمة الواحدة. ويتم عبر سلسلة الاتصال والإمرة ، من الرؤساء إلى المرؤوسين لتوجيههم وحثهم على تأييد مواقفهم وتبني برامجهم باستخدام منظومة التحفيز (الثواب والعقاب) للمؤيدین والمعارضین. ويعود هذا الاسلوب في صنع القرار السياسي أكثر شيوعاً وأستخداماً في الانظمة الاستبدادية أو الفردية ، وفي المنظومات العسكرية (أندرسون: 1999: 111).

هـ الإقناع والتعاون:

ان الإقناع هو ان يستميل احد الاطراف الطرف الآخر ويحصل على تأييده على مواقفه او عرضه حول قضية او مطلب ما بعد اقتناعه بسلامة الرأي او القضية المعروضة عليه. أي ان احد الاطراف يجعل الطرف الآخر يقتنع بوجهة نظره او موقفه بناءً على حقائق معينة كانت غائبة ، او

معلومات كانت غير متوافرة ، أو مصالح يمكن أن تتحقق لم تكن واضحة للطرف الآخر ، وقد يجتمع كل ذلك (اندرسون: ١٩٩٩: ١١٠) ، مما يؤدي إلى أيجاد نوع من التعاون بينهما ، فالتعاون اذن يأتي نتيجة لاقتناع الاطراف بعضها بقضايا البعض الآخر. واتفاقهم على تحقيق أهداف مشتركة ، وب بدون أن يحاول أي منهم تحقيق مصالحه وأهدافه الشخصية على حساب الطرف الآخر. أن أي مجتمع لا يستطيع إنكار وجود التعاون بين الجماعات او الأحزاب السياسية لتحقيق طموحات ، و أهداف يسعون جمِيعاً من أجل تحقيقها والتعاون يؤدي بشكل عام الى تحقيق نتائج إيجابية وغير مكلفة ، وقد حثّ الاسلام الحنيف على التعاون الإيجابي ، اذ قال تعالى في كتابة المبين (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) ، والنصل القرآني ينهى عن التعاون السلبي الذي يضر بالمجتمع كالامر للأضرار بصالح الآخرين وما تقوم به عصابات التهريب والسرقة

، وغير ذلك (Mitchal: 1969: 472)

رابعاً: مستويات السياسات العامة

أن الجهات المعنية برسم السياسات العامة ، المذكورة افنا" ، لاتسهم كلها في رسم جميع السياسات العامة على تنوع موضوعاتها ومستوياتها ، اذ ان قسماً منها يستحوذ على اهتمام جميع المعنيين بفئاتهم وشرائحهم المتنوعة مختصين او مواطنين عاديين ، بينما لا يشير القسم الآخر منها إلى اهتماماً محدوداً مقارنة بالنوع الأول. وانسجاماً مع ذلك ، فقد طرح (رالفورد) ثلاثة للسياسات العامة هي (Redford: 1969: 53)

١. المستوى العام: (Macro politics)

وهي المطالب والقضايا أو المشاكل التي تهم الرأي العام ، او شرائح وفئات متعددة منه ، كالأحزاب السياسية ، أصحاب الدخل المحدود من الموظفين والعمال ، مشاكل انخفاض مستوى الاجور وارتفاع أسعار السلع والخدمات ، قضية الحرب الأمريكية مع فيتنام (بالنسبة للشعب الأمريكي) ، قضية عضوية تركيا في الاتحاد الأوروبي (بالنسبة للشعب التركي) قضية "كممير" بالنسبة لشعبي الهند والباكستان ، قضية الانتفاضة الفلسطينية والاحتلال الصهيوني للأرض العربية بالنسبة للشعب العربي والشعوب الإسلامية ، وغيرها كثير. وقد تبدأ القضية على نطاق

محدود لفئة اجتماعية او سياسية واحدة ، أو مجموعة من المواطنين ثم تتطور الى قضية عامة بسبب تعاطف فئات واسعة من المواطنين معها.

ان القضايا الكلية او العامة تحضي باهتمام ومشاركة الاحزاب السياسية ، وقادة الجماعات المصلحية والضاغطة ، ووسائل الاعلام وسرعان ما تتسع دائرة الاهتمام لتشمل المعنيين برسم وتنفيذ السياسات العامة فيقومون بتحليلها وإخضاعها للنقاش بسبب وضوحها وسهولتها ، وسرعة التوصل الى وضع الحلول المناسبة لها ومن المفيد ان نذكر ان ما يميز السياسات العامة الكلية عن غيرها من السياسات هو تدخل رؤساء الدول فيها (قيادة السلطة التنفيذية) لانها تعبّر عن المصلحة العامة ، وان القضايا التي يطرحها رئيس الدولة عادةً ما تحظى باسبقية خاصة على غيرها من القضايا الاخرى التي تطرح للنقاش ، باعتباره موجهاً للسياسات العامة ، وتحديد مضامينها وابرز مثال على ذلك ما فعلته ادارة الرئيس الامريكي (نيكسون) من دور في السياسات العامة الموجهة لمكافحة الفقر في الولايات المتحدة الامريكية.(اندرسون : ١٩٩٩ : ٧٤).

٢. المستوى الجزيئي (Micro Politics)

السياسات الججزئية هي تلك التي تصنع استجابة لقضية او مطلب فرد واحد او جهة او منطقة معينة ، كإعفاء شركة ما من اداء الضريبة ، او تخفيضها عنها او اقامة مشروع لاسكان موظفي احدى المؤسسات ، او تلبية مطلب مدينة ما لتعبيد طريق خاص بها ، وهكذا فهي اذن قضايا او مطالب محدودة لشخص او شركة او منطقة معينة ، فالسياسة العامة هنا ترسم لصالح جهة واحدة او عدد قليل من الأفراد ومهمما كانت الفائدة المتأتية منها عظيمة لمؤلأء ، فان المتأثرين والمنتفعين بها هم حفنة من الأفراد مقارنة بالمجموع الذي لم يتأثر بها (اندرسون : ١٩٩٩ : ٧٠)

وكمية هي القرارات التي تصدر من هذا النوع لصالح جهة معينة او اشخاص معدودين بتأثير شخصي من قبل المستفيدين ، او احد الموظفين العموميين في جهاز الحكومة الاداري ، او احد اعضاء البرلمان فهي لا تتطلب تهيئة موارد وامكانات كبيرة لتنفيذها ، ولا تشغّل اجهزة الاعلام بها ، مع كونها تؤدي الى حرمان جهات اخرى او تتخذ على حسابها ، فتخفيض الضريبة عن شخص او شركة معينة لا يضر بمصلحة شركة اخرى ، كما ان الرأي العام لا يشغل بهذه القرارات ، ولا

يهم بها ، ولا يعرف أي شيء عنها. وكلما زادت برامج الدولة ، وتوسعت نشاطاتها ، زادت الآثار التي تحدثها ، والمنافع التي تعود على المجتمع افراد وجماعات ، وهذا ما يزيد من حجم وعدد السياسات العامة الجزئية ، كما يمكن ان تعد السياسات العامة المتعلقة بحل القضايا القطاعية ، كالزراعة والصيد ، والملاحة وغيرها من هذا النوع من السياسات.

٣. المستوي المحلي (الاقليمي): Local politics:

ويقصد بها السياسات التي تتناول القضايا والمشاكل التي تخص المحافظات او الأقاليم المحلية او الولايات في الحكومة الاتحادية ، مثل مشكلة ملوحة المياه في محافظة البصرة (جنوب العراق) ، او ارتفاع الماء في العاصمه بغداد ، او ارتفاع مناسيب المياه الجوفية في محافظات الفرات الاوسط وهكذا فان هذه القضايا ، كما هو واضح تهم المواطنين في محافظة واحدة او مجموعة من المحافظات (إقليم) ، ولا تعني المواطنين في المحافظات الاخرى لعدم تأثيرهم بها اذ ان موضوعات من هذا النوع لا تجلب اهتمام اغلب المواطنين الذين هم خارج دائرة التأثير ، وعليه فان تلبية المطالب وحل المشاكل المحلية او الاقليمية غالباً ما توكل الى الحكومات المحلية او حكومات الأقاليم التي لكل منها استقلالها وسلطاتها في جمع المعلومات وتحليلها ، وتحديد الأسبقيات ، وصياغة السياسات العامة الالازمة والمرتبطة بكل منها في ضوء صلاحياتها ، ومسؤولياتها المحدودة لها ، بالتنسيق مع الأجهزة الحكومية المركزية المختصة.

الخلاصة:

لقد تبين من خلال البحث أن أهم التحديات التي تواجه صانعوا السياسات العامة هي تلك التي تمثل بأدراك مشاكل المواطنين ، والاستجابة لها بالكيفية التي تحقق أعلى درجات الرضا ، وتقديم أفضل الخدمات الممكنة لهم مع الأخذ بنظر الاعتبار الأسبقيات أو تقديم الاهم على المهم عند التعامل مع حل المشاكل او تلبية طلبات المواطنين خصوصاً عند عدم كفاية الموارد المادية والبشرية والمالية وغيرها.

ان عملية صنع السياسات العامة ليس بالامر اليسير ، فقد وجد ان هناك العديد من الجهات التي تشارك في هذه العملية كالاحزاب السياسية ، والجماعات المنفذة ، وال منتخب الاجتماعية والاقتصادية

والسياسية، والشخصيات الدينية، والقانونية والسياسية وعامة المواطنين، اضافة الى القيادات الادارية بمستوياتها المتعددة في جميع اجهزة الدولة ذات الصلة بصنع السياسات العامة، كالجهاز التشريعي والتنفيذي، والقضائي. حيث ان عملية صنع السياسات العامة تمر بالعديد من المراحل منها: معرفة مطالب ورغبات المواطنين غير المشبعة او الكامنة، ومن ثم تحديد البدائل او الاولويات او وضع جدولة زمنية لهذه المطالب بحسب المتاح من الموارد المتعددة والامكانات المتوفرة لاجهزة الدولة ذات الصلة بهذه المطالب والرغبات وصولاً الى الخطوة الاخيرة التي تمثل في اختيار السياسة او السياسات العامة التي ينجم عنها حل المشكلة او اجابة واحد او اكثر من مطلب المواطنين.

المصادر

اولاً: المصادر العربية

- ١ - الاسود، صادق، "الرأي العام: ظاهره اجتماعية، وقوه سياسية" ، (بغداد، دار الحرية للطباعة والنشر، ١٩٩٣).
- ٢ - اندرسون ، جيمس ، "صنع السياسات العامة" ترجمة الدكتور عامر الكبيسيي ، ط١ ، (عمان ، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة) ، ١٩٩٩.
- ٣ - جابريل ، والموند ، "السياسات المقارنة في وقتنا الحاضر نظرة عالمية" ، ترجمة عبدالله هشام (عمان ، الدار ، الاهلية للنشر والتوزيع ، ١٩٩٨).
- ٤ - الجمل ، يحيى ، "الأنظمة السياسية المعاصرة" ، (القاهرة، دار النهضة العربية،) بلا سنة طبع.
- ٥ - حمادة، بسيوني ابراهيم، "دور وسائل الاتصال في صنع القرارات في الوطن العربي" ، (بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية)، ١٩٩٣.
- ٦ - درويش، ابراهيم، "النظام السياسي: دراسة فلسفية تحليلية" ، (القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٦٨).

- سرحان، احمد، "النظم السياسية الدستورية في لبنان والدول العربية" ، (بيروت ، دار الباحث)، ١٩٨٠ .
- عبد القوي ، خيري ، "دراسة السياسة العامة" ، (الكويت ، منشورات ذات السلسل) ، ١٩٨٩ .
- عليوه السيد ، ودرويش ، عبدالكريم ، "دراسات في السياسات العامة وصنع القرار" ، بلا سنة طبع.
- العزاوي ، وصال نجيب ، "السياسات العامة: حقل معرفي جديد" ، (بغداد ، مركز الدراسات الدولية بجامعة بغداد) ، ٢٠٠١.
- العويني ، محمد علي ، "أصول العلوم السياسية: نظرية الدولة ، الفكر السياسي ، الرأي العام والاعلام ، والعلاقات الدولية" ، (القاهرة ، عالم الكتاب) ، ١٩٨١ .
- المنوفي ، كمال ، "أصول نظم السياسة المقارنة" ، ط١ ، (الكويت ، شركة الريungan للنشر والتوزيع) ، ١٩٨٧.
- الهاشمي ، طارق ، "الاحزاب السياسية" ، (بغداد ، مطبع التعليم العالي) ، ١٩٩٠ .
- هلال ، علي الدين ، وسعد ، نيفين ، "النظم السياسية العربية: قضايا الاستمرار والتغيير" ، (بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية) ، ٢٠٠٠ .

ثانياً: المصادر باللغة الانكليزية

- 1- Brady , David ,W. , " Critical Elections,Congressional Parties and Clusters of Policy Changes " , British Journal of Political Science, (VIII ,January 1978).
- 2- Cobb,Roger W.and Edler,charles D.;"participation in american politics: the daynamicas of Agenda-setting ;(Boston ;Allyn and Bacon;1972).
- 3- Dye, Thomas R., "Understanding public policy " ; 3rd .Ed .(U.S.A, Prentice -Hall ,Inc. Englewood cliffs.N.J.1978).
- 4- Dunny, William N., "Pubic policy Analysis: A introduction, (Inc.Englewood cliffs ,N.J.1979).

- 5- Dror,Y., "public policy making Reexamined " ,(U.S.A,chandre publishing Co.,1968).
- 6- Edwards ,George ,C.&sharkansky , Ira",The policy predicament " (San francisco ;W.H Freeman &Company:1978).
- 7- Lipsky ,Micheal , "protest as Apolitical Resourcer" ;American political science Review;(Lx11,Decemder,1968).
- 8- Lindblom,charles E. , " The Policy -Making Process" , (Englewood Cliffs,N.J. Printice-Hall , 1968).
- 9- Lowi ,Theodore J. , "American Business public policy: case studies and political Theory " ; world politics ,xvi ,(July ,1964).
- 10- Mitchell ,Joyce.M. and Mitchell,william,C.;"political Analysis & public policy: An introduction to political science ",(chicago;Rand and company ;1969).
- 11- Smith , David G., "Progmastism and the group theory of politics " , American Political Science Review ; Lv111 ,(September,1964).
- 12- Redford ,Emmetts ,S.;"Democracy in the Adminstrative State, (London ,oxford university press,1969).
- 13- Smith ,David G."Pragmatism & the Group theory of politics " ,American Politiccal science Review Lv111(september,1964).
- 14- Simons ,Rebert.H.&dvorin ,Eugene ,p.,"Public Administration :values ,policy ; and change") (U.S.A:Alfred Publishing Co. Inc.1977).
- 15- walker,Jack L., "Setting The Agenda in the U.S.A;Atheory of problemselection ;"The British Jornal of political science" ;(vol.7,october,1977).

16- Zeigler , Harmon , and Daten , Hendrick; " Interest Group in the states "; In Jacob, Herbert & vines, Kenneth N (Eds). Politics in the American states ", 2nd. Edition,(Boston; little, Brown,1971

اثر التضخم ومعدلات الفائدة في أسعار الصرف

أ.د. حاكم محسن محمد

أثر التضخم ومعدلات الفائدة في أسعار الصرف

مقدمة:

تعد أسعار الصرف الموازية لأسعار الصرف الرسمية واحداً من المؤشرات الاقتصادية والمالية المعبّرة عن متانة الاقتصاد لأية دولة سواء أكانت من الدول المتقدمة أم الدول النامية، وتتأثر أسعار الصرف بعوامل سياسية وإقتصادية متعددة، ومن بين هذه العوامل الاقتصادية، التضخم، ومعدلات أسعار الفائدة السائدة في السوق، اللذان يعكسان أثراهما في سعر الصرف للعملة الوطنية في السوق الموازية لسعر الصرف الرسمي الوطني، ويركز هذا البحث على أثر التضخم ومعدلات الفائدة في أسعار الصرف الموازية وللمدة من (١٩٩٢ - ٢٠٠١) في العراق وبعض الدول المجاورة، وقد افرز البحث عدة استنتاجات وتوصيات، وهي ..

أولاً: التضخم وأثاره الإقتصادية:

أ- تعريف التضخم:

يعرف التضخم بأنه الارتفاع المتزايد في أسعار السلع الإستهلاكية. ويعد هذا التعريف من أبسط أنواع التعريفات للتضخم. حيث توجد تعريفات أخرى ولكن هذا التعريف يعد أكثر وضوحاً من

وجهة نظر المستهلك ، وقد يصاحب التضخم التشغيل الكامل مقابل انخفاض البطالة حيث ترتفع الأسعار كلما زادت نسبة تشغيل العاطلين عن العمل^١.

ب - أنواع التضخم:

- ١- التضخم الأصيل : يتحقق هذا النوع من التضخم حين لا يقابل الزيادة في الطلب الكلي زيادة في معدلات الإنتاج مما ينعكس أثره في إرتفاع الأسعار.
- ٢- التضخم الزاحف : يتسم هذا النوع من أنواع التضخم بارتفاع بطيء في الأسعار.
- ٣- التضخم المكبوت : وهي حالة يتم خلالها منع الأسعار من الإرتفاع من خلال سياسات تمثل بوضع ضوابط وقيود تحول دون اتفاق كلي وارتفاع الأسعار.
- ٤- التضخم المفرط : وهي حالة ارتفاع معدلات التضخم بمعدلات عالية يترافق معها سرعة في تداول النقد في السوق ، وقد يؤدي هذا النوع من التضخم إلى انهيار العملة الوطنية ، كما حصل في كل منmania خلال عامي ١٩٢١ و ١٩٢٣ وفي هنغاريا عام ١٩٤٥ بعد الحرب العالمية الثانية^٢

ج - أسباب نشوء التضخم:

ينشأ التضخم بفعل عوامل إقتصادية مختلفة ومن أبرز هذه الأسباب :

- ١- تضخم ناشئ عن التكاليف: ينشأ هذا النوع من التضخم بسبب ارتفاع التكاليف التشغيلية في الشركات الصناعية أو غير الصناعية، كمساهمة إدارات الشركات في رفع رواتب وأجور منتسبيها من العاملين ولاسيما الذين يعملون في الواقع الإنتاجية والذي يأتي بسبب مطالبة العاملين برفع الأجور.
- ٢- تضخم ناشئ عن الطلب: ينشأ هذا النوع من التضخم عن زيادة حجم الطلب النقدي والذي يصاحبه عرض ثابت من السلع والخدمات، إذ أن ارتفاع الطلب الكلي لا تقابله زيادة في الإنتاج. مما يؤدي إلى إرتفاع الأسعار.

^١ الأمين، ١٩٨٢، ص ١٩٢.

^٢ (الأمين وبasha، ١٩٨٣ ص ١٩٦ - ١٩٧)

٣- تضخم حاصل من تغيرات كلية في تركيب الطلب الكلي في الاقتصاد حتى لو كان هذا الطلب مفرطاً أو لم يكن هناك تركز اقتصادي إذ أن الأسعار تكون قابلة للارتفاع وغير قابلة للانخفاض رغم انخفاض الطلب^٣.

٤- تضخم ناشئ عن ممارسة الحصار الاقتصادي تجاه دول أخرى، تمارس من قبل قوى خارجية، كما يحصل للعراق وكوبا ولذلك ينعدم الاستيراد والتصدير في حالة الحصار الكلي مما يؤدي إلى ارتفاع معدلات التضخم وبالتالي انخفاض قيمة العملة الوطنية وارتفاع الأسعار بمعدلات غير معقولة.

د - الآثار الاقتصادية للتضخم:

للتضخم آثار اقتصادية مؤثرة في مسيرة التنمية الاقتصادية والاجتماعية وأبرز هذه الآثار هي :

١- ارتفاع الأسعار والكتلة النقدية المتداولة : يترتب على ارتفاع معدلات التضخم ارتفاع في أسعار المواد الإستهلاكية وإن أولى الفئات المتضررة بهذا الارتفاع هم أصحاب الدخول المحدودة، فضلاً عن وجود كتلة نقدية كبيرة متداولة في السوق وقد تكون هذه الكتلة محصورة بين أيدي مجموعة صغيرة لا تشكل إلاّ نسبة ضئيلة جداً من السكان، مما يعكس آثاره الاقتصادية السلبية على المستويات المعيشية للسكان.

٢- ازدياد معدلات التضخم تؤدي إلى خفض القيمة الشرائية للنقد مما يؤدي إلى زيادة الطلب على رؤوس الأموال لتمويل المشروعات المقترحة وزيادة الطلب على رؤوس الأموال يؤدي إلى ارتفاع أسعار الفائدة.

٣- يتاثر العمر الاقتصادي للمشروعات (الاستثمار) وقيمها بمعدلات التضخم وتحسب هذه القيمة وفقاً للمعادلة الآتية، بعد الأخذ بنظر الاعتبار معدل التضخم :

$$F(T) = -C + e^{-(I+g)T} \left[(1 - T) F(T) e^{g^T} + TC \right]$$

حيث أن :

^٣ (الأمين وبasha ، ١٩٨٣ ، ص ١٩٧ - ١٩٩)

(Brenner & venzia , 1998 , p.1521)

قيمة الاستثمار = $F[T]$

معدل التضخم = g

كلفة الاستثمار - C

معامل الخصم = $e^{-(I+g)}$

القيمة الاسمية للموجودات = $e^{gt} f(t)$

١ - الحد من الصادرات إلى الأسواق الدولية :

ان ارتفاع معدلات التضخم يؤدي إلى انخفاض القدرة التنافسية للمنتجات الوطنية في الأسواق الدولية وهذا يسبب زيادة المدفوعات مقابل انخفاض الإيرادات وبالتالي حصول عجز في الميزان التجاري .

٢ - يؤدي التضخم إلى زيادة أسعار الفائدة وتبعاً لذلك تزداد أرباح منشآت الأعمال ، وتنخفض هذه الأرباح بانخفاض معدلات الفائدة ، حيث يتم تمويل الموجودات بإصدار سندات مدینونیة . في حين لا تسرى هذه الخصائص في عدد من المشروعات الصناعية في الاقتصاديات ذات التضخم المنخفض . بل يحصل ذلك في الاقتصاديات ذات المعدلات العالية للتضخم ، إذ يسبب إرتفاع التضخم إرتفاع في الإيرادات ومعدلات القائدة . وهي معدلات ليست حقيقة لو تم معالجتها وإعادتها إلى الأسعار الثابتة .

(Damodaran , 1999 , p.327)

٣ - إجراءات الحد من التضخم : يمكن الحد من التضخم ولاسيما في الدول المتقدمة بتنفيذ اجراءات السياسيين المالية والنقدية :

أ. السياسة المالية:

أولاً : تضع وزارة المالية السياسة المالية (fiscal policy) للدولة وبموجبها تتحدد مصادر الإيرادات واستخداماتها والفائض (surplus) في الميزانية (Buelget) يؤدي إلى تقليل حجم السيولة المتاحة . وبالتالي سيؤدي ذلك إلى خفض معدل التضخم .

ثانياً: قيام وزارة المالية ببيع حجم الدين العام إلى الجمهور وبالتالي سحب النقد المتوفر في السوق ويؤدي ذلك إلى الحد من عرض النقد.

ثالثاً: زيادة الضرائب على السلع الكمالية ، التي تداولها القلة من السكان من أصحاب الدخول المرتفعة.

رابعاً: خفض الإنفاق الحكومي : يعد الإنفاق الحكومي أحد الأسباب المؤدية إلى زيادة المتداول من النقد في السوق ، وبالتالي فإن الحد من هذا الإنفاق وتقليله سيؤدي إلى خفض النقد المتداول في الأسواق^٤.

بـ- السياسة النقدية:

تتولى المصارف المركزية (البنوك المركزية) في الدول المختلفة وضع وتنفيذ السياسات النقدية باعتماد مجموعة من الأدوات الكمية والنوعية :

أولاً: الأدوات الكمية:

١. زيادة سعر إعادة الخصم : ومن النشاطات الاعتيادية التي تقوم المصارف التجارية بها: خصم الأوراق التجارية للأفراد وفي حالات أخرى تقوم بإعادة خصمها لدى البنك المركزي وفي هذه الحالة يقوم البنك المركزي برفع سعر إعادة الخصم بهدف التأثير في القدرة الإئتمانية للمصارف من أجل تقليل حجم السيولة المتداولة في السوق ويعود هذا الإجراء واحداً من الإجراءات لمكافحة التضخم.

٢. دخول المصارف (البنوك المركزية) إلى الأسواق بائعة للأوراق المالية وذلك من أجل سحب جزء من السيولة المتداولة في السوق. أو ما يسمى بدخول السوق المفتوحة.

٣. زيادة نسبة الاحتياط القانوني. تحفظ المصارف التجارية بجزء من الودائع لدى البنك المركزي وكلما ارتفعت هذه النسبة كلما انخفضت القدرة الإئتمانية لدى المصارف. فلو كانت الودائع مثلاً (٣٠٠) مليار دينار، فإن نسبة احتياطي مقدارها (٢٥٪) يعني الاحتفاظ بـ(٧٥) مليار

^٤ (الشمام، ١٩٩٢، ص ٤٨ - ٤٩) (الأمين وباشا، ١٩٨٣، ص ٢٠٣)

ولو رفع البنك المركزي هذه النسبة إلى (٥٠٪) يعني ذلك تقليل القدرة الإئتمانية للمصارف بمقدار (٧٥) مليار دينار أي سيكون الاحتياط القانوني (١٥٠) مليار بدلاً من (٧٥) مليار وبالتالي سيؤثر ذلك في السيولة المتداولة وبالتالي خفض معدل التضخم.

ثانياً: الأدوات النوعية:

أما الأدوات النوعية فإنها تتلخص بطريقة الإقناع لدرء المصارف التجارية والمسؤولين فيها عن الإنماء المصرفي، بسياسة الدولة الهدافة إلى خفض السيولة المتداولة في الأسواق، وهذه السياسة فعالة في الدولة النامية بشكل أكبر مما في دول أخرى.

ثالثاً: معدلات الفائدة: (Interest rates)

غالباً ما تقترب معدلات الفائدة بمصادر التمويل المقترضة سواء أكانت هذه المصادر قصيرة، أم متوسطة، أم طويلة الأجل، إذ يخصص رأس المال في إطار النظرية المالية من خلال أسعار الفائدة، وتتفاوت هذه الأسعار حسب تفاوت أجال الاقتراض، فالفوائد على القروض قصيرة الأجل تكون أقل في حين تكون أسعار الفائدة على القروض طويلة الأجل مرتفعة بينما أسعار الفائدة على القروض متوسطة الأجل تكون بين السعرين^٥ وتزداد أسعار الفائدة عند تزايد الطلب على رؤوس الأموال الحاصل عن الرواج الاقتصادي، وقد تتوفر فرص استثمارية تشجع المستثمرين على استغلال هذه الفرص الاستثمارية. ولتوقعات المستثمرين أثر واضح في زيادة الطلب على رؤوس الأموال، إذ تتجه توقعاتهم بأن الحالة الاقتصادية في تحسن وأن رواجاً اقتصادياً سيؤدي إلى توفر فرص استثمارية متاحة أمام المستثمرين ولذلك يزداد الطلب على رؤوس الأموال وعلى شكل قروض قصيرة الأجل الأمر الذي يؤدي إلى زيادة أسعار الفائدة القصيرة الأجل بشكل يفوق أسعار الفائدة على القروض طويلة الأجل خلافاً للقاعدة التي تقول أن أسعار الفائدة على القروض طويلة الأجل أكثر من الفوائد على القروض قصيرة الأجل، وتتأثر أسعار الفائدة بعدة عوامل

^٥ (الشمام، ١٩٩٢، ص ٦٥)

يتربّ على مؤثرات هذه العوامل أن يطلب المقرض (الدائن) علاوات تضاف إلى أسعار الفائدة الحقيقة ومن أبرز هذه العوامل :

١. معدل التضخم (Inflation)

تؤثر معدلات التضخم في تكاليف الإنتاج الصناعية لمنشآت الأعمال عموماً ولذلك يزداد الطلب على رأس المال لتغطية هذه التكاليف. وكما أشير إليه سابقاً فإن انخفاض القوة الشرائية للنقد تسبب ارتفاع الحاجة إلى التمويل. وعلى افتراض أن تقديرات إحدى منشآت الأعمال، وأشارت إلى أن كلفة خط إنتاجي مقترن بخطتها السنوية للسنة القادمة بلغت (١٠) مليون دينار، وعندما أرد تنفيذ الخط الإنتاجي تبين أن هذا المبلغ لا يكفي لتغطية تكاليف إقامة هذا الخط الإنتاجي، بل يتطلب (١٥) مليون دينار، هذه الزيادة ناتجة عن ارتفاع معدل التضخم وانخفاض قيمة العملة الوطنية، مما أدى إلى زيادة الطلب على رأس المال وزيادة الطلب هذه، تؤدي إلى زيادة أسعار الفائدة على التمويل المقترض، إذا تأثر القرارات المالية لمنشآة الأعمال ولا يقتصر التأثير على أسعار الفائدة بل يؤثر التضخم في أسعار الصرف للعملة الوطنية تجاه العملات الأخرى، وتنسجم أسعار الفائدة مع معدلات التضخم. ففي ألمانيا كانت أسعار الفائدة أقل من نظيرتها في الولايات المتحدة الأمريكية ويعود السبب إلى أن معدل التضخم في ألمانيا كان أقل منه في الدولة الأخيرة.

(Weston, et.al, 1996,p774)

وكانت معدلات التضخم في دول أمريكا الجنوبيّة بين (٢٠ - ١٠٪) مما أدى إلى ارتفاع أسعار الفائدة في دول القارة الجنوبيّة قياساً بدول أخرى انخفضت فيها معدلات التضخم، وهذا ينسجم مع نظرية فشر (Fisher effect) حول الفرق بين أسعار الفائدة الرسمية في بلد وآخر ينبغي أن يعادل الفرق بين معدلات التضخم فيها (mud ura, 2000, p.232). وهذا التباين أوضح الاختلاف في عرض الأموال من جهة وادخارها من جهة أخرى، وفي معدلات الفائدة ولعدة أسباب كانت اليابان مثلاً بارزاً في تمسك الشعب الياباني في المحافظة على معدلات ادخار مرتفعة.

(Henning, et.al 1988, p.427)

وبسبب التضخم يطلب المقرضين (الدائنين) علاوة تسمى علاوة التضخم (Risk premium) تضاف إلى سعر الفائدة الحقيقي ، فإذا كانت الفائدة الحقيقة الحالية من المخاطرة (K_x) فضلاً عن

$$K = K^x + IP$$

علاوة التضخم (IP) تصبح الفائدة المطلوبة كالتالي :

((Weston & Brighan, 1993, P.130)

وقد يطلب بعض المقرضين علاوات عن السيولة والمتصود بالسيولة قدرة أي موجود للتحول إلى نقد بسرعة وبدون خسارة ، وبالتالي مقياس لدرجة سيولة الأدوات الإستثمارية كالأسهم والسنديانات وعلاوة السيولة هي (LP) كما يطلب البعض علاوة مخاطرة ائتمانية (DRP) وعلاوة استحقاق (MRP) ولذلك تصبح معادلة الفائدة التي يطلبها المقرض هي :

$$K = K^x + IP + DRP + MRP$$

٢. العرض والطلب :

يزداد الطلب على اقتراض الأموال في الحالات التي يكون فيها الاقتصاد الوطني للدولة في حالة انتعاش ورواج ، وذلك لتتوفر فرص استثمارية للمستثمرين وباختلاف مستويات العائد والمخاطرة المتوقعين لأية فرصة استثمارية ، يتم اختيارها ، ويصاحب هذه الزيادة في الطلب على الأموال زيادة في أسعار الفائدة ، في حين زيادة عرض الأموال يؤدي إلى انخفاض أسعار الفائدة .
ويعرض الجدول رقم (١) أسعار الفائدة الرسمية في كل من العراق وسوريا والأردن.

أسعار الفائدة

الاردن	سوريا	العراق	الدولة	
			السنة	
٨.٥	٥	٢٣		١٩٩١
٨.٥	٥	٢٣		١٩٩٢
٨.٥	٥	٢٣		١٩٩٣
٨.٥	٥	٢٣		١٩٩٤

٨.٥	٥	٢٣	١٩٩٥
٨.٥	٥	٢٣	١٩٩٦
٧.٧٥	٥	٢٣	١٩٩٧
٩	٥	٢٣	١٩٩٨
٨	٥	٢٣	١٩٩٩
٦.٥	٥	٢٣	٢٠٠٠
٥	٥	٢٣	٢٠٠١

جدول رقم (١)

يلاحظ من الجدول رقم (١) أن أسعار الفائدة محددة بشكل رسمي لم يتغير في كل من العراق وسوريا في حين استقرت لست سنوات من مدة البحث في الأردن ثم انخفضت إلى (٧.٧٥) سنة ١٩٩٧ ثم أخذت ترتفع ثم انخفضت إلى أن أصبحت ٥٪ سنة ٢٠٠١، وإن هذا التغير كان بفعل متغيرات اقتصادية مؤثرة، ولم يستطع الباحث الحصول على بيانات دقيقة عن الأسعار الموازية لأنسعار الفائدة الرسمية. التي بالتأكيد ستكون حركتها معايرة تماماً لحركة أسعار الفائدة الرسمية، فهي قد تصل إلى ٥٪ في بعض الحالات على مستويات الأفراد.

٣. أسعار الصرف (Exchange rates)

أ. تمثل أسعار الصرف علاقة التحويل بين العملات، ويعتمد ذلك على علاقات العرض والطلب بين عملتين، إن سعر الصرف الأجنبي، هو سعر وحدة عملة مع وحدة عملة مقابلة لدولة أخرى^٧، ويعبر عنه بالعملية الوطنية كالدينار العراقي مقابل الدولار أو الدينار الأردني أو الليارة السورية أو الفرنك الفرنسي مقابل المارك الألماني، إذ يعبر سعر الصرف الأجنبي (Foreign Exchange Rate) عن كمية الوحدات من إحدى العملات التي يتم مبادلتها بوحدة واحدة من

^٧ (العامري، ٢٠٠٢، ص ١٠٢)، (Weston & Copeland, 1988, p.850)

العملة الأخرى، وهناك نوعين من أسعار الصرف وهي أسعار الصرف الثابتة (Fixed Exchange rate) وأسعار الصرف الحرة (Free Exchange Rates).

١. أسعار الصرف الثابتة: تتحدد أسعار الصرف الثابتة في ضوء بعض الأسس التي تحدها الإدارة الرسمية في الدولة لتحديد سعر الصرف الثابت ولا تتغير هذه العلاقة بين العملات إلا ضمن هوامش محدودة جداً.^٧

٢. أسعار الصرف الحرة: تتغير أسعار الصرف للعملة الوطنية تجاه العملات الأخرى بناءً على العلاقة بين العرض والطلب على العملة في سوق الصرف الأجنبي ويجري هذا التغيير بشكل حر في أسعار الصرف الحرة.^٨

بـ- العوامل المؤثرة في أسعار الصرف:

وتتأثر أسعار الصرف بعدة عوامل ومن أبرزها:

١. ارتفاع معدلات الصرف للعملات الأجنبية الأمر الذي يؤدي إلى انخفاض قيمة العملة الوطنية تجاه هذه العملات.

٢. تراجع الصادرات أو انخفاض أسعارها يؤثر على حجم التدفقات النقدية الداخلة إلى البلد.^٩

٣. الحرروب والكوارث الطبيعية المؤثرة في الاقتصاديات الوطنية للدول إذ يؤثر ذلك في اختلال قوة الاقتصاد الوطني الأمر الذي يؤدي إلى انخفاض قيمة العملة الوطنية تجاه العملات الأخرى.

٤. معدل التضخم: يؤدي ارتفاع معدل التضخم في الاقتصاديات الوطنية إلى انخفاض قيمة العملة الوطنية تجاه العملات الأخرى، وبذلك يتأثر سعر الصرف مما يؤدي إلى زيادة عدد الوحدات من العملة الوطنية التي يتم تبادلها بوحدة واحدة من عملة أجنبية مقابلة لها.

٥. الديون الخارجية وخدمة الديون: تعد المديونية الخارجية واحد من الاعباء التي تشق كاهل الاقتصاد الوطني فضلاً عن خدمة المديونية المتمثلة بإقساط الفوائد السنوية وقد تلجأ بعض الدول

^٧ يحيى، ٢٠٠١، ص ٢٤٤.

^٨ يحيى، ٢٠٠١، ص ٢٤٧.

^٩ (In cash flows) (الصرف، ٢٠٠٠، ص ٣٦٥)

إلى جدولة ديونها مع الدائنين مقابل فوائد عالية، الأمر الذي يجعل هذه الدول تسدد الفوائد لا الأقساط الأصلية وهذا يعني اختلال العملة الوطنية تجاه العملات الأخرى.

٦. أسعار الفائدة: تؤثر أسعار الفائدة في أسعار الصرف بشكل غير مباشر، فالانخفاض أسعار الفائدة مع توفر فرص استثمارية، يؤدي إلى زيادة الطلب على رؤوس الأموال بهدف استثمارها، ويتحقق الاستثمار وينشط الاقتصاد الوطني ويتضاعف الاستثمار لتحقيق متانة الاقتصاد الوطني، مما يؤدي إلى تحسن قيمة العملة الوطنية تجاه العملات الأخرى. في حين يؤدي ارتفاع أسعار الفائدة إلى تحذب الاتجاه نحو الاقتراض من قبل المستثمرين وينتتج عن ذلك الخسارة الاستثمار وينخفض النمو الاقتصادي مما يؤدي إلى نتائج عكسية تقلل من متانة الاقتصاد الوطني وينعكس ذلك على قيمة العملة الوطنية تجاه العملات الأخرى.

ويبين الجدول (٢) أسعار الصرف الرسمية في كل من الأردن وسوريا والعراق.

أسعار الصرف الرسمية

الاردن	سوريا	العراق	الدولة السنة
.96553	16.057	.44466	١٩٩١
.95011	15.434	.42743	١٩٩٢
.96699	15.418	.42698	١٩٩٣
1.02336	16.387	.45381	١٩٩٤
1.05392	16.686	.46209	١٩٩٥
1.0195	16.141	.44700	١٩٩٦
.95662	15.145	.41942	١٩٩٧
.99829	15.805	.43770	١٩٩٨
.97311	15.406	.42665	١٩٩٩
.92376	14.625	.40502	٢٠٠٠
.89102	14.107	.39066	٢٠٠١

جدول رقم (٢)

Source: International Financial statistics, year book, u.n 2002

إن أسعار الصرف الرسمية المبينة في الجدول (٢) لا تعكس بشكل دقيق طبيعة أو حقيقة أسعار الصرف مقابل العملات الأخرى لأن هذا السعر محمد بشكل رسمي، ويعد سعر الصرف الموازي مؤشراً واضحاً لقوة العملة الوطنية. إلا أن الحالة العامة في العراق وبسبب الحصار المفروض عليه منذ منتصف عام ١٩٩٠ حيث لا تصدير ولا استيراد إلا بمحدود مذكرة التفاهم فان أسعار الصرف مختلفة تماماً وبشكل مفرط، حيث أن سعر صرف الدولار مقابل الدينار تجاوز (٢٠٠٠٪) صعوداً وزنو لا، وقد حصل ارتفاع في قيمة الدينار العراقي سنة ١٩٩٦ مقابل الدولار نتيجة لاتفاق النفط مقابل الغذاء ولذلك هبط سعر صرف الدولار إلى ٥٠٪ من سعر الصرف السابق وفي بعض الأحيان أقل من ذلك - إلا أن استمرار الحالة العامة للحصار أدى إلى انخفاض سعر صرف الدينار مقابل الدولار مرة أخرى، حيث أخذ بالانخفاض إلى أن أصبح سعر صرف الدولار يتجاوز ٢٠٠٪.

وبالرغم من رفع العقوبات الاقتصادية عن العراق بعد احتلال الانكلو - أمريكي للعراق وضخ قوات الاحتلال ملايين من الدولارات إلى السوق من خلال رواتب العاملين في أجهزة الدولة والذي كان يتوقع أن يؤدي إلى ارتفاع قيمة الدينار العراقي مقابل الدولار وهو ما حصل فعلاً - حيث أصبح سعر الصرف ١٢٠٠ دينار مقابل الدولار، إلا أن استمرار غياب السلطة عاد بهذا السعر إلى الارتفاع مرة أخرى إلى أن أصبح في الوقت الحاضر يتجاوز ١٨٠٠ دينار مقابل الدولار - حيث أن آلية السوق تخضع لرغبات المضاربين وتجار الحروب، يعزى ذلك إلى التضخم الناتج عن الحصار الشامل. أما أسعار الفائدة فهي الأسعار التي تستوفيها المصارف من المقترضين وكانت ثابتة طيلة المدة مقابل أسعار فائدة منخفضة تمنع للمودعين عن إيداعاتهم وبشكل عام فان أسعار الفائدة لم تكن متغيرةً مؤثراً في أسعار الصرف كالتضخم وذلك لأسباب أبرزها أن الدول الثلاث دول إسلامية وان التعامل بالفائدة لم يكن شائعاً وان وجد فهو تعامل محدود.

رابعاً: الاستنتاجات والتوصيات :

أ. الاستنتاجات : ان ابرز الاستنتاجات هي ما يأتي :

١. ارتفاع أو انخفاض معدل التضخم سيؤدي إلى ارتفاع معدلات أسعار الفائدة.

٢. ارتفاع أسعار الفائدة تقلل من إقبال المستثمرين ورجال الأعمال على الافتراض ، في حين انخفاضها يشجع على الافتراض والاستثمار ، مما ينعكس على مضاعفة الاستثمار ومتابعة الاقتصاد الوطني وتحسين قيمة العملة الوطنية.
٣. تأثر سعر الصرف بمعدلات التضخم ، حيث يؤدي ارتفاع التضخم إلى انخفاض قيمة العملة الوطنية وتبعاً لذلك يتغير سعر الصرف.
٤. ثبات أسعار الصرف في بعض الدول وهذا لا ينسجم مع الظروف الاقتصادية المتغيرة.
- ب. التوصيات : يوصي الباحث بالآتي :
١. تقليل الإنفاق الحكومي بكافة أشكاله ورفع معدل الضريبة على ربحية الأنشطة التي لا تعكس آثار إيجابية على الاقتصاد الوطني.
 ٢. تفعيل دور المصارف المركزية (البنوك المركزية) في ممارسة السياسة النقدية باتجاه التأثير في السيولة المتداولة في السوق.
 ٣. تفعيل دور وزارة المالية في ممارسة السياسة المالية للتأثير في السيولة المتداولة في الأسواق أيضاً.
 ٤. إتاحة البيانات أمام الباحثين عن معدلات التضخم وأسعار الفائدة وأسعار الصرف الرسمية والموازية تحديداً.
 ٥. تشجيع دور المؤسسات الإنتاجية لزيادة الإنتاج وتحسين الأداء.

مراجع البحث

١. الأمين وباشا ، عبد الوهاب ، زكريا عبدالمحيد ، مبادئ الاقتصاد - الجزء الثاني - الاقتصاد الكلي - دار المعرفة - الكويت - ١٩٨٣.
٢. Brenner, Menachem & Venezia, It zhak, The effext of Inflation and taxes on Jrowth Inrestments anel Replace ment policies, The Jourunal of finance, Vol, XXX VIII, December.
٣. Damodaran, Aswath, applied Corperate Finance, New york. John Willey & sons, Inc, 1999.
٤. الشمام ، خليل محمد حسن ، الادارة المالية ، بغداد ، ١٩٩٢ .

5. Weston, J, Fned, Besley, seott & Brigham, F, Essentials of Managerial Finance, ll. Ed, New york, 1996.
6. Henning, N, Cgarles, pigott, Willian & Haneyseott, Robert, Fiancial Markets and the economy, Prentice Hall, New Jersey, 1988.
7. Weston, J, Fneel & Brigham, f, Engene, Essentials of Managerial Finance, 10. eel, the Dryden press, Vew york, 1993.
8. MADURA, TEFF, Inter national Financial, management, 6th. ed, New york, 2000.
9. العامري، محمد علي ابراهيمز المجلة العراقية للعلوم الاداريةز سعر الصرف الأجنبي - مدخل نظريو المجلد الأول - العدد الثاني - ك ١ ، ٢٠٠١ . اصدار جامعة بابل - كلية الادارة والاقتصاد.
10. Weston, J, Fand Copel and, T, E, Managerial Finance, Adapted by A.F Fox and R.J Limmack, , 2ed, UK edition, 1988.
11. يحيى، وداد يونس، النظرية النقدية ، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة موصل - الموصل . ٢٠٠١ -
12. الصرف، رعد حسن، أساسيات التجارة الدولية المعاصرة ، جزء ١ ، سلسلة الها سلسلة المعرفة - دمشق ، ٢٠٠٠
13. International financial statistics, year book, u,n 2002

موازنة الأيدي

بين

النظرية والتطبيق

د. فاروق محمود الحبّوبى

موازنة الأمدي بين النظرية والتطبيق

تمهيد:

لقد شهد العصر العباسي تطوراً ملماوساً في الحياة العامة: اجتماعية كانت أم ثقافية أم سياسية، وببدأ الإنسان يتمتع بالتحضر والمدنية والترف والنعيم المادي، فاستجاب قوم لتلك الظروف الجديدة استجابة متباعدة، فمنهم من أسرف فيها، ومنهم من تردد منها، وترى الناس حينئذ شتى بين راكب للموجة وبين عازف عنها، وعلى مقتضى ذلك مالت طائفة من الشعراء إلى العناية بالصورة اللغظية وإثقالها بالمحسنات البديعية وتعزيق معانيها بالغموض والتتكلف، وعلى رأس هذه الطائفة يقف أبو تمام ومسلم بن الوليد، وقد دعاها النقاد القدامى بأنصار الصنعة، في حين بقيت طائفة أخرى تحذو حذو الأوائل في العناية بعذوبة العبارة وانتقاء ألفاظها الأكثر موسيقية والأفضل إبانة، مبتعدة عن الزخرف الإضافي، وعلى رأس هذه الطائفة يتربع البحترى وأبو العتاهية، وقد عرفها النقاد بأنصار الطبع.

وبغية التعرف على هاتين الطائفتين بشيء من الإيجاز سنأخذ أباً تمام مثالاً لأهل الصنعة، والبحترى لأهل الطبع، ولثلا نقع في بوتقة الانحياز النقدي فيما علينا الا قراءة ديواني الشاعرين بصورة دقيقة ومتأنية، لفرض فرز الحالات المطلوب دراستها والتعرف عليها من حيث بناؤها الفني والدلالي، والتمكن من إعطاء صورة واضحة لهذين الشاعرين الكبيرين، ثم الاستئناس برأي الناقد الأمدي في موازنته بين هذين الطائفين.

ومع ما يتضح من آراء فيما سنقرؤه، يبقى القصور يلاحقنا، ونبقي نستنير برأي أساتذتنا الأفضل ليجعلوا طريقنا سالكة إن زلت بنا الأقدام وغرت بنا الأفهام.

فأبُو تمام(١) : هو حبيب بن أوس الطائي ، ولد في قرية جاسم - من أعمال دمشق - سنة (١٩٠ هـ) من أبوين فقيرين ، وتنقل به أبوه إلى مصر ، وكان حبيب في ذلك الحين صغيراً ، فلبثوا هناك يشتغلون بمهن بسيطة ، حيث تولى هذا الشاب سقاية المسلمين في جامع عمرو بن العاص بالفسطاط ، وكان لطول إقامته في المسجد بين أئمة اللغة والفقه والحديث والمنطق ، مما حبه إليه الأدب فتعلم العربية وحفظ الكثير من شعر العرب فنمت شاعريته ، ثم عاد إلى الشام ولبث فيها مدة مدح رؤساء وولادة الدولة ، وذاع اسمه في الجزيرة وبلاط الشام ، ثم قدم إلى العراق حيث قصد حاضرة العالم آنذاك وعاصمة الخلافة العباسية (بغداد) ، فاتصل بالباطل العباسي ومدح الخليفة المعتصم وبعضاً من وزرائه وولاته وقواده كالوزير محمد بن عبد الملك الزيارات والحسن بن وهب - أحد رؤساء الكتاب - و محمد بن حميد الطوسي الطائي - أحد القواد ..

وكذلك قصد خراسان وببلاد الكرج وأرمينية ، ومدح من مدح ، فانبسطت الدنيا أمام شاعرنا وتفتحت له أبواب الخير والعطاء ، فصار من ذوي المال واليسار حتى أن الحسن بن وهب - صاحب ديوان الرسائل - قد ولد بريد ولاية الموصل ، فأقام بالموصل ما يقارب الستين وتوفي بها سنة ٢٣١ هـ.

وديوان شعره يضم ثانية أغراض(٢) : مدح ، هجاء ، عتاب ، وصف ، فخر ، حكمة ، غزل ، ورثاء . وكان أكثر تلك الأغراض وأجلها (المدح) حيث جاء في ما يقرب من (١٥٧) مائة وسبعين وخمسين قصيدة مدح استغرقت الجزئين الأول والثاني من الديوان(٣) .

وانك لتجد أثر ثقافة عصره جلياً في شعره ، فغذى حصيلته الفكرية من مناهل القرآن الكريم بصورة خاصة ، ومن أدب العرب وتاريخهم وأمثالهم وأساطيرهم وعقائدهم إضافة إلى الفلسفة وعلم المنطق(٤) ، ليضم كل ذلك إلى الرائع من معانيه والجميل من صوره ، ولكنه ينزع في معظم ذلك إلى الأغرب في اللفظة وتركيب الصورة في الصورة خالطاً بين الألوان مهتماً بوجوه التصنيع وعلى درجة واضحة من الزخرفة البديعية(٥) .

* وأما البختري (٦) فهو: أبو عبادة الوليد بن عبيد، ولد سنة (٢٠٦ هـ) في قرية منبع، بين حلب والفرات، لعائلة يعود أصلها إلى (بخت) أحد أفخاذ قبيلة (طيء) فأخذ يتردد على مضارب هذه القبيلة، ويرضع من فصاحتها وينهل من مناهلها، فتلقي ثقافته الأولى فيها، وهي بين حفظ آيات القرآن الحكيم وتعلم أحكام الدين الإسلامي وشيء من السنة النبوية وبلغ الشعر والنشر وأخبار الفتوح والمغازي وما يرتبط أيام العرب وأنسابهم، إضافة إلى جانب من علوم اللغة، ونجد ذلك واضحًا من خلال المرور بديوان شعره (٧) الذي يزودك بمعلومات من أبياته وقصائده التي ترى بريق تلك المناهل فيها.

وجاء في الموسوعة الإسلامية: "وبعد أن وقف محاولاته الشعرية الأولى (٤٠-٨٣٧/٦-٢٢٣) على مدح قبيلته، بدأ يبحث عن يرعاه فوجد ضالته في أبي سعيد يوسف بن محمد الطائي المعروف بـ: الشّغري والذّي في بيته التقى لأول مرة بالشاعر أبي تمام الذي يدعى هو أيضًا أنه من طيء وقد أخذ بموهبة الفنية ونصحه بأن يمدح (أهـل مـعـرـة النـعـمـان فـمـدـحـهـمـ) وأجرى له أربعة آلاف درهم.." (٨).

وكان البختري قد نزل حمص، وعرض شعره على أبي تمام الذي باركه بالتوجيه والتشجيع والنصيحة (٩)، ورحل البختري إلى بغداد وسرّ من رأى والوصل، وقد كانت سنة (٢٣٤ هـ) التي التقى فيها بالفتح بن خاقان الذي قدمه إلى الم توكل لتبدأ مسيرة حياة البختري كشاعر بلاط ثم مدح المتصر، فالمتعذر، المهدى، والمعتمد، فالمتضى، وبعد ذلك غادر العراق وصار شاعر البلاط الثانية عند (خمارويه بن طولون)، بعدها عاد إلى مسقط رأسه، حيث وفاه الأجل سنة (٢٨٤ هـ). والذي يتناول ديوان شعره، يجد في أغراضه: المديح، الهجاء، الوصف، الفخر، الحكمة، الغزل، الرثاء، والعتاب والاعتذار، وكان أكبرها في المدح، فهو كأستاذه أبي تمام في أصناف أغراضه، وهذه سمة ذلك العصر.

وكان البختري قد تبوأ مكانة رفيعة بين شعراء العربية في استخدام الخيال في التصوير، وتجنب التعقيد ومستكراه الألفاظ، والابتعاد عن الغريب من الاستعارات: "كما امتاز معظم شعره بالاستواء" (١٠).

وشعر البحترى يعد وثيقة تاريخية لتصوير مظاهر الحضارة العباسية بأحداثها السياسية والاجتماعية واتجاهاتها الدينية والأدبية.

وبعد هذه اللمحـة الموجـزة التي خرجـنا بها من ديوـانـي الشـاعـرـين كـمنـطـوقـ أولـي يتـقدمـ المـادـةـ النـقـدـيـةـ التيـ التـزمـ بهاـ الآـمـدـيـ (تـ ٣٧٠ـهـ)ـ فيـ مواـزـنـتـهـ بـيـنـ الطـائـيـنـ بـعـدـ الخـصـومـةـ التيـ نـشـبـتـ بـيـنـ أـنـصـارـهـماـ (١١ـ).

فـانـيـ سـأـعـرـضـ بـشـكـلـ موـجـزـ بـعـضـ ماـ وـرـدـ فـيـ المـواـزـنـةـ مـنـ آـرـاءـ وـمـوـضـوـعـاتـ نـقـدـيـةـ مـتـنـاوـلـاـ مـنـهـجـهـ فـيـ رـصـدـ المـادـةـ الـعـلـمـيـةـ التيـ أـلـفـ بـهـاـ كـتـابـهـ،ـ مـوـضـحـاـ ذـلـكـ بـيـنـ النـظـرـيـةـ وـالـتـطـيـقـ.

وـسـأـعـتـمـدـ نـسـخـةـ السـيـدـ اـحـمـدـ صـقـرـ فـيـ تـشـيـتـ النـصـوصـ وـالـهـوـامـشـ لـكـمـالـهـاـ،ـ وـنـقـصـانـ نـسـخـةـ محمدـ مـحـيـيـ الدـيـنـ عـبـدـ الـحـمـيدـ.

مقدمة الآمدي:

لـقـدـ اـخـذـ الآـمـدـيـ عـلـىـ نـفـسـهـ عـهـدـاـ فـيـ كـتـابـهـ هـذـاـ بـأـنـ يـكـونـ مـوـضـوـعـيـاـ فـيـ مـوـقـعـهـ،ـ وـمـحـايـدـاـ مـعـتمـداـ

الـحـقـ،ـ وـمـتـجـنبـاـ الـهـوـيـ.

وـمـنـ خـلـالـ مـقـدـمـةـ المـواـزـنـةـ (١٢ـ)ـ نـسـتـفـيـدـ أـنـ الآـمـدـيـ قـدـ وـجـدـ أـمـامـهـ مـنـ يـقـفـ إـلـىـ جـانـبـ أـبـيـ تـمـامـ

وـمـنـ يـقـفـ إـلـىـ جـانـبـ الـبـحـتـرـىـ،ـ فـمـنـ فـضـلـ أـبـاـ تـمـامـ فـقـدـ "ـنـسـبـهـ إـلـىـ غـمـوضـ الـمـعـانـيـ وـدـقـتـهـاـ،ـ وـكـثـرـةـ مـاـ

يـورـدـهـ مـاـ يـحـتـاجـ إـلـىـ اـسـتـبـاطـ وـشـرـحـ وـاسـتـخـرـاجـ،ـ وـهـؤـلـاءـ أـهـلـ الـمـعـانـيـ وـالـشـعـرـاءـ أـصـحـابـ الـصـنـعـةـ

وـمـنـ يـمـيلـ إـلـىـ التـدـقـيقـ وـفـلـسـفـيـ الـكـلـامـ"ـ (١٣ـ)،ـ وـمـنـ فـضـلـ الـبـحـتـرـىـ فـقـدـ "ـنـسـبـهـ إـلـىـ حـلاـوةـ الـلـفـظـ،ـ

وـحـسـنـ التـخـلـصـ،ـ وـوـضـعـ الـكـلـامـ فـيـ مـوـاضـعـهـ،ـ وـصـحـةـ الـعـبـارـةـ،ـ وـقـرـبـ الـمـأـتـىـ،ـ وـاـنـكـشـافـ الـمـعـانـيـ،ـ

وـهـمـ الـكـتـابـ وـالـأـعـرـابـ وـالـشـعـرـاءـ الـمـطـبـوعـونـ وـأـهـلـ الـبـلـاغـةـ"ـ (١٤ـ)،ـ

كـمـاـ وـجـدـ الآـمـدـيـ مـنـ يـجـعـلـ الشـاعـرـينـ فـيـ طـبـقـةـ وـاحـدـةـ وـانـهـمـاـ مـتـسـاوـيـانـ،ـ كـمـاـ وـجـدـ مـنـ اـعـتـبرـهـمـاـ

مـخـتـلـفـينـ مـنـ حـيـثـ الـالـتـزـامـ بـعـمـودـ الـشـعـرـ،ـ وـكـانـ يـسـتـهـدـفـ الآـمـدـيـ إـلـىـ مـوـازـنـةـ بـيـنـ الشـاعـرـينـ دونـ أـنـ

يـذـمـ أـحـدـهـمـاـ،ـ كـمـاـ أـعـلـنـ اختـلـافـ مـذاـهـبـ النـاسـ فـيـ الشـعـرـ ذـاكـرـاـ بـأـنـ لـاـ يـرـيدـ أـنـ يـفـصـحـ بـتـنـضـيلـ أحدـ

الـشـاعـرـينـ عـلـىـ الـآـخـرـ،ـ وـلـكـنـهـ أـرـادـ أـنـ يـواـزـنـ بـيـنـ قـصـيـدـتـيـنـ مـنـ شـعـرـهـمـاـ إـنـ اـتـفـقـتـاـ فـيـ الـوزـنـ وـالـقـافـيـةـ

وإعراب القافية، وبين معنى ومعنى ليقول: "أيهما أشعر في تلك القصيدة، وفي ذلك المعنى ثم أحكم أنت حبنت على جملة ما لكل واحد منهم إذا أحطت علمًا بالجيد والرديء"(١٥).

ومن خلال القراءة النقدية للمقدمة وجدت أنه يضع القاريء المتلقي في خطين متعاكسين:

أ- "من يفضل سهل الكلام وقربيه، ويؤثر صحة السبك وحسن العبارة وحلو اللفظ وكثرة الماء والرونق، فالبحترى اشعر عندك ضرورة"(١٦).

ب- "وان كنت قيل إلى الصنعة، والمعاني الغامضة التي تستخرج بالغوص والفكرة، ولا تلوى على ما سوى ذلك، فأبُو تمام عندك اشعر لامحالة"(١٧).

فهو قد لخص لنا هذين الخطين الشعريين بهذا الشكل من التنظير مفروضاً ومطلوباً للوصول إلى البرهان النهائي والت نتيجة الحاسمة عن طريق الاختيار الشخصي للأسلوبية الفنية المعتمدة من قبل المتلقي نفسه.

وأنكر الآمدي أن يكون هنالك فريق ثالث ينزع إلى الشعرية والإبداع بغض النظر عن إتباع أحد الأسلوبين، لأن التجارب مختلفة عند الشاعر الواحد، وقد يكون النص واعياً لتجربة محيطاً بأفكارها ناجحاً في تصويرها بارعاً في ازيياتها قوياً في نسجها فصيحاً في تراكيبها وعباراتها، وبهذا يكون المتلقي تكاملاً في نظرته ونقده. و كنت أتفق على الآمدي أن يكون كذلك.

م الموضوعات الكتاب:

قسم الآمدي بحثه هذا في جملة محاور، هي:

- ١- الحاجة بين أنصار أبي تمام وأنصار البحترى.
- ٢- مساويء الشاعرين.
- ٣- محاسن الشاعرين.
- ٤- الموازنة بين معنى ومعنى.

وقد قدم لكل من هذه المحاور بما يتناسب وأقوال علماء اللغة والرواة، والاستشهاد بالشعر وتضمين الأدلة بعض آيات القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف، وسألنا كل موضوع من تلك الموضوعات بالدرس والاستشهاد.

١- الاحتجاج:

قدم الآمدي للمحاجة بقوله: "وأنا أبتدئ بذكر ما سمعته من احتجاج كل فرقة من أصحاب هذين الشاعرين على الفرقة الأخرى، عند تخاصمهم في تفضيل أحدهما على الآخر، وما ينعته بعض على بعض" (١٨)، حيث ذكر (١٢) اثني عشر قولًا أو محاجةً من أقوال كل فرقة مع رد صاحب الفرقة الثانية.

وي يكن الاستشهاد بحالة واحدة من ذلك:

"قال صاحب أبي تمام: كيف يجوز لقائل أن يقول أن البحترى اشعر من أبي تمام وعن أبي تمام أخذ، وعلى حذوه احتذى، ومن معانيه استقى؟ وباراه.. واعترف البحترى بأن جيد أبي تمام خير من جيده، على كثرة جيد أبي تمام، فهو بهذه الخصال أن يكون أشعر من البحترى أولى من أن يكون البحترى أشعر منه".

قال صاحب البحترى: أما الصحبة فما صحبه ولا تلمذ له، ولا روى ذلك أحد عنه، ولا نقله.. ودليل هذا الخبر المستفيض من اجتماعهما وتعارفهم عند أبي سعيد محمد بن يوسف الثغرى" (١٩).

وقد سار الآمدي على هذه الطريقة ذاكراً الآراء مفصّلة لكل رأي وذاكراً الروايات المتعلقة بذلك.

ويخلص الآمدي إلى نتيجة هذا البحث قائلاً: "تم احتجاج الخصمين بحمد الله" (٢٠). والنتيجة التي انتهت إليها بعد الاحتجاج أن البحترى لم يعتمد الأخذ وإنما يكون ذلك مما يطرق سمعه ويلتبس بخاطره فيورده.

منهج الكتاب:

قدم لهذا الموضوع: "وأنا أبتدئ بذكر مساويء هذين الشاعرين، لأنّي ختم بذكر محسنهما، وأذكر طرفاً من سرقات أبي تمام.. ومساويء البحترى... ثم أوازن من شعريهما بين قصيدين... إن شاء الله تعالى" (١٢).

وقد ذكر ذلك في منهج كتابه، وذكر في خطته بأنه سيذكر الانفراد في التجويد والمعاني والتشبيه والأمثال ومحنثارات مجردة من شعريهما على حروف المعجم.

٢- مساويء الشاعرين

أولاً : فيما يتعلق بأبي تمام:

١- سرقات أبي تمام:

اهتم الآمدي بموضوع سرقات أبي تمام، حيث جعلها في (١٢٠) مائة وعشرين موضعًا، ذاكراً مصدر السرقة وطريقتها وتحليل ذلك وإعطاء الآراء النقدية فيها، ومثال على ذلك:

"قال الطائي:

وركب كأطراف الأسنة عرسوا
على مثلها والليل تسقط غيابه
لأمر عليهم أن تتم صدوره وليس عليهم أن تتم عواقبه
أخذ صدر البيت الأول من قول كثير:
وركب كأطراف الأسنة عرجوا قلائق في أصلابهن خول

.. وأخذ معنى البيت الثاني من قول الآخر:

غلام وغى تقدمها فتألى فخان بلاءه الزمن الخؤون
فكان على الفتى الإقدام فيها وليس عليه ما جنت المنون" (١٧)

وذكر الآمدي بعد ذكره سرقات أبي تمام بأنه وجد (ابن أبي طاهر) قد خرج سرقات أيضًا، فذكرها في (٤٦) ستة وأربعين موضعًا (١٨) معلقاً عليها قائلاً : ((فأصاب في بعضها ، وأخطأ في البعض ، لأنَّه خلط الخاص من المعاني بالمشترك بين الناس مما لا يكُون مُسروقاً)) (١٩) ، وهي من السرقات المعللة التي ذكر مصدرها ، كما ناقش الآمدي بعضاً منها واعتبره غير مسروق.

ومثال على ما ذكره ابن أبي طاهر في قول أبي تمام (٢٠) :

لئن ذمت الأعداء سوء صباحتها وليس يؤدي شكرها الذئب والنسر

بأنه مسروق من قول مسلم بن الوليد:

لو حاكمتك فطالبتك بذ حلها شهدت عليك ثعالب ونسور

حيث ذكر الآمدي بأن وقوع الذئاب والنسور وما سواها من الحيوانات والطيور على القتل إما هو من قبيل المعنى المتداول المعروف، كما ذكر بأن بيت أبي تمام يحمل معنى غير معنى بيت مسلم (٢١).

٢- أخطاء أبي تمام في اللفظ والمعنى:

قدم الآمدي لهذا الموضوع بمقدمة ما سمعه من أبي علي السجستاني بحق أبي تمام: "انه ليس له معنى انفرد به واقتصره الا ثلاثة معان" (٢٢).

وقد رد الآمدي على السجستاني قائلاً: "ولست أرى الأمر على ما ذكره أبو علي، بل ارى ان له - على كثرة ما أخذته من أشعار الناس ومعانيهم - مخترعات كثيرة، وبدائع مشهورة، وأننا ذكرها عند ذكر محاسنه باذن الله" (٢٣).

ثم ذكر أخطاء أبي تمام في المعاني والألفاظ، وقد اعتمد في ذلك على ما في كتاب (الورقة) لمحمد بن داود بن الجراح (٢٤)، وكذلك على ما في كتاب (البديع) لابن المعتز (٢٥)، وكذلك ما ذكره أبو العباس أحمد بن عبيد الله القطربي (٢٦).

وكمثال على أخطاء أبي تمام نأخذ ما ذكره أبو العباس حين انكر قول أبي تمام:
رقيق حواشي الحلم لو أن حلمه بكفيك ما ماريت في أنه برد (٢٧)

وعلّق الآمدي على القول بأن خطأ ظاهر، لأن لا يمكن وصف الحلم بالرقبة في المدح، وإنما يوصف بالعظم والرجحان والتقل والرزانة مستشهاداً بأشعار النابغة والأخطل وأبي ذؤيب وعدى ابن الرقاع والفرزدق، ولكن الشعراء يصفون الحلم بالخلفة في حالة الهجاء والذم، ولما كان أبو تمام في حالة مدح لحمد بن الهيثم بن شبابه فلا يجوز له أن يصف حلمه بالرقبة.

وقد أكثر الآمدي من الشروح لهذه الأخطاء وكان يذكر الاستشهادات الكثيرة من الشعراء في الجاهلية والإسلام إلى شعراء عصره ليسو بها دليلاً على أغاليط أبي تمام. وقد يذكر أخطاء النقاد، حيث ذكر "أخطأ أبو العباس في إنكاره على أبي تمام أن شبه عنق الفرس بالجذع، وتلك عادة العرب، وهي في أشعارها أكثر من أن تُحصى" (٢٨).

وقد أورد الآمدي (٤٥) خمسة وأربعين خطأ من أخطاء أبي تمام في اللفظ والمعنى (٢٩).

٣- الاستعارات البعيدة:

أورد الامدي (٢٥) خمسة وعشرين شاهداً على قبيح استعارات أبي تمام، ولم يفصل القول الا في (٤) أربعة منها، واعتبرها في غاية القباحة والمجانة والبعد عن الصواب، وكان الأجرد به أن يعطينا بعض الشواهد على الجيد من استعاراته، أما الاستعارة الملائمة التي وصلت اليانا من العرب فقال عنها: "إنما استعارة العرب المعنى لما ليس (هو) له إذا كان يقاربه: أو يناسبه أو يشبهه في بعض أحواله، أو كان سبباً من أسبابه، فتكون اللفظة المستعارة حينئذ لافتة بالشيء الذي استعيرت له، وملائمة لمعنى" (٣٠).

وفصل القول في شواهد للشعراء: امرئ القيس، زهير، طفيلي الغنوبي، عمرو بن كلثوم، حسان، وابي ذؤيب، واستعارات من القرآن الكريم، وذكر بان استعاراتها هي الاقرب للحقيقة، لشدة ملاءمتها معناها لمعنى ما استعيرت له.

فالاستعارة التي وردت في شعر ابي تمام قد تجاوزت حدودها - كما يراها الامدي ، ولذا قال (لأن للاستعارة حداً تصلح فيه ، فإذا جاوزته فسدت وقبحت) (٣١).

حيث ذكر ذلك الموضوع ضمن الجزء المرذول قائلاً : (وانا اذكر في هذا الجزء الرذل من الفاضه ، والساقط من معانيه ، والقبيح من استعاراته والمستكره المتعقد من نسجه ونظمها) (٣٢). وقد سماها بالاستعارات القبيحة التي استعارها ابو تمام في مانيه واططاً المعنى المطلوب في <٢٥> خمسة وعشرين شاهداً (٣٣). وذكر الامدي مثلاً على ردئ استعاراته وقبيلها قول ابي تمام:

مُقَصِّرٌ خُطُوطٍ بِالْبَثِّ فِي بَدْنِي عَلَمَا بَأْنِي مَاقَصَرٌ فِي الْطَّلَبِ (٣٤)

يجعل ابو تمام للبث - وهو اشد الحزن - خطوات في بدنـه وانه قد قصرها لأنـه لم يقتصر في الطلب وانـه سهل امر الحزن عليه ، ولذلك فالامدي اعتبر ان ابا تمام قد جعل لشدة الحزن خطى قصيرة في بدنـه ما جعلـه سهلاً خفيفـاً ، وهذا ضدـ المعنى الذي أرادـه الطائي .

٤- التجنيس القبيح:

عرف الامدي التجنيس : (المجاز من الألفاظ... هو ما اشتـق بعضـه من بعضـ) (٣٥).

واورد له امثلة في الشعر القديم لامرئ القيس والقطامي وذي الرمة والعبسي ومسكين الدارمي وحيان بن ربيعة الطائي والنعман بن بشير وجرير والفرزدق وقول للنبي محمد ﷺ وبيت لجندل بن الراعي.

والتجنيس موجود في أشعار الاوائل، (لكن انما يأتي منه في القصيدة البيت الواحد والبيتان، على حسب ما يتفق للشاعر، ويحضر في خاطره، وفي الأكثر لا يعتمد، وربما خلا ديوان الشاعر المكثر منه ، فلا ترى له لفظة واحدة)(٣٦).

ولكن أبا قاتم اعتمد وجعله غرضه الذي بنى عليه أكثر شعره ، وهذه حالة غير مقبولة من الشاعر وتسيء الى معتمدتها ، وتمنى عليه الامدي الاقلال منه والاعتناء بالألفاظ المتجانسة المستعذبة اللائقة بالمعنى للتخلص من الهجنة والعيب والغثاثة والقباحة والبشاعة والركاكة(٣٧).

ومع هذا فقد استشهد له بثلاثة شواهد متجانسة مستعذبة دون تفصيل ، اذ قال : (فلو كان قلًّ منه واقتصر على مثل قوله:

ياربع لوربعوا على ابن هموم

وقوله : ❀ارامة كنت تألف كُلّ ريم❀*

وقوله : ❀يا بعد غاية دمع العين إن بعدو*

وأشبه هذا من الألفاظ المتجانسة المستعذبة اللائقة بالمعنى - لكان قد أتى على الغرض ، وتخلص من الهجنة والعيب)(٣٨).

ومن الأبيات التي تعد من ردئ التجنيس عند أبي تمام قوله:

ذهب بمذهبة السماحة فالتوت فيه الظنون أمذهب أم مذهب

وكذلك:

فاسلم سلمت من الآفات ماسلمت سلام تسلمى ومهما أورق السَّلَم (٣٩)

فالامدي لم يتسع في دراسة التجنيس القبيح(٤٠) في شعر أبي تمام ، رغم انه قال فيه حكمة : (فكانت إساءته فيه أكثر من إحسانه ، وصوابه أقل من خطئه)(٤١). وهذا الحكم النظري بمحاجة الى تفصيل وتعليق وتطبيق.

٥. الطباق الردي:

وقد اوجز فيه الامدي ايضاً، بعد تعريف المطابق وذكر امثلته. حيث عرف الطباق: (مقابلة الحرف بضده، او ما يقارب الضد، وانما قيل (مطابق) لساواة احد القسمين صاحبه، وان تضاداً او اختلافاً في المعنى... قال الله عز وجل: (لتركب طبقاً عن طبق) اي: حالاً بعد حال، ولم يرد تساويهما في تمثيل المعنى... ومنه طباق الخيل، يقال: طباق الفرس، اذا وقعت قوائم رجليه في موضع قوائم يديه في المشي او العدو... فهذه حقيقة الطباق، انما هو مقابلة الشيء بمثل الذي هو على قدره، فسموا المتضادين - اذا تقابلـا - متطابقين)(٤٢)

فالطباق نحو (كذب) و(صدق)، و(بطيء) و(سريع)

وذكر الامدي بان البيت الآتي هو من جيد ابيات الطائي:

قد ينعم الله بالبلوى وان عظمت وبيتلي الله بعض القوم بالنعم(٤٣)

ومن امثلة الطائي من رديء الطباق مما ذكره الامدي دون تفصيل:

قد لان اكثر ما تريـد وبعـضـه خـشنـ، وـانـيـ بالـنجـاحـ لـواـثـقـ

وهذا البيت كشاهد من ثلاثة ابيات، ذكرها الامدي دون تحليل، ولكنه تمنى على الطائي ان يتجنـبـهاـ ليـتـهـذـبـ عـظـمـ شـعـرـهـ وـيـتـسـاقـطـ اـكـثـرـ مـاعـبـ عـلـيـهـ منهـ(٤٤).

٦- سوء النظم والوحشـيـ من الـالـفـاظـ:

اورد الامدي مصطلح (المعاظلة) وذكر بأنها ((١١) مداخلة الكلام بعضه في بعض، وركوب بعضه لبعض) كما اورد مصطلح (الحوشـيـ) من الكلام وفسره بأنه: (هو <اللفظ الغريب> الذي لا يتكرر في كلام العرب كثيراً، فإذا ورد ورد مستهجناً)(٤٥). كما لا يجوز ان يمدح الشاعر السوقة بما يمدح به الملوك.

وكمثال على المعاظلة اورد قول الطائي:

خـانـ الصـفـاءـ اـخـ خـانـ الزـمـانـ اـخـ

عـنـهـ فـلـمـ يـنـحـونـ جـسـمـهـ الـكـمـدـ(٤٦)

واما مثال الحوشـيـ الذي كان الطائي يتبعـهـ ويـتـطـلـبـهـ ويـتـعـمـدـ اـدـخـالـهـ فيـ شـعـرـهـ:

أـهـلـسـ أـلـيـسـ لـجـاءـ إـلـىـ هـمـ تـغـرـقـ العـيـسـ فـيـ آـذـيـهـاـ أـلـلـيـسـاـ(٤٥)

والهلاس هو شدة المزال ، والأليس شدة الشجاعة ، فهو يريد هناك أن مدوحه لا يكاد يبرح موضعه في الحرب حتى يتصر أو يهلك . فقد جمع لنا هاتين الكلمتين : أهليس وأليس ؛ وهما لفظتان مستكرهتان إذا إجتمعا ، ولم يتبين المعنى إلا حينما قال في آخر البيت : (أليس) ويريد بها جمع أليس .

٧- اضطراب الأوزان والزحاف

أورد الآمدي حالات اضطراب الوزن في شعر أبي تمام وأشار إلى الزحفات الواردة ، وقام بقطع الأبيات تقطيعاً عروضياً ، وذكر بأن : ((هذه الزحفات حائزة في الشعر غير منكرة إذا قلت ، فاما إذا جاءت في بيت واحد في أكثر أجزائه فإن هذا في غاية القبح ، ويكون بالكلام المنثور أشبه منه بالشعر الموزون)) (٥٥)

ومن الأبيات التي استشهد بها هذا الناقد من شعر أبي تمام سبعة شواهد تابعها تقطيعاً وكتابة عروضية وتغييراً في التفعيلات أو كمثال على ذلك ، ذكر لنا بيتاً من المنسوخ :

ولم يغير وجهي على الصبغة الـ أولى بمسفوع اللون ملتمعة (٥٦)

وقال عنه الآمدي : ((وتقطيعه : ولم يغيِّر وجوهه نصصبتغلْ أولى بنمسْ فوعللونْ ملتمعه

مفاعلنْ مفعولاتْ مستفعلنْ مفعولاتْ مفتعلنْ

فحذف السين من مستفعلن الأولى فصارت مفاعلن ، وحذف الفاء من مستفعلن الأخيرة فصارت مفتعلن .

ومثل هذه الأبيات في شعره كثير إذا تتبعه ، ولا تكاد ترى في أشعار الفصحاء والمطبوعين على الشعر من هذا الجنس شيئاً)) (٥٧)

ثانيا - فيما يتعلق بالبحري

وبعد ان انتهى الآمدي من ذكر مساوي أبي تمام ، تحول الى ذكر مساوي البحري ، وكانت كما ياتي :

١- السرقات:

واورد هذا الناقد مقوله محمد بن داود الجراح عن ابن أبي طاهر الذي (اخرج للبحترى ستمائة بيت مسروق، ومنها ما أخذه من أبي تمام خاصة مائة بيت) (٤٧).

وقد بدأ الامدي بذكر تلك السرقات ذاكرا مصادرها ومن كان الأفضل في صياغتها والأجود في نسجها، حيث ذكر في بدايتها (٢٨) ثمانية وعشرين بيتاً (٤٨) من سرقات البحترى من أشعار الشعرا: العكوك، بشار، الفرزدق، قيس بن الحظيم، محمد بن عبد الملك الفقعيسي، ونصرين حجاج ابن علاط، أبي نواس، حسين بن الصحاح، عمرو بن معديكر، أبي دهبل الجمحي، منصور بن الفرج، محمد بن يزيد الحصني السلمي، مسلم بن الوليد، شبيب بن البرصاء، أبي صخر الهذلي، عبد الصمد بن المعدل، الحنف بن السجف الضبي، عبد الملك بن عبد الرحمن الخارثي، جابر بن السليمي الهمداني، عروبة بن الورد، والمجثم الراسي.

ثم اورد السرقات التي خرجها ابوالضياء بشر بن تميم، فذكر في الوجبة الاولى (٦٤) اربعة وستون بيتاً (٤٩) مما اخذه البحترى من أبي تمام خاصة، ولكن الامدي بين بالادلة انها ليست من السرقات وانها معروفة في معاني كلام الناس وجارية مجرى الامثال على السنتهم.

واستدل بـ(٤١) واحدة واربعين وـ(٦١) حالة اخرى غير سابقتها مما ذكره ابوالضياء من السرقات، وهي ليست كذلك وجعلها الامدي كالاتي:

ا- ما اوردته ابوالضياء من المعاني المستعملة الجارية مجرى الامثال، والتي اخذها البحترى من أبي تمام. وهي (٢٠) عشرون حالة (٦٢).

ب- مما جاء به ابوالضياء على انه مسروق، وقد اوضح الامدي ان المعنيين مختلفان في كل حالة اخذ وليس بينهما اتفاق ولا تناسب. وهي (٧) سبع حالات (٦٣).

ج- وما ادعى فيه ابوالضياء على البحترى السرقة، وقد رد علي المدي بأنه الانفاق في الالفاظ التي يليست بمحظورة على احد وهي (١٤) اربع عشرة حالة (٦٤).

وكمثال على السرقات التي ذكرها ابوالضياء:

ومن ذلك قول أبي تمام:

وإذا أمرؤ أهدى إليك صنيعة

من جاهه فكانها من ماله

وقال البحترى:

حاز حمدى ، ولرياح اللواتى

تجلب الغيث مثل حمد الغيوم(٦٥)

وعلق الآمدى

بان معنى ابى تمام انهما هو مشترك بين الناس ، فالحتاج إنما يطلب حاجته من الله أو من السماء
وان تعبير وأسلوب ابى تمام في بيته كان معنى مكشوفا وليس مخترعا ، وان البحترى قد أحسن
التمثيل واغرب وأبدع(٦٦).

-2-أخطاء البحترى في المعاني والألفاظ:

ذكر الآمدى(٨) ثمانية مواضع (٦٧) من المعاني الرديئة التي ذكرها البحترى في شعره كمثال
على تلك الاخطاء : (وقال البحترى في مدح المعتز بالله:

لا العذل يردعه ولا الـ تعنيف عن كرم يصده

وهذا عندي من أهجن ما مدح به خليفة وأقبحه ، ومن ذا يعنف الخليفة أو يصده؟ ان هذا
بالهجو أولى منه بالمدح)(٦٨).

ثم اورد الآمدى عيوب البحترى في المعاني ، مما ذكره اصحاب ابى تمام ، والتي هي ليست
بعيوب ، وقد رد عليها هذا الناقد بالادلة ، وهي في (١٤) اربعة عشر موضعا(٦٩).

واعترف بالتعسف والتعقيد في اللفظ في الحالة الخامسة عشرة بعد تلك الموضع وقال عنها بانها
الحالة الوحيدة التي تعسف في نظمها البحترى ، وهي قوله:

فتى لم يمل بالنفس منه عن العلى

الى غيرها شيء سواه ممليها(٧٠)

-3-ردئ التجنيس:

وذكر من ردئ التجنيس عنده في حاليين جعلهما الآمدى شبّهتين بتجنيسات ابى تمام (٧١)
وهما الحالتان السادسة عشرة والسابعة عشرة:

اما ان تصرع عن سماح

وللآمال في يدك اصطراح(٧٢)

حيث بل سقيت من معهودة

عهدي غدت مهجورة ماتعهد(٧٣)

-اضطراب الوزن:

يعتبر الامدي اضطراب الوزن عند أبي تمام أكثر مما هو عند البحترى، حيث قال: (الا انه في
شعر أبي تمام كثير وفي شعر البحترى قليل)(٧٤)
وكان هذا الناقد قد أورد الاسلوب نفسه في التقاطعات العروضية مع ورود الزحافات الجائزة في
علم العروض.

وذكر الامدي: (وقد جاء في شعر البحترى بيت هو عندي أقبح من كل ما عيّب به أبو تمام في هذا
الباب ، وهو قوله:

ولماذا تتبع النفس شيئاً

جعل الله الفردوس منه بواء)(٧٥)

٣ - محسن الشاعرين

فضل الشاعرين: لقد جعل الامدي لكل شاعر من هذين الشاعرين فضله وخصائصه ، وهي:
أ - فضل أبي تمام: وكان الامدي قد وجد المصفين من أصحاب البحترى ومن يقدم مطبوع
الشعر دون متکلفه قد اعترفوا لابي تمام بالطف المعاني ودقائقها ، وببديع الوصف والحكمة جنبا إلى
جنب مع الاغراب فيها والاستبطاط لها ، ففيها (من النادر المستحسن اكثراً مما يوجد من السخيف
المسترزل ، وان اهتمامه بمعانٍ اكثراً من اهتمامه بتقويم الفاظه ، على كثرة غرامه بالطباقي والتجنسي
والملائكة).(٧٦).

فمن بديع أبي تمام(٧٧):

و اذا اراد الله نشر فضيلة

طويت اتاح لها لسان حسود

لولا اشتعال النار فيماجاورت

ما كان يعرف طيب عرف العود

وقال ابو تمام (٧٨) ايضاً:

هي البدر يعنيها تعدد وجهها

الى كل من لاقت وان لم تردد

فان لجمال المعاني الواردة في هذه الابيات ما يجعلنا نعجب بها حتى وان وردت من شاعر فارسي او هندي لانعرف لغة قوله واما نعجب بجمال معانيه لا بسبب جمال اسلوبه.

ويذكر الامدي تعليقه على تلك الابيات قائلاً: (اما كان يكون هذا شاعراً محسناً يثابر شعراً زمانه من أهل اللغة العربية على طلب شعره وتفسيره واستعارة معانيه؟ فكيف وبدائعه مشهورة ومحاسنه متداولة، ولم يأت الا بأبلغ لفظ وأحسن سبك؟)(٧٩).

ب - **فضل البحترى** : في حين وجد هذا الناقد أكثر اصحاب أبي تمام يعترفون للبحترى بـ: (حلو اللفظ ، وجودة الرصف ، وحسن الدبياحة ، وكثرة الماء ، وانه اقرب مأخذنا واسلمن طريقنا من ابي تمام ، ويحكمون - مع هذا - بان ابا تمام اشعر منه)(٨٠). واختصر لنا الامدي طريقة البحترى بما يأتي ، ولا يمكن للكلام ان يكتسي البهاء والرونق الا بها.(٨١):

١- ان يكون الشعر حسن التأني ، دقيق المعاني.

٢- قريب المأخذ ، بعيدا عن فلسفة اليونان وحكمة الهند وأدب الفرس.

٣- اختيار الكلام.

٤- وضع الألفاظ في مواضعها.

٥- ايراد المعنى باللفظ المعتمد فيه المستعمل في مثله.

٦- ان تكون الاستعارات والتمثيلات لائقة بما استعيرت له وغير منافرة لمعناه.

واستشهد له بهذه الابيات

وليس بالهدر طول خطبه(٨٢).

والشعر لمح تكفي إشارته

وكما قال أيضاً:

و معان لو فصلتها القوافي هجّنت شعر جرول ولبيد

وتجنبن ظلامة التعقيد حزن مستعمل الكلام اختياراً

وركبن اللفظ الغريب فأدركـت به غاية المراد البعـيد(٨٣).

وقال الآمدي : " لأنـ الشـعر أـجوـدـهـ أـبـلـغـهـ ،ـ وـالـبـلـاغـةـ إـنـماـ هـيـ إـصـابـةـ الـعـنـىـ وـإـدـرـاكـ الـغـرـضـ بـالـفـاظـ سـهـلـةـ عـذـبةـ مـسـتـعـمـلـةـ سـلـيـمـةـ مـنـ التـكـلـفـ ،ـ لـاتـبـلـغـ الـهـذـرـ الزـائـدـ عـلـىـ قـدـرـ الـحـاجـةـ ،ـ وـلـاتـنـقـصـ نـقـصـانـاـ يـقـفـ دـوـنـ الـغاـيـةـ"(٨٤).

وتـلكـ هيـ طـرـيقـةـ الـعـرـبـ فيـ دـقـةـ الـمعـانـيـ وـبـلـاغـتـهـاـ ،ـ فـيـ حـسـنـ التـالـيـفـ وـبـرـاعـةـ الـلـفـظـ مـاـ يـزـيدـ الـعـنـىـ بـهـاءـ وـحـسـنـاـ وـرـونـقاـ"ـ وـلـهـذـاـ قـالـ النـاسـ :ـ لـشـعـرـهـ دـيـبـاجـةـ ،ـ وـلـمـ يـقـولـواـ ذـلـكـ فـيـ شـعـرـ اـبـيـ تـمـامـ"(٨٥)،ـ وـهـذـهـ هـيـ الصـيـاغـةـ التـعـبـيرـيـةـ الـمـأـلـوـفـةـ لـلـشـعـرـ الـعـرـبـيـ .ـ كـمـاـ يـرـاهـ الـآـمـدـيـ ..

ولـلـبـحـرـتـيـ مـلـاحـظـةـ نـقـدـيـةـ فـيـ شـعـرـ اـبـيـ تـمـامـ ،ـ إـذـ قـالـ :ـ "ـ جـيـدـهـ خـيـرـ مـنـ جـيـدـيـ ،ـ وـرـدـيـئـيـ خـيـرـ مـنـ رـدـيـئـهـ"(٨٦).ـ وـحلـلـ الـآـمـدـيـ هـذـاـ النـصـ قـائـلـاـ:

"ـ إـنـ قـوـلـهـ هـذـاـ يـدـلـ عـلـىـ أـنـ شـعـرـ اـبـيـ تـمـامـ شـدـيدـ الـاـخـلـافـ ،ـ وـشـعـرـهـ شـدـيدـ الـاـسـتـوـاءـ ،ـ وـالـمـسـتـوـيـ الـشـعـرـ أـوـلـىـ بـالـتـقـدـمـةـ مـنـ الـمـخـلـفـ الـشـعـرـ ،ـ وـقدـ أـجـمـعـنـاـ .ـ نـحـنـ وـأـنـتـمـ .ـ عـلـىـ أـنـ أـبـاـ تـمـامـ يـعـلـوـ عـلـوـاـ حـسـنـاـ وـيـنـحـطـ اـخـطـاطـاـ قـبـيـحاـ ،ـ وـانـ الـبـحـرـتـيـ يـعـلـوـ وـيـتوـسـطـ ،ـ وـلـاـ يـسـقـطـ ،ـ وـمـنـ لـاـ يـسـقـطـ وـلـاـ يـسـفـسـفـ أـفـضـلـ مـنـ يـسـقـطـ وـيـسـفـسـفـ"(٨٧).

فـالـآـمـدـيـ اـعـتـرـفـ لـلـبـحـرـتـيـ بـشـدـةـ الـاـسـتـوـاءـ وـأـنـهـ أـوـلـىـ بـالـتـقـدـمـةـ لـعـدـمـ وـجـودـ السـاقـطـ وـالـسـفـسـافـ فـيـ شـعـرـهـ ،ـ بـخـلـافـ رـأـيـهـ فـيـ اـبـيـ تـمـامـ وـالـذـيـ وـصـفـهـ بـشـدـةـ الـاـخـلـافـ وـالـاـخـطـاطـ الـقـبـيـحـ وـالـسـفـسـافـ وـالـسـاقـطـ فـيـ شـعـرـهـ.

وـقـدـ أـقـرـ فـيـ خـاتـمـهـ هـذـاـ التـحـلـيلـ بـأـنـ الـبـحـرـتـيـ أـفـضـلـ مـنـ اـبـيـ تـمـامـ .ـ وـمـعـ هـذـاـ وـذـاكـ مـنـ الـمـيـلـ وـعـدـمـهـ ،ـ فـإـنـ الـآـمـدـيـ قـدـمـ لـنـاـ بـحـثـاـ نـقـدـيـاـ بـيـنـ الـنـظـرـيـةـ وـالـتـطـيـقـ خـصـ بـهـ الـشـعـرـ الـمـحـدـثـ ،ـ مـبـيـنـاـ خـصـائـصـهـ الـمـهـمـةـ ،ـ وـعـرـضـ لـنـاـ رـوـحـ الـعـصـرـ وـالـمـسـائـلـ الـتـيـ تـسـرـيـتـ إـلـيـهـ عـبـرـ ذـوقـهـ وـأـذـواقـ مـنـ درـسـهـمـاـ فـيـ الـمـواـزـنـةـ.

وـقـدـ دـعـانـاـ إـلـىـ عـدـمـ مـطـالـبـتـهـ أـيـهـمـاـ أـشـعـرـ عـنـدـهـ عـلـىـ الـاطـلاقـ(٨٨).

وـانـ ذـلـكـ يـكـنـ مـعـرـفـتـهـ وـالـوـصـولـ إـلـيـهـ بـالـدـرـبـةـ وـالـتـجـرـبـةـ الدـائـمـةـ وـطـوـلـ الـمـلـاـبـسـةـ ،ـ وـقـالـ :ـ "ـ وـأـكـلـكـ بـعـدـ ذـلـكـ إـلـىـ اـخـتـيـارـكـ ،ـ وـمـاـ تـقـضـيـ عـلـيـهـ فـطـنـتـكـ وـقـيـزـكـ ،ـ فـيـنـبـغـيـ أـنـ تـنـعـمـ الـنـظـرـ فـيـمـاـ يـرـدـ عـلـيـكـ ،ـ وـلـنـ يـنـتـفـعـ بـالـنـظـرـ إـلـاـ مـنـ يـمـسـنـ أـنـ يـتـأـمـلـ ،ـ وـمـنـ إـذـاـ تـأـمـلـ عـلـمـ ،ـ وـمـنـ إـذـاـ عـلـمـ أـنـصـفـ"(٨٩).

٤- موازنة بين معنى ومعنى:

وحين وجد الآمدي نفسه غير متمكن على أن يوازن بين البيتين أو القصيدين إذا اتفقنا في الوزن والقافية والروي، وهو الأمر الذي أشترطه على نفسه منذ البداية، فاضطر أن يوازن بين معنى ومعنى.

وقد حلل الأستاذ الدكتور داود سلوم موازن الآمدي هذه قائلاً: "ثم نظر إلى القصيدة النظرة البدوية التقليدية من حيث الشكل والمضمون والبناء وقد قسم القصيدة إلى ثلاثة أقسام كبرى وهي:

- ١- الافتتاح.
- ٢- الخروج.
- ٣- المدح.

..وي يكن أن نعتبر أن موقفه من الافتتاح والخروج في قصيدة الرثاء هو نفس موقفه في قصيدة المدح" (٩٠).

ثم يبدأ الآمدي بموازنته بين معنى ومعنى - كما يقول - : "أنا أبتدئ بإذن الله من ذلك بما افتحنا به القول : من ذكر الوقوف على الديار والآثار ووصف الدمن والأطلال ، والسلام عليها ، وتعفيفه الدهور والأزمان والرياح والأمطار إياها ، والدعاء بالسقيا لها ، والبكاء فيها ، وذكر استعجامها عن جواب سائلها ، وما يختلف قاطنيها الذين كانوا حلوّاً بها من الوحش ، وفي تصنيف الأصحاب لومهم على الوقوف بها ، ونحو هذا مما يتصل به من أوصافها ونوعتها ، وأقدم من ذلك ذكر ابتداءات قصائدهما في هذه المعاني ..." (٩١).

وفي هذا القسم من الموازنة وجدت الآمدي ذاكراً الموضوعات واستشهاداتها مع تحليلها بصورة دقيقة ، مبيناً حسنها أو قبحها ، ومعطياً رأيه الصريح فيها.

وكمثال لتلك المعاني ، يمكن الاستشهاد بما جاء من شواهد في موضوع (الدعاء للدار بالسقيا) (٩٢) ، حيث أورد لأبي تمام خمسة أبيات ، قال الآمدي في الأولين منها ، بأنها ابتداءان جيدان ، وهما :

سقى طلولهم أجيـشـ هـزـيمـ وـغـدتـ عـلـيـهـمـ نـضـرـةـ وـنـعـيمـ
سـقـىـ عـهـدـ الحـمـىـ سـبـلـ الـعـهـادـ وـرـوـضـ حـاضـرـ مـنـهـ وـبـادـيـ

وأما البيت الثالث (٩٤) :

يا برق طالع منزلا بالبرق واحد السحاب له حداء الأينق
فقال الآمدي بأن لفظة (طالع) رديئة وقبيلة، ولكن قوله: "واحد السحاب له حداء الأينق"
فإن لفظه ومعناه جيدان فصيحان، وذكر بأنه خص البرق لأنه دليل الغيث.

وأما البيت الرابع (٩٥) :

أيها البرق بت بأعسلى البراق وأغد فيها بوابل غيداق
فقال عنه بأنه بيت جيد، وقد أعجب بصورته التي توحّي إليك تلك الأرض المرتفعة ذات
الطين والخضى بألوانها المختلفة (البراق) والرق بيت فيها ويرمي بوابله الغيداق.
وأما البيت الخامس (٩٦) :

يا دار دار عليك إبراهام الندى واهتز روضك في الشّرى فترآدا
ففصل القول في الأرهام وهو المطر اللين، وكيف تشنى الروض لكثرة مائه وغضاضته وقال عنه
الآمدي بأنه بيت ليس بجيد اللفظ ولا النسج.
وأورد الآمدي للبحتري سبعة أبيات، جاء في الأول (٩٧) :

نشتك الله من برق على إضم لما سقيت جنوب الحزن فالعلم
وعلى عليه بأنه بارع اللفظ، جيد المعنى، وما زاد جودته قوله (نشتك الله)، وأن البيتين الثاني
والثالث (٩٨) جيدان:

سقيت الغوادي من طلول وأربع وحيت من دار لأسماء بلقع
أناشد الغيث كي تهمي غواديه على العقيق وإن أقوت مغانيه
وأما البيت الرابع (٩٩) الذي قال عنه هذا الناقد بأنه كثير الماء والرونق:
أقام كل ملث الودق رجاس على ديار بعلو الشام أدراس
والمراد به: ملث الودق: دائم كثير المطر، (رجاس) وهو المصوت الذي يراد به الرعد.
ثم ذكر الآمدي البيتين الخامس والسادس:

لا يرم ريعك السحاب يجوده تبتدي سوقه الصبا أو تقوده (١٠٠).
سقى دار ليلى حيث حلّت رسومها عهاد من الوسمى وطف غيومها (١٠١).

وعلّق هذا الناقد على هذين البيتين: "وهذان ابتداءان جيدان، وليسما مثل ما تقدم" (١٠٢).

وأما البيت السابع:

سقى ربها سح السحاب وهاطله وإن لم يخبر آنفًا نيسائله (١٠٣).

فهو عن الآمدي ردِّي العجز، بسبب قول البحتري (آنفًا) لأنها حشو لاحتاجة للمعنى إليها.

وقد خرج هذا الناقد بعد هذه الموازنة لمعاني أبيات الشاعرين في موضوع (الدعاء للديار

بالسقيا)، إذ قال: "وهما عندي متكافئان" (١٠٤).

وفمَا يأتي جدول بتلك الموضوعات مع النتيجة النقدية:

الصفحة	النتيجة النقدية	الموضوع
٤١٦	الشاعران متكافئان	الابتداءات بذكر الوقوف على الديار
٤٢٠	أبو تمام أشعر من البحتري	التسليم على الديار
٤٢١	البحتري أشعر من أبي تمام	ما ابتدأ به من ذكر تعفية الدهور للديار
٤٢٣	البحتري أحود من أبي تمام	أقواء الديار وتفبيها
٤٢٥	البحتري أجو من أبي تمام	تعفية الرايح للديار
٤٢٨	البحتري أشعر من أبي تمام	البكاء على الديار
٤٣٣	متكافئان	سؤال الديار واستعجامها عن الجواب
٤٣٥	البحتري أشعر من أبي تمام	ما يخالف الظاعنين في الديار من الوحش
٤٣٣	متكافئان	فيما تحيجه الديار من حوى الواقعين بها
٤٣٩	متكافئان	الدعاء للدار بالسقيا
٤٤٦	البحتري أفضل من أبي تمام	لوم الأصحاب في الوقوف على الديار
٤٥٢	البحتري أشعر من أبي تمام	ما قالاه في أوصاف الديار والبكاء عليها
٤٦٠	أبو تمام أشعر من البحتري	وصف أطلال الديار وأثارها
٤٧٠	البحتري أحود وأبرع	محو الرياح للديار
٤٧٩	أيضاً متكافئان	ما قالاه في سؤال الديار واستعجامها عن الجواب والبكاء عليها

٤٩٦	متكافئان مع كثرة احسان أبي تمام	من وصف الديار وساكنيها	١٦
—٤٩٧ ٥٠٤	لم يذكر حكماً معيناً	الدعاء للديار بالسقية والخصب والنبات	١٧
—٥٠٥ ٥١١	لم يذكر حكماً معيناً	ما يختلف الطاعنين في الديار من الوحوش وغيرها	١٨
—٥١٢ ٥٣٣	لم يذكر حكماً معيناً	ما قالاه في مخاطبة في الوقوف وفي تعنيف الأصحاب إياها على ذل	١٩
—٥٣٤ ٥٣٧	لم يذكر حكماً معيناً	ما جاء عنهما في ترك البكاء على الديار والنهي عنه	٢٠

ومن مراجعة الجدول يتبيّن ما يأتي:

- ١ - الشاعران متكافئان في [٦] ست موضوعات.
- ٢ - أبو تمام أشعر من البحترى في [٢] موضوعين اثنين.
- ٣ - البحترى أشعر من أبي تمام في [٨] ثمان موضوعات.

وبهذا كانت الغلبة - فيما يراه الآمدي - للبحترى، ولكن الآمدي لم يذكر هذه النتيجة النهائية، وإنما تركها لن لقولها نحن، ولذلك هو في منأى منها، وكأنه لم تكن له يد فيها، وقد اعترف: "وبالله استعين على مجاهدة النفس ، ومخالفة المهوى ، وترك التحامل ، فإنه جل اسمه حسيبي ونعم الوكيل" (١٠٥).

وأنا أشنم من هذه العبارات وجود تحامل يروم الآمدي تركه ويوكّل الله سبحانه وتعالى على أن يكون الخصيم والحسيب لأعدائه.

الرأي في منهج الكتاب:

يعد كتاب الموازنة للأمدي من أهم الكتب التي ألفت حول هذا الموضوع الذي هو لم يكن خصوصة بين شاعرين بقدر ما يكون بين مذهبين شعريين فنيين، وعلى الرغم مما لاحظناه من تتبع لهذا الكتاب وموضوعاته، فإننا قد قرأنا من خلال سطوره وصفحاته بأنه يحاول بطريق غير مباشر أن يفضل البحترى على أبي تمام، وبهذا استطاع إبراز المزايا اللغوية في شعر البحترى مما ليس لها شبه في شعر أبي تمام، وهو بهذا قاس جودة الشعر بخلافة اللفظ وحسن الدياجة، وقاس أفضلية البحترى بميزان عمود الشعر، وكان يهتم بالللغة ويقدمه على المعنى.

والآمدي لم يتحامل على أبي تمام بداع شخصي وإنما كان بداع فنّي ، لأن ذوق الآمدي الشعري لم يتفق وشعر أبي تمام.

وذكر الأستاذ طاه أحمد إبراهيم : "فصيّب أبي تمام في كتاب الموازنة جسيم ، وخصائصه، وعناصر شعره ، وحسنه ، ومساويه ، كل اولئك أظهر وأوضح منه عند البحترى .. وان الآمدي أنصف أبا تمام في بعض المواطن المهمة" (١٠٦).

ولما كان الآمدي سائراً في كتابه بقصد الموازنة بين لطائين ، فلا بد له من إنصاف أبي تمام في بعض المواطن ، ومنها:

1. ما نسبه ابن أبي طاهر فيه إلى السرقة وليس بمسروق ، وقد دافع (١٠٧) عنه الآمدي.

2 دفع الآمدي شبهة أبي العباس القطري في إنكاره على أبي تمام أن شبه عنق الفرس بالجذع في البيت:

هاديه جذع من الأراك ، وما تحت الصلا منه صخرة جلس

وقال الآمدي : " وأخطأ أبو العباس .. وتلك عادة العرب وهي في أشعارها أكثر من أن يحصى" (١٠٨).

3 أورد الآمدي الكثير من فضائل أبي تمام (١٠٩).

4. أنصف هذا الناقد أبا تمام في حالي من حالات (باب الوقوف على الأطلال) وهما:

أ - التسلیم على الديار: فقال بأن أبا تمام أشعر (١١٠) من البحترى.

ب - باب في وصف أطلال الديار وآثارها: فقال الآمدي بأن أبو تمام أشعر وأحسن، ولم يعرف للبحترى في مثل ذلك شيئاً^(١١١).

٥. ذكر الآمدي بابا في وصف الديار وساكنيها، واستشهد بشعر الطائين وذكر في المازنة بينماما آراء أهل الصنعة الذين يفضلون أبو تمام، وآراء المطبوعين وأهل البلاغة الذين يميلون للبحترى، حيث كان الآمدي مع أهل الطبع، ولكنه قال: "والقول في هذا قولهم، وإليه أذهب، إلا أنني أجعلهما في هذا الباب متكافئين لكثرة إحسان أبي تمام فيه"^(١١٢).

وقد اتكأ هذا الناقد على آراء الآخرين بكثرة، من علماء ومؤلفين نقل آرائهم ونظرياتهم وحفظها لنا من الضياع، مع ما أورده من شواهد شعرية قيمة واستطرادات كثيرة للثبات رأيه وصحة فكرته وقوتها أسبابه، إلا أن الكتاب: "سييقى أضخم نتاج عربي في النقد التطبيقي التفصيلي الذي إن دل على شيء فإنه يدل على صبر طويل، وأناته عجيبة، وقدرة على جمع النصوص وتقريبها من بعض، وفهم لشعر الشاعرين لا يفوقه فيه أحد"^(١١٣).

لقد أجهد الآمدي نفسه في جمع الكتب والروايات والنصوص المتعلقة بالشاعرين وشعرهما، وذكر ما استفاد منها بعد مناقشتها وتحقيقها، وأعطى آراءه فيها.

ولذلك لابد لنا من إثبات منهجه الآمدي كالآتي:

أ - ذكر المصادر:

لقد رجع الآمدي إلى المصادر المختلفة، فكان يذكر أسماء الكتب، وكثيراً ما كان يردفها بأسماء مؤلفيها مع تحديد موضع الأخذ من الكتاب في أغلب الأحيان، وفيما يأتي جدول ببعض تلك المصادر:

الصفحة	النتيجة النقدية	اسم الكتاب	
٦٣١	ثعلب	الامالي	١
٤٥٦ - ١٥٦	أبو حنيفة الدينوري	الأنواء	٢
٥٥	أبو تمام	الخمسة	٣
١٤١	ابن قيس الرقيات	ديوان ابن قيس الرقيات	٤

١٢٩	ان ابي طاهر	سرقات أبي تمام	٥
٣٩١	محمد بن سلام الجمحى	الطبقات(طبقات الشعراء)	٦
٢٣٥	أبو عيادة القاسم بن سلام	الغريب المصنف	٧
٥٢٤	المبرد	الكامل	٨
١٧، ١٨، ٢٠، ٢١، ٣١	ابن المعتر	كتاب البديع	٩
١٣٤، ٢٦٩، ٢٧٥	أبو عيادة	كتاب الخيل	١٠
١٣، ١٩، ٢٨٧	دعبل بن علي الخزاعي	كتاب الشعراء (طبقات الشعراء)	١١
٣٩١	أبو الضياء بشر بن يحيى	كتاب سرقات البحتري من أبي تمام	١٢
٣٤٣	ابن المعتر	كتاب سرقات الشعراء (السرقات)	١٣
١٣٦، ١٣٧	احمد بن عبد الله القطربي	كتاب...(ولعله كتاب فقر البلغاء أو الفريد)	١٤
١٣٨، ١٤٢، ١٥١	للأشناداني	المعاني	١٥
٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٧	قدامة بن جعفر	نقد الشعر	١٦
١٥٦، ٣٦٢	ابن الاعرابي	النوادر	١٧
١٣٣، ١٨، ١٩، ٢٦	محمد بن داود بن الجراح	الورقة(.. في أخبار الشعراء)	١٨
٦٦			

فللآمدي فضل كبير في نقل الآراء النقدية التي شاعت في عصر الطائين وأشار إليها هذا الناقد، وللكتب التي وردت فيها بكلأمانة، وكيف كان يستقصيها (١١٤).

ب - التحقق من النصوص:

وقد لاحظت أن هذا الناقد يحرص على النصوص ويوثقها إن توافرت الأدلة على صحتها، ومنها:

"وقال رجل منبني أسد.. أنسدنيه لبعض شعراءبني أسد:

تغيّيت كي لا تجتوني دياركم ولو لم تغب شمس النهار مللت

(وضننته مصنوعاً حتى وجدت عبد الله بن المعتز بالله ذكر في كتابه المؤلف في سرقات الشعر عجز هذا البيت - ولو لم تغب شمس النهار مللت - للكميـت بن زيد)" (١١٥).

وذكر الآمدي في حديثه عن رد الأبيات إلى قائلها: "وقال ابن قيس الرقيـات ووجـدتـها في ديوانـه، والصـحـيـحـ انـها لأـبي العـباسـ الأـعـمـىـ:

بحـلـومـ إـذـاـ الـخـلـومـ اـسـتـخـفـتـ وـوـجـوهـ مـثـلـ الدـنـانـيرـ مـلـسـ" (١١٦).

فـهـوـ قـدـ صـحـ مـاـ فـيـ الـدـيـوـانـ وـوـثـقـهـ.

ج - الترجيح بين الروايات:

وكان هذا الناقد يوازن بين الروايات المتضاربة، ويرجح أقربها إلى الصحة، ومن ذلك ما كان في حديثه عن البختري: "انه كان يكنى أبا عبادة، ولما دخل العراق تكـنى أبا الحسن.. وقد ذكر بعضهم أنه كان يكنى أبا الحسن، وأنه لما اتصل بالمتوكـل وعرف مذهبـه عـدـلـ إـلـىـ أبيـ عـبـادـةـ والأـوـلـ أـثـبـتـ" (١١٧).

ولم يقف الآمدي عند الكتب المؤلفة التي اعتمدـهاـ، بل أضافـ إـلـىـ ذـلـكـ كلـمـاـ سـمـعـهـ مشـافـهـةـ منـ أـفـواـهـ الـرـوـاـةـ وـالـشـيـوخـ وـيـنـصـ عـلـىـ قـائـلـهـاـ،ـ قـالـ:ـ "ـ وـأـنـاـ الـآنـ أـذـكـرـ ماـ غـلـطـ فـيـهـ أـبـوـ تـامـ مـنـ الـمـعـانـيـ وـالـأـفـاظـ،ـ مـاـ أـخـذـتـهـ مـنـ أـفـواـهـ الـرـجـالـ وـأـهـلـ الـعـلـمـ بـالـشـعـرـ عـنـدـ الـمـذـاكـرـةـ وـالـمـفـاـوـضـةـ" (١١٨).ـ وـقـالـ:ـ "ـ وـأـنـاـ أـجـمـعـ لـكـ مـعـانـيـ هـذـاـ الـبـابـ فـيـ كـلـمـاتـ سـمـعـتـهـ مـنـ شـيـوخـ أـهـلـ الـعـلـمـ بـالـشـعـرـ:ـ زـعـمـواـ أـنـ صـنـاعـةـ الشـعـرـ وـغـيرـهـاـ مـنـ سـائـرـ الصـنـاعـاتـ.." (١١٩).

د - الاستقصاء والاحتجاج:

كان ذا الناقد يهتم باستيفاء مادته التي يروم مناقشتها، فقال: "ولعل قائلا يقول: قد تجاوزت.. وقصّرت، ولم تستقص جميع ما خرّجه أبو الضياء بشر بن قيم من المسروق، وليس الأمر كذلك، بل قد استوفيت جميعه"(١٢٠).

وكان يؤمن بالتأمّل الصحيح لغرض الزيادة في الاحتجاج: "لزيادة عندي في الاحتجاج"(١٢١)، وقال: "ثم استقصي الاحتجاج في جميع ذلك، لعلمي بكثرة (المعارضين) من لا يجوز على هذا الشاعر (الغلط)، ويوقع له التأوّل البعيد، ويورد الشبه والتمويه. وبالله اسعين، وهو حسيبي ونعم الوكيل"(١٢٢).

ولم يكتف الآمدي بالنصوص الحاضرة المباشرة، بل يفتّش بين السطور عن ضالته ويعتمد الاستنباط والاستخراج، قال عن سرقات أبي تمام: "أنا أذكر ما وقع الي في كتب الناس من سرقاته، وما استنبطته أنا منها واستخرجته.." (١٢٣).

وقال: "وما استخرجته أنا من ذلك واستنبطته بعد أن أسقطت منه كل ما احتمل التأويل، ودخل تحت المجاز، ولاحت له أدنى علة"(١٢٤)، مما أخذه من أفواه الناس.

ه - مراجعة كتب أهل الاختصاص:

ومما يثبت علمية ودقة الآمدي في البحث، انه رجع إلى أهل الاختصاص في كل ميدان يخوضه ويحتاج فيه إلى مراجعة وتدقيق. ففي معاني الخيل رجع إلى (كتاب الخيل لأبي عبيدة)(١٢٥)، وفي معاني الأنواء كان قد رجع إلى كتاب (كتاب الأنواء لأبي حنيفة الدينوري)(١٢٦). وفي باب الغريب في اللغة رجع إلى كتاب (الغريب المصنف لأبي عبيدة القاسم بن سلام)(١٢٧)، وفي النوادر رجع إلى كتاب (النوادر لابن الاعرابي)(١٢٨).

أما مراجعته لعلماء اللغة والأدب، فكان الآمدي دقّيقاً في اختيارهم، مما يدل على معرفته الواسعة بمكانة كل منهم وما يمتلكه من خبرات ومؤلفات، وما يتّبّعه من آراء ونظريات في علوم اللغة والشعر والتفسير.

وفيما يأتي قائمة ببعض أولئك العلماء(١٢٩):

الاسم	ت
بعض الصفحات التي ذكر فيها	

١	الخليل بن احمد الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ)	٢٤
٢	المفضل الصبي (ت ١٧٨ هـ)	٣٩٥
٣	سيبويه (ت ١٨٠ هـ)	٣٨٣، ٢٠٤، ١٨٢
٤	خلف الأحمر (ت ١٨٠ هـ)	٣٩٢، ٢٤
٥	علي بن حمزة الكسائي (ت ١٨٩ هـ)	١٧٣، ٢٤
٦	أبو عمرو الشيباني (ت ٢٠٥ هـ)	٢٦٩
٧	الفراء (ت ٢٠٧ هـ)	٢٠٧
٨	ابو عبيدة (ت ٢٠٩ هـ)	١٧٣
٩	أبو الحسن الاخفش (ت ٢١١ هـ)	٥٢٤، ٢٧٠، ٢٥٨، ٩١، ٢٣، ٢١
١٠	أبو زيد الانصاري (ت ٢١٥ هـ)	٥٢٤
١١	الأصمي (ت ٢١٦ هـ)	٤٣، ٤٢، ٤٠، ٣٦، ٢٤، ٢٣، ٢٣، ٢٦٩، ١٦٨، ١٦٤، ٨١، ٤٧
١٢	ابن الإعراي (ت ٢٣١ هـ)	.٤٦٤، ٣٩٥، ٢٣، ٢٢، ١٩
١٣	إسحاق بن إبراهيم الموصلي (٢٣٥ هـ)	٤٦٨، ٣٩١، ٤٥، ٢٣، ٢٠
١٤	يعقوب بن السكري (ت ٢٤٤ هـ)	٥٠٠، ١٦٥، ١٠٩
١٥	أبو سعيد السكري (ت ٢٧٥ هـ)	٢١٧
١٦	المبرد (٢٨٥ هـ)	.٥٢٣، ٢٠٩، ١٧٣، ١٠٨، ٢١
١٧	ثعلب: أحمد بن يحيى (٢٩١ هـ)	.٣٩٥، ٢٥٨، ١٩
١٨	أبو إسحاق الزجاج (٣١١ هـ)	٢٠٤، ١٧٣
١٩	أبو بكر الصوالي (٣٣٥ هـ)	٢٠٥
٢٠	وهنالك شخصيات أخرى كأبي حام السجستاني وأبي سعيد الضرير وأبي العميشل وغيرهم	

و - مناقشة آراء العلماء:

كان الآمدي ينالقش ما يبر عليه من آراء علماء الشعر واللغة، ولا يترك الرأي طرداً دون مناقشة، بل يعطي رأيه في الأمر معزواً بالأدلة والأمثلة، كمناقشته لابن أبي طاهر في سرقات أبي تمام، وكيف صحق له ما كان غير مسروق(١٣٠)، وكرده على أبي علي السجستاني في المعانى المختربة عند أبي تمام، وأنها كثيرة(١٣١).

ز - عرض الأدلة والاستشهادات:

وهو بهذا يعد كتاباً نقدياً مهماً، فالآمدي يسوقها بأسلوب شيق وعرض مفصل.

ح - الاستشهاد بآي من الذكر الحكيم(١٣٢) والسنة النبوية الشريفة(١٣٣):

فهو يأتي بنصوص من القرآن الكريم والسنّة، لتحليل حالات المجاز والاستعارة والكتابية والتشبيه والطبق والجناس، وتحليل بعض الصور للدلالة على ما في الشعر منها.

المؤاخذات:

إن الذي يمكن أن نأخذه على الآمدي ما يأتي:

١- عدم تقويم تراث الشاعرين كلاً واحداً دون تجزئته.

٢- انه ظل أسيير أغلال (عمود الشعر) والمعايير القديمة كمبدأ نقي وطريقة في الموازنة.

٣- الالتزام الشخصي بالشكلانية والقوالب اللغوية.

٤- عدم الالتفات إلى مسائل التخييل في المعانى المستعارة في روائع أبي تمام.

٥- الميل إلى مدرسة الطبع، وعدم الاقتراب من الإغراب في الاستعارة.

٦- الميل إلى مقوله : أجود الشعر أصدقه وليس أكذبه.

٧- وجود الاستطرادات الكثيرة التي قد تستوعب نصف الكتاب .

هوماش البحث:

- (١) انظر أخبار أبي تمام، لأبي بكر الصولي، تحقيق عساكر وعزام والهنيدى، بيروت، المكتب التجارى، (د.ت).

- (٢) شرح الصولي لديوان أبي تمام، تحرير: د. خلف رشيد نعمان. بغداد، وزارة الإعلام، ١٩٧٧م. ج ١٦٥، حيث أورد (٧) سبعة أغراض منها عدا الحكمة.
- (٣) المصدر نفسه: ج ١٦٧/٦١٥-٦١٥، وج ٢/٤٦١-٥.
- (٤) انظر: أبو تمام وثقافته من خلال شعره، ابتسام مرهون الصفار، بغداد، وزارة الإعلام، ١٩٧٢م.
- (٥) الموجز في الأدب العربي وتاريخه، حنا فاخوري، بيروت، دار الجيل، ١٩٨٥م، ج ٢/٣٣٥، (بتصرف).
- (٦) انظر: أخبار البحترى، لأبي بكر الصولي، تحرير: د. صالح الأشتر، ط ٢، دمشق، دار الفكر، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.
- (٧) ديوان البحترى (١-٢)، بيروت، دار القاموس الحديث، مطبعة الجواب، ١٣٠١هـ.
- (٨) The Encyclopedia of Islam. London, Brill, 1971.V.3 (111) / P.1289-1290
- (٩) العمدة في محاسن الشعر، لأبن رشيق، ط ٣، القاهرة، مطبعة السعادة، ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م. ج ٢/١١٥-١١٤.
- (١٠) البحترى. د. أحمد أحمد بدوي، ط ٣، القاهرة، دار المعارف بمصر، ١٩٦٩م. وقد أخذ الدكتور بدوي مصطلح (الاستواء) من الآمدي، انظر: الموازنة بين أبي تمام والبحترى للآمدي، تحرير: محمد محيي الدين عبد الحميد. بيروت، المكتبة العلمية، ١٣٦٣هـ/١٩٤٤م. وانظر أيضاً: الموازنة بين شعر أبي تمام والبحترى، للآمدي تحرير: السيد احمد صقر، القاهرة، دار المعارف بمصر، ١٣٨٠هـ/١٩٦١م. ج ١/١٢.
- (١١) ولغرض الاستزادة في الإطلاع على الخصومة، انظر: الخصومة بين القدماء والمحدثين، د. عثمان موافي. ط ٢، الإسكندرية، دار المعرفة، ١٩٨٤م.
- (١٢) الموازنة للآمدي. ج ١/٥-٧.
- (١٣) مصدر نفسه. ٦/٦.
- (١٤) م.ن. ٦/.

(١٥) م.ن. /٧.

(١٦) م.ن. /٧، وانظر ايضاً: م.ن. /٤٠٠.

(١٧) م.ن. /٧، وانظر ايضاً: م.ن. /٤٠٢.

(١٨) م.ن. /٧.

(١٩) م.ن. /٨.

(٢٠) م.ن. /٥٣.

(٢١) م.ن. /٥٤.

(٢٢) الموازنة /٥٨-٥٩، وانظر: شرح الصولي لـديوان أبي تمام، ج ١/٢٩١-٢٩٢، حول البيتين.

(٢٣) م.ن. /١١٠-١٢٩.

(٢٤) م.ن. /١١٠.

(٢٥) م.ن. /١٢٩.

(٢٦) الموازنة /١٢٩.

(٢٧) م.ن. /١٣٣.

(٢٨) م.ن. /١٣٤.

(٢٩) انظر ايضاً: كتاب الورقة، لابن الجراح، تحقيق د. عبد الوهاب عزّام وعبد الستار أحمد فراج، القاهرة، دار المعارف، ١٩٥٣م.

(٣٠) كتاب البديع، لابن المعتر، اعتناء وتعليق: اغناطيوس كراتشقوفسكي، ط ٣، بيروت، دار المسيرة، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

(٣١) الموازنة /١٣٤-١٣٦.

(٣٢) الموازنة /١٣٨، وانظر: شرح الصولي لـديوان أبي تمام، ج ١/٤٧١.

(٣٣) م.ن. /١٣٧.

(٣٤) م.ن. /١٣٧-١٤٤.

(٣٥) م.ن. /٢٥٠.

- (٣٦) الموازنة / ٢٥٩.
(٣٧) م.ن. / ٢٤٣.
(٣٨) م.ن. / ٢٤٥_٢٦٤.
(٣٩) م.ن. / ٢٦٢.
(٤٠) م.ن. / ٢٦٥.
(٤١) الموازنة / ٢٦٧.
(٤٢) انظر: الموازن، ج ١/ ٢٦٨_٢٧٠.
(٤٣) م.ن. / ٢٦٧_٢٦٨.
(٤٤) الموازنة / ٢٦٨ ، وانظر شرح الصولي لديوان أبي تمام، ج ١/ ٢٣٣.
(٤٥) الموازنة / ٢٦٩ ، وانظر شرح الصولي لديوان أبي تمام، ج ٢/ ٤٥٩.
(٤٦) الموازنة / ٢٦٥_٢٧١.
(٤٧) م.ن. / ٢٧١.
(٤٨) الموازن ج ١ / ٢٨٢ . وأنظر الصولي لـ ديوان أبي تمام. ج ١ / ٥٧٧.
(٤٩) م. ن. / ٢٩٠.
(٥٠) م. ن. / ٢٩٠.
(٥١) م. ن. / ٢٩٠ . وأنظر: شرح الصولي لـ ديوان أبي تمام. ج ١ / ٣٢.
(٥٢) م.ن. / ٢٧١_٢٧٢.
(٥٣) الموازنة / ٢٧٣.
(٥٤) م.ن. / ٢٧٣_٢٧٤.
(٥٥) م.ن. / ٢٧٦.
(٥٦) م.ن. / ٢٧٦.
(٥٧) م.ن. / ٢٧٧.
(٥٨) الموازنة / ٢٩١.
(٥٩) م.ن. / ٢٩٢_٣٠٣.

- .٣٢٦_٣٠٤) م.ن./ (٦٠)
- .٣٥٠_٣٢٦) م.ن./ (٦١)
- .٣٣٨_٣٢٦) م.ن./ (٦٢)
- .٣٤٢_٣٣٨) المَوازِنَةُ (٦٣)
- .٣٥٠_٣٤٣) م.ن./ (٦٤)
- (٦٥) م.ن./ ٣٤٩، وانظر: شرح الصولي لـديوان أبي تمام، ج ٢/٢٨٦ (..أسدى إليك.).
- .٣٥٠/ م.ن. (٦٦)
- .٣٥٩_٣٥٠) م.ن./ (٦٧)
- .٣٥٥/ المَوازِنَةُ (٦٨)
- .٣٨٢_٣٦٠) م.ن./ (٦٩)
- .٣٨٢/ م.ن. (٧٠)
- .٣٨٥/ م.ن. (٧١)
- .٣٨٤/ م.ن. (٧٢)
- .٣٨٥/ م.ن. (٧٣)
- .٣٨٦/١ ج المَوازِنَةُ، ج (٧٤)
- .٣٨٦/ م.ن. (٧٥)
- .٣٩٧/ م.ن. (٧٦)
- .٣٩٥/١ ج المَوازِنَةُ، ج (٧٧)
- .٣٩٩_٣٩٨) م.ن./ (٧٨)، وانظر شرح الصولي لـديوان أبي تمام، ج ١/٤٣٠.
- .٣٩٩/ م.ن. (٧٩)
- .٤٠٠/ م.ن. (٨٠)
- .٤٠٠/ م.ن. (٨١)
- .٤٠١/ المَوازِنَةُ (٨٢)
- .٤٠١/ م.ن. (٨٣)

- (٨٤) م.ن. / ٤٠١_٤٠٠ .
- (٨٥) م.ن. / ٤٠٢ .
- (٨٦) م.ن. / ١٢ ، وانظر ايضاً: أخبار أبي تمام لأبي بكر الصولي ٦٧.
- (٨٧) الموازنة / ١٢ .
- (٨٨) م.ن. / ٣٨٨ .
- (٨٩) م.ن. / ٣٨٩ .
- (٩٠) مقالات في تاريخ النقد العربي. د. داود سلوم، بيروت، دار الطليعة، ١٩٨١م، ٢٣٨.
- (٩١) الموازنة، للآمدي، ج ١/٤٠٥ .
- (٩٢) م.ن. / ٤٣٦_٤٣٩ .
- (٩٣) الموازنة / ٤٣٦ .
- (٩٤) م.ن. / ٤٣٦_٤٣٧ .
- (٩٥) م.ن. / ٤٣٧ .
- (٩٦) م.ن. / ٤٣٧ .
- (٩٧) الموازنة / ٤٣٧ .
- (٩٨) م.ن. / ٤٣٨ .
- (٩٩) م.ن. / ٤٣٨ .
- (١٠٠) م.ن. / ٤٣٨ .
- (١٠١) م.ن. / ٤٣٩ .
- (١٠٢) م.ن. / ٤٣٩ .
- (١٠٣) الموازنة / ٤٣٩ .
- (١٠٤) م.ن. / ٤٣٩ .
- (١٠٥) الموازنة، ج ١/٤٠٥ .
- (١٠٦) تاريخ النقد الأدبي عند العرب / ١٧٩ .
- (١٠٧) الموازنة، ج ١/١٢٠_١٢٩ .

- . ١٣٧) م.ن/١٠٨ .
٣٩٩_٣٩٧) م.ن/١٠٩ .
. ٤٢٠_٤١٧) م.ن/١١٠ .
. ٤٦٠_٤٥٥) م.ن/١١١ .
. ٤٩٦) الموازنة /١١٢ .
. ٢٥٣_٢٥٢) مقالات في تاريخ النقد العربي ، د. داود سلوم /١١٣ .
. ٥٢٤/ج) الموازنة ، ج ١/١١٤ .
. ٧٤) الموازنة /١١٥ .
. ١٤١، وهنالك رواية أخرى للبيت : حلماء... بوجوهه . ١٤١) م.ن/١١٦ .
. ٥٠) م.ن/٢٦ ، وانظر أيضًا : سهو الرواة . ٥٠) م.ن/١١٧ .
. ١٣٦) م.ن/١١٨ .
. ٤٠٢) م.ن/١١٩ .
. ٣٢٥/ج) الموازنة ، ج ١/١٢٠ .
. ٣٦٠) م.ن/١٢١ .
. ١٣٦) م.ن/١٢٢ .
. ٥٦) م.ن/١٢٣ .
. ١٣٦) م.ن/١٢٤ .
. ٢٨٦) م.ن/١٢٥ .
. ١٥٦) م.ن/١٢٦ .
. ٢٣٥) م.ن/١٢٧ .
. ١٥٦) م.ن/١٢٨ .
. ١٢٢/ج) الموازنة ، ج ١/١٢٩) لم يكن هذا الجدول لأغراض إحصائية وحسب ، وإنما كان لأغراض علمية وإجرائية وتبيرية .
. ١٢٢/ج) الموازنة ، ج ١/١٣٠ .

(١٣١) م.ن. / ١٢٣ - ١٢٤.

(١٣٢) انظر: المازنة، ج ١٤، ١٧، ١٥، ١٧، ٣٩، ١٥٩، ١٦٦، ١٦٧، ١٧٢، ١٧٤، ٥٢٣، ٥٢١، ٣٧١، ٣٥٧، ٢٠٨، ٢٠٧، ٢٠٤، ١٨٩، ١٨٢، ١٨١، ١٧٥، ٥٢٥. ٥٢٦.

(١٣٣) انظر: م.ن. / ٤١٥، ١٧، ١٦.

فهرس المصادر والمراجع:

- ١- أبو تمام وثقافته من خلال شعره. ابتسام مرهون الصفار. بغداد، وزارة الإعلام، ١٩٧٢ م.
- ٢- أخبار أبي تمام. لأبي بكر الصولي، تحقيق عساكر وعزم والهندي. بيروت، المكتب التجاري، (د.ت.).
- ٣- أخبار البحترى. لأبي بكر الصولي تحقيق د. صالح الأشتر. ط ٢. دمشق، دار الفكر، ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م.
- ٤- البحترى. د. أحمد أحمد بدوى. ط ٣. القاهرة. دار المعارف بمصر، ١٩٦٩ م.
- ٥- كتاب البديع. لابن المعتر. اعتناء وتعليق: أغناطيوس كراتشقوفسكى. ط ٣. بيروت، دار المسيرة، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م.
- ٦- تاريخ النقد الأدبي عند العرب. طه أحمد إبراهيم. بيروت، دار الحكمة، (١٩٣٧ م).
- ٧- الخصومة بين القدماء والمحديثين في النقد العربي القديم. د. عثمان موافي. ط ٢. الإسكندرية، دار المعرفة، ١٩٨٤ م.
- ٨- ديوان البحترى (٢-١). بيروت، دار القاموس الحديث (مطبعة الجواب)، ١٣٠١ هـ.
- ٩- شرح الصولي لديوان أبي تمام، تحقيق د. خلف رشيد نعمان. بغداد. وزارة الإعلام، ١٩٧٧ م.
- ١٠- العمدة في محاسن الشعر وأدابه ونقده. لابن رشيق القيرواني. ط ٣. القاهرة، مطبعة السعادة، ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٤ م.
- ١١- مقالات في تاريخ النقد العربي. د. داود سلوم. بيروت، دار الطليعة، ١٩٨١ م.

- ١٢- الموازنة بين أبي تمام والبحترى. للأمدي. تحقيق محى الدين عبد الحميد. بيروت، المكتبة العلمية، ١٣٦٣هـ / ١٩٤٤م.
 - ١٣- الموازنة بين شعر أبي تمام والبحترى. للأمدي. تحقيق السيد أحمد صقر. القاهرة، دار المعارف بمصر، ١٣٨٠هـ / ١٩٦١م.
 - ١٤- الموجز في الأدب العربي وتاريخه. حنا الفاخوري. بيروت، دار الجليل، ١٩٨٥م.
 - ١٥- كتاب الورقة، لابن الجراح. تحقيق د. عبد الوهاب عزام وعبد الستار أحمد فراج، القاهرة، دار المعارف، ١٩٥٣م.
- 16 - The Encyclopedia of Islam. London, Brill, 1971.

نافذتان نقديتان

على النثر العباسى

أحمد بن يوسف

والإعراق في الكتابة

ابن العميد

بين التسجيع والمزاوجة

د. فاروق محمود الحبوي

أحمد بن يوسف (ت ٢١٣هـ) والإعراق في الكتابة

المقدمة:

لابد لي وأنا أكتب شيئاً موجزاً عن أحمد بن يوسف الكاتب المتوفى سنة مائتين وثلاث عشرة للهجرة، وعما قاله بعض القدماء والمحدثين في اسلوبه من الآراء الفنية مع تحليل نصوص من رسائله.

ولكي أكتب ذلك، فمن الجدير بي أن أكون مطلعاً على أكبر عدد ممكن من المصادر والمراجع التي تتناول ذلك الكاتب، وقد توفر لي بعض ذلك، بيد أنني عزفت عن الجانب التاريخي لقلة أخبار ذلك الكاتب، وقد توفر لي بعض ذلك، بيد أنني عزفت عن الجانب التاريخي لقلة أخبار ذلك الكاتب وضياع معظم رسائله أو طمسها.

ولذلك ستجدني في هذا البحث الموجز أنزع إلى الجانب التحليلي.

وهذا أمر يتناسب وواقع الحال والمقام، تاركاً الجوانب الأخرى للكاتب لظروف قادمة إن شاء الله، وسأقوم بجمع ما أجده من أخباره ورسائله وتوقيعاته وشعره ليكون كتاباً وتحت اشراف ومراجعة ودقة تحقيق.

وقد استعنت بأجهزة الاتصالات (الأنترنت) لمراكز البحوث في العالم، ومنها بحوث العمليات الدقيقة لكشف ما كتب عن هذا الرجل، فلم أجده من المحدثين من قام بدراساته أو تحليل نصوصه، ولذلك كان هذا البحث جديداً غير مدروس، ودليلي في ذلك ما جاء بنتائج بحوث عمليات مكتبة

الكونغرس عنه في الكتب والدوريات باللغتين العربية والإنكليزية، واجد المتلقي الكريم واثقاً من جدة هذا البحث إن شاء الله.

أحمد بن يوسف الكاتب:

هو أحمد بن يوسف بن القاسم بن صبيح الكاتب (١)، وكتبه أبو جعفر، (من قرية من قرى الكوفة تعرف بدبها) (٢)، وذكر أبو بكر الصولي بأن صبيحاً عبد لبعض بنى عجل ثم اعتق (٣). ولم أجد من تحدث عن تاريخ ولادته، ولكن المصادر تشير إلى أنه ترعرع في عائلة امتهنت الكتابة، فجده وأبواه كانوا كاتبين للدواوين (٤)، فنشأ أحمداً نشأة أحبت الكتابة واهتدى إلى خصائصها ومحاجاتها، وأنه فطن إلى أدوات الملك وآداب السلاطين، فختم بذكائه وسرعة خاطره شؤون المهنة، وشب على الروعة والكرم وكان له فيما قصص (٥)، ومضى صدراً اسمه يشع في ساحة الأدب متكلماً وشاعراً، يتصف بجودة الكلام وفصاحة اللسان وملاحة الخط (٦)، وكان قد عرف بحب المرح وتعاطي الشراب والأنس (٧)، وله في ذلك مجالس (٨).

وكان قد رأه عبد الحميد بن يحيى الكاتب فأعطاه ارشادات في تحسين الخط (٩).

كل ذلك قد هيأ له الأدوات المرشحة من الخبرة والتجربة والثقافة والذوق ليكون كاتباً متمكناً بحق، فنذاع خبره بين الناس بلغوا لا معاً.

المبحث الأول

١- أحمد بن يوسف والرسائل الديوانية

كيف ولي ديوان الرسائل؟ ذكرت المصادر (١٠) ان أول ما ارتفع به كان بعد مقتل الأمين العباسي سنة ١٩٨ هـ مائة وثمان وتسعين، ذكرت روایتين، أولاهما: ان طاهر بن الحسين - كبير قواد المؤمنون - أمر الكتاب أن يكتبوا إلى المؤمنين فأطلقوا، وحين وصف له أحمداً بن يوسف وموضعه من البلاغة، أحضره لذلك، فكتب "اما بعد، فان المخلوع قسيم أمير المؤمنين في النسب واللحمة، فقد فرق بينهما حكم الكتاب والسنة في الولاية والحرمة بمفارقته عصمة الدين، وخروجه عن اجماع المسلمين، لقول الله عز وجل فيما اقتضى علينا من أنباء نوح وابنه ﴿يا نوح إنك

ليس من أهلك، إنه عمل غير صالح»، ولا طاعة لأحد في معصية الله ولا قطيعة ما كانت في ذات الله، وكتابي إلى أمير المؤمنين وقد انجز الله له ما كان يتتظر من سابق وعده، والحمد لله الآخذ لأمير المؤمنين بحقه، الكائد له فيمن خان عهده، ونقض عقده، حتى رد به الألفة بعد فرقتها، وجمع به الأمة بعد شتاتها، وأحيا به أعلام الدين بعد دروسها، والسلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته". (١١).

وأما الرواية الثانية، فتقول المصادر (١٢) بأن ذا الرياستين الفضل بن سهل _ وزير المأمون _ لما أدخل رأس الأمين على أخيه المأمون، أدخله على ترس بيده، فلما رأه سجد، ثم صدر الأمر من المأمون بإنشاء كتاب يقرأ على الناس، فكانت عدة كتب لم يرضها واستطالها، فكتب أحمد بن يوسف هذا الكتاب، فلما عرض النسخة على ذي الرياستين فاستساغها وطلب من أحمد أن يجلس في الديوان وليقعد جميع الكتاب بين يديه، وليكتب إلى الآفاق.

وسمّى أصحّ الرواية الأولى أم الثانية، فإنّ أحمد بن يوسف قد كتب ما ارتفع به نجمه، وولي ديوان الانشاء، والذي يهمنا في الأمر أن نتعرّف على أسلوب تلك الرسالة وما حملته من مضامين :

والرسالة على دقة تعبيرها ووضوح مفرداتها، فقد بدأها بعبارة (أما بعد)، مصوّراً عرض الرسالة وهو عصيان الأمين الذي نازع أخاه، وخرج على اجتماع المسلمين، فصور هذا الكاتب تلك المصيبة رابطاً بين عصيان الأمين وعصيان ابن نوح، ومستشهدًا بالآية القرآنية الكريمة التي دفعت عن نبوة أبيه وقرباته، ولما جنّه الأمين على نفسه لم تعد له ولادة ولا رحمة، فقد خرج من أهله ناكثًا عهد والده بولادة العهد لأخيه المأمون، وبهذا فقد نال جزاءه العادل، وعاد الحق إلى صاحبه لتجتمع كلمة الأمة بعد شتات، خاتماً الرسالة بالسلامة على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته.

ولقد أجاد أحمد بن يوسف في هذه الرسالة، ابتداءً من الغرض ومعالجته باسلوب فني مستشهدًا بأبي من الذكر الحكيم ومستخدماً الأسلوب المنطقي في الحاجة، مستعملاً المصطلحات الدينية كـ: الكتاب والسنة، الحرمة، عصمة الدين، اجتماع المسلمين، معصية الله، ذات الله...، مما لها وقع مؤثر في السامعين لكتسب تعاطفهم، إضافة على التأنق في اختيار الألفاظ واصيطة

العبارات الموجزة المعبرة المتصفية بالقوة والجزالة، وهنالك توازن (ازدواج) وتعادل للفقرات على نحو السجع بين: "عصمة الدين" و"اجماع المسلمين"، وبين "خان عهده" و"نقض عقده"، واستخدم التورية المبنية في (المخلوع) ويقصد به (الأمين) وذكر لازماً من لوازمه وهو "قسيم... في النسب واللحمة" كما استخدم الاقتباس، وهذا ما تقتضيه الرسائل الديوانية.

مثال من رسائله الديوانية:

رسالة الخميس: وهي الرسالة التي وجهها أحمد بن يوسف إلى أهل خراسان بعد تولي المأمون الخلافة، قال (١٣): "من عبد الله الإمام المأمون أمير المؤمنين إلى المباعين على الحق والناصرين للدين، من أهل خراسان وغيرهم من أهل الإسلام: سلام عليكم، فإن أمير المؤمنين يحمد إليكم الله الذي لا اله إلا هو، ويسأله أن يصلى على محمد عبده ورسوله، أما بعد فالحمد لله القادر القاهر، الباعث، الوارث، ذي العز والسلطان، والنور والبرهان، فاطر السموات والأرض وما بينهما، والمتقدم بالمن والطول على أهلهما، قبل استحقاقهم لمثوبته، بالمحافظة على شرائع طاعته، الذي جعل ما أودع عباده من نعمته، دليلاً هادياً لهم إلى معرفته، بما أفادهم من الآيات، التي يفهمون بها فصل الخطاب، حتى أقيموا على موارد الاختبار، وتعقبوا مصادر الاعتبار، وحكموا على ما بطن بما ظهر، وعلى ما غاب بما حضر، واستدلوا بما أراهم من بالغ حكمته، ومتقن صنعته وحاجة متزايل خلقه ومتواصله إلى القوم بما يلهمه ويصلحه على أن له بارئاً هو أنشأه وابتداه، ويسّر بعضه لبعض، فكان أقرب وجودهم بما يباشرون من أنفسهم في تصرف أحوالهم، وفنون انتقالهم، وما يظهرون عليه من العجز عن الثاني بما تكاملت به قواهم، وتمت به أدواتهم، مع أثر تدبير الله عزوجل وتقديره فيهم، حتى صاروا إلى الخلقة الحكمة، والصورة المجبة، ليس لهم في شيء منها تلطّف يتيمونه، ولا مقصد يعتمدونه من أنفسهم، فإنه قال تعالى ذكره «يا أيها الإنسان ما غرّك بربك الكريم الذي خلقك فسوّاك فعدلتك في أي صولة ماشاء رجّبك» ثم ما يتفكرون فيه من خلق السموات وما يجري فيها من الشمس والقمر والنجوم مسخرات، على مسيرة تصاريف الأزمنة التي بها صلاح الحرف والتسلل واحياء الارض ولقاح النبات الأشجار، وتعاون الليل والنهار، ومر الأيام والشهور والسنين التي تحصى بها الأوقات، ثم ما يوجد من دلائل التركيب في طبقات السقف المرفوع، والمهد الموضع، باتساق أجزاءه والتامها، وخرق

الأنهار وارسأه الجبال ، ومن البيان الشاهد على ما أخبر الله عز وجل به من انشائه الخلق حدوثه بعد أن لم يكن ، مترقيا في النماء ، وثبوته إلى أجله في البقاء ، ثم محاره منقضياً إلى غاية الفناء ، ولو لم يكن مفتح عدد ، ولا منقطع أمد ، ما ازداد بنشوء ولا تحيفه نقصان ، ولا تفاوت على الأزمان ، ثم ما يوجد عليه منفعته من ثبات بعضه لبعض وقوام كل شيء منه يسر له في بدء استمداده ، إلى منتهی نفاده ، كما احتاج الله عز وجل على خلقه ، فقال : ﴿أَوْلَا يذكِّرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلِ وَلَمْ يَكُنْ شَيْئًا﴾ ، وقال عز وجل ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٌ وَبِقِيٌّ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ ، وكل ما تقدم من الأخبار عن آيات الله عز وجل دلالاته في سمواته التي بنى ، واطلاق الأرض التي دحا ، وآثار صنعه فيما برأ ، وذرأ ، ثابت في فطر العقول حتى يستحرّ أولي الزبعة ما يدخلون على أنفسهم من الشبهة فيما يجعلون له من الأضداد ، والأنداد ، جلّ عما يشركون . ولولا توحده في التدبیر ، عن كل معين وظهير ، لكان الشركاء جدراء ان تختلف بهم ارادتهم في الخلق ، ولا يمكن التخلّق فيه من إثبات وإزالة فيخلو من أحد وجهيه ، وأيهما كان فيه فالعجز والنقص فيما ذرأه وبرأه ، جلّ البديع خالق الخلق ومالك الأمر عن ذلك ، وتعالى علوّاً كبيراً ، كما قال سبحانه ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذْنَ لِذَهْبِ كُلِّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعْلًا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سَبَّاحٌ اللَّهُ عَمَّا يَصِفُونَ﴾

التحليل: لقد بدأ هذه الرسالة بشخص المرسل المأمون وأنه أمير المؤمنين ، موجهة إلى المباعين له على الحق من أهل خراسان وغيرهم من بلاد الإسلام ، واصلها بالسلام عليهم والحمد لله والصلوة على محمد عبده ورسوله ، وفي هذا التقديم ذكر أحمد بن يوسف غرض الرسالة ، وهو تأكيد بيعة الخراسانيين وغيرهم للخلفية العباسية المأمون . ثم دخل في المضمون بعبارة (أما بعد..) ثم جاء بالتحميد الذي جعله مقالة في الفلسفة وعلم الكلام ، وأورد فيه بعض صفات الله تعالى والحجج على وجوده ووحدانيته ، مستشهدًا بالأيات القرآنية في أربعة مواضع لتنمية أفكاره وتبنيت مقاصده .

ومن أفكار هذه الرسالة : ارسال الأنبياء وتعاقبهم ، خاتم الأنبياء محمد ﷺ ، حق العباسيين في الخلافة ، الخوض في تأييد الدعوة العباسية ، تأييد الدعوة للمأمون ، ضرورة مواصلة نصرة

الخراسانيين لل الخليفة الجديد وما ينبغي عليهم من مواجهة الأعداء ليحقق لهم الخير والرعاية والجزاء المجزي.

إن رسالة الخميس تقع في عشرين صفحة من كتاب جمهرة رسائل العرب، وذكرها الجامع منقوله عن كتاب (المنظوم والمثور، ج ٢/١٧٣) (١٤)، وانك حين تعيد قراءتها، يتبع لك التوازن في عباراتها والتتوسيع في استخدام السجع، وخاصة عندما كان يسجع بين الكلمة وكلمة: القادر القاهر، الباعث الوارث، السلطان والبرهان، الاختيار والاعتبار، وظهر وحضر.. إلى غير ذلك من أنواع التنميق اللفظي والتلوين الصوتي بين عبارات الفقرات، مما جعل تلك الرسالة محكمة إحكاماً دقيقاً، وذات نفس طويل معلل بأحكام فلسفية وعلل كلامية.

إن هذا التفصيل مما يتوجب على الكاتب أن يطيل فيها التناسب والموضوع المكتوب فيه، وهو رسالة ديوانية في البيعات، والبيعة تقتضي التفصيل والإطالة والتأنيق.

وبقي أحمد بن يوسف على ديوان الرسائل إلى أن وزر للمأمون بعد وفاة أحمد بن أبي خالد، وله أخبار مع المأمون (١٥) يضيق المقام عند ذكرها، وقد روت لنا المصادر والمراجع بعضاً من رسائله الديوانية.

ولو عدنا إلى رسائله المختلفة، ديوانية كانت أم أخوانية، لعرفنا أن الرجل ذو أدب جمّ، وأسلوب بلاغي متمكنّ، ولغة فياضة جميلة، وإن طريقته العامة في إنشائه هي اعتماد الترسّل أكثر من السجع المعتمد، فهو يقصد إلى السجع في التحميدات التي يقتضيها الأسلوب الديواني آنذاك، ولأن التقليد فيها ضروري، وكذلك الحال بالنسبة للإطالة والتأنيق اللفظي والتلوين الصوتي.

إن التزام طريقة الديوان أمر لابد منه – فالكاتب يكتب على لسان غيره – وهي قواعد يحدّر بها وكتابها أن يلتزم بها ويدعوها، أما في الرسائل الأخوانية فانتا وجدنا الرجل يكتب لنفسه وما تميله عليه قريحته الشخصية مغلباً جانب المعاني على الألفاظ، هادفاً إلى إبراز الخصائص البينية البليغة مع الإيجاز في الألفاظ والعبارات.

كما أن توقيعاته تتصرف بالقصر والإيجاز والبلاغة، مما يؤكّد لنا ما كان لهذا الرجل من غزاره فكر وبراعة أداء وحضور بدبيهة وبلغة أسلوب. وذلك ما سنجده في الصفحات القادمة التي سنبيّن فيها مجاهل نثر هذا الرجل البليغ وما يتتصف به من ملكات لغوية ابداعية.

المبحث الثاني

الرسائل الإخوانية

وبعد هذه الرسالة الديوانية، وتحليل أفكارها وبيان فنّها وخصائصها، لابد من تناول شيء من الرسائل الإخوانية التي قالها أَحْمَدُ بْنُ يُوسُفَ لِيَكْتَبُ عَلَى لِسَانِهِ وَلِنَفْسِهِ، وقد أورد لنا الصولي بعضًا من تلك الرسائل قائلًاً ومن كلامه يعتذر إلى بعض الأخلاقيات: "لِي ذُنُوبٌ إِنْ عَدَّتْهَا جَلَّتْ، وَإِنْ ضَمَّمْتَهَا إِلَيْ فَضْلِكَ حَسِنْتَ، وَقَدْ رَاجَعْتَ إِنَابَتِي، وَسَلَكْتَ طَرِيقَ اسْتِقْامَتِي وَعَلِمْتَ أَنْ تَوْبَتِي فِي حَجَتِي، وَإِقْرَارِي أَبْلَغْتَ فِي مَعْذِرَتِي فَهَذَا مَقَامُ التَّائِبِ مِنْ جُرمِهِ، الْمُتَضَمِّنُ حَسْنَ الْفَيَّثَةِ عَلَى نَفْسِهِ، فَقَدْ كَانَ عَقَابَكَ بِالْحَلْمِ عَنِي، أَبْلَغْتَ مِنْ أَمْرِكَ بِالْأَنْتِصَافِ مِنِّي، فَانْرَأَيْتَ أَنْ تَهَبْ لِي مَاسْتَحْقَقَتِهِ مِنَ الْعَقُوبَةِ، لَا تَرْجُوهُ مِنَ الْمُشْوِبَةِ، فَعَلْتَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ" (١٦).

وذكر الصولي لأبن يوسف : وكتب : "من قصر في الشغل عمره ، قل في العطلة صبره وما من وجهة أؤمل فيها سد اختلالي الا دهمتنى فيها خيبة تكسف بالي ، وأنت من لا يتخطاه الأمل في أوان عطلته ، ولا يجاوز رجاءه الحرمان في حين ولايته ، وليس لذمّ عليك طريق ، ولا إلى مدحك سبيل ، لأنني إذا قلت فيك ما لا تعرف به عورضت بالتكذيب ، وإن أتيت بما لم تولني طالبت حالتي بالتحقيق . فلا يرى الناس فيها أثر تصديق ، وقد صفرت يدي من فائدتك ، بعد أن كنت ملائتها من عائدتك ، فإن رأيت أن تجيرني من الحدثان ، وتقليلني من قيد الزمان ، فعلت إن شاء الله" (١٧).

ولابد لنا من تحيل هذين النصين اسلوبياً للوصول إلى مستوياتهما الصوتية والتركيبية والدلالية ، ومعرفة صورة التعبير أو هيئته .

فالنص الأول رسالة اخوانية بين أَحْمَدُ بْنُ يُوسُفَ (المرسل) والمتلقي الذي هو أحد أصدقائه . والرسالة نص اعتذاري تتضح معالمه من خلال العبارات والمفردات التي ينظمها العنصر اللغوي وتشكل في قنوات النص ، فهو يعرض انباته إلى صديقه ، ويعرف بذنبه تجاهه ، مقرًاً بجرمه معلناً توبيته طالباً الصفح والمعذرة وشكراً له حلمه وصفحه . وإنك تلاحظ الحوارية الواضحة التي قادها المرسل وهو يلوح بمفرداته وتراسيكه ليقدم لائحة من البيانات المنضبطة والمعلومات المستوثقة الرائقة

لتصل إلى قلب مخاطبه مشرقة نابضة مؤثرة، فجرس الألفاظ يدق ويرن من خلاها: (إن عدتها جلت... إن ضممتها حست) و(إنا بتي... استقامتي) و(توبتي... حجتي... معذرتي) و(جرمه... نفسه) و(عني... مني) و(العقوبة... المثوبة). فهناك موسيقى هادئة تنضح من أصوات تلك المفردات وتوازن جل العبارات.

ومفردات اللغة بسيطة سهلة واضحة رقيقة، وتراكيمها تتصرف بقصر وإيجاز العبارة. وإنك

تلحظ توازن العبارات وهي تناسب رقراقة في النص.

وهناك الجناس في مفردتي (العقاب والعقوبة)، كما هناك الطباق في مفردتي (العقوبة والمثوبة).

وقد أطل علينا أحمد بن يوسف بجمل متنوعة من حيث شكل اللفظ المعبر عن المعنى، فهناك الاسمية والفعلية. وهناك الفصل والوصل، من حيث العلاقة بين الجمل وعطف بعضها على بعض. وهي برمتها تشكل المسند إليه والمسند وتجتمعهما علاقة الاستناد. كما وجدت في هذه الرسالة مدحًا للمخاطب وإنه صاحب فضل ومقام، كما وحدت تقضيلا له حين كرر مفردة (أبلغ) في عبارة (كان عقابك بالحلم عني، أبلغ من أمرك بالانتصاف مني)، في حين كانت الأولى (أبلغ) تخصّ المرسل نفسه معترفًا: (واقراري أبلغ في معذرتي). واختتم الرسالة بالشرط.

أما الرسالة الثانية التي هي اخوانية أيضًا، والمتلقي المخاطب فيها شخص مأمول وعالٍ الهمة وذو فضل على ابن يوسف.

والنص فيه مدح غير منظور، فابن يوسف قد ذكر بأن يده ملأها من عائدات مخاطبة وأنه يمكن أن يجده من (الحدثان) ويقليله من (قيد الزمان). على أن في النص شيئاً من الإعتذار حين قال: (لأنني إذا قلت فيك مالا تعرف به عورضت بالتكذيب...)، فهو لا يريد أن يمدح بما ليس في مخاطبه لثلاثة يوصف بالتكذيب ويدعى إلى التحقيق من قبل الناس.

والنص فيه جرأة وقوة إرادة وصدق اعتراف، وإن المخاطب رجل في الدولة، متتمكن من الاجارة والأقالة والولاية.

ان المرسل قد استخدم الحوار المباشر مفتتحا خطابه بمحكمة حياتية: (من قصر في الشغل عمره، قل في العطلة صبره) ونلاحظ فيها توازناً بين شقيها، وموسيقى بين مفردتيها (عمره... صبره).

وهنالك توازن وايقاع في عبارتي (فيها سد اختلالي ... خيبة تكسف بالي) و(عطلته ... ولايته) و(فائتك ... عائتك) و(الحدثان ... قيد الزمان).

وهنالك تنوع في الإيقاع وتغيير في الألحان. وهذا يمثل ترجمة تجربة المرسل لاختيار الكلمات التي من شأنها أداء المضمون وهنالك جناس في (أوْمِل ... الْأَمْل) و(العُطْلَة ... عَطْلَتَه) و(ولَايَتَه)، لم تولني) و(يَرِى ... رَأَيْتَ). وهنالك الطباق في (خَيْبَة ... أَمْل) و(ذَم ... مَدْحَ) و(تَكْذِيب ... تَصْدِيق) و(صَفْرَت ... مَلَأْتَهَا). وهنالك الترافق: (طَرِيق... سَبِيل) و(تَحْيِيرَنِي ... تَقْلِينِي). أما اليد التي صفرت من الفائدة فهي كناية عن الفراغ وعدم الاستفادة. وقد جعل للذم طریقاً وللمدح سبیلاً. وأنكر استخدامهما في مخاطبه، بعد أن أجاز لنفسه أن يسميهما في عباراته.

وإنك تجد المرسل متماساً قوياً ينعم بعاطفة متوازنة لا تلتفّه مزقها ولا تزيغه مهاويها ورغابتها.

ولذا يستهويك النص بعناصره لغة وفاعلية وتأثيراً.

المبحث الثالث

التوقيعات

أما توقيعات أحمد بن يوسف فهي موجزة جداً بين سطر واحد وأربعة أساطر أوزيد على ذلك، فالمهم فيها أنها توصف بالإيجاز وقصر العبارات ومحدودية الأفكار والمواضيعات فالمخاطب فيها شخص يحتاج إلى التوجيه والعنابة والإصلاح والتنبية. ولذلك كتبها بهذا الشكل من الاختصار والكيفية.

" ومن توقيعاته: ما عند هذا فائدة، ولا عائدة، ولا له عقل أصيل، ولا فعل جميل" (١٨).

فالمتحدث عنه لا ترجى منه فائدة ولا عود طيب، كما يفتقر للفكر الخلاق والعمل المبدع، فالتوازن والجناس موفور في (فائدة وعائدة) و(أصيل وجميل).

ومن توقيعاته أيضاً: "ووقع إلى رجل غصب رجلاً على ضيعة وكان غائباً فاستغلها سنين، وقدم الرجل فطالبها، فقال: الضيعة لي وفي يدي. فوقع إليه أحمد بن يوسف: الحق لا تخلق جدته، وإن تطاولت بالباطل مدتة، فإن انطقت بافصاح، وأزلت مشكلها بايضاح... فكثيراً ما

أراها ذريعة الغاصب، وحجّة المغالب، وقر حقك عليك، وسيق بلا كدّ اليك، وإن ركنت من البيان إليها، ووقفت من الاحتجاج عليها كانت حجته بالبينة أعلى، وكان بما يدعيه أولى، إن شاء الله" (١٩).

فهذا النص فيه تنبيه وتوجيه، ومخاطبه رجل غاصب لا ذريعة له أمام نور الحق بعد أن غصب واستغلّ ضيعة غيره.

ولابد للحق أن يعود لصاحبـه بعد البيـنة الواضـحة والمطالـبة الراجـحة. فالتوـازـن مـاـشـلـ فيـ العـبـارـاتـ وـالـمـفـرـدـاتـ (ـجـدـتـهـ ..ـ مـدـتـهـ)ـ وـ(ـإـفـصـاحـ ..ـ إـيـضـاحـ)ـ وـ(ـالـغـاصـبـ ..ـ الـمـغـالـبـ)ـ وـ(ـعـلـيـكـ ..ـ إـلـيـكـ)ـ وـ(ـإـلـيـهـ ..ـ عـلـيـهـ)ـ وـ(ـأـعـلـىـ ..ـ أـوـلـىـ)ـ، فالموسيقي تقاد تلازمـ النـصـ من بداـيـتـهـ إلىـ نهاـيـتـهـ.

والترـاكـيبـ مـوزـونـةـ مـتـرـابـطـةـ،ـ اـخـتـارـلـهـ الـمـرـسـلـ أـلـفـاظـاـ سـهـلـةـ فـصـيـحةـ مـتـآـخـيـةـ بـنـسـيـجـ مـتـرـابـطـ جـمـيلـ وـتـلـوـينـ بـلـاغـيـ مـرـهـفـ.ـ وـبـدـايـةـ النـصـ جـمـيـلـةـ خـبـرـيـةـ،ـ الـمـسـنـدـ فـيـهـ فـعـلـ مـنـفـيـ مـبـنيـ لـلـمـجـهـولـ ثـمـ يـأـتـيـ الشـرـطـ التـواـزـنـ الـذـيـ يـتـابـعـهـ الـفـعـلـ الـمـاضـيـ الـمـبـنيـ لـلـمـجـهـولـ وـيـتـكـرـرـ عـلـيـهـ هـذـاـ الـبـنـاءـ لـلـمـسـنـدـ ثـمـ يـتـوـالـيـ الـفـعـلـ الـمـاضـيـ الـمـرـتـبـطـ بـتـاءـ الـمـخـاطـبـ،ـ بـعـدـهـ تـكـوـنـ الـكـيـنـوـنـةـ بـ(ـكـانـ)ـ مـرـةـ وـبـ(ـكـانـ)ـ مـرـةـ أـخـرـيـ نـتـيـجـةـ حـاسـمـةـ لـلـاحـتجـاجـ.

وـإـنـكـ تـلـاحـظـ الطـبـاقـ وـاضـحـاـ فـيـ مـفـرـدـيـ (ـالـحـقـ ..ـ الـبـاطـلـ)ـ وـ(ـعـلـيـكـ ..ـ إـلـيـكـ)ـ وـ(ـإـلـيـهـ ..ـ عـلـيـهـ)ـ،ـ إـضـافـةـ لـماـ فـيـ بـعـضـهـاـ مـنـ جـنـاسـ،ـ وـفـيـ (ـالـاحـتجـاجـ ..ـ حـجـتـهـ)ـ وـ(ـأـعـلـىـ ..ـ أـوـلـىـ)ـ،ـ وـجـعـلـ اـبـنـ يـوسـفـ لـلـحـجـةـ يـداـ تـزـيلـ الـمـشـكـلـ،ـ كـمـ جـعـلـ لـلـحـقـ أـرـجـلاـ يـسـاقـ بـوـاسـطـتـهـ إـلـيـ صـاحـبـهـ،ـ فـالـحـقـ لـاـ يـسـاقـ وـلـكـنـهـ يـعـطـيـ،ـ وـهـذـاـ تـشـخـيـصـ بـيـنـ.

وـخـاتـمـةـ مـاـ مـرـ،ـ لـابـدـ أـنـ أـشـيرـ إـلـيـ إـعـرـاقـ أـحـمـدـ بـنـ يـوسـفـ فـيـ الـكـتـابـةـ،ـ وـقـدـ درـسـ كـتـابـهـ مـنـ خـلـالـ رسـائـلـ الـدـيـوـانـيـةـ وـالـإـخـوـانـيـةـ وـالـتـوـقـعـاتـ وـقـمـتـ بـتـحلـيلـهـاـ أـسـلـوبـاـًـ.

وابـنـ يـوسـفـ يـخـتـزنـ معـجمـاـ لـفـظـاـ مـشـرـقاـ قـدـ شـعـ بـظـلـالـهـ عنـ أـفـكـارـهـ وـمـعـانـيـهـ،ـ وـإـنـ مـسـأـلةـ اـخـتـيـارـهـ لـلـأـلـفـاظـ تـضـحـ لـدـىـ الـمـتـلـقـيـ بـكـلـ وـضـوحـ،ـ وـكـيـفـ يـسـتـلـ الـلـفـظـةـ الـمـلـائـمـةـ مـنـ مـعـجمـهـ الـوـاسـعـ لـتـتـجـلـىـ وـالـنـسـقـ الـصـوـتـيـ الـذـيـ يـنـتـظـمـ الـكـلـمـاتـ لـيـجـعـلـ مـنـهـاـ نـسـيـجاـ قـوـيـاـ مـؤـثـراـ.ـ وـهـذـاـ مـاـ يـبـرهـنـ ثـرـاءـ الـمـرـسـلـ مـنـ الـلـغـةـ وـتـرـاكـيـهـاـ وـأـسـالـيـبـهـاـ وـبـلـاغـتـهـاـ.ـ وـإـنـ الـاـيقـاعـ فـيـ نـصـوصـ هـذـاـ الـكـاتـبـ يـتـصـفـ بـالـتـوـعـ

والتوازن مما أعنان لغته على أداء المضمون بتنسيق موسيقى يهتف بالفاظ العذوبة والجزالة والرقابة وينجح التفوس الأثر المتوجه والتوجيه الوعي. فتوازن العبارات والتعبير عن الحركة العاطفية معاً له الحظ الأوفر من الموسيقى، وهي تتنال إليك مرسلة بلا تصنّع ولا تعقيد تحمل صفة إعراقها ورقة صياغتها.

المبحث الرابع: آراء القدامى والمحدثين في رسائله

بعد أن قمت بجولة سريعة بين المصادر والمراجع التي وصلت إليها، لاحظت بعض الآراء والأحكام النقدية الآتية:

- ١- الحسن بن سهل (ت ٢٣٦ هـ) : ذكر ياقوت الحموي أن الحسن بن سهل قد اختار أحمد بن يوسف الكاتب لديوان الإنشاء (صبره على الخدمة والإعراق في الكتابة، والحسن في البلاغة، وكثرة العلم) (٢٠).
- ٢- أبو بكر الصولي (ت ٣٣٥ هـ) : قال فيه " هو معرق في الكتابة والشعر" (٢١).
- ٣- أبو الفرج الأصفهاني (ت ٢٥٦ هـ) : فذكر الأصفهاني بأنه " كان الناس يشهدون لاحمد بن يوسف بالتقدم وبغلبته الناس جميعاً وبمحفظه وبلاعاته وأدبه" (٢٢).
- ٤- ابن النديم (ت ٣٨٠ هـ) : وقد عده أحد بلغاء الناس العشرة (٢٣)، وانه من الكتاب المترسلين من دون رسالة (٢٤).
- ٥- أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ) : قال: " وأول من افتتح المكاتب في التهاني بالنوروز والمهرجان أحمد بن يوسف.." (٢٥).
- ٦- الشعالي (ت ٤٢٩ هـ) : " أحمد بن يوسف .. كان مذهبة الترسّلات والإنشاء وله مكتبات معروفة..." (٢٦).
- ٧- الحصري القيراني (ت ٤٥٣ هـ) : قال عنه " عالي الطبقة في البلاغة، ولم يكن في زمانه أكتب منه" (٢٧).
- ٨- الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ) : قال: " كان من أفضل كتاب المؤمن، وأذكاهم وأنطهم وأجمعهم للمحاسن، وكان جيد الكلام، فصيح اللسان، حسن اللفظ، مليح الخط..." (٢٨).

٩- أحمد فريد رفاعي (محدث) : قال : " أما مكانته في الكتابة ، فرسائله وتوقيعاته التي تحملت بها صدور الادب ، وتزيّنت بها كتب التاريخ ، تجعله في مقدمة الكتاب ومن أئمته ، وهي بما فيها من جودة وإحكام ، وتنحّي لألفاظ ، وسلسلة في المعاني ، تدلّ على أنه كان خصيّب النفس ، سريع الخاطر .. " (٢٩).

١٠- محمد كرد علي (محدث) : قال : " وطريقته في إنشائه الاعتماد على المرسل من الكلام ، في طابع بريء من كل شائبة ، خال من التعامل ، لا يعمد إلى السجع إلا في بعض التحميدات " (٣٠).

١١- خير الدين الزركلي (محدث) : قال فيه " وزير من كبار الكتاب ... وكان فصيحاً ، قويّ البديهة ، يقول الشّعر الجيّد ، له ((رسائل مدونة)) (٣١).

١٢- د. شوقي ضيف (محدث) : قال " وهو يعدّ في الذروة من كتاب الدواوين في العصر العباسي الأول ، لبلاغته ودقة تفكيره وحسن تأثيره في الرسائل الديوانية السياسية والرسائل الأخوانية الشخصية " (٣٢).

الهوامش

١- انظر في ترجمته : كتاب الوزراء والكتاب ، للجهشياري / ٣٠٤ وآخبار الشعراء المحدثين ، للصولي / ٢٠٦ - ٢٣٦ ، والمتصل لشعلبي ، ٣٠٠ ، تاريخ بغداد ، للخطيب البغدادي ، ج ٥/٢١٦ -

٢٦٩ ، والبداية والنهاية لابن كثير ، ج ١/٢١٨

٢- أخبار الشعراء المحدثين ، للصولي / ١٤٣ ، و(دبأ) : موضع بظهر الحيرة ، انظر : الروض المعطار للحميري / ٢٣٢.

٣- أخبار الشعراء المحدثين ، للصولي / ١٤٤.

٤- معجم الأدباء لياقوت الحموي ، ج ٥/١٦٢ - ١٧٢.

٥- انظر هامش (١).

٦- تاريخ بغداد ، للخطيب البغدادي ، ج ٥/٢١٦.

٧- نصوص ضائعة من كتاب الوزراء والكتاب ، للجهشياري ، جمع وتحقيق ميخائيل عواد /

٤٧ - ٤٨ ، وطبقات الشعراء ، لابن المعز / ٢٨٠.

- ٨- كتاب الإمتاع والمؤانسة، للتوحيدى، ج ٨٠/٣، ٣٨٢٠ - ٣٨١، وطبقات الشعراء لابن المعتز ٣٨٢٠ .
- ٩- تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، ج ٥/٢١٦ - ٢١٧ .
- ١٠- الوزراء والكتاب، للجوشياري ٣٨٥. وتاريخ الطبرى، ج ١٠/٢١٤ ، زهر الآداب للحضرى، ج ٢/٣٨، ومعجم الأدباء لياقوت ج ٥/١٦٧ ، وجمهرة رسائل العرب، أحمد زكى صفوت، ج ٣/٣٧٥ - ٣٧٧.
- ١١- الوزراء والكتاب / ٣٠٤ ، وزهر الآداب للحضرى. ج ٢/١٣٠ ، ومعجم الأدباء لياقوت. ج ٥/١٦٧.
- ١٢- الوزراء والكتاب / ٣٠٤ ، أخبار الشعراء المحدثين ٢٠٦/٢٠ ، معجم الأدباء ج ٥/١٦٨ ، الوافى بالوفيات للصفدي ج ٨/٢٨٠ - ٢٨٢ ، واعيان الشيعة محسن الأمين العاملى، ج ١٠/٢٧٢.
- ١٣- كتاب الفهرست لابن النديم / ١٤٠ ، وجمهرة رسائل العرب، ج ٣/٣١٧ - ٣٣٤.
- ١٤- لم أجـدـ المـصـدرـ الأـصـلـيـ (ـالـنـظـوـمـ وـالـمـتـشـورـ)ـ ، ولـكـنـيـ وـجـدـتـ:ـ جـمـهـرـةـ رسـائـلـ العـربـ لـأـحمدـ زـكـىـ صـفـوـتـ.
- ١٥- انظر: ديوان المعاني : للعسكري، ج ١/٩٥ ، كتاب خاص الخاص : للشعالبي / ١٢٤ ، نشر النظم للشعالبي / ١٥٤ ، كتاب البديع لابن المعتز / ١٣ ، معجم الأباء، لياقوت ج ٥/١٦٨ و ١٨١ ، واعيان الشيعة، الامين العاملى. ج ١٠/٣٦١.
- ١٦- أخبار الشعراء المحدثين - للصوفي / ٢٣٣.
- ١٧- م.ن./.٢٣٥.
- ١٨- م.ن./.٢٣٠.
- ١٩- م.ن./.٢٣٠.
- ٢٠- معجم الأدباء ج ٥/١٦٣.
- ٢١- أخبار الشعراء المحدثين / ٢٠٦.
- ٢٢- الأغانى ، ج ١٠/١١٩.
- ٢٣- الفهرست / ١٤٠.
- ٢٤- م.ن./.١٣٥.

- ٢٥- ديوان المعاني . ج ١ / ٩٥
- ٢٦- المنتحل / ٣٠٠
- ٢٧- زهر الآداب وثرا الألباب ، ج ١ / ٤٣٥
- ٢٨- تاريخ بغداد أو مدينة السلام ، ج ٥ / ٢١٦
- ٢٩- عصر المؤمنون ، م ١ / ٤٣٤
- ٣٠- أمراء البيان / ١٩٦
- ٣١- الإعلام ، ج ١ / ٢٧٢
- ٣٢- تاريخ الأدب العربي ، ج ٣ ، (العصر العباسي الأول) / ٥٤٣ .

المصادر والمراجع

- ١- أخبار الشعراء المحدثين من كتاب الأوراق ، لأبي بكر الصولي ، عن بي بي بنشر ج. هيوirth ، دن. ط ٢ ، بيروت ، دار المسيرة ، ١٣٣٩ هـ / ١٩٧٩ م.
- ٢- الأخلاق ، خير الدين الزركلي ، ط ٤ ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٧٩ م.
- ٣- أعيان الشيعة ، السيد محسن الأمين العاملي ، دمشق ، مطبعة ابن زيدون ، ١٣٥٧ هـ / ١٩٣٨ م.
- ٤- الأغاني ، أبي الفرج الاصفهاني ، القاهرة ، المؤسسة المصرية العامة (مصور عن طبعة دار الكتب) ، (د، ت).
- ٥- الامتناع والمؤانسة ، لأبي حيان التوحيدي ، تصحيح وضبط وشرح : أحمد أمين وأحمد الزين ، بيروت ، دار مكتبة الحياة ، (د، ت).
- ٦- أمراء البيان ، محمد كرد علي ، ط ٣ ، بيروت ، دار الأمانة ، ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٩ م.
- ٧- البداية والنهاية في التاريخ ، لابن كثير ، القاهرة ، مطبعة السعادة ، (١٣٥١ هـ / ١٩٣٢ م).
- ٨- البديع ، لابن المعتز ، تحر : المستشرق كراتشيفسكي ، دمشق ، دار الحكمة ، (د.ت).
- ٩- تاريخ الأدب العربي (العصر العباسي الأول) ، د. شوقي ضيف ، ط ٨ ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٩ م.

- ١٠- تاريخ الرسل والملوك، للطبرى، تحرير: محمد أبو الفضل ابراهيم، ط٣، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٩ م.
- ١١- تاريخ بغداد أو مدينة السلام، للخطيب البغدادي، المدينة المنورة، المكتبة السلفية، (د.ت.).
- ١٢- جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة، أحمد زكي صفت، بيروت، المكتبة العلمية، (١٣٥٧هـ/١٩٣٨م).
- ١٣- خاص الخاص، للشعالبي، تقديم حسن الأمين، بيروت، دار مكتبة الحياة، ١٩٦٦م.
- ١٤- ديوان المعاني، لأبي هلال العسكري، القاهرة مكتبة القدس، ١٣٥٢هـ.
- ١٥- الروض المعطار في خبر الأقطار، محمد بن عبد المنعم الحميري، تحرير: د. احسان عباس، ط٢، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٨٤م.
- ١٦- زهر الآداب وثغر الألباب، للحضرى القىروانى، تحرير: علي محمد البحاوى، القاهرة دار أحياء الكتب العربية، (١٣٧٢هـ/١٩٥٣م).
- ١٧- طبقات الشعراء لابن المعز، تحرير: عبد الستار أحمد فراج، ط٤، القاهرة، المعارف، ١٩٨١م.
- ١٨- عصر المؤمن، د. أحمد فريد رفاعي، ط٤، القاهرة، دار الكتب المصرية، (١٣٤٦هـ/١٩٨٢م).
- ١٩- الفهرست، لابن النديم، تحرير: رضا تجدد، طهران، مطبعة جامعة طهران، (١٣٩١هـ، ١٩٧١م).
- ٢٠- معجم الادباء، ياقوت الحموي، بيروت، دار المستشرق، (د.ت.).
- ٢١- المنتحل، للشعالبي، تحرير: أحمد أبو علي، الاسكندرية، المطبعة التجارية، (١٣١٩هـ/١٩٠١م).
- ٢٢- نثر النظم وحل العقد، للشعالبي، بيروت، دار الرائد العربي، ١٤٠٣هـ.
- ٢٣- نصوص ضائعة من كتاب الوزراء والكتاب للجهشياري، جمع وتحقيق ميخائيل عواد، بيروت، دار الكتاب اللبناني، (١٣٨٤هـ/١٩٦٤م).

- ٢٤- الوافي بالوفيات، للصفدي، باعتماء محمد يوسف نجم، بيروت، دار النشر، فرانز شتاينر،
..(١٣٩١هـ/١٩٧١م)
- ٢٥- الوزراء والكتاب، للجهشياري، تح: مصطفى السقا، ابراهيم الابياري وعبد الحفيظ،
شبل، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، (١٣٥٧هـ/١٩٣٨م).

ابن العميد

(ت ٣٦٠ هـ)

بين التسجيع والمزاوجة

د. فاروق محمود الحبوي

ابن العميد (ت ٣٦٠هـ) بين التسجع والمواجة

تمهيد ابن العميد:

هو ابو الفضل محمد بن أبي عبد الله الحسين بن محمد الكاتب، والعميد لقب والده الذي كان وزيراً لمرادويج، وفي سنة ٣٢٨هـ وزير ابن العميد لركن الدولة البوهي، وكان محل تقديره وتقته، وفي سنة ٣٥٩هـ خرج على رأس جيش لقتال الزعيم الكردي حسنویه، ولكنه توفي في الطريق في صفر سنة ٣٦٠هـ (١)، وكان من اشتهر من وزراءبني العباس بالبلاغة (٢).

ولم أجد من يذكر ولادته، الا إن ابن الأثير الجزري قد ذكر عمره قائلاً: ((وكان عمر ابن العميد قد زاد على ستين سنة يسيراً)) (٣)، مما يؤكّد لنا ولادته في نهاية القرن الثالث الهجري (٣٠٠هـ) على وفق هذا الرأي.

وكان الصاحب بن عباد قد سمي بالصاحب لأنّه كان يصحّب ابن العميد، وقد سأله مرة عن بغداد عن عودة الصاحب من العراق، فقال: ((بغداد في البلاد كالاستاذ في العباد)) (٤).

وكان ابن النديم (ت ٣٥٨هـ) قد ذكر ابن العميد بأنه: ((أبو الفضل، وله من الكتب: كتاب ديوان رسائله، وكتاب المذهب في البلاغات)) (٥)، وحين أورد بلغاء الناس العشرة (٦) لم يذكره معهم، كما لم يذكر عبد الحميد الكاتب (ت ١٣٢هـ) أيضاً في حين لم يورده مع أسماء البلغاء (٧) الذين أورد معهم عبد الحميد. ومن الجدير بالذكر أن المتنبي قد مدحه برائته المشهورة:

باد هواك صبرت أم بعد تصبرا (٨)

لوعدنا إلى المصادر التي ذكرت أبا الفضل ابن العميد، لوجدنها تسهب في ذكر صفاته، وانه كان عالماً وأديباً، كاتباً شاعراً ومؤلفاً، حكيناً طويب الباع في الفلسفة والتجموم والميكانيكا (علم الحيل)، اضافة إلى كونه سياسياً محنكاً وزيراً، قاد الجيوش وفتح البلدان وقمع الفتنة، اتسم بالعقل والحلم والكرم، فهو نجم لامع من نجوم القرن الرابع الهجري، والركن الركيـن الذي اعتمدـه بنو بويـه في ادارـة وسـيـاسـة امورـ الدـولـةـ، كما ازـدـانتـ بهـ صـفـحـاتـ تـارـيخـ الـأـدـبـ العـرـبـيـ .. وهـكـذاـ رـجـلـ دـاعـ صـيـتهـ، وـتـعـدـتـ اـمـكـانـاتـهـ وـموـاهـبـهـ، وـغـنـتـ شـاعـريـتـهـ وـكتـابـتـهـ باـقـتـدارـ بلاـغـيـ مـحـسـوسـ، حـتـىـ وـصـلـتـ رسـائـلـهـ الـدـيـوـانـيـةـ وـالـاخـوـانـيـةـ إـلـىـ مـخـلـفـ الـأـمـصـارـ، وـانـشـرـ آـثـارـهـ وـمـؤـلـفـاتـهـ بـيـنـ الدـارـسـينـ وـالـعـلـمـاءـ وـالـمـؤـلـفـينـ، فـنـجـدـ أـنـ هـذـاـ الرـجـلـ ذـكـرـنـاهـ قدـ فـقـدـتـ آـثـارـهـ، وـبـخـلـتـ المـظـانـ عـلـيـنـاـ فـيـ إـيـرـادـ رسـائـلـهـ وـأـخـبـارـهـ، وـلـوـ لـمـ بـعـضـ المـصـادـرـ الـتـيـ نـقـلـتـ إـلـيـنـاـ القـلـيلـ مـنـ أـخـبـارـهـ لـضـاعـ مـنـ اـمـامـ مـنـ أـئـمـةـ الـأـدـبـ فـيـ الـعـصـرـ الـعـبـاسـيـ .

البحث الأول: آراء القدماء والمحدثين

والذي يهمـناـ أنـ نـجـدـ بـعـضـ كـتـبـ الـأـدـبـ وـالـتـرـاجـمـ تـغـدقـ عـلـيـهـ الـآـرـاءـ الـنـقـدـيـةـ الـمـخـلـفـةـ، مـاـ يـدـفـعـناـ

أنـ نـتـنـاـوـلـ تـلـكـ الـآـرـاءـ بـالـاحـاطـةـ الـمـمـكـنـةـ مـنـ الـقـدـمـاءـ وـالـمـحـدـثـينـ. وـهـذـهـ طـائـفـةـ مـنـهاـ :

- ١- ابن ثوابـةـ (٩) (ت ٣٤٩هـ) : قال : (أـوـلـ مـنـ أـفـسـدـ الـكـلـامـ أـبـوـ الـفـضـلـ، لـأـنـهـ تـخـيـلـ مـذـهـبـ الـجـاحـظـ وـظـنـ أـنـهـ اـنـ تـبـعـهـ لـحـقـهـ، وـانـ تـلاـهـ اـدـرـكـهـ، فـوـقـ بـعـيـداـ مـنـ الـجـاحـظـ، قـرـيـباـ مـنـ نـفـسـهـ) (١٠).
- ٢- مـسـكـوـيـهـ (١١) (ت ٤٢١هـ) : قال : (وـاـمـاـ كـتـابـتـهـ فـمـعـرـوفـةـ مـنـ رـسـائـلـهـ الـمـدوـنـهـ، وـمـنـ كـانـ مـتـرـسـلاـ لـمـ يـخـفـ عـلـيـهـ عـلـوـ طـبـقـتـهـ فـيـهـ) (١٢).
- ٣- ابو منصور الشعابـيـ (ت ٤٢٩هـ) : قال : (اوـحـدـ الـعـصـرـ فـيـ الـكـتـابـةـ، .. يـدـعـىـ الـجـاحـظـ الـأـخـيرـ، وـالـاسـتـاذـ، وـالـرـئـيـسـ، يـضـرـبـ بـهـ الـمـثـلـ فـيـ الـبـلـاغـةـ، وـيـنـتـهـيـ إـلـيـهـ فـيـ الـإـشـارـةـ بـالـفـصـاحـةـ وـالـبـرـاعـةـ، مـعـ حـسـنـ التـرـسلـ وـجـزـالـةـ الـأـلـفـاظـ وـسـلـاسـتـهـ، إـلـىـ بـرـاعـةـ الـمـعـانـيـ وـنـفـاسـتـهـ، ... وـكـانـ يـقـالـ : بـدـئـتـ الـكـتـابـةـ بـعـدـ الـحـمـيدـ، وـخـتـمـتـ بـابـنـ الـعـمـيدـ) (١٣).

- ٤- ابن الأثير الجزري (ت ٦٣٠ هـ) : قال : وكان أبو الفضل من محاسن الدنيا وقد اجتمع فيه ما لم يجتمع في غيره من حسن التدبير، وسياسة الملك ، والكتابة التي اتى فيها بكل بديع (١٤).
- ٥- ابن خلّكان (ت ٦٨١ هـ) : قال : "وكان فيه فضل وأدب وله ترسل" (١٥)، وقال : "وأما الأدب والترسل فلم يقاريه أحد في زمانه ، وكان يسمى الجاحظ الثاني .. وكان يقال له الأستاذ" (١٦).
- ٦- القلقشندی (ت ٨٢١ هـ) : قال حين تحدث عن حسن الافتتاح في المكاتبات : "ان يكون الحسن فيه راجعاً إلى ما يوجب التحسين: من سهولة اللفظ وصحة السبك ، ووضوح المعنى ، وتجنب الحشو ، وغير ذلك من موجبات التحسين ، كما كتب الأستاذ أبو الفضل بن العميد عن ركن الدولة بن بوية ، إلى من عصى عليه ، مفتتحاً كتابه بقوله "كتابي إليك" و"أنا متعدد.." (١٧).
- ٧- ابن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩ هـ) : قال "كان آية في الترسل والإنشاء" (١٨).
- ٨- أحمد حسن الزيات (محدث) : قال "كان أرق معاصرية طبعاً، وأفألهم سجعاً، وأكثرهم نثراً للشعر وتلميحاً للأمثال.. وكان ابن العميد متفناً في فنون الكتابة ، متفوقاً في ضروب الرسائل.." (١٩).
- ٩- خليل مردم (محدث) : قال "ان الأدب في نظر ابن العميد ضرب من ضروب التسلية والتلهي والترفيه واظهار البراعة والغلو والاغراق والبعد عن الحقيقة في التصوير والامعان في التزويق" (٢٠).
- ١٠- د. شوقي ضيف (محدث) : قال "إن ابن العميد هو استاذ مذهب التصنيع بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة، لأنّه أول كاتب - فيما نعرف - احتمكم إلى السجع في كتابته ، كما احتمكم إلى البديع من جناس وطبق وتصویر ، وقد هيأه لذلك أنه كان ذا عين تصویرية.." (٢١).
- ١١- د. زكي مبارك (محدث) : قال " فإننا حين نقرأ شره نجد أنفسنا أمام عظمة عقلية يخر لها الجبار ساجدين ... فليست الكتابة عند ابن العميد زخرفاً براقاً يلهو به ولا شروة لغوية يكاثر بها الكتاب ، ولكن الكتابة عنده ثورة عقلية أو وجданية... وقد يرق قفتحسب شره نجوى حبيبين في هداء الليل ، وهو في رقيه وجزالته وغضبه وحناته عبقرى.." (٢٢).
- ١٢- محمد كرد علي (محدث) : قال " كان إلى التسجيع والمزاجة أقرب " (٢٣).

ومن هذه الآراء نتبين أن ابن ثوابة من القدامى وخليل مردم من المحدثين، كانا يريان خلاف ما كلام يراه جمهور النقاد والأدباء في ابن العميد، لأنهما لم يقوما بالتحليل الدقيق لرسائله كي يتوصلا إلى الحقيقة الناصعة، فهذا تراث انساني وحرام على الإنسان أن يضيع عمل غيره بالحقد أو بالرأي المتجني، واجدني غير مقتنع بمعظم آراء نقادنا المحدثين الذين من الضروري ان يكون رائدهم التحليل الدقيق والتفكير المحدث للنصوص واستخدام الأساليب الحديثة للوصول إلى الحقائق وجواهرها، من خلال القراءات النقدية الدقيقة.

البحث الثاني: رسائله الديوانية

وبهذا فسأختار رسالة مشهورة من رسائله الديوانية الثابتة المؤكدة، ثم أقوم بتحليلها أسلوباً وحواراً وإيقاعاً وتركيبياً وفناً بلا غيّاً رفيعاً، لأصل إلى الحقيقة موقعاً..
تلك هي الرسالة التي ذكرها الشاعري (ت ٤٢٩ هـ) في ي蒂مه.

رسالة ابن العميد إلى ابن بلكان ونداد ليستعده إلى طاعة ركن الدولة:

قال : (٤٢) "كتابي ، وأنا متوجّح بين طمع فيك ويأس منك ، وإقبال عليك ، واعراض عنك ، فإنك تدل بسابق حرمة ، وقت بسالف خدمة ، أيسرهما يوجب رعايةً ويقتضي حماقةً وعناء ، ثم تشفعهما بجحادث غلول وخيانة ، وتتبعهما بأنف خلاف ومعصية وأدنى ذلك يحيط أعمالك ويتحقق كل ما يرعى لك . لا جرم أني وقفت بين ميل إليك ، وميل عليك ، أقدم رجلاً لصدرك ، وأؤخر أخرى عن قصتك ، وأبسط يداً لاصطدامك واجتياحك ، وأثنى ثانية لاستيقائك واستصلاحك ، وأتوقف عن امثال بعض المأمور فيك ضناً بالنعمة عندك ، ومناسبة في الصنيعة لديك ، وتأميلاً لفيأتك وانصرافك ، ورجاء لمراجعتك وانعطافك ، فقد يغرب العقل ثم يؤوب ، ويعزب اللب ثم يثوب ، ويذهب الحزم ثم يعود ، ويفسد العزم ثم يصلح ، ويضاع الرأي ثم يستدرك ، ويسكر المرء ثم يصحو ، ويذكر الماء ثم يصفو ، وكل ضيقة إلى رخاء ، وكان غمرة فإلى انجلاء .

وكما أنك أتيت من إسأتك بما لم تتحسبه أولياؤك فلا بدّ أن تأتي من احسانك بما لا ترتقبه أعداؤك ، وكما استمرت بك الغفلة حتى ركبت ما ركبت ، واختارت ما اختارت فلا عجب أن تتتبه انتباهة تبصر فيها قبح ما صنعت وسوء ما آثرت .

وسأقيم على رسمي في الإبقاء والمماطلة ما صلح، وعلى الاستبطاء والمطاولة ما أمكن، طمعاً في انابتك، وتحكيمًا لحسن الظن بك، فلست أعدم فيما أظاهره من إعذار وأرادفه من إنذار احتجاجاً عليك، واستدراجاً لك، فان يشا الله يرشدك، ويأخذ بك إلى حظك ويسدلك: فإنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير.

وزعمت أنك في طرف من الطاعة بعد أن كنت متوسطها، وإذا كنت كذلك فقد عرفت حالها، وحلبت شطريها، فشدتك الله لما صدفت عما سألك، كيف وجدت ما زلت عنه، وكيف تجد ما صررت إليه؟ ألم تكن من الأول في ظلّ ظليل، ونسيم عليل، وريح بليل، وهواء عدي، وماء روّي، ومهاد وطيّ، وكنّ كنين، ومكان مكين، وحصن حصين، يقيك المثالف، ويؤمنك المخاوف، ويكتفك من نوائب الزمان، ويحفظك من طوارق الحدثان؟

عزرت به بعد الذلة، وكثرت بعد القلة، وارتغعت بعد الضعف، وايسرت بعد العسرة، وأثيرت بعد المترفة، واتسعت بعد الضيق، وظفرت بالولايات، وخفقت فوقك الرایات، ووطئ عقبيك الرجال، وتعلقت بك الآمال، وصرت تكاثر ويكاثر بك، وتشير ويشار إليك، ويدرك على المنابر اسمك، وفي المحاظر ذكرك، ففيما الآن أنت من الأمر، وما العوض عمّا عدلت، والخلف بما وصفت، وما استفدت حين أخرجت من الطاعة نفسك، ونفضت منها كفلك، وغمست في خلافها يدك، وما الذي أظلّك بعد الخسار ظلّها عنك؟ أظلّ ذو ثلات شعب، لا ظليل ولا يغبني من اللهب، قل نعم كذلك، فهو والله أكتف ظلالك في العاجلة، وأرواحها في الآجلة، ان اقمت على المحايدة والعنود، ووقفت على المشاقة والجحود.

تأمل حالك وقد بلغت هذا الفضل من كتابي فستتكرها، وأمس جسدك وانظر هل يحسّ؟ وأجسس عرقك هل ينبض؟ وفتّش ما حنا عليك هل تجد في عرضها قلبك، وهل حلي بصدرك أن تظفر بفوت سريع، أو موت مريح؟ ثم قس غائب أمرك بشاهده وآخر شائك بأوله ..

التحليل:

أ - **أسلوب الحوار في الرسالة:** استخدم ابن العميد أسلوباً نفسياً بليغاً في رسالته هذه، فوصف نفسه بأنه متعدد بين حالين من الإيجاب والسلب في إمكان عودة (ابن بل وكان ونداد خورشيد) إلى طاعة ركن الدولة، فقدم امكانية الإيجاب في الطمع، على السلب في اليأس، والإقبال على

الإعراض، معللاً ذلك بما كان بينه وبين ركن الدولة من التوثق والمحبة الحميمة والصلة والقرب من سالف الدهر: "وأنا متراجح بين طمع فيك و Yas منك..".

ومن خلال هذه الطريقة النفسية في المعالجة يبدأ بالتلغل في مخيلة المخاطب، واصفاً ما له من رصيد من الأعمال والرعاية لدى ركن الدولة، ثم يصفه بالخروج والعصيان ذاكراً له ميله إليه أكثر مما عليه، مكرراً له مفردات الترغيب والترهيب: "لاجرم إني وقفت بين ميل إليك، وميل عليك...، وتأميلاً لفياتك وانصرافك، ورجاء لمراجعتك وانعطافك"، ومؤكداً له إمكانية عودة المياه إلى مجاريها: "ويضاع الرأي ثم يستدرك...، ويقدر الماء ثم يصفو"، وتناسي ما صنته به الغفلة من القبح والسوء: "فلا عجب أن تنتبه انتباهاة تبصر فيها..".

ويؤكد ابن العميد صرامته على الصلح والإنابة وحسن الظن بالمرسل إليه بين الإنذار والإذار، موضحاً استدراجه له وداعياً له من الله ان يرشده ويسده: "فإن يشا الله يرشدك، و...، ومذكراً بتلك الأيام الهائنة: "كيف وجدت مازلت عنه، وكيف..؟".

ثم يحاول بأسلوبه النفسي أن يجر (ابن بلكا) إلى الوراء تارة ويقدم به إلى الأمام أخرى، مقارناً حاله قبل تعرفه بركن الدولة وما حصده خلال معرفته به من العزّ، الكثرة، الإرتفاع، اليسر، الشراء، السعة، الظفر، الأمر والنهي، ذيوع الصيت، والذكر الحسن، بعد أن يعيده بهذه المفردات المؤثرة التي فقدتها (ابن بلكا)، ويلبسها له بشكل قشيب وفعال تخلله الأنفة والدقة والصبر على تحمل الموقف، و يجعل منه ذلك الشخص الذي وكأنه في مكانه الحقيقي مع صاحبه ركن الدولة. وحيثئذ فاجأه بالاستفهام عما أخرجه من الطاعة وأدخله في العصيان، وهو لا يزال تحت تأثير ذلك التويم المغناطيسي الذي اجراه له ابن العميد بأسلوبه السحري العجيب، ثم أمره بأن يعود إلى رشده، وأن يختار بين الحياة والموت: "وهل حلني بصدرك أن تظفر بفوت سريح، أو موت مريح؟".

لقد انغمس ابن العميد في نفسية المخاطب وتوجّس أحاسيسه وما يمكن أن يؤثره في خلجلات قلبه من تفاعل بناء، فكانت عباراته معادلات مؤشاة ومتقدمة انتجت أثراها الفعال والإيجابي، مما دفعت بالمخاطب أن يتراجع عن موقفه ويعود لمصافحة كتف ركن الدولة وطاعته.

وقال ابن بلكا : والله ما كانت لي حال عند قراءة هذا الفصل إلا كما أشار إليه الأستاذ الرئيس ، ولقد ناب كتابه عن الكثائب في عرك أبيي واستصلاحي ، وردي إلى طاعة صاحبه " (٢٥) . ولذلك كانت الجمل المتراوحة المتناغمة لابن العميد تمثل تفتناً راقياً في التعبير ، يعمل على الترويج عن النفس ، ويغمرها بوسي الإزدواج والسبع والمعتدل .

ب - الإيقاع في النص : وحين تقرأ الرسالة تجد النبر الصوتي المتناغم والمنسجم يشيع فيها ، فالمفردات تتناول عبر ميزان : (اقبال وإعراض) على وزن إفعال ، (سابق وسالف) على وزن فاعل ، (استبقاء واستصلاح) على وزن استفعال ، و(انصراف وانعطاف) على وزن انفعال ، وهكذا تجد أن المفردة تختار بالتواضي مع المفردة التي تقابلها في موقعها من العبارة الأخرى ، فهناك نظام متناسق لأبنية المفردات ضمن العبارة والفقرة ، ثم تصب العبارات في ازدواج أو توازن تتعادل خلاله العبارة مع العبارة موسيقياً : "إنك تدل بسابق حرمك ، وتمتّ بسالف خدمه ، أيسرهما يوجب رعاية ويقتضي محافظة وعناء" و"فقد يغرب العقل ثم يؤوب ، ويعزب اللب ثم يثوب" فتجد هذا الإزدواج بين عبارة وعبارة مستخدماً المفردات المسجعة : "حرمه وخدمه ، رعاية وعناء ، يؤوب ويثوب" ، وهذا السبع المتوازن معتمد وغير مقيد ، وبكلاد قصر العبارات والفترات أن يكون الميزة العامة في الرسالة ، مما يمنح ذلك النبر الصوتي المقارب في تقطيع الجمل .

ان الإيقاع واضح في التوازن المتناغم ، فقد يتقارب ، كما في : "ظل ظليل ، ونسيم عليل ، وريح بليل ، وهواء عدي ، وماء روی ، ومهاد وطي وكنّ كنين ، ومكان مكين ، وحصن حصين ، يقيك المتألف ، وبيؤمنك المخاوف ، ويكتفك من نواب الزمان ، ويحفظك من طوارق الحدثان" ، فقد لاحظت البراعة في التقاط النغمة التي تتقارب ثلاثة في : "ظليل ، عليل ، وبليل ، " عدتي ، روی ، ووطني " و"كنين ، مكين ، وحصن" ، وسرعان ما تحول إلى نغمة ثنائية ، كما في "المتألف والمخاوف" ، و"الزمان والحدثان" إن هذه الظاهرة الموسيقية كانت غير متكلفة في هذه الرسالة ، بحيث جعلت من انسجام ألحانها وترتبط ألوانها قطعة فنية رائعة .

ج - البراعة في التركيب : استخدم ابن العميد الزمن في الص بكمال انساقه ، منطلقاً من المصادر - الحاضر المعاش وما فيه - "أنا متراجّع بين طمع فيك ... إنك تدل ... إلى الماضي مذكراً ... بسابق حرمك ، وتمتّ بسالف خدمه" ثم إلى المستقبل موجهًا ومتمنياً : " وأنني ثانية لاستبقاءك

واستصلاحك" ، "وسأقيم... في الإبقاء..." ، وهذا أسلوب وفق فيه الكاتب في بلورة أكفاره ضمن انساق كل تحول من التحولات التي حدثت في أثناء النص ، وضمن تحولات الفعل الذي عاشه المرسل إليه أيضاً.

كما بربرت براعة متناهية في حسن استخدام حروف الجر: "طبع فيك ، يأس منك ، إقبال عليك ، إعراض عنك ، ... سابق..." ، وهذا يدل على معرفة غريبة في اللغة ، يستخدم فيها تلك الحروف بمهارة ودقة.

د - الفنون البلاغية في النص : ولو عدنا إلى قراءة نص الرسالة قراءة نقدية فاحصة ، تجلّت لنا بلاغة الحس عند ابن العميد ، فهو يمتلك من صفاء الذهن ورقة المشاعر وفنية التلوين والمقدرة الفائقة في التركيب والانزياح ما يجعلنا نتحسس مواقع الضربة في النسج البلديع . ويكتننا أن نختار بعضًا من تلك الوجوه البلاغية ، فإنه يعن في استخدام الطباق بشكل شائع في هذه الرسالة ، فيكاد يكون الفن الأكثر استخداماً بين الوجوه الأخرى للبلاغة ، ففي الفقرة الأولى من الرسالة : "فقد يغ رب العقل ثم يرثي ، يعزب .. يثوب ، يذهب .. يعود ، يفسد .. يصلح ، يضاع .. يستدرك ، يسخر .. يصحو ، يكدر .. يصفو ، الضيق والرخاء ، الغمرة والانجلاء" . وهذا هو الترداد والأطناب بعينه ، كما الطباق أيضاً.

كما ذكر الطباق في الفقرة الخامسة : "العز والذلة ، الكثرة والقلة ، الارتفاع والضمة ، اليسر والعسر ، الإثراء والمتربة ، السعة والضيق" .

فقد جمع بين كل لفظين متقابلين متضادين في المعنى ، فعلين كانوا أم اسمين ، وهذا التقابل في المعنى قد زاد الخطاب حسناً.

أما الجناس ، فقد استخدمه بشكل للناظر ، كما في الفقرة الرابعة : "في ظل ظليل .. وكنّ كنّين ، ومكان مكين ، وحصن حصين" ، وكذلك في الفقرة الخامسة أيضاً : "وصرت تكاثر ويكاثر بك ، وتشير ويشار إليك" ، وهذا من جناس الاشتقاد ، وهو من المحسنات اللغوية.

وأما السجع ، فقد استخدمه الكاتب بشكل غير مقيّد ، ففي الفقرة الأولى وردت المفردات : "حرمه وخدمه ، رعايه وعنایه ، ورخاء وانجلاء" وفي الفقرة الثالثة وردت المفردات "إعذار وإنذار ، قدير وجدير" ، كما وردت مفردات مسجعة في الفقرة الرابعة بشكل واضح : "ظليل ، عليل ،

وبيليل.." بين ثلاثة وثنائية، كما وردت ثنائية في الفقرة الخامسة "شعب ولهم، عنود وجحود"، والسجع من المحسنات اللغظية أيضاً.

ومن وجوه البديع الواردة في الرسالة، فقد شاع الترصيع، فمنه ما كان فيه توازن في الألفاظ مع توافق في الإعجاز، نحو: "يغرب العقل ثم يؤوب، ويعزب اللب ثم يثوب" و"على المنابر اسمك، وفي الحاضر ذكرك" وهو محسن لفظي أيضاً.

ولو أردنا إيضاح موقع البيان في هذه الرسالة، لوجدنا المجاز يطّرّز فقراتها، ففي عبارات من الفقرة الرابعة: "انك في طرف من الطاعة بعد أن كنت متوسطها، وإذا كنت كذلك فقد عرفت حالها، وحلبت شطريها"، فابن العميد قد صور لنا الطاعة بصورة حيوان حلوب ول يكن البقرة، وكيف يكون الإنسان بعيد من حلبيها بعد أن كان غارقاً في كرمها وعطائها، وقد ذاكره في هاتين الحالتين من الجموع والشبع، ثم ذكره كيف كان محلب ضرعها، إذ جعل للطاعة اثناء كما هي اثناء البقرة. فهذا التشبيه الجميل البليغ للطاعة هو الاستعارة المكنية، فشبّه الطاعة بالبقرة، واستعار البقرة للطاعة وحذفها ورمز إليها بشيء من لوازمهما وهي الأئدية التي حلبتها، وهذه هي القرينة عليها، مما أوهمنا في تصوير الطاعة بالبقرة التي اخترع لها صورة الأئدية التي تعطي الحليب، وحيثند تكون لفظة (الأئدية) التي تحلب (استعارة تخيلية) لأن المستعار له وهو (حلبت شطريها) أي اثناءها صورة تخيلية وهمية.

وفي الفقرة الخامسة وردت عبارة "ما الذي اظلّك بعد اخسار ظلّها عنك؟"، إذ جعل الكاتب للطاعة مظلة يستظل بها الآخرون، والحق بها ملاعة تتسع وتنحسر، وهذه الملاعة وهذا الظل هما صورة وهمية تشبه نجاعة الطاعة، وما تمنحه لشخص المطيع من منافع ومكارم، وهذه استعارة مكنية تفيد التخييل.

كما وردت الكنية في "ظل ظليل..."، للدلالة على العيش الحر الكريم المرفة، وكذلك عبارة "نفضت منها كفّك، وغمست في خلافها يدك"، فجعل الطاعة أمراً محسوساً ونفض كفه منها: كنایة عن تركها، وإعلان العصيان الذي هو خلاف الطاعة ليجعل منه سائلاً يغمض فيه يده، وهذه كنایة أيضاً.

ويضاف إلى ذلك ما في الرسالة من اقتباس من القرآن: "... شعب.. اللهب"، ومن تضمين للأمثال والحكم: " وكل ضيقه...، وكل غمرة..." ، ان ابن العميد قد تأثر بأسلوب الجاحظ ، ولكن تجاشي منه استطراده وعدم ترابط بعض معانيه ، فخدم أبو الفضل في كتابته ترابط وتماسك عباراته ، وجعلها محكمة متجانسة ، كما أخذ من سبقه من كتاب ديوان الإنشاء السجع ولكن دون تقيد ، كما كان لثقافته واستعداده الذاتي من تقسيم وقطع عباراته على فقر قصار مزدوجة ومتوازنة ، وبفرادات متوافقة ، وبعناية فائقة بتصوير المعنى وتقريره للحس مستعيناً على ذلك بكثير من التشبيهات وبمختلف أنواع البديع.

وخلاصة القول ، فإن طريقة ابن العميد هي النثر البديعي المسجع المعتل ..
وخير ما نختتم به هذا التحليل المتواضع أن تذكر رأي الشاعري إذ قال : " وقد أجمع أهل البصرة في الترسّل على أن رسالته التي كتبها إلى ابن بلكا ونداد خورشيد عند استعصائه على ركن الدولة غرّة كلامه ، وواسطة عقده ، وما ظنّك بأجود كلام ، لا بلغ إمام" (٢٦).

المبحث الثالث: رسائله الأخوانية

كتب ابن العميد الرسائل الديوانية ، كما كتب الرسائل الأخوانية ، علمًا أنهما تختلفان من حيث البناء والهندسة واختيار الألفاظ والاهتمام بالدلالة والتوصير والتلوين والفن والمساحة المواخدة طلولاً وعرضناً ومحوراً ومتناً.

ورسائله تضمها كتب التاريخ والترجم والأدب ، وقد ضاع معظمها كما تذكر لنا كتب الفهارس وقد تناولنا القسم الأول منها (الديوانية) بمثال ؛ وحللناه تفصيلاً وخرجنا بنتائج مختلفة فيها مع بعض النقاد والدارسين.

وهنا نحن الآن نتناول القسم الثاني من رسائله ؛ ذلك هو (الرسائل الأخوانية) ، إذ أفادنا الحصري القيراطي (ت ٤٥٣ هـ). بایراد بعض منها في زهر أدبه . ونختار رسالة الآتية التي كتبها ابن العميد إلى بعض أخوانه ؛ قائلًا :

(أنا أشكوك إليك جعلني الله فداك دهراً خُؤوفاً غدوراً، وزماناً خدوعاً غروراً، لا ينح ما ينح الا ريث ما يتنزع، ولا يبقى فيهما يهب الا ريث ما يرتع، ييدو خيره لمعاً ثم ينقطع، ويخلو ما واه

جرعاً ثم يمتنع. وكانت منه شيمه مألوفة، وسجية معروفة، أن يشفع ما يبرمه بقرب انتهاض، ويهدى لما يبسطه وشك انتهاض، وكنا نلبسه على ما شرط، وان خاف منه وقسط، ونرضي على الرغم بحكمه، ونستئم بقصده وظلمه، ونعتقد من أسباب المسرة أن لا يجيء محذوره مصمتاً بلا انفراج، ولا يأتي مكروهه صرفاً بلا مزاج، ونتعلل بما نختلسه من غفلاته، ونسترقه من ساعاته، وقد استحدث غير ما عرفناه سنة مبتدعة، وشرعية متبدعة، وأعد لكل صالحة من الفساد حالاً، وقرن لكل خلة من المكروه خلالاً.

وبيان ذلك جعلني الله فداك أنه كان يقنع من معارضته الإلفين بتفریق ذات البین، فقد إنشی منواً فيك بجميع ما أوغره، وما أطويه من البلوى منك أكثر مما أنشره، وأحسبني قد ظلمت الدهر بسوء الثناء عليه، وألزمته جرما لم يكن قدره بما يحيط به وقدرته ترقى إليه، ولو أنك أعتنه وظاهرته، وقصدت صرفه وازرته، وبعثني بيع الخلق وليس فيمن زاد، ولكن فيمن نقص، ثم أعرضت عنی إعراض غير مراجع، وأطرحتني اطراح غير مجامل، فهلا وجدت نفسك أهلا للجميل حين لم تجدني هناك، وأنفذت من حل ما عقدت من غير جريمة، ونكث ما عهدت من غير جريمة. فأجبني عن واحدة منها.

ما هذا التغالي بنفسك ، والتعالي على صديقك ، ولم نبذتني نبذ النواة ، وظرحتني طرح القذاة؟ ولم تلفظني من فيك ، وتمجني من حلقك ، وأنا الحال الحالو ، والبارد العذب؟ وكيف لاتخترني بيالك خطرة ، وتصيرني من أشعالك مرة ، فترسل سلاماً ان لم تتجشم مکاتبة ، وتذكرني فيمن تذكر إن لم تكن مخاطبة؟ وأحسب كتابي سيرد عليك فتتكره حتى تتثبت ولا تجمع بين اسم كاتبه وتصور شخصه حتى تذكر : فقد صرت عندك من حما النسيان صورته من صدرك ، واسمك من صحيفة حفظك ، ولعلك تعجب من طمعي فيك وقد توليت ، وإستمالتي لك وقد أبيت ، ولا عجب فقد يتغير الصخر بالماء الزلال ، ويلين من هو أقسى منك قلباً فيعود إلى الوصال). (٢٧)

التحليل:

لغرض الولوج إلى جو هذا النص التثري ، فلا بد من قراءة نفحص فيها أفكار النص التي ينظمها بناؤه وتميز فيه هندسته ، ونحن إذ نلمس الغرض واضحاً وهو العتاب والشكوك . نجد

الرسالة خطاباً مباشراً بين المرسل والمتلقي ، ذاكراً غدر الزمان وانتزاعه وقصر عمر لمعانة وشدة ظلمه عند حكمه ونزول دواهيه.

وأشار ابن العميد إلى إعراض صاحبه عنه بلا سبب ولا جريرة ، طالبا منه الإجابة فيما ذكره في الرسالة من صور العتاب ، معتبراً صديقه مغالياً بنفسه ومتعالياً على زميله ، متمنياً أن تعود المياه إلى مجاريها ، ويعود القلب القاسي إلى الوصال . فنلاحظ هندسة وتنابعاً في النص ، لأن أفكاره تسير في نسق من الترتيب والتقطيع مما يؤدي وبصب في الجانب الإيجابي المطلوب وهو التئام الجروح والعودة للوصال .

وهو يبتدئ رسالته بشكوه دهره المخيف ويتوسط ذلك القول جملة اعترافية (جعلني الله فداك) ، واصفاً الأثر السلبي الذي يتركه خداع الزمان وغروره ، ويأتي إلينا بفقرة جديدة يقول في بدايتها (وببيان ذلك جعلني الله فداك...) ليبين لنا من هو ذلك الزمان المشخص ويكرر جملته الاعترافية ، ثم يدخل علينا بفقرته الثالثة وهي عبارة عن بنية من الأسئلة والاستفسارات ، وعلامات التعجب بـ: ما ولم ، وكيف؟ ثم يخاطبه بقوله : ولعلك تتتعجب من طمعي فيك...) إذ أنا الحوار واضح في العبارة ثم يأتي الجواب من القلب ليقول فيه : (ولا عجب...) فينطق بالعبارة التي يرغب فيها ويرتضيها في سمة الوصال .

وإذا ما أردنا أن نتناول اختيار الجمل والألفاظ ، قال : (دهراً خُؤوفاً غدورة) وقال (زماناً خدوعاً غروراً) تلاحظ الموازنة والمزاوجة في العبارتين ، وكأنك تعيش أمام صورة من الوزن بمفردات تخضع لنظام من الاختيار الدقيق لثلاثين من المزاوجة في الحروف والكلمات والصوت والإيقاع . وكذلك في عبارتي (... الاريث ما ينتع) و(... الاريث ما يرتجع) . والحالة هذه كتلك مزاوجة لثلاثين تركيباً وإيقاعاً . وكذا الحال في العبارتين : (يبدو خيره لمعاً ثم ينقطع) و(يحلو ماؤه جرعاً ثم يمتنع) . فهاتان حماسيتان من المزاوجة والتقابل وزناً وتركيباً ، فالفعل المضارع (يبدو) يقابل الفعل المضارع (يحلو) . وإن مفردة (خيره) تقابل مفردة (ماؤه) من حيث الإسم والإضافة للضمير ، وكذلك تقابل مفردتي (المعاً) و(جريعاً) . ثم التساوي التام بـ(ثم) . وبعد ذلك يأتي تأثير الفعل المضارع (ينقطع) مقابل للفعل المضارع (يمنتع) .

ثم تأتي الثنائيات (شيمة مألوفة) و(سجية معروفة). وكذلك المفردتان (انتقاض) و(انقباض)، والمفردتان : (شرط) و(قسط). وكذا (حكمه) و(ظلمه). و(بلا انفراج) و(بلا مزاج). و(غفلاته) و(ساعاته). و(مبتدعة) والمفردتان (حالاً) و(خاللاً). فهي تارة مزاوجة في المصدر أو الفعل أو الإسم المضاف للضمير أو الصفة والسبع ظاهر قصير الفقرات. أما حالاً وخاللاً فهو سبع المفعولية.

ثم يجري في الفقرتين الثانية والثالثة ليمزج السجع بغيره. فقد تحرر من السجع في الفقرة الثانية، وعاوده في الثالثة سائراً فيه إلى نهاية الرسالة : (الزلال) و(الوصال).

هكذا كان اختيار الألفاظ عند ابن العميد وما رافق ذلك من تسجيح ومزاوجة. وعما ذكره هذا الكاتب من ترادف، نجد: دهراً وزماناً، ينتزع ويرتجع، ينقطع ويتنزع، شيمة وسجية، ينح ويهب، ويخلو والخلو، ختلسه ونستقه، سنة وشريعة، أعته وآزرته، إعراض واطراح، جريمة وجريمة، نبذتي وطرحتني، نبذ وطرح، نبذتي ولفظتني، من فيك ومن حلنك. فهو يريد أن يؤكد الأحداث والعبارات دون تكرار للألفاظ، ولذلك نجده يستخدم الترادف المؤدي الجميل.

وإذا ما فتشنا عن البديع البلاغي، فاننا نجده في فن الطباق، في مفردات : ينح وينزع، يهب ويرتجع، الصلاح والفساد، أطوبة وأنشره، زاد ونقض النسيان والتذكرة، اللين والقسوة.. وهذا الطباق المتنوع المختلف يبرز الصورة الإيجابية للفكرة ثم يعرض ما يتناقضها ليجعل المتلقى بين اختيارين أحدهما حلو والآخر مر، ولا بد من اختيار الأصوب.

وإذا ما تحولنا إلى فن الجناس، فنجده في : خلة وخاللا، بعنتي وبيع، أعرضت وأعراض، أطروحني وأطروح، نبذتي ونبذ، وطرحتني وطرح، كتافي وكتبه ومكتابته، تذكرني وتذكرة، تعجب وعجب، وتخطرني وخطرة.

وإذا ما استوضحنا عن البيان في هذه الرسالة وجدنا شيئاً من المجاز والاستعارة والتشبيه غير المباشر.

فمن المجاز، قال ابن العميد : (أشكوا دهراً...)؛ فالشكوى لا تقدم ضد الدهر؛ وأنما ضد الإنسان الغادر الخدوع المغدور. وهذا الدهر ليس له خير أو ماء؛ وأنما هو المجاز في الاستخدام. وقال : (لا ينح ماينح...) وهذا تشخيص. كما جعل للدهر شيئاً وسجايا مثل ما هو لدى الناس،

وجعله يشفع ويعطي ويهدى ويحكم ويظلم. وهذا من التشخيص، وجعل له غفلات تختلس وساعات تسترق، وكل هذا طبيعة صامتة ثم تحويلها من أمور معنوية إلى أشياء مادية يمكن لمسها ونقلها واحتلاسها واستراحتها. وهذا تشخيص بلاخي.

وجعل البلوى تطوى كما تطوى المزادة، وقال: (ظلمت الدهر) و(الزمته جرماً...) فحوله إلى انسان مجرم وجان، وقال: (وبعنتني) في مخاطبة صاحبه والإنسان لا يباع، وهذه كناية عن الترك والقطيعة، وكذلك الحال في عبارات: (تلفظني من فيك) و(تجني من حلقك) و(محا النسيان صورته...).

فتشخيص المعنوي: (تفجر الصخر بملاء الزلال) و(يلين من هو أقسى منك قلباً)، أي يلين الإنسان الجاف الملئ بالجفاء.

وهنالك صور تخدم افكار النص، ومنها: صورة اللمعان سريع الانقطاع، وصورة المزادة التي تطوى، وبيع الخلق، ونبذ النواة، وطرح القذاة، واللفظ من الفم أو الحلق، وتفجر الصخر بملاء الزلال.

وهذا التشخيص وتلك الصور؛ إنما هي نابعة من العاطفة الصادقة التي هي صدى لأفكار المرسل، وهي برمتها صور خيالية غير متكلفة، كما أنها متجانسة متألفة وقد انتقاها ابن العميد من الواقع للتعبير عن تجربته؛ فما أشارت ألواناً من العواطف؛ مما دعاها أن تكون أكثر قدرة على التعبير.

الهوامش

١. أنظر: الكامل في التاريخ، لابن الأثير. ج ٣٧/٧ - ٣٨، وفيات الأعيان، لابن خلكان. ج ٥/١٠٤ ، نهاية الأرب - للنويري. ج ١١٢/٣ ، معاهد التنصيص العباسي. ج ١١٥/٢ - ١٢٤، ودائرة المعارف الإسلامية - (النسخة العربية)، م ٣٥٥ - ٣٥٤.١/١
٢. صبح الأعشى، للقلقشندى، ج ٩٣.١/١
٣. الكامل في التاريخ، ج ٣٧/٧
٤. يتيمة الدهر، للشعالبي، ج ١٥٨/٣ ، وفيات الأعيان، لابن خلكان، ج ١١٧.١/١

٥. الفهرست لابن النديم / ١٤٩.
٦. (م.ن.) / ١٤٠.
٧. (م.ن.) / ١٣٩.
٨. وفيات الأعيان. ج ٥/١٠٤ - ١٠٥ ، ويتيمة الدهر، ج ٣/١٦٠ - ١٦١.
٩. هو: أحمد بن محمد بن ثوابه ، من كبار المنشئين في العصر العباسي ، وكان كاتب ديوان الرسائل لعز الدولة (أحمد بن بوبيه) قبل أن يليه ابراهيم الصابئ ، انظر: النجوم الزاهرة ، للأتابكي . ج ٣٢٤ والأعلام ، للزركلي ، ج ٢٠٠.
١٠. الامتعة والمؤانسة ، للتوحيدى ، ج ١/٦٦.
١١. كان قيماً على خزانة كتب ابن العميد؛ وقد صحبه فترة طويلة ، انظر: الامتعة والمؤانسة ، ج ١/٣٥.
١٢. تجارب الأمم ، مسكونيه ، ج ٢/٢٧٧.
١٣. يتيمة الدهر ، للشعالبي ، ج ٣/١٥٨.
١٤. الكامل في التاريخ ، لابن الأثير ، ج ٧/٣٧ - ٣٨.
١٥. وفيات الأعيان وأبناء الزمان. ج ٥/١٠٣.
١٦. (م.ن.) ، ج ٥/١٠٤.
١٧. صبح الأعشى ، ج ٥/٢٧٥.
١٨. شدرات الذهب في أخبار من ذهب ، ج ٣/٣١.
١٩. تاريخ الأدب العربي ، للزيارات ، / ٢٣٥.
٢٠. ابن العميد. / ٤٨٠.
٢١. الفن ومذاهبه في النثر العربي ، / ٢٠٩٠.
٢٢. النثر الفني في القرن الرابع ، ج ٢/٢٤٥ - ٢٤٦.
٢٣. أمراء البيان ، / ٥٠٨.
- ٢٤ ، يتيمة الدهر للشعالبي ، ج ٣/١٦٧ - ١٦٨ . وقد نقل هذه الرسالة الأستاذ أنيس المقدسي ؛ دون تحليل ، انظر: تطور الأساليب التشرية في الأدب العربي ، ط ٣/٢٥٧ - ٢٦٠.

٢٥. يتيمة الدهر، للتعالبي، ج ٣/٦٩٠.
٢٦. يتيمة الدهر، ج ٣/٦٦٠.
٢٧. زهر الآداب، للحضرمي القيرواني، القاهرة، المطبعة الرحمانية، ١٩٢٥، ج ٢/٤٤٠.

المصادر والمراجع:

١. ابن العميد، خليل مردم، دمشق، مكتبة عرفة، ١٣٥٠هـ - ١٩٣١م.
٢. الأعلام، خير الدين الزركلي، ط٤، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٩م.
٣. الامتناع والمؤانسة، لأبي حيان التوحيدى تصحيح وضبط وشرح: أحمد أمين وأحمد الزين، بيروت، مكتبة الحياة، (١٣٧٣هـ - ١٩٥٣م).
٤. أمراء البيان، محمد كرد علي، ط٣، بيروت، دار الأمانة، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م.
٥. تاريخ الأدب العربي، أحمد حسن الزيات، ط٢٦، بيروت، دار الثقافة، (د.ت.).
٦. تجارب الأمم وتعاقب الأمم، أحمد بن محمد مسكوني، القاهرة، (د.ن.)، ١٩١٦م.
٧. تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي، أنيس المقدسي، ط٣. بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٦٥م.
٨. دائرة المعارف الإسلامية، إعداد وتحرير: إبراهيم زكي خورشيد وآخرين. القاهرة، مطابع الشعب، ١٩٦٩م.
٩. زهر الآداب، الحضرمي القيرواني، القاهرة، المطبعة الرحمانية، ١٩٢٥م.
١٠. شدرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي، بيروت، دار الفكر، ١٩٨٨م - ١٤٠٩هـ.
١١. صبح الأعشى في صناعة الإنسا، أحمد بن علي القلقشندي، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة، (١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م).
١٢. الفن ومذاهبه في النثر العربي، د. شوقي ضيف. ط٦ القاهرة، دار المعارف، ١٩٧١م.

١٣. الفهرست، لابن النديم، تحرير: رضا تجدد، طهران، مطبعة جامعة طهران، ١٩٧١ م - ١٣٩١ هـ.
١٤. الكامل في التاريخ: لابن الأثير الجزائري، ط٢، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م.
١٥. معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، عبد الرحيم بن أحمد العباسي، تحرير: محمد محى الدين عبد الحميد، بيروت، عالم الكتب، ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٧ م.
١٦. النثر الفني في القرن الرابع، د. زكي مبارك، بيروت، دار الجليل، ١٩٧٥ م.
١٧. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، يوسف بن تغري بردي الاتابكي، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة، (د.ت.).
١٨. نهاية الأرب في فنون الأدب، أحمد بن عبد الوهاب التوربي، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٣٤٢ هـ - ١٩٢٤ م.
١٩. وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان، لأحمد بن محمد بن خلكان، تحرير: د. إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، (١٩٦٨) م.
٢٠. يتيمة الدهر في محسن أهل العصر، لأبي منصور الشعالي، تحرير: محمد محى الدين عبد الحميد، القاهرة، (د.ن.)، ١٩٤٧ م.

المؤسسة الدينية

و

المقومات المرجعية

والتقليد

أ.م.د. فيصل عبد الجبار النصيري

٢٠٠٤ م

المؤسسة الدينية والمقومات المرجعية

والتقليد

الخلاصة:

قد يرفض البعض أن نطلق على الدين وما يربطه به فئة متدينة معينة من تفصيلات تتعلق بما يدور بعقيدتهم من نشاط متعدد الجوانب تحت اسم المؤسسة الدينية وقد يكون ذلك الرفض ناتج عن قداسة الفكر الديني، وعدم تشابهه في النشاطات من مؤسسات مختلفة. لذا حاول الباحث أن يدرس المؤسسات وخصائصها ويستنتاج القاسم المشترك بينها، كي يصح إطلاق لفظة مؤسسة عليها.

وقدتناول البحث أهم ما يخص مقومات المؤسسة الدينية الشيعية (الاثني عشرية) في جانب المرجعية والتقليد، إذ ان الشيعة يستندون إلى قول الإمام جعفر بن محمد (الصادق) عليه السلام : (من كان من الفقهاء صائبنا لنفسه، حافظاً لدینه، مخالفًا لمواه، مطيناً لأمر مولاه، فللعموان ان يقلدوه)^١. إن الدور الذي يمارسه المراجع لم يقتصر على تفسير وشرح العقيدة الدينية بل تعدى ذلك

^١ محسن الطباطبائي الحكيم، مستمسك العروة الوثقى، ج ١، مطبعة الآداب، (النجف الاشرف / ١٢٩١ هـ - ١٩٧١ م)

ليشمل مفردات الحياة المادية للناس ، فما من مشكلة إلا وحلها عند هؤلاء المجتهدin ، والذين يمتازون بكفاءة عالية على المستوى الذهني والمعرفي .. .

أملاً أن يكون البحث قد أوفى في التوضيح .. والله من وراء القصد.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وآلـه الطيبـين الطـاهـرـين .

ماهية المؤسسة الدينية

لو قصرنا الدين على جملة من الاعتقادات والعبادات ، لتكونت فكرة ناقصة بل ومجربة ، لأن المعتقدات والطقوس تهدف – في جانب كبير منها – إلى التعبير عن العاطفة ، فتحول العاطفة إلى ما يشبه الدائرة ، كلما ابتعدنا عن نقطة في محيطها عدنا إليها^٢ . لقد نشأ الدين عن التفاعل بين التجربة الإنسانية والطبيعة والكون . ونستطيع أن نتبين أن للدين دور كبير في نشأة بعض الدول ، كما كان العامل الرئيسي في قيام بعض الامبراطوريات العظمى ومنها الدولة الإسلامية ، بل ان السلطة عدت في بعض المراحل التاريخية تكليفا من الله سبحانه وتعالى^٣ .

و المعنى العام لكلمة مؤسسة يعني ذلك التركيب المكون من أفكار وأنمط من السلوك والروابط بين الناس ، وفي أغلب الأحيان من أشياء مادية و معنوية ، وكل ذلك منظم حول مركز لمصلحة معينة معترف بها اجتماعيا^٤ .

و يجب أن يؤخذ بنظر الاعتبار عند دراسة المؤسسات المتنوعة عبر علاقاتها بالسلطة قدر تأثير هذه المؤسسات في ميدان الصراع مابين الجماعات الاجتماعية المختلفة . وحسب ما تعنيه الكلمة

^٢ ايابا نعمان حكيم، بول و فرجيني ،تراث الإنسانية، المجلد الثاني، (القاهرة/ بلا) ص ٧١٤

^٣ عبد الكريـم احمدـ، مبادئ التنظيم السياسيـ، مكتـب الـاخـلـوـ المـصـرـيـ، (الـقـاهـرـةـ/ ١٩٧٥ـ) ص ٢٤ـ، ٢٥ـ

^٤ دـ. صـادـقـ الـأـسـودـ، المؤـسـسـاتـ .ـمحـاضـراتـ الـقيـتـ خـلـاتـ الـسـنـةـ الـدـرـاسـيـةـ ١٩٨٠ـ - ١٩٨١ـ على طـلـبـةـ كـلـيـةـ الـقـانـونـ وـ السـيـاسـةـ - جـامـعـةـ بـغـدـادـ

بمدلولها القانوني ، فهي مجموعة القواعد القانونية التي تتناول ذات الموضوع والوظائف ، وتشكل متحدا منسقا ومنظماً .

و إذا اعتبرنا هذه المؤسسة ، مؤسسة عامة على سبيل الفرض ، فالمؤسسة العامة هي شخص معنوي أولاً ، وهي من أشخاص القانون العام ثانياً ، وغرضها إدارة مرفق عام ثالثاً . والمنظمة أو المؤسسة العامة تميز باستهداف المصلحة العامة^٧ . ومصدر موارد هذه المنظمة هو موارد الادارة العامة^٨ .

غير ان الذي يلحظ على المؤسسة الدينية الشيعية^٩ ، أنها تجمع بين المؤسسة العامة والخاصة^{١٠} . فهي تهتم بالشؤون الدينية الخاصة بمذهب إسلامي دون المذاهب الأخرى ، ومصدر تمويلها وكذلك اتفاقاتها تكاد تكون مقصورة على ذلك الجانب حصراً ، والمؤسسة الدينية هي إحدى المؤسسات الاجتماعية ، فهي من التنظيمات الأساسية التي تساعده على فهم الفرد بعد فهم طبيعته وسلوكه وعلاقته بالآخرين^{١١} .

اما المؤسسة السياسية فهي مجموعة الأحكام والقوانين التي تحدد علاقات وسلوكية الأفراد في المنظمات السياسية ، كالاحزاب والجماعات والمنظمات السياسية السرية^{١٢} . وقد لعبت المؤسسة الدينية موضوعة بحثنا دورا سياسيا كبيرا سواء في العراق أو في بعض الدول الإسلامية مثل إيران في بعض الفترات ، لذلك يمكن تحديد أبعاد هذه المؤسسة على انها (هيكل تنظيمي هرمي ، يبدأ في قمته بالمرجع الديني الأعلى ، وينتهي بأصغر رجل دين يقوم بإدارة الشؤون الدينية في قرية نائية.

^٩ اسماعيل غزال ، القانون الدستوري و النظم السياسية ، (بيروت / ١٩٨٢) ص ١٠

^{١٠} د.شاب توما منصور ، القانون الاداري ، ج ١ ، (بغداد / ١٩٧٥) ص ١٠٢

^٧ محمد بكري القبانى ، نظرية المؤسسة العامة المهنية في القانون الاداري ، دار النهضة العربية ، (بلا / ١٩٦٢) ص ١٨

^٨ نفس المصدر السابق ، ص ٢٠

^٩ يقصد به مذهب الشيعة الامامية الاثنا عشرية و مؤسس هذا المذهب الامام السادس جعفر بن محمد (الصادق) عليه السلام

^{١٠} من أجل التمييز بين المؤسسات الخاصة ذات النفع العام ، انظر: مصطفى كامل ، شرح

^{١١} د.احسان محمد الحسن ، علم الاجتماع السياسي ، (بغداد / ١٩٤٩) ، ص ٢٤

^{١٢} نفس المصدر ، ص ٨١

وترتكز هذه المؤسسة على قاعدة من الناس (المؤمنين) عن طريق التقليد للمرجع الديني الأعلى، الذي يرجع إليه البت في الحلال والحرام والمستحب والمكروره، على وفق ما يراه في اجتهاده، وتشتمل المؤسسة هذه على جميع رجال الدين العاملين ضمنها، والعتبات المقدسة، والحو زات العلمية، والمساجد، والحسينيات، والمدارس الدينية، والمكتبات ودور النشر، طلاب العلم.... الخ).

ولهذه المؤسسة تحويل مالي خاص^{١٣}. لذا يصح لنا ان نطلق تسمية (المؤسسة الدينية) عليها، لوجود العناصر الأربع الواجب توفرها على أي هيكل تنظيمي لتنطبق عليه تسمية (مؤسسة)، وهي عناصر التنظيم والهدف، والاستمرارية، والتحويل المالي^{١٤}.

طبيعة الأسس التنظيمية للمؤسسة الدينية(المرجعية والتقليد)

يكون على رأس المؤسسة الدينية شخص واحد أو أكثر، من وصلوا إلى حد كبير من الاعتبار في ما حصلوا عليه من العلوم، وما اتصفوا به من التقوى، أو ما يسمون بالمجتهددين والذين يقومون بدور الوكالة العامة عند الإمام الغائب^{عليه السلام}^{١٥}. حتى ظهوره. ولهذا فهم يقومون نيابة بأعمال الإمام نفسه، ويرون بأن مهمتهم هي تفسير الشريعة التي جاء بها القرآن الكريم وتطبيقها، بل وتطورها مع تطور الأوضاع الجديدة.

غير أن المجتهددين لا يشتركون مع الإمام بالقداسة نفسها، التي ترتبط بمفهوم (العصمة)، أي الحصانة من الخطأ والزلل والسوء والنسيان. ولابد للمجتهددين أن يعتبروا أنفسهم كباقي الناس، معرضين لكل هذه الأمور التي تستوجب المغفرة من الله سبحانه وتعالى، والاعتراف باقتراف

^{١٣} من أجل التعرف على المؤسسة في الاصطلاح الاقتصادي، انظر: احمد عطية الله، القاموس السياسي، القاهرة/١٩٦٨)، ص ١٢٦١

^{١٤} انظر: اكرم عبد الله صالح، المؤسسة الدينية في أفغانستان، (بغداد/بلا)، ص ٢٢

^{١٥} هو الإمام الثاني عشر عند الشيعة الامامية، محمد بن الحسن(المهدي المتضرر)، صاحب الزمان، المولود في النصف من شعبان عام ٢٥٥ هـ، اختص في المرة الأولى بما يعرف بـ(الغيبة الصغرى) سنة ٢٦٦ هـ، و كان فيها يجيب عن استئلة الشيعة بواسطة علماء أربعة ويسمون (السفراء) وهم: أبو عمر عثمان بن سعيد العمري، و محمد بن عثمان العمري، و الحسين بن روح التوخيتي، و علي بن محمد السمرى المتوفى سنة ٣٢٩ هـ، حيث كان عمر الإمام آنذاك أربعين وسبعين سنة... اذ قضى تسع و ستين سنة في غيبته الصغرى وقبل وفات السمرى بدأت الغيبة الكبرى، و ستمتد هذه الغيبة إلى أن يأذن الله سبحانه للإمام الظهور.

الذنوب والمجتهد أو الفقيه لا يصل إلى هذه الدرجة إلا إذا توفرت فيه شروط وخصائص تميزه عن غيره، وتجعله جديراً بـأن يتولى شؤون الناس المرتبطة به عن طريق التقليد.^{١٦}

إن الطبيعة العملية للنشاط القيادي الذي يتمتع بها من يحمل درجة الاجتهاد تؤكد الشرط الملقي على عاتقه وهو (مرجع التقليد) إذ يعتبر مثلاً يحتذى به في ممارسة العملية.

وفي المعنى الاصطلاحي لـكلمة (الاجتهاد) لم نجد ما يدل عليها في القرآن الكريم، فقد وجدت آيات تستعمل كلمة الجهد، كما في قوله تعالى: (والذين لا يمددون إلا جهدهم)^{١٧} ، وقوله تعالى: (وَاقْسُمُوا بِاللَّهِ جَهَدَ إِيمَانَهُمْ)^{١٨} ففي الآية الأولى جاءت الكلمة بمعنى الطاقة، وفي الثانية بمعنى بالغوا في اليمين.

وأما في السنة الشريفة، فقد وردت كلمة الاجتهاد بـمادتها وهييتها في عدة أحاديث شريفة، منها حديثه صلى الله عليه وآله وسلم لعمرو بن العاص: (احكم في بعض القضايا). فقال: اجتهد وأنت حاضر؟ فقال صلى الله عليه وآله: نعم إن أصبت فلك أجران، وإن أخطأت فلك أجر)^{١٩}. وعن معاذ بن جبل إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) سأله حين بعثه إلى اليمين: بما تقضي؟ فأجابه: بما في كتاب الله. قال (صلى الله عليه وآله): فـان لم تجـد في كتاب الله؟ قال: فـسنة رسول الله. قال عائشة^{٢٠}: فـان لم تجـد في سنة رسول الله؟ قال: اجـتهد رأـيـي ولا آلو. قال عائشة^{٢١}: الحمد لله الذي وفق رسول الله لما يرضي الله^{٢٠}.

ولا يأتي تقليد المجتهد في الضروريات كوجوب الصلاة والصوم ونحوهما، وكذلك في اليقينيات والأمور المطلقة الفهم كحرمة الكذب والزنـى والسرقة.... الخ.

^{١٦} التقليد: هو اخذ قول الغير، ليس بشرط معرفة دليله.

^{١٧} التوبة، ٧٩

^{١٨} الأنعام: ١٠٩ و تكررت في سورة النمل ٢٨ والنور ٥٢ و فاطر ٤٢ .

^{١٩} محمد بحر العلوم، الاجتهاد، اصوله وأحكامه، (بيروت/١٩٧٧) ص ٢١

^{٢٠} المصدر نفسه، ص ٣٠

وفي عصر تكوين المذاهب كان الاجتهاد يعني القياس الشرعي، وهذا ما أشار إليه الشافعى عندما سئل عن القياس، اهو الاجتهاد؟ أم هما معا؟ فأجاب بانهما اسمان لمعنى واحد. وعندما سئل فما جماعهما؟ أجاب كل ما نزل بمسلم فيه حكم للازم، أو على سبيل الحق فيه دلالة موجودة، وعليه إذا كان فيه بعينه يجب إتباعه، وإن لم يكن بعينه طلب الدلالة على سبيل الحق فيه بالاجتهاد، والاجتهاد القياس، وهكذا يفهم بان الشافعى رادف بين الاجتهاد والقياس واعتبرهما اسمين لمعنى واحد^{٢١}.

وهناك ستة من الشروط يجمع عليها منظروا الشيعة، وهي البلوغ، والعقل، والذكورة (أى كونه رجلاً حسراً)، والإيمان، والعدالة، والحرية على قوله^{٢٢} وإضافة إلى هذه الشروط ، فلا بد للمجتهد أن يكون ظاهر المولد أى أنه نتاج شرعي لزواج أبوين لا خلل فيه، وإن يكون مجتهداً مطلقاً.^{٢٣} أما إذا كان موصوفاً بالبلادة والعجز عن التصرف، فليس من أهل الاجتهاد، وعليه فالمجتهد يجب أن يكون عارفاً بالدليل العقلى ، وأن يكون عارفاً بلغة العرب نحواً وإعراباً وتصريفاً، وبأصول الفقه ليقوى على معرفة الأدلة وكيفية الاستنباط ، وبالبلاغة ليتمكن من الاستنباط بحيث يميز العبارة الصحيحة من الناقصة ، وأن يكون عارفاً بالكتاب والسنّة . وبالإضافة إلى ذلك فالمجتهد يفهم مقصود الشرع ويعبر على ما قيل كونه خبيراً بالكتاب والسنّة والناسخ والمسوخ وأسباب النزول وشرط المتواتر والأحاديث والصحيح والضعيف وحال الرويات وسير الصحابة^٤ .

إن الحكم العام على كل مكلف في عباداته ومعاملاته أن يكون (مجتهداً أو مقلداً أو محطاً)^{٢٥} ، وإن عمل العامي بلا تقليد ولا احتياط باطل^{٢٦}.

^{٢١} المصدر نفسه، ص ٣٢، ٣٣.

^{٢٢} المصدر نفسه، ص ٢٢٢٢.

^{٢٣} محسن الطباطبائى الحكيم، مستمسك العروة الوثقى، ج ١ ، مطبعة الآداب (النجف الأشرف ١٩٧١) ص ٤٠ - ٤١

^{٢٤} حيدر، مصدر سبق ذكره ص ١٧٠

^{٢٥} الاحتياط : هو العمل الذي يتيقن معه ببراءة الذمة من الواقع المجهول

^{٢٦} البزدي، مصدر سبق ذكره ص ٣ شيخ يوسف الحراساني الحائرى، مدارك العروة الوثقى جزء ١ (النجف الأشرف - ١٣٨١ هجرية) ص ٤

ومن هنا تتبين المساحة الواسعة من جمهور المؤمنين والتي ترتبط وتستند على المجتهد المقلد، والتي ستكون في الغالب متأثرة به وبنزاعاته الفكرية.

والاجتهاد على قسمين، مطلق ومتجرزاً. فال الأول يعني القدرة على إستنباط جميع الأحكام الشرعية الفرعية في جميع الأبواب الفقهية من الطهارات والعبادات والمعاملات والعقود والإيقاعات بواسطة الملكة التي يتمتع بها المجتهد.

أما الثاني فيطلق على من اقدر من الاجتهاد في بعض الأحكام الشرعية واستنباط جزء منها، كالعبادات مثلاً. ولا يجوز للناس تقليد المجتهد المحتزئ لعدم احاطته باستنباط جميع الأحكام، واستخراج كل حكم فرعى من أصله، ويجوز له العمل فيما اجتهد واستنبط بما يعرف بالاحتياط، عليه واجب التقليد فيما عجز عن الاجتهاد فيه^{٢٧}.

ومن المفيد أن نذكر أن المرجعية الدينية للتقليل المطلق لا تمنع من قبل أية سلطة دينية إلا ما ندر حيث حدث أن شهدت المرجعية انتقالاً من محمد حسين النجفي المعروف بـ(صاحب الجواهر) لتأليفه كتاب جواهر الكلام إلى الشيخ مرتضى الأنباري.^{٢٨} بالنص على أنه سيختلف في المرجعية الدينية بعد وفاته، وتلك بادرة جديدة دشنها النجفي في تحديد مجتهد دون غيره ليكون المرجع الدينيي المطلق للتقليل. وإنما تكون المرجعية من خلال الإجماع (بطيء التحرك)، والتقدير العالى الذي يبديه الناس لهذا العالم المجتهد دون غيره حسب معرفته الدينية ومؤهلاته القيادية الأخرى التي تؤهله لأن يحقق هذه المكانة المهمة.^{٢٩} ويعتمد المرجع الدينى الأعلى للتقليل في إدارة مؤسسته الدينية على مصادر شعبية، أي من الناس المقلدين له، ولذلك فإن جميع المراجع في الفترات المتعاقبة يرفضون أية معونة أو عطية تقدمه إليهم الدولة. فالمكر الدينى للمرجع يكون غالباً

^{٢٧} الشيخ مرتضى الأنباري، المكاسب ج ١ تعليق وتحقيق سيد محمد كلانتر مطبعة الآداب التجف الاشرف ص ٨٢ - ٨٣

^{٢٨} هو الشيخ مرتضى بن محمد أمين بن مرتضى ينتهي نسبه إلى الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنباري ولد في ١٤١٨ ذي الحجة ١٢١٤ هجرية ١٨٠٠ ميلادية في دزفول في إيران حاز على الإجازات العلمية مستنداً من الشيخ موسى كاشف الغطاء (ت ١٢٤١ هـ ١٨٢٦ م) ومن أئبيه علي توفي (١٢٦٦ هـ - ١٨٥٠ م) وقد تخرج على يديه عدد من المجتهدين منهم الميرزا محمد حسن الشيرازي وقد توفي سنة ١٢٨١ هجرية، ١٨١٤ ميلادية. مرتضى مدرسي، تاريخ روابط عراق وإيران، تهران ١٣٥١ ماه ص ٩٦٤ - ٩٦٥.

^{٢٩} البزدي، مصدر سبق ذكره ص ٢٠١ كذلك انظر جي ايچ جانس، الإسلام المقاول، مركز البحث والمعلومات

منفصلاً أو مستقلاً عن السلطة نتيجة الاستقلال المالي عن الحكومة والذي يرتبط بالدفع المنظم للزكاة والخمس وأثاث الأموات وإيرادات الأوقاف وما إلى ذلك من موارد، نتيجة التزام هؤلاء المؤمنين بمعتقداتهم بنظرية الولاية، والتي تأتي بعد الإيمان بالله سبحانه ورسوله ﷺ، وهي تعني الولاء والطاعة التامة للإمام المنتظر (عج)، والذي يعتبر المرجع الديني نائباً عنه^{٣٠}

^{٣٠} Hamid algr riligion and state in iran (1785 – 1906) – the role of ulama in the qajar period, university of californania press – 1969, P29.

العقد الاجتماعي

الأسس النظرية

و

أبرز المنظرين

د. مكي عبد مجید

العقد الاجتماعي: الأسس النظرية وأبرز المنظرين

المقدمة

وردت فكرة العقد الاجتماعي في كتابات كثير من المفكرين السوفسقائين وأيقورس ولوكر وعلماء القانون الروماني وكثير من فلاسفة القرن السادس عشر أمثال هاتن ولاتي وتوكس وبوكتان – والعقد الاجتماعي تجلي فكرته في أن الناس كانوا يعيشون في البداية على الطبيعة القائمة على النزاعات والخروب مما دعا الناس إلى التفكير في إنشاء تنظيمات اجتماعية تنظم علاقاتهم الاجتماعية من أجل الدفاع عن أنفسهم من الأخطار الخارجية كالطبيعة أو الأقوام الأخرى، هذا يتم من خلال تنازل كل فرد عن قسم من أنايته الفردية لكي يتلزم أمام الآخرين ببعض الواجبات من أجل تكوين تنظيم يساعدهم على البقاء ولكي يستمر تنظيم الأفراد الاجتماعي يجب أن يخضعوا إلى قادة أكفاء قادرين على توجيه حياتهم الاجتماعية توجيهًا يخدم حاجاتهم وحمايةهم، كل هذه الظروف عملت على ظهور فكرة العقد الاجتماعي بشكل طوعي دون إلزام أو إكراه من قبل أفراد المجتمع. إن النقطة المركزية – التي ظلت تدور حولها نشاطات الإنسان لفترة طويلة هي العلاقة بين أفراد المجتمع بعضهم البعض من جهة وبين عناصر البيئة

المتنوعة التي تحيط بهم من جهة أخرى، هذه تمثل مرحلة تاريخية تلتها مرحلة أخرى جاءت نتيجة تطور المجتمعات إلا وهي علاقة الحاكم بالمحكوم.

لكن لم يكن من السهل تحقيق هذه العلاقة، فالواقع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي يفرض قوته لذا كانت نزاعات الفلاسفة والمفكرين لا ينتهي إلا بنهائيتين أما رضوخ المفكرة لفعاليات السلطة وأما الوقوف بوجهها وتحمل عواقب موقفه منها. كانت آراء المفكرين والرواد الأوائل لفكرة العقد الاجتماعي تهدف إلى إيجاد معادلة موضوعية للعلاقة بين الحاكم والمحكوم لكن اختلاف التوجهات في الأهداف والتنتائج فضلاً عن الاختلاف في الرؤية السياسية والاجتماعية للمفكرين أنفسهم حالت دون بلوغ هذا الهدف.

يتضمن هذا البحث أربعة فصول يتناول الفصل الأول التطور التاريخي لمفهوم الحق الطبيعي، هذا السياق التاريخي أعتمده الباحث لتبيان بعض المفردات التي من خلالها يمكن أن يتم التعامل في الفصول التي تتضمن آراء المفكرين والعلماء في هذه الدراسة التي تتضمن جانب مهم لا يقتصر على زمن محدد بل يستوعب كل الأزمان ما دام هناك مجتمع حي تسوده علاقات وما دام هناك حاكم ومحكوم وهذا ما جاء في كتابات المفكرين الذي خصص البحث لكل منهم فضلاً يتناول فيه حياة وجوانب متعددة من آراء المفكر في هذا الصدد، فخصص الفصل الثاني للعالم (هوبرز)، في حين تناول الفصل الثالث العالم (لوك) سيرورةً وأعمالاً وأراءً أما الفصل الرابع فكان للعالم (رسو) من ثم خاتمة البحث التي تتضمن خلاصة مختصرة لما جاء في ثنايا البحث.

الفصل الأول

مفهوم الحق الطبيعي باعتباره أساساً للعقد الاجتماعي:-

إنَّ فكرة الحق الطبيعي أو القانون الطبيعي شغلت اهتمام المفكرين وال فلاسفة منذ زمن طويل لازمت هذه الفكرة كفاح الإنسان من أجل التوصل إلى المجتمع القائم على الفضيلة والعدل. ظل الوصول إلى هذا المجتمع الحلم الذي لم ينفك المفكرون والمصلحون يحلمون به إلى يومنا هذا ولقد أسهمت هذه الفكرة في دفع المجتمع البشري إلى الإمام والنهوض بالإنسانية وصولاً إلى المجتمع

المنظم وفق القواعد الثابتة التي يليها العقل السليم ويستقر عليها الضمير البشري والكيان الاجتماعي.

إن مفهوم الحق الطبيعي المتميز عن الحق الوضعي هو قديم قدم الفلسفة حيث بُرِزَ في العصور الإغريقية القديمة حتى أخذت المسيحية هذا المفهوم الذي يظهر القانون الطبيعي وكأنه التعبير عن الإرادة الإلهية

أن هذه الفكرة قد لازمت المسيرة البشرية وطموح الإنسان نحو تحقيق المجتمع القائم على العدل والإنصاف وعكس تاریخنا طويلاً لصراع عنيف بين الحاکمة المستغلة وبين المحکومين وإذا كان الإنسان قد خاض صراعاً عنيفاً مع الطبيعة في بدء الخليقة وفجر الإنسانية فإنه خاض صراعاً عنيفاً مع الحكام والملوك في ظل نشوء الدولة عبر العصور وقد تجلت وحشية الحكام الأقدمين في الأنظمة الجائرة التي كانت تصنف الناس إلى طبقات عليا وسفلى أحرازاً وعبيداً مالكين وملوكين كما تجلت فيما قرّروا من عقوبات صارمة تصل إلى الإعدام با بشع الوسائل ولأنه الأسباب فضلاً عن معانات الإنسان لمختلف وسائل التعذيب النفسي والغريب أن الحكام كانوا في الغالب يدعون إلى سلطتهم وسيادتهم غير المحدودة إنما هي مستمدّة من الإرادة الإلهية.^(١)

ان المؤرخ أو الباحث في الجوانب الاجتماعية يقف حائزاً حيال هذه الأجراء اللاانسانية التي عاشها الإنسان ردهاً من الزمن تمثل بالصحراء الجرداء المشمسة إلا أنه لم يعد فيها وجود واحات خضراء تمثل أمل البشرية في الإرتقاء والخلاص من الماسي والمظالم وما هذه الواحات إلا نفتحة العدالة التي ظهرت باسم القانون الطبيعي. لقد ذهب المفكر الهولندي (غروسيوم ١٥٨٣ / ١٦٤٥) إلى القول: بأن القانون الطبيعي هو قرار عقل سليم ينر في أمر من الأمور فيحكم عليه بحسب مناسبته او مخالفته للطبيعة العاقلة / هل هو فاسد أخلاقياً أم غير فاسد، وبالتالي هل هذا العمل هو واجب أم مخلوق من قبل الله خالق هذه الطبيعة؟

(١) - د. محمد أحمد شريف فكرة القانون الطبيعي عند المسلمين / دار الرشيد بغداد ١٩٨٠ . ٢ - نفس المصدر ص ٦

ولكن هناك من يرى إنّ هذا المفهوم لم يظهر لأول مرة في القرن السابع عشر ولا على يد غروسيوم. أنها يعود ظهوره لعدة أسباب هي تقدم العلوم واكتشاف أراضي جديدة فالمعرفة الجديدة للطبيعة يجب أن تعترف ببعد جديد للحقوق الطبيعية. فضلاً عن ذلك أن هذا التصور الجديد للطبيعة هو في جوهرة علمانيٍّ.^٢ هنا تكون الحقوق منفصلة عن الدين والسياسة ومن ثم دور العامل الأساسي لتطور الحقوق على هذا الشكل إلا وهو العامل الاقتصادي.

كانت الحقوق في تلك الحقبة غير ملائمة مع الرأسمالية التجارية كونها إقطاعية. وعليه فانه انطلاقاً من الرأسمالية قد ساعدت مدرسة الحق الطبيعي الذي قدم لها بال مقابل التبرير العقائدي حيث بدت قوانين التجارة وكأنها قوانين الطبيعة.^٣ كانت للمنظرين الجدد وجهة نظر حول الحق الطبيعي كونه يمثل المنفعة العامة وحقوق الأفراد والحالة الطبيعية وهكذا ببرروا الطموحات القومية وقدموها للملوك الحجة في صراعهم ضد النبلاء التي كانت تتمتع بامتيازاتها^(٤).

أما بوفندورف (١٦٣٢ - ١٦٩٤) مؤرخ الملكية السويدية فقد رأى الحق الطبيعي شرع ضروري لا يتغير، استمد العقل من طبيعة الأشياء. وأن دور السلطة هو وضع القوانين التي تهدف إلى التقييد بالحق فضلاً عن ذلك اهتم بوفندورف بتحرير فلسفة القانون من الشيولوجية وقال أن قوانين الطبيعة هي ذات صلاحية مطلقة لإجبار الناس حتى صادره فضلاً عن ذلك كلمة الله الموجة.

إن المتطلع في هذا الجانب من المعرفة العملية يلاحظ ويوضح أن الأرض الخصبة لنظرية القانون الطبيعي كانت إنكلترا لاعتبارات كثيرة اقتصادية واجتماعية سياسية. ولكن الواقعتين اللتين مهدتا الأرضية لهذا المفهوم لكي يبرز قبل سنة ١٦٤٩ هما الروابط بين الدين والسياسة أو بين الطهرية والنفعية ومن ثم غياب العقيدة الثورية. أي ظهور خليط في المجتمع من الإنهازيين المحافظين يهاجم

^(٢) المصادر..

أحمد، محمد شريف، مصدر سابق ص٦.

توشار، جان، تاريخ الفكر السياسي ترجمة د. علي مقلد الدار العالمية بيروت ١٩٨١ ص٢٥٤.

الحسن، احسان محمد، رواد الفكر الاجتماعي دار الحكمة للطباعة والنشر بغداد ص٣٠٢.

توشار، جان، مصدر سابق ص٢٥٥.

ريتشارد هوكر في كتابه (السياسة الـاـكـلـيرـكـيـة) الصادر سنة ١٥٩٤ الطهرـين بـوـصـفـهـمـ يـرـفـضـونـ الخـضـوـعـ لـلـكـيـسـةـ القـائـمـةـ وـبـذـلـكـ يـحـطـمـونـ كـلـ التـزـامـ سـيـاسـيـ كـانـ هـذـاـ فـيـ زـمـنـ تـصـدـتـ فـيـ المـنـاقـشـاتـ حولـ تـوـضـيـحـ دـورـ الـكـيـسـةـ فـيـ الدـوـلـةـ الإـنـكـلـيـزـيـةـ بـعـدـ قـطـعـ الـعـلـاـقـاتـ مـعـ أـورـبـاـ.^(٣)

ظـهـرـ إـلـىـ الـوـجـودـ نـوـعـ مـنـ الطـهـرـيـةـ الرـأـسـمـالـيـةـ التـيـ تـرـبـطـ رـبـطـاـ مـحـكـماـ بـيـنـ وـاجـبـ الشـاءـ وـوـاجـبـ الـعـلـمـ مـنـ أـجـلـ خـلـاـصـ الـذـاـتـ تـزـامـنـ هـذـاـ مـعـ ذـرـوـةـ الـازـدـهـارـ الـاـقـتـصـادـيـ لـإـنـكـلـتـرـاـ.ـ فـيـ حـيـنـ وـقـتـ مـوـقـفـ الـخـذـرـ مـنـ الـشـرـوـةـ فـإـنـ الطـهـرـيـةـ الإـنـكـلـيـزـيـةـ اـسـتـطـاعـتـ أـنـ تـوـقـفـ وـتـقـرـنـ رـوحـ الـعـلـمـ وـالـحـيـاةـ الـأـخـلـاـقـيـةـ بـيـنـ الـكـسـبـ وـالـفـضـلـ،ـ بـيـنـ الـاستـثـمـارـ وـالـتـقـشـفـ.ـ وـقـالـتـ إـنـ الـرـبـحـ التـجـارـيـ هـوـ هـبـةـ مـنـ اللهـ وـإـنـ الـكـسـبـ هـوـ الدـلـالـةـ الـزـمـنـيـةـ عـلـىـ الـفـضـلـ.ـ وـالـطـهـرـيـ (ـالـبـيـورـيـاتـيـ)ـ هـوـ الـمـتـقـشـفـ عـمـلـيـاـ الـذـيـ يـحـرـزـ اـنـتـصـارـاتـهـ فـيـ سـاحـةـ الـحـربـ وـفـيـ الـمـكـتبـ وـفـيـ السـوقـ وـلـيـسـ فـيـ الـدـيرـ.^١

إـنـ الـثـوـرـةـ الـطـهـرـيـةـ (ـالـبـيـورـيـاتـيـ)ـ هـيـ نـيـجـةـ التـقـاءـ مـؤـقـتـ بـيـنـ نـزـاعـاتـ مـخـتـلـفـةـ وـمـجـمـوعـةـ ذاتـ أـهـوـاءـ مـتـعـارـضـةـ أـحيـاـنـاـ،ـ الـحـقـوقـيـونـ الـمـدـافـعـونـ عـنـ الـحـرـيـاتـ الـتـقـليـدـيـةـ أوـ الـمـتـذـرـعـونـ بـذـكـرـيـ الـعـهـدـ الـأـكـبـرـ.ـ شـهـدـتـ الـفـتـرـةـ الـوـاـقـعـةـ مـاـ بـعـدـ النـصـفـ الـأـوـلـ مـنـ هـذـاـ عـصـرـ الـكـثـيرـ مـنـ الـمـجاـلاتـ وـالـمـجاـملـاتـ وـالـمـنـاظـرـ حـوـلـ مـوـضـعـ الـمـلـكـيـةـ الـمـطـلـقـةـ التـيـ أـرـادـهـاـ الـمـلـكـ (ـجـاـكـ الـأـوـلـ)ـ وـرـفـضـهـاـ خـصـومـةـ.ـ إـلـاـ إنـ الـتـصـوـرـاتـ الـدـسـتـورـيـةـ الـمـبـكـرـةـ تـجـلتـ فـيـ مؤـلـفـ (ـسـيـرـتـوـمـاسـ سـمـثـ)ـ (ـالـجـمـهـورـيـةـ الإـنـكـلـيـزـيـةـ)ـ الـذـيـ صـدـرـ عـامـ ١٥٨٣ـ حـيـثـ يـشـيرـ فـيـ إـلـىـ دـورـ الـبـرـلـانـ،ـ الـذـيـ يـلـعـبـ دـورـ الـمـحـكـمـةـ الـعـلـيـاـ،ـ مـعـ بـقـاءـ الـمـلـكـ رـأـسـ الـنـظـامـ السـيـاسـيـ.^٢

وـكـانـ (ـفـرـنـسـيـسـ باـكـونـ)ـ baconـ مـنـ أـنـصـارـ الـإـمـتـيـازـ الـمـلـكـيـ دونـ أـنـ يـكـونـ مـنـ أـنـصـارـ الـحـكـمـ الـمـطـلـقـ.ـ بـيـنـماـ كـانـ (ـالـسـيـرـ إـدـوارـدـ كـوكـ)ـ cokeـ (ـ١٥٤٩ـ –ـ ١٦٣٤ـ)ـ هـوـ الـخـصـمـ الرـئـيـسيـ لـسـيـاسـةـ جـاـكـ الـأـوـلـ.^٣

^(٣) المصادر: ..

توشار (تاريخ الفكر السياسي) مصدر سابق ص ٢٥٧ .
نفس المصدر ص ٢٥٨ .

^(٤) المصادر: ..

Weber / max / sociology of religior _ beacon press – boston
بالـلـرـ تـارـيـخـ الـعـالـمـ الـحـدـيـثـ تـرـجـمـةـ دـ.ـ حـسـنـ عـلـىـ ذـنـونـ،ـ مـكـتـبـةـ دـارـ الـمـتـبـيـ،ـ بـغـدـادـ ١٩٦٤ـ صـ ٩٦ـ.

من العرف والعادة الشائعة common law والتي تبدو له وكأنها القانون الأساسي للمملكة وتجسيده للعقل. فالعرف يتضمن البنية الأساسية للحكومة وللحقوق الأساسية للمواطنين – إن سلطات الملك تنطلق من العرف السائد وكذلك مهمة البرلمان وحقوق وامتيازات الأنكليز. وقال إن البرلمان بالذات لا يستطيع تغيير المبادئ المحددة في العرف السائد – وفي عشية سقوط شارل الأول لم يكن في إنكلترا يومئذ أية نظرية ثورية بالمعنى الصحيح. وفي هذه الفترة ظهر (هوبز) Hobbes والذي خصص لهُ فصل كامل من هذا البحث.

كانت تلك هي الملامح الأولى لظهور ونضوج نظرية الحق والطبيعي. فلقد حاول بعض المفكرين استناداً إلى فكرة القانون الطبيعي إيجاد قانون دولي أو قانون شعوب لإدخال الأمن والنظام على الحكومات المحلية ذات السيادة، إلا كانت قد أخذت في النمو والتقدم في أوروبا منذ القرن السابع عشر. وهذا ما حاولهُ أشرنا غروسيوس وبوفندروف حيث يقرر كلاهما إن الحكومات ذات السيادة وإن لم تكن خاضعة لأي قانون وضعى أو أي سلطة عليا، يجب أن تعمل وفقاً لمصلحة المجموع. وإنهُ في حالة إنعدام السلطة الدولية العليا فإن الحكومات تبقى مع ذلك خاضعة للعقل الطبيعي والعدل ودل على ذلك ببعض المبادئ الثابتة كحرية البحار وحصانة السفراء.^١

رغم كل الإيضاحات التي وردت فإن القانون الطبيعي من المفاهيم التي يتعدر تحديدها منطقياً أو رسم معالمها بوضوح ودقة. وليس من السهل أن نقول من تتألف فلسفة القانون الطبيعي بصورة أساسية فهي تقرر أن هناك بصورة من الصور في تركيبة هذا العالم، قانوناً يميز الخير من الشر أو الصواب من الخطأ – وتقرر إن الحق والصواب أمر طبيعي وليس من اختراع الإنسان وابتداعه. وإن هذا الحق والصواب لا يتحدد في أي قطر من صفة الإلزام في المحاكم إذ إن كل هذه قد تكون جائزة وغير عادلة.^(٢)

ونحن إنما نكشف تناقضها مع العدالة بمقارنتها بالقانون الطبيعي كما نفهمه.

^١ المصادر: ..
بالمر، تاريخ العالم الحديث مصدر سابق ص ٩٧.

وهكذا نستطيع القول إن سلطة أي فرد أو شعب لا تستطيع أن تجعل من القانون الذي تفرضه أو تشرعه قانوناً طبيعياً أو موافقاً لعين الحق والصواب.

فلا يستطيع أي ملك أن يجعل من الخطأ صواباً ولا يقدر أي شعب بإرادته كشعب، أن يجعل الظلم عدلاً فالحق والقانون بمعناهما النهائي كائنان خارج جميع الشعوب وفوقهما فهما عالميان ومتساويان بالنسبة للجميع ولا يستطيع أي شخص أن يكيفهما وفق هواه. مع ذلك، فإن من الممكن نتلمس في القانون الطبيعي بعض المفاهيم الثابتة.

١. يعتبر القانون الطبيعي ذريعة يلجأ إليها الجانب الضعيف من أطراف العلاقة الاجتماعية والسياسية لتبرير الثورة على واقعه المختلف ثقافياً أو حضارياً أو اقتصادياً أو سياسياً كما يعتبر ذريعة قانونية طالما لجأ إليها فقهاء الغرب قدّيماً وحديثاً عند التحسس بقصور تشريعهم الوضعي عن الوفاء بمتطلبات إصدار القرارات العادلة في القضايا التي طرحت أمامهم.

٢. يعتبر القانون الطبيعي المثل الأعلى للقانون الذي يسمى على القانون الوضعي المنطبق فعلاً والذي كثيراً ما ذاقت منه البشرية الأمرين.

٣. تهدف فكرته إلى رسم النظام العالمي الذي يحكم الإنسان أولاً، وإلى تمجيد الحقوق الثابتة للأفراد والتي تدعى بالحقوق الطبيعية للإنسان والتي لا تقبل التجزئة أولاً والاغتصاب ثانياً.

إن فكرة القانون الطبيعي تعني وجود قواعد قانونية أسبق وأعلى من القانون الوضعي خالدة ثابتة تصح في الزمان والمكان وإن ما يميز القانون الطبيعي هو الموضوعية والثانية، فهو لا يدين بوجوده لإرادة المشرع، كما إنه قانون مستقل عن القانون الوضعي وهو أعلى منه.^٧

ومهما يكن، فإنه إلى جانب الحكومات المستبدة المطلقة، كان يقف مذهب الحق المقدس للملوك وفي جانب الحكومات الدستورية كانت تقف الحجج التي تستند إلى الوراثة أو العرف والتي تؤكد في عهد ومراسيم الأزمان السابقة ومواثيقها وعلى القوى التاريخية للبرلمانات وللمجالس المحلية. ولم تكن الحاجة المخالفة للطبيعة في تبرير الحق المقدس ولا الحاجة التاريخية التي تعتمد على

^٧) المصادر: ..
بالي، تاريخ العالم الحديث مصدر سابق ص .٩٧

حريات القرون الوسطى ، لم تكن كل منها مقبولة تماماً في الجو العلمي الذي شاع في القرن السابع عشر فقد قام توماس هوبز بتبرير فلسفة الحكم المطلق. وقام جون لووك بتبرير نظام الحكم الدستوري. وقام روسو بتبرير نظام حكم الشعب.^٧

الفصل الثاني

توماس هوبز والعقد الاجتماعي

أولاً: - حياته /

ولد توماس هوبز في إنكلترا عام ١٥٨٨ ودخل أكسفورد وهو في الخامسة عشرة ، ومكث بها خمس سنوات يتلقى المنطق المدرسي والطبيعيات دون كبير اهتمام. ثم أخذ يطالع الآداب القديمة وبخاصة المؤرخون والشعراء.

و عمل في خدمة (بيكون) كاتباً لسره ومعاوناً له في نقل مؤلفاته إلى اللاتينية وفي سنة ١٦٢٩ نشر ترجمة لتاريخ (توكيديد) حيث تبدو الديقراطية سخيفة أشد السخف على حد قوله .
ولم يكتب شيئاً في الفلسفة حتى بلغ سن الأربعين .

سافر إلى فرنسا وأقام بها سنتين (١٦٢٩ - ١٦٣١) فعرف فيها مبادئ أقليدس. ولم يكن درس الرياضيات من قبل . وأعجب بالمنهج القياسي وعول على إصطناعه . ثم عاد مرة أخرى إلى باريس فقوبل بالأوساط العلمية الباريسية باعتباره فيلسوفاً مذكوراً^(٨).

اتضحت معالم فلسفة هوبز عام ١٦٤٠ خلال نشره كتاب (مبادئ القانون الطبيعي السياسي) ، بعدها بعشرين سنة نشر هوبز كتاب (لاإوثيان) أو المجتمع الكنيسي والموثي مادته وصوره وسلطه . ولاإوثيان هو التنين الهائل المذكور في سفر أيوب ويقصد به هوبز الحكم المطلق .

^٧) المصادر : ..

بالمر، تاريخ العالم الحديث ، مصدر سابق ص .٩٧

^٨) المصادر : ..

كرم، يوسف ، تاريخ الفلسفة الحديثة ، دار المعرف ، مصر ١٩٥٧ ص .٥٠

تأثرت فلسفة هوبيز بالثورة البرجوازية في القرن السابع عشر، فمن خلالها يرى البعض إن هوبيز فيلسوفاً مادياً إنكليزياً. فضلاً عن ذلك كان هوبيز معلماً للملك شارل الأول، وقد دافع في كتابه المشار إليه (لاؤثيان) عن الحكم المطلق وكان يؤيد بذلك حكم آل ستيوارت في إنكلترا.^١

ثانياً: أراءه في العقد الاجتماعي /

يرى هوبيز في كتابه (لاؤثيان - التنين) إن الناس بطبعهم أنانيون تماماً يلتسمون بقائمهم وسلطاتهم والحصول على القوة. ولقد قال هوبيز بحياة فطرية سابقة عن نشأة الجماعة، ولكنها حياة فوضى وصراع أظطر الأفراد معها على التعاقد لإنشاء الجماعة السياسية وهذا التعاقد تم فيما بينهم واختاروا بمقتضاه حاكماً لم يكن طرفاً في العقد ولم يرتبط لذلك تجاههم بشئ، وخصوصاً إن الأفراد تنزلوا بالعقد عن جميع حقوقهم الطبيعية. وترتب على ذلك أن السلطان الحاكم غير مقيد بشيء وهو الذي يضع القوانين ويعدها حسب مشيئته وانتهى إلى تفضيل النظام الملكي على النظمتين الأرستقراطي والشعبي.^(٩)

يرى هوبيز إن مسيرة الإنسان كلها قائمة على غريزة حب البقاء ويعتقد إن من الخطأ الاعتقاد بغرizia الاجتماعية تحمل الإنسان على الإجماع والتعاون. وإنما الأصل أو (الحالة الطبيعية) إن الإنسان ذئب للإنسان وإن الكل في حرب ضد الكل.

فضلاً على ذلك، وينذهب إلى القول بأن الحاجة استشعار القوة يحملان الفرد على الاستئثار بأكثر ما يستطيع الظفر به من خيرات الأرض وإن أعزتهُ القوة لجأ إلى الحيلة، يشهد بذلك ما تعلمُهُ عن أجدادنا البربرية وعن المتوحشين وما تتخذه جمِيعاً من تدابير الحيطة وأساليب العداون، وما نراه في علاقات الدول بعضها ببعض، ما تصنعته الحضارة تحجب العداون بشعار (الأدب) وأن تستبدل العنف المادي بالنعمة والإفتراء، والانتقام والقانون.^١

^(٩) المصادر: ..
كرم، يوسف، تاريخ الفلسفة الحديثة، دار المعرفة مصر ١٩٥٧ ط ١ ص ٥٠
وينجري، ألبان ج، التاريخ وكيف يفسرون، ترجمة عبد العزيز توفيق، الهيئة المصرية للكتاب، مصر ١٩٧٢ ص ٣٥

كانت تجربة الحرب الأهلية الإنكليزية عام (١٦٤٠) قد جعلت هوبز يستنتاج إن الناس لا يملكون القدرة على حكم أنفسهم أو الحكم الذاتي، وكان يرى أن الناس في حالتهم الطبيعية، أو كما تخيل وجودهم من غير حكومة، كانوا في حالة خصام وفوضى وهياج على الدوام في حروبهم بعضهم مع البعض الآخر ولقد عبر عن ذلك بقوله (إن الحياة في حالة الفطرة والطبيعة كانت مفقرة، كريهة، قصيرة).

لقد توصل الناس، تخلصاً من الخوف المستحوذ عليهم من بعضهم البعض، ورغبة منهم في الحصول على النظام والأمن والتمتع بمزايا القانون والحق، إن نوع من الإتفاق أو العقد تنازلوا بمقتضاه عن حريةهم في العمل وأوكلوها إلى يد الحاكم. وكان من الضروري أن يملك هذا الحاكم سلطة مطلقة غير مقيدة إذ وحده يستطيع حفظ النظام^(١).

وهكذا كان هوبز يدافع عن الحكم المطلق، ولكن ليس باسم الحق الإلهي للملوك، بل باسم مصلحة الأفراد وبقاء السلم. انه يجعل الحكم دنيوياً ويدل على منفعته.

اعتبر هوبز من خلال مؤلفة (لوثيان - التنين) داعية الحكم العلماني المطلق وأحد أعلام أصحاب نظريات السلطة المطلقة للدولة. وكان أثره عظيماً على المفكرين اللاحقين إذ صار جميع المشغلين بالنظريات السياسية وبعده يعدون الحكومة خلفة أغراض الإنسان ومصالحة.

ولم تعد الحكومة جزءاً من نفحة إلهية مقدسة إذا استثنينا عامة الناس المحترفين من علماء اللاهوت. وقد أثر هوبز تأثيراً سلبياً على من أعقبه من رجال الفكر بما ساقه من حجج تبرر السيادة المطلقة حيث أجبرهم على تنفيذ رأية في السلطة المطلقة غير المحدودة.^١

في هذه الفترة لابد من التمييز بين عدة مراتب في تاريخ الحكم.

أولاً : - الحالة الطبيعية، وهي بالنسبة لهوبز حالة حرب وفوضى إن الناس هنا متساوون بالطبيعة. وعن المساواة ينبع الحذر، وعن الحذر تنشأ الحرب بين الناس. الحياة عزلة فقيرة، حيوانية

(١) المصادر: ..

كرم، يوسف، تاريخ الفلسفة الحديثة، مصدر سابق ص ٤٥
بالمر، تاريخ أوروبا الحديث، مصدر سابق ص ٩٩.

وقصيرة ومفهوم العادل الجائز لا وجود له. وكذلك الملكية أيضاً. إن هوبز يقع في تناقض هنا إذ يعارض الحق الطبيعي.

ثانياً : - ومع كل هذا، يوجد حق طبيعي وقوانين طبيعية، ولكن هذه المفاهيم ليس لها عنده نفس المدلول الموجود عند منظري الحق الطبيعي يرى هوبز انه في حالة (الطبيعة) حيث يكون كل إنسان عدواً لكل إنسان، ليس هناك مكان للعمل الكادح ، لأن ثمرة ذلك غير محققة. (٢)

ونتيجة لهذا لن يكون هناك فلاحة للتربية ولا ملاحة ولا بناء مريح ولا معرفة ولا فنون ولا آداب.

ولكن الناس أحرزوا، بعد ذلك، ما في أيديهم من الخيرات بقبولهم فكرة هيمنة الحكومة بحيث أصبحوا يتقبلون تلك الحكومة ويواصلون العمل بها كأنما هناك عقد اجتماعي فيما بينهم، دون أن يكون موجوداً في الواقع.^١

أما حق الطبيعة فإنه يتصل إلى غريزة البقاء.. حرية الفرد في استعمال قدرته الذاتية كما يشاء من أجل حفظ طبيعته الذاتية أي حفظ حياته الخاصة.

أما القانون الطبيعي فهو حكمة أو قاعدة عامة مكتشفة من قبل العقل. ومن أجل تأمين السلم والأمن، ليس في يد الناس وسيلة أفضل من إقامة عقد فيما بينهم ثم تسليم الدولة بالاتفاق المتبادل الحقوق التي إذا احتفظ الأفراد بها أعاقة سلم البشرية.

على كل حال، كانت حجج هوبز، من بعض الوجوه غير كافية لدعم الملوك المستبددين، لقد كره هوبز الخصم وأعمال العنف وكان دفاعه عن الحكم المطلق قائماً على الحاجة إلى هذا النظام لتوفير السلام الداخلي وطمأنينة الأفراد وسيادة القانون. قرر كذلك أن السلطة المطلقة اعتمدت على اتفاق اختياري عقلي قبلها الشعب بمقتضاه وان الحكومة المطلقة التي تخرج عن شروط هذا

الاتفاق خروجاً صريحاً واضحاً يصعب تبريرها حتى وفقاً لتعاليم ومبادئ هوبز. ومن هنا يختلف هوبز عن أنصار الحكم المطلق في أيامنا هذه.^{١١}

يرى هوبز أن المجتمع السياسي ليس واقعة طبيعية، انه بالنسبة إليه الشمرة الاصطناعية لميثاق إرادى وحساب مصلحى. كما ويرى أن السيادة تقوم على عقد. ومع ذلك فليس أمر عقدين الملك ورعايته، بل بين الأفراد الذين قرروا أن يكون لهم ملك. وهو بذلك من أن يحد السيادة يؤسستها على عقد. ثم ان العقد، في الأصل يخلق الرغبة في السلم وهذا بمثابة هم أساسى عند هوبز، في النهاية إن الواقع والهدف عند الذي يتخلى عن حقه أو يحوله ليس أمنه الشخصي في حياته وفي وسائل حفظ هذا الأمن.

هكذا تبدو الدولة كشخص (تعديدية) تكون شخصاً واحداً عندما تمثل بإنسان واحد أو بشخص واحد.

شرط أن يتم ذلك برضى كل فرد وبصورة خاصة يرضي كل الذين يتكونون منهم هذا الشخص ويرى هوبز ان الدولة مجموعة المصالح الخاصة. وعليها أن تدافع عن المواطن وهذا المواطن لا يتخلى عن حقوقه للدولة إلا من أجل حمايته والدولة تفقد مبرر وجودها إذا لم تأمن الأمن وإذا لم تحترم الطاعة. إن أي سلطة روحية لا تستطيع أن تعارض الدولة وليس بمقدور أحد أن يخدم سيدين. والملك ليس فقط أداة الدولة بكل كنيته، انه أيضاً يمسك باليد اليمنى (السيف) وباليد اليسرى عصا الأسقفية وهكذا تثبت قدرة الدولة وأيضاً وحدتها ولا مكان للأجسام الوسيطة أو الأحزاب أو التكتلات. وحول هذه النقطة يسبق هوبز الفيلسوف الفرنسي جان جاك روسو.^{١٢}

ولا ينفك هوبز يعتقد فعل السلطات. وهو يدعم بقوة أطروحة السيادة المطلقة. ليس للملك أي قيد خارجي يحد من سلطته.

^{١١} المصادر: -

وبد جيري، التاريخ وكيف يفسرون، مصدر سابق ص ١٣٥ .

^{١٢} المصادر: -

توشار، تاريخ الفكر السياسي، مصدر سابق ص ٢٦٣ .

المصدر نفسه ص ٢٦٤ .

ان أخلاقية هوبرز تقوم على اعتبارات منفعة. وهذه الأخلاقية ثابتة – وهي لا تدين بشيء للايمان المسيحي ، ولا للولاء للملك ، ولا بشيء للرغبة في حفظ المؤسسات أو المحافظة على المصالح المرتبطة بالملكية. يعتقد هوبرز أنه في الدولة الأكثر سلطاناً يعرف الفرد أكمل تطوره. أنه يجد فيها مصلحته وسعادته ولذته ورفاهيته.^١

كانت سياسة هوبرز في أعماقها عقلانية. وكانت مركزة على ثقافة علمية وكانت تعتبر السياسة عملاً يجب تركيزه على المفاهيم العادلة وعلى التعاريف الدقيقة. وكانت فلسفته وسياساته مناوئة للأرسقية وهو يرفض الإيمان بالفكرة الفطرية الطبيعية وكان يؤكد على أهمية التعاريف والحدود والاشارات واللغة ((لو لا اللغة لما كان بين الناس دولة ومجتمع وعقد وسلم)).

كان هوبرز يرفض اللجوء إلى ما هو فوق الطبيعي. وكل مؤلفاته هي محاربة ضد الأشباح وجهد للقضاء على القوى الخفية. ونهاية ((التنين)) هي في هذا الشأن ملقة إلى أقصى حد. وربما يكمن هنا مفتاح العمل كله.

ينتقد هوبرز في الفصل الأخير من كتابه هذا (لوثيان - التنين) والذي يقع تحت عنوان (ملكة الظلمات) علم الشياطين ، والعزائم والرقيات والخوف من الشيطان ، والأرباح التي يجنيها الكهنوت (رجال الدين) عن ذلك.

إن القلق البشري هو في أساس الدين ((إن الخشية من قوى خفية، سواء كانت وهما من الفكر أو تصوراً مأخوذاً عن العادات المقبولة عموماً)) هو الدين.^{١٢}

ولكن الطبيعة الإنسانية تشتمل على العقل إلى جانب الهوى. والعقل المستقيم يحمل الناس على التماس وسائل لحفظ بقائهم أفضل من التي يتوصل إليها الفرد ويجهد وحده. والناس يستكشفون أن البالية عامة وأنه يمكن تلافيها بوسائل عامة فتبنت أول وأهم قاعدة خلقية وهي طلب السلم، فإن لم تفلح في تحقيقه وجب التوسل للحرب. وشرط السلم أن يتنازل كل فرد عن

^{١٢} المصادر :-

توضيار ، تاريخ الفكر السياسي ص ٢٦٠
المصدر نفسه ص ٢٦١

حقه المطلق في حال الطبيعة فيتازل الأفراد عنه صراحة أو ضمناً إلى سلطة مركبة. وقد تكون فرداً أو هيئة تجمع بين يديها جميع الحقوق وتعمل الخير للشعب وتحمل الحياة السياسية محل حال الطبيعة.^١

هذا التعاقد يلزم وجوب الصدق والأمانة وعرفان الجميل والتسامح والإنصاف والشراكة فيما يتعدى اقتسامه، وفض الخلافات بالتحكيم. وبالجملة تلزم قواعد تلخص في العبارة المأثورة ((لا تصنع بالغير مالا تريد أن يصنع الغير بك)).

لذا كان القانون الخلقي الطبيعي إرادة الله الذي وهبنا العقل السليم وليس يكفي طاعة القواعد ظاهراً بل يجب طاعتها لذاتها والتشبع بها فإن القانون الخلقي يقيد الإنسان أمام ضميره وكل هذا معقول.

ولكن هوبر لا يصل إليه بالعدل عن الطبيعة الحسية إلى العقل السليم وليس العقل السليم مما يعترف به المذهب المادي كقوة خاصة لها قيمة خاصة.

ويجب أن تكون السلطة العامة مطلقة قوية إلى أبعد حد بحيث لا يعود الفرد بازائتها شيئاً مذكوراً، ويكون واجب الخضوع المطلق، والا عدنا إلى الخصم والتباذد.^{١٤}

في الواقع يمتنع حد السلطة السياسية. وهذا الحد يعني الاعتراف بالسلطة المطلقة للفرد أو الأفراد المخول إليهم حق مؤاخذة الحكومة أو خلعها. والملكية هي خير أشكال الحكومة. ومن مزاياها أن واحداً فقط قد يجاوز العدل وسيء الحكم. وأنها تغنى عن المنازعات الخنزيرية وتتصون أسرار الدولة. أما الديقراطية فما هي إلا أرستقراطية خطباء.

بعدها يرى هوبر دين الدولة واجب محروم على كل مواطن. والدين بالإجمال ظاهرة طبيعية وهو ليس فلسفه ولكن شريعة لا تحمل المناقشة بل تقضي الطاعة. وإلى هذا الحد من الإستبداد يذهب هوبر وكأنه أراد أن يدعم الحكم المطلق بأن يجعل منه حكم القانون الطبيعي.

^{١٤} المصدر: -
كرم، يوسف، تاريخ الفلسفة الحديثة، مصدر سابق ص ٥١
المصدر نفسه ص ٥٥

لقد أحال مكان واقعاً في بلاده إلى نظرية فلسفية.

الفصل الثالث

جون لوك والعقد الاجتماعي (١٦٣٢-١٧٠٤)

أولاً/ حياته

ولد جون لوك في إنكلترا عام ١٦٣٢ في منطقة بالقرب من بريستول. كان أبوه محامياً خاصاً غمار الحرب الأهلية دفاعاً عن البرلمان / فنشأ الابن على حب الحرية، وظل متعلقاً بها إلى آخر حياته دخل أول مرة في مدرسة ((وستمنستر)) ومكث بها ستة سنين تلقى اللغات ولما بلغ العشرين دخل أكسفورد وقضى بها ست سنين يتابع الدراسات المؤدية إلى الكهنوت.

لكنه لم يهتم بالفلسفة ألا حين قرأ ديكارت وجساندي. درس الطب ونشر رسالة في التشريح سنة ١٦٨٨ وانتخب عضواً في الجمعية الملكية. اضطربه التزاع بين حزب البرلمان وشارل الأول إلى مغادرة إنكلترا فقدم إلى فرنسا مرتين ١٦٧٢ ، ١٦٧٥ ثم ذهب إلى هولندا سنة ١٦٨٣ حتى نشوب ثورة ١٦٨٨ عاد إلى وطنه في السنة التالية فعرض عليه الملك الجديد السفاراة لدى براند ينورغ فطلب إعفاءه بسبب حالته الصحية. ثم اعتزل الخدمة وفي هذا الشطر من حياته ساهم في جميع الحركات الفكرية التي كان يotropic بها عصره وصنف بها كتاباً هي ((رسالة إلى الأكليروس)) و((خواطر في الجمهورية الرومانية)).

و((في التسامح)) و((الحكومة المدنية)) و((خواطر في التربية)).^١ وكانت شهرته قد ازدادت حتى عرفت أوروبا كلها أنه ينصر الحرية.

كان لوك فيلسوف وطبيباً ينتهي إلى عائلة طهيرية (بيوريتانية) ذات منشأ متواضع.

ثانياً: اراء في العقد الاجتماعي

ينطلق لوك من فكرة مفادها أن الإنسان يولد وعقله على الفطرة ثم تجيء خبرته فتصبح الفطرة مكونة بذلك مصدر معرفته أي أنه ينكر فطرية الأفكار في العقل الإنساني ومadam الناس يولدون بلا مورثات عقلية، فهم سواسية لا يفرق بينهم إلا نوع تربيتهم.

يعتبر لوكا أحد مؤسسي المذهب الحر الجديد. فهو يعارض هوبيز في تصويره الإنسان قوة غاشمة، وتصوره حال الطبيعة حال توحشى يسود فيها قانون الأقوى – ويذهب إلى أن للإنسان حقوق مطلقة لا يخلقها المجتمع، وإن حال الطبيعة تقوم في الحرية، أي أن العلاقة الطبيعية بين الناس علاقة كائن بقائمه حر تؤدي إلى المساواة. والعلاقة الطبيعية باقية بغض النظر عن العرف الاجتماعي، وهي تقيم بين الناس مجتمعاً طبيعياً سابقاً على المجتمع المدني وقانوناً طبيعياً سابقاً على القانون المدني.

وعلى ذلك ليس لأحد حق فيما يزعم هوبيز، ولكن حقوقهم ينحصر في تنمية حريةتهم والدفاع عنها وعن كل ما يلزم منها حقوق مثل حق الملكية وحق الحرية الشخصية وحق الدفاع عنهم. إن لوک بعكس هوبيز يرى أن الملكية الخاصة موجودة في حال الطبيعة، وإنها سابقة للمجتمع المدني وهذه النظرية حول الملكية تحمل عند لوک مكانة كبيرة.

إن حق الملكية حق طبيعي يقوم على العمل ومقدار العمل لا على الحيازة أو القانون الوضعي وليس حق فيما يكسبه المرء بتعبه ومهاراته ولا تصبح الحيازة حقاً إلا إذا استلزمت العمل. على أن حق الملكية خاضع لشرطين الأول أن المالك لا يدع ملكيته تتلف أو تهلك والثاني أن يدع لآخرين ما يكفيهم.

يرى لوک أن الإنسان ((الحادق العاقل)) وليس الطبيعة، في أساس كل ماله قيمة تقريباً إذ أن الملكية الطبيعية (خيرة) ليست بالنسبة للمالك ولكن بالنسبة إلى كل البشرية. من يمتلك أرضاً بعمله لا ينقص بل يزيد بالموارد المشتركة للجنس البشري. ان أكبر سعادة تقوم لا على التمتع بالملذات الكبرى بل على تملك الأشياء التي تعطي أكبر السعادات، وهو بهذا يعرف ((المتعة الرأسمالية)) على حد تعبير ((ليوستروس)). ومن أجل ضمان الملكية يخرج الناس من الحالة الطبيعية ويكونون مجتمعاً مدنياً غايته الأساسية الحفاظ على الملكية، ويقول ((لوک)) كل حكومة لا غاية لها غير الحفاظ على الملكية من خلال الإرادة والتشريع لا الحكم.^١

إن القوانين والقضاء والشرطة هي التي يحتاج إليها الناس في حالة الطبيعة. وهذا ما تجلبه لهم الحكومة المدنية والحكم السياسي إذا هو نوع من الوديعة سلمه مالكون إلى مالكين. والحكام إداريون في خدمة الجماعة ومهتمهم تقوم على تأمين الراحة والإزهار.

يتفق لوك مع هوبيز بالقول إن الحكومة الصالحة هي إحدى ذرائع العقد البشري لا يختص بها إقليم مقدس أو تورث بالتقاليد والعادات القوية. إن الدولة قامت على أساس من عقد أو اتفاق واع بين الحاكم والمحكوم وقد التزم لوك على خلاف هوبيز، جانب البرلمان ضد الملك في صراع في الأمور السياسية، وأيضاً على خلاف هوبيز أن الناس في حالة الفطرة الطبيعية عقلاء حسناً التصرف يرغبون في التعاون مع الآخرين على الرغم من أن فقدان السلطة خلق منهم القوي والضعف. وللناس كذلك إحساس خلقي مستقل عن الحكومة ومنفصل عنها، وهم يملكون بمثابة الطبيعة حقوقاً معينة لا علاقة لها بوجود الدولة مطلقاً، وهذه الحقوق هي حق الحياة والحرية والتملك^{١٥}

في نظريته عن سلطة الدولة والقانون، يضع لوك فكرة الإنقال من الحالة الطبيعية إلى الحالة المدنية والأشكال المختلفة للحكومة. وعنه إن الغرض من الدولة هو الحفاظ على الحرية والملكية اللتين تكتسبان عن طريق العمل. ومن ثم فإن الحكومة لا يجوز أن تكون تعسفية. وهذا يقسمها إلى تشريعية وتنفيذية وتحادية. وقد كانت نظريته في الدولة محاولة لتكيف النظرية مع الشكل السياسي للحكومة اللذين اتخذتا في إنجلترا نتيجة الثورة البرجوازية. إن لوك يرى الناس في حالة طبيعية ليسوا كلهم قادرين على أن يحملوا الجميع على� إحترام حقوقهم الطبيعية ولا يستطيع مجدهم الخاص حماية ما يعود إليهم أي حماية ملكيتهم لهذا إنفقوا في ما بينهم على إقامة حكومة تلزم الناس بالمحافظة على إحترام حقوق الجميع. وهكذا نشأت الحكومة بمقتضى عقد ولكنه ليس عقداً غير مشروط كما ذهب إلى ذلك هوبيز.

وإنما يفرض التزامات متناسبة. فينبعي على الشعب أن يكون عاقلاً مدركاً.

فالمخلوقات العاقلة وحدها تستحق الحرية السياسية.

هذا العقد يفرض على الحكومة بعض الشروط والالتزامات.

^{١٥} المصادر:

عمر، معن خليل، علم إجتماع التنظيم، دار الحرية، بغداد ١٩٨٨ ص ٧٢

فإذا ما خرجت حكومة ما عن أحكام العقد وهددت الحقوق الطبيعية فإنه يكون من حق المحكوم في هذه الحالة أن يعيد اللننظر في ما أقدم عليه من خلق هذه الحكومة وله عند الضرورة القصوى أن يثور عليها.

يرى لوك إن للمحكومين أن يثوروا إذا ما سلبت السلطة الحقوق الطبيعية وخصوصاً الحرية والملكية الفردية لكن استعمال حق المقاومة في نظره لا يهدف إلى تحقيق الألماني الشعيبة بل إلى الدفاع عن النظام العام.

ونظرية لوك هنا مستمدّة من مصادر محافظة.^{١٦}

والاعتراف بحق المقاومة حر ووسيلة لحمل الأخير على التفكير تسمح بإبعاد خطر الثورة الشعبية ولا تشكل مطلقاً دعوة إلى العصيان.

إن معنى الحرية الشخصية عند لوك هو أنه ليس هناك سيادة طبيعية لأحد على الآخر. إن سلطة الأب أعطيت له لكي يربى الإبن ويجعل منه إنساناً أي كائناً حراً. فهي واجب طبيعي أكثر منه سلطة وهي مؤقتة ولا تشبه في شيء سلطة السيد على العبد، وتفقد بسوء الاستعمال والتقصير. إن السلطة السياسية تراضي مشترك وعقد إداري، ذلك لأن أعضاء المجتمع متتساوون عقلاً وحديّة بخلاف الحال في علاقة الآباء والأبناء. فأساس المجتمع الحرية، والغرض من العقد الاجتماعي صيانة الحقوق الطبيعية لا محوها مصلحة الحاكم كما يزعم هوبرز، فلا يستطيع الأعضاء أن يتنازلوا إلا عمّا يتنافر في حقوقهم في حالة الاجتماع، ذلك هو حق الإخلاص. فالسلطة المدنية قضائية في جوهرها. لذلك لم تكن السلطة المطلقة الغاشمة مشروعة وإنما هي محض استعباد. والملك المستعبد خائن للعهد، والشعب في حلّ من ذلك.

إن فكرة السياسي عند لوك فكر علماني، وهو يفصل بين الزمن والروح، ويرى إن الآراء الدينية تتمتع بحق مطلق وشامل بالسماحة.

^{١٦} المصادر:-

الموسوعة الفلسفية، معهد الإنماء العربي، بيروت، ط ١٩٨٨ ص ١٢٦٠

الواقع أن لوك لم يكن ثورياً رغم كونه منظراً ثورة. وكان يحذر من السيادة الشعبية كما يحذر من الملكية المطلقة، وكان همه الرئيسي النظام والأمن.

كانت فلسفة لوك بمثابة هجوم كبير على التقاليد والحكم التعسفي والسلطان الكنائسي بقدر ما كانت هذه الأشياء تدعم النظام القديم، ذلك النظام الذي هزم للمرة الأولى في عام ١٦٤٠ كما هزم من جديد في عام ١٦٨٨.^{١٧}

كانت فلسفته فلسفة الطبقة الوسطى النامية التي اصطدمت اصطداماً مريضاً باسرة ستيبورن المالكة بالمجتمع الإرستقراطي وبرجال الدين كانت فلسفته تكافح من أجل الحصول على قدر من الحريات السياسية والاقتصادية من أجل حكومة دستورية، من أجل التسامح الديني.

كان ماعمله لوك هو تحويل إحدى الحوادث الهامة في التاريخ الانكليزي إلى حادثة ذات مغزى عالمي واستطاع بعض كبار اللوردات في إنكلترا عام ١٦٨٨ ، بعد أن نالوا مؤازرة الكنيسة الرسمية والأعيان والتجار، أن يزبحوا ملكاً ((جيمس الثاني)) ويقيموا مكانه ملكاً آخر وفرضوا على الملك الجديد بعض الالتزامات التي نصت عليها (وثيقة اعلان الحقوق) والتي تتصل كلها بالتفسير القانوني أو الفني للدستور.

وضع لوك، بإقامته الحجة على أن البرلمان تصرف تصرفاً صائباً عند طرد جيمس الثاني، المسألة على أساس من العقل الطبيعي والفطرة الإنسانية^{١٨}.

^{١٧} المصادر :-

بالم، تاريخ أوروبا الحديث ، مصدر سابق ص ١٤٦
جون لويس ، مدخل إلى الفلسفة ، ترجمة أنور عبد الملك ، دار الحقيقة بيروت ، ط ١٩٧٣ ١ .

^{١٨} المصادر :-

بالم، تاريخ أوروبا الحديث ، مصدر سابق ص ١٠٣
الموسوعة الفلسفية ، المجلد الثاني ، معهد الإنماء العربي ، ط ١ ، ١٩٨٨ ، ص ١١٥٦

الفصل الرابع

جان جاك روسو والعقد الاجتماعي (١٧١٢-١٧٧٨)

حياته:

ولد جان جاك روسو jean – Jacques rousseau في جنيف من أسرة فرنسية، احترف في أول حياته مختلف الحرف، لكنه عرف بعض الاستقرار في مدينة سافوي فاستطاع أن يتعلم الموسيقى واللاتينية والفلسفة، ثم ذهب إلى مدينة البندقية حيث أصبح كاتباً لسفير فرنسا فيها وعاد إلى باريس وهو في الثالثة والثلاثين. في باريس اتصل (بريد رو) المفكر الفرنسي وكتب في موسوعته الجزء الخاص بالموسيقى.

في صيف ١٧٤٩ قرأ إحدى الصحف إن أكاديمية ديجون تعرض للمسابقة هذه المسألة، هل تعاونت الفنون والعلوم على تصفية الأخلاق؟ فشرع يكتب على الفور في هذا الموضوع وقدم للأكاديمية ما كتب وأحرز الجائزة.

كان هذا هو أول الطريق إلى شهرته العالمية. ثم أعلنت الأكاديمية إنها تضع للمسابقة هذا الموضوع (ما منبع تفاوت المراتب بين الناس)؟ وهل يقره القانون الطبيعي؟ فعقد العزم على الكتابة وأخرج كتابه الثاني (مقال في أصل التفاوت بين الناس)؟ وهل يقره القانون الطبيعي؟ فعقد العزم على الكتابة وأخرج كتابه الثاني (مقال في أصل التفاوت بين الناس) ولكن له يحصل على الجائزة ونشر الكتاب عام ١٥٧٤ ، وبعد ثمان سنوات (١٧٦٢) أخرج كتابين (العقد الاجتماعي) (في التربية) فأنكره السلطات الباريسية الكتاب الثاني وهمت بإعتقاله ففر إلى سويسرا ثم لجأ إلى النكلترا وسمع له أخيراً بالعودة على فرنسا حيث عاد وقضى بقية أيامه بحالة مضطربة.

آراء في العقد الاجتماعي:-

يرى روسو إن الإنسان طبيعي لا هو بالخير ولا هو بالشرير، وإن المساواة بين الناس قد زالت بظهور الزراعة والصناعة والملكية. إن القوانين قد شرعت لتشييد قوة الظالم على المظلوم، والناس

يستطيعون تحقيق شيء من الحرية المدنية بدخولهم في تعاقد اجتماعي يجعل السيادة للمجتمع بأسره بحيث لا يجوز النزول عنها لأحد.

يفترض روسو إن الإنسان كان متواحداً في الغالب لا يعرف أهله ولعله لم يكن يعرف أولاده ولا لغة له ولا صناعة ولا فضيلة ولا رذيلة من حيث أنه لم يكن له مع أفراد نوعه أي علاقة يمكن أن تكون علاقة خلقية كان حاصلاً بسهولة على وسائل إرضاء حاجاته الطبيعية ولم يصاب إلا بالقليل من الأمراض قلماً كان يحتاج إلى الأدوية لأن الصحة إنما تعتمد بالإسراف في المعيشة وبالميلول المصطنعة وما ينتج عنها من اجهاد جسمى وعقلى.^١ يرى روسو أن الحرية هي التي تميز الإنسان أكثر من الفهم (الموجود في الحيوان إلى حد ما) ويقول إن الحيوان ينقاد لدافع الطبيعة ولكن الإنسان يرى نفسه حرّاً في الانقياد له أو مقاومته. ويعتقد روسو أن هوبيز قد أخطأ في قوله أن حالة الطبيعة تميز بالطبع والكبرباء، فإن هاتين العاطفتين لا تتشابهان إلاّ في حالة الإجتماعية، فالإنسان المتواحد كان كاملاً سعيداً لأن حاجاته قليلة.

ييدر هذا التساؤل عن كيفية خروج الإنسان من هذه الحالة؟ خرج الإنسان منها اتفاقاً بأن عرضت له أولاً أسباب طبيعة كالجذب والبرد والقيظ اضطرته إلى التعاون مع غيره من أبناء نوعه... تعاوناً^{١٩} موقتاً كان الغرض منه صيد الحيوان... ثم اضطربتهم الفيضانات والزلزال إلى الإجتماعية بصفة مستديمة فاخترعت اللغة فتغير السلوك ويرز الحسد.

إن هذا الإجتماعية بنوعيه، المؤقت والمستديم، يمثل في رأي روسو، حالة التوحش الخالية من القوانين وليس فيها ردع سوى خوف الإنقمام ولكن تطور حياة الإنسان واتساع ضروراتها أدى إلى نشوء حالة مدنية منظمة بالقوانين ثبتت الملكية ويتوطد التفاوت بين الناس. وهكذا يتحول الإنسان الطيب بالطبع إلى شرير بالاجتماع.

إن الاجتماع قد أصحي ضرورياً ومن العبث فضه والعودة إلى حالة الطبيعة.^١

^{١٩} المصادر:-
كرم، يوسف، تاريخ الفلسفة الحديثة، مصدر سابق ص ١٩٤

وكل ما تستطيع صنعه هو أن تصلح مفاسده بأن تقيم الحكومة الصالحة وتهيئ لها بترية المواطنين الصالحين. فمن الوجهة الأولى تعود المسألة إلى إيجاد ضرب من الإتحاد يحمي بقوة المجتمع شخص كل عضو وحقوقه ويسمح للكل وهو متحد بالكل بأن لا يخضع إلا لنفسه وبأن تبقى له الحرية التي كان يتمتع بها من قبل. لم تكن ملكية الأرض مضمونة بما فيه الكفاية. وكان لابد من تدبر وسائل جديدة لحمايتها. وقد لجأ الأغنياء إلى الحيلة للإيقاع بالفقراء وقد ابتكرروا كما يقول روسو، أذكي خطة عندما قالوا للفقراء نتحد لكى نحمي الضعفاء من الظلم والجور، ونضع قوانين العدل والسلم وبدلًا من أن نستنفذ قوانا في الاقتتال نوحد أنفسنا في سلطة عليا وفق الشرائع الحكيمية... وهكذا قاد تأسيس الملكية الأرضية البشر إلى الميثاق الاجتماعي.^{٢٠}

هذه المسألة التي يعالجها روسو في كتابه (العقد الاجتماعي) يذهب إلى أن هذا الفرض (الحريات والحقوق) ممكن التحقيق عندما تجمع الكثرة المفككة على أن تؤلف شعباً واحداً، وأن تحمل القانون محل الإدارة الفردية وينزل عن نفسه وعن حقوقه للمجتمع بأكمله وهذا هو البند الوحيد للعقد الاجتماعي إذ بمقتضاه يصبح الكل متساوين في ظل القانون، والقانون ارادة الكل تقر الكلية أي المنفعة العامة وأن الشعب لا يريد إلا المنفعة العامة. فالإرادة الكلية مستقيمة دائمًا ومن يأب الخضوع لها يرغمه المجتمع بأكمله.

كانت القوانين في البداية، على حد قول روسو، تفتقر إلى بعض الضوابط والمعايير الملزمة للأفراد وكان المجتمع بأسره يضمن احترامها والتقييد بها. لكن سرعان ما أوحى ضعف شكل الحكم هنا فكرة (توكيل أفراد معينين على الوديعة الخطيرة، السلطة العامة)

هكذا ظهر الولاية المستحبون، بما أن الشعب وحد إراداته جموعاً في مشيئة واحدة، فيما يتصل بالعلاقات الاجتماعية، فإن كل ما وضع موضوعاً لهذه المشيئة صار للحال قانوناً أساسياً ملزماً لجميع أعضاء الدولة دونما استثناء. وهكذا نجد أن العقد الاجتماعي لا يتمخض، من منظور روسو

^{٢٠} المصادر: -

كرم، يوسف تاريخ الفلسفة الحديثة، مصدر سابق ص ١٩٥
فولفين فلسفة النوار، ترجمة هنريت عبودي، دار الطباعة، بيروت، ط ١، ١٩٨١، ص ٢٠٣

عن تكوين المجتمع كتنظيم سياسي فحسب، وإنما يحدد أيضاً العلاقات المتبادلة بين الشعب وبين الذين انتخبهم كيما يحكموه.

لقد كان العقد أداة إرادية يتنازل به الأفراد عن حريةهم الطبيعية إلى كل فرد آخر، وأذابوا إرادتهم الفردية في إرادة عامة مشتركة واتفقوا على قبول أحكام هذه (الإرادة العامة) كأحكام نهائية قاطعة، وكانت هذه الإرادة العامة هي السلطة صاحبة السيادة، وإذا ما فهمت هذه السلطة فهما صادقاً فيها سلطة (مطلقة) و(مقدسة) ولا يمكن الخروج عليها. أما الحكومة فهي أمر ثانوي عرضي، فالمملك والموظفو أو الممثلون المنتخبون ممثلون عن الشعب الذي يملك السلطة والسيادة.^{٢١}

إن العقد الاجتماعي عند روسو ليس عقداً بين أفراد (كما عند هوبيز) ولا عقداً بين الأفراد والسلطات (كما عند لوك) فبموجب هذا العقد، كما يرى روسو، فإن كل واحد يتحد مع الكل فالعقد هو بين الجموعة بحيث يضع كل واحد شخصه وقدرته في الشراكة تحت سلطات الإرادة العامة، وسيكون كل شريك متخدلاً مع الكل ولا يتحد مع أي شخص بشكل خاص.^١

إن العقد الاجتماعي هو الشرط الضروري والملازم لكل سلطة شرعية ولكل إبرام هذا العقد يمثل في الوقت نفسه من منظور روسو مرحلة محددة من التطور التاريخي يشير إلى الانتقال من الحالة الطبيعية إلى المجتمع المدني، وان ما ينسره الإنسان من جراء العقد هو حريته الطبيعية والحق اللا محدود في كل ما يقرره وكل ما يستطيع أن يبلغه ويطلقه وما يرجحه بالمقابل هو الحرية المدنية وهو تملكه لكل ما ملكته يده.

يتلخص جوهر العقد الاجتماعي على النحو الآتي، يضع كل واحد منا شخصه وكامل حقوقه تحت الأمارة العليا للمشيئة العامة وان غاية العقد الاجتماعي الحفاظ، ولا ريب على حياة المتعاقدين.

٢١ المصادر : -

فوفين، فلسفة الأنوار سابق، ص ٢٠٣
بلمر، تاريخ أوروبا الحديث، مصدر سابق، ص ٣٣٥

ولكن من يرغب بالحفاظ على حياته بمعونة الآخرين ملزم بالتضحية بها في سبيلهم عندما يقتضي الأمر ذلك إن الفرد إن ينح نفسه للمجتمع ، يستودعه أمواله أيضاً .

فروسو يذعن أن الميثاق الاجتماعي يجعل من الدولة مالكة أموال رعاياها كافة. غير أن الدولة التي تتقبل أموال رعاياها ومتلكاتهم لا تجردهم منها وإنما تضمن لهم تملكهم المشروع فالدولة وحدها قادرة على تحويل الإغتصاب إلى حق للتمتع على ملكية^{٢٢}

ثم يأتي روسو على أهم جانب من جوانب نظرية وهو الجانب الذي يميزه عن النظريات الأخرى ، فليس من المعقول في نظر روسو أن تخيل عقداً يتعهد أحد الطرفين بموجبه أن يأمر ، والثاني أن ينصاع ، ان العقد الوحد هو الذي يتولد عنه الجسم السياسي .

وكل عقد يحد من سلطة الشعب السائدة المطلقة يقوّض أساس الميثاق الاجتماعي ، ليس مثلاً السلطة التنفيذية إذا كانوا قادة الشعب أو رؤساء ، إنما هم موظفون عنده وهو من يعينهم أو يسرّحهم ، ولا تقوم وظيفتهم على أساس بنود عقد محدد وإنما على أساس انصياعهم للواجب الذي تفرضه الدولة .

إن أشكال الحكم في نظر روسو ليست أكثر من أشكال تنظيمية للسلطة التنفيذية ومهما اختلفت أشكال الحكم ، تبقى السلطة السيادية على الدوام. من حق الشعب ، ولكن قد يعهد هذا الأخير بالسلطة التنفيذية أما إلى الجزء الأكبر من الشعب ، وأما إلى عدد محدود صغير من الأشخاص ، وأما إلى شخص واحد ، ويطلق على الشكل الأول من أشكال الحكم اسم الديمقراطية وعلى الثاني الأرستقراطية ، وعلى الثالث اسم الملكية.^١

اختار روسو الديمقراطية في حقبة لم تتوارد فيها الديمقراطية لا في الواقع ولا في الأفكار ، وبما أن الشروط التاريخية للديمقراطية لم تكن متوفرة ، وجد روسو نفسه مضطراً أما لقبول أيديولوجية

^{٢٢} المصادر:-

توضيار ، تاريخ الفكر السياسي ، مصدر سابق ص ٣٣٥
فولتين ، فلسفة الأنوار ، مصدر سابق ٢١٧

البرالية البرجوازية التي كانت يومئذ الإيديولوجية السائدة (حرية، مساواة، ملكية) وأما بناء مدينة طوبائية لكنها في نفس الوقت عقلانية.^{٢٣}

حاول روسو في (العقد الاجتماعي) أن يثبت إنه يستحيل في المجتمع الحر أن يحكم أي إنسان من قبل أي إنسان آخر، وكيف إن كل فرد هو في آن معاً رعية ومواطنين، وإن السلطة الشرعية لابد أن تت بشق عن موافقة الحكومين، وإن السيادة تكمن في الإرادة العامة في اجتماع الأمة، وإن الذين يشغلون منصباً عاماً لا يؤدون مهامهم بمقتضى حقهم الخاص، أو حق موروث، وإنما بمقتضى سلطة أوكلتها إليهم، سلطة تمنع وتحسب.^{٢٤}

الخاتمة

هكذا نأتي إلى نهاية بحثنا هذا عن العقد الاجتماعي وأبرز المنظرين فيه، بما في ذلك طرح نظرياتهم في هذا المجال، التي ظهرت خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر في أوروبا الغربية لاسيما في كل من إنكلترا وفرنسا.

فضلاً عن ذلك التركيز على الجهود التي بذلها أصحاب هذه النظريات التي كانت قياساً إلى العصر الذي عاشه كل منهم جهوداً جبارة حملت معها مخاطر شديدة. فعلاً إن هذه النظريات والأفكار لم تكن تروق لأصحاب النفوذ والسلطة المطلقة الذين رأوا فيها اختزلاً لأدوارهم وشخصياتهم وتأثيراتهم. إن هذه النظريات كانت محفزاً وملهماً لكثير من الأفكار والنظريات الفلسفية والسياسية التي ظهرت بعد انتشارها. فقد كانت مصدر الهام للثورتين الأمريكية سنة ١٧٧٦ والفرنسية ١٧٨٩ مثلما كانت مصدراً لإلهام للأحزاب التي ظهرت بعد أحداث الثورة الفرنسية وكانت مؤشراً على بداية النهاية لحكومات المطلقة التي ظلت تهيمن على مقاييس الأمور في أوروبا. طيلة قرون أما بإسناد من الكنيسة أو بقوة طغيانها المدنى وحده.

^{٢٣} المصادر:-

بالمر، الثورة الفرنسية وامتدادها، ترجمة هنرييت عبودي، دار الطليعة، بيروت، ط١، ١٩٨٠ ص ٦٢.

^{٢٤} المصادر:-

بالمر، الثورة الفرنسية وامتداداتها، مصدر سابق ص ٦٣

إن العالم الحديث وحركات التحرر مدينة بصورة مباشرة وغير مباشرة لنظريات العقد الاجتماعي التي نبهت الشعوب إلى أن لها دوراً في حياة أفرادها والكلمة الفاصلة يجب أن تقولها الشعوب لا الحكومات. ناقشت هذه النظريات لأول مرة الحق الإلهي الذي استند إليه الملوك والأباطرة في حكمهم شعوب العالم. ولأول مرة تجرأت هذه النظريات بالقول(لا أحد يملك الحق الإلهي على حياة الآخرين وإن الله لم يفوظ أحداً لكي يتحكم بمصائر ملايين البشر ويسوّقهم وفق رغباته وأهوائه).

كان العقد الاجتماعي بداية اختمار فكرة الدساتير الحديثة التي قامت على أساس تمثيل الإرادة الشعبية العامة.

لكل هذه الأسباب يجدر بنا دراسة هذا الجانب.

المصادر العربية

أولاً الكتب:

١. أحمد د. محمد شريف، فكرة القانون الطبيعي عند المسلمين، دراسة مقارنة، دار الرشيد، العراق، ط١، ١٩٨٠.
٢. بالمر، روبرت، تاريخ العالم الحديث، ج٢، ترجمة حسن علي ذنون، مكتبة دار المتنبي بغداد ١٩٦٤.
٣. توشار، جان، تاريخ الفكر السياسي، ترجمة د. علي مقلد، الدار العالمية، بيروت ط١، ١٩٨١.
٤. البكري، عبد الباقي، نظريات القانون، مطبعة الزهراء بغداد ١٩٦٩ س.
٥. كرم، يوسف، تاريخ الفلسفة الحديثة، دار المعارف، مصر، ط١، ١٩٥٧.
٦. ديدجري، البان، ج، التاريخ وكيف يفسرونها، ترجمة عبد العزيز توفيق، الهيئة المصرية للكتاب، مصر ١٩٧٢.
٧. لويس، جون، مدخل إلى الفلسفة، ترجمة أنور عبد الملك، دار الحقيقة بيروت، ط٢، ١٩٧٣.

٨. فولفين، ف، فلسفة الأنوار، ترجمت هنرييت عبودي، دار الطليعة بيروت، ط١، ١٩٨١.
٩. بالمر، روبرت، الثورة الفرنسية وامتداداتها، ترجمة هنرييت عبودي، دار الطليعة بيروت، ط٢، ١٩٨٢.
١٠. الحسن، احسان محمد، رواد الفكر الاجتماعي، دار الحكمة للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٩١.

الموسوعات:-

١. الموسوعة الفلسفية، ترجمة سميري كرم، دار الطليعة، بيروت، ط٢، ١٩٨٠.
٢. الموسوعة العربية الميسرة، دار الشعب ومؤسسة فرانكلسبيق، القاهرة، ١٩٦٥.
٣. الموسوعة الفلسفية العربية، معهد الأئماء العربي، ط١، ١٩٨٨.

المصادر الأجنبية:-

Wiber - max - sociology - of-religion- beacon – press – boston 1963 –
p

**العقود المستثناة
من
التفاصل الربوي
في
الشريعة الإسلامية**

د. فرات شاكر وتوت

م٢٠٠٤ / هـ١٤٢٥

العقود المستثناة من التفاضل الربوي في الشريعة الإسلامية

المقدمة

يعد الربا من اكثـر المـوضوعـات الاقتصادـية والـدينـية أهمـيـة فـهـنـاك مـسـائل كـثـيرـة تـعـلـق بـمـوـضـع الـربـا فـي الإـسـلام تـحـتـاج إـلـى درـاسـة مـعـمـقة .

وـمـنـ الـعـامـلاـتـ الـتـجـارـيـةـ وـالـعـقـودـ الـمـالـيـةـ قـدـيـماـ وـحـدـيـثـاـ الـخـاصـعـةـ لـلـتـفـاضـلـ الـرـبـويـ الـتـيـ انـ بـدـأـ لـلـعـلـمـ بـهـاـ فـسـتـؤـدـيـ إـلـىـ تـسـلـطـ الـإـنـسـانـ الـقـوـيـ اوـ الـغـنـيـ عـلـىـ أـخـيـهـ الـضـعـيفـ اوـ الـفـقـيرـ ،ـ وـالـتـيـ سـتـؤـدـيـ إـلـىـ دـوـافـعـ فـرـديـةـ اـنـانـيـةـ لـدـىـ الـمـرـابـيـ يـحـاـولـ بـهـاـ اـبـتـازـ جـهـدـ الـمـعـوزـينـ .

وـعـلـيـهـ نـرـىـ أـنـ الـإـسـلامـ وـبـنـاءـ عـلـىـ مـنـعـ استـغـالـ الـإـنـسـانـ لـأـخـيـهـ الـإـنـسـانـ حـرـمـ التـعـامـلـ بـالـرـبـاـ بـنـصـوصـ قـرـآـيـةـ صـرـيـحـةـ وـكـذـلـكـ أـحـادـيـثـ السـنـةـ النـبـوـيـةـ الـواـضـحةـ حـفـظـاـ لـلـتـواـزـنـ الـاـقـتصـادـيـ وـالـاجـتمـاعـيـ فـيـ دـوـلـةـ الـإـسـلامـ وـعـمـلـ عـلـىـ تـوـاـصـلـ النـاسـ وـتـعـاطـفـهـمـ بـرـوحـ الـاخـوـةـ الـإـنـسـانـيـةـ وـالـعـمـلـ بـمـاـ شـرـعـهـ الـإـسـلامـ فـيـ وـجـوبـ رـفـعـ مـسـتـوـيـ الـفـقـرـ وـمـحـارـبـةـ الـفـقـرـ سـوـاءـ بـالـإـعـانـاتـ اوـ الـقـرـوـضـ فـيـ صـنـدـوقـ ،ـ اوـ مـعـطـيـاتـ الـزـكـاـةـ وـالـصـدـقـاتـ وـمـاـ يـشـابـهـاـ .

إـنـ الـأـصـلـ فـيـ الشـرـيـعـةـ الـإـسـلامـيـةـ أـنـ تـكـوـنـ الـعـقـودـ وـالـتـصـرـفـاتـ غـيـرـ الـمـتـعـارـضـةـ مـعـهـاـ مـبـاحـةـ لـتـيسـيرـ حـاجـاتـ الـإـنـسـانـ وـمـصـالـحـهـمـ بـعـيـدةـ عـنـ استـغـالـ الـمـنـتـجـينـ .ـ وـهـيـ اـيـضـاـ قـدـ سـمـحـتـ بـاـنـوـ أـعـمـعـ الـعـقـودـ الـتـيـ لـهـاـ وـجـهـ فـيـ الشـبـهـ بـالـتـفـاضـلـ الـرـبـويـ وـذـلـكـ لـوـجـودـ الـحـاجـةـ الـيـهـاـ لـدـىـ الـعـاقـدـيـنـ وـلـكـنـهاـ حدـدـتـهاـ بـشـرـوـطـ وـضـوابـطـ تـحـافظـ عـلـىـ مـصـلـحةـ الـطـرـفـيـنـ وـمـنـ هـذـهـ الـعـقـودـ :

❖ عقد بيع الوفاء وعقد الاستصناع وعقد التسلم (السلف).

إن البحث في الموضوع تطلب من الباحث تناول مفهوم التعامل الربوي بأنواعه من حيث حكمة تحريه وكذلك البحث في العقود المشتبه بها ثم خاتمة للبحث.

و ذلك لأن فريقا من الناس يرى ان انتشار الربا قد يكون مسوغا للتسامح به ولأنه صار من عادة النظم الاقتصادية المعاصرة ومنها نظم دول إسلامية وتعمل بنهج الشريعة الإسلامية تعامل بالربا وذلك لاعتقادها في تحقيق المصالح الصحيحة للبشرية وتعجز عن ادراك مقاصد الشريعة الإسلامية في حفظ اقتصاد الدول أو أموال الأفراد قد أوقع هذه النظم أو هؤلاء الأفراد الذين استطاعوا جني أموال طائلة من النقود، إلا أنهم لم يستطيعوا تحقيق الاخوة الإنسانية وكان من نتيجته التهالك على المال عن طريق الربا وتسلطهم على الضعفاء والعمال.

وهو العداء والكراهية بين طبقات المجتمع ، وان الشريعة السمحنة حيث حرمت الربا فإنها كانت تهدف الى بناء رابطة الاخوة الإنسانية والعدالة بين الناس وتقسيم الأرباح بين العمل والإنتاج والضرب بشدة على أطماع المربّين المستغلين لحاجة الضعفاء.

المبحث الأول التفاضل الربوي

المطلب الأول: التعريف بعقد الربا^١

هو عقد يتلقى عليه طرفاه على تقديم المدين للدائن زيادة مالية على الدين او الثمن عند التسديد وبصرف النظر عن مقدار هذه الزيادة .
ويقسم الى قسمين :

^١ الربا من الفعل (ربا) يعني زاد و منه قوله تعالى (و ترى الارض هامدة فإذا انزلنا عليها الماء اهتزت و ربـتـ سورة الحج ٥٥).

الأول ربا النسيمة^٢:

هو زيادة مالية على مبلغ القرض من أجل تأجيل وفاء الدين لوقت معلوم. و كذلك يسمى (ربا القرض) أي اخذ الفائدة على القرض.

و هذا الربا المشهور قدماً و حدثاً وهو ان يقرض احد طرف العقد الآخر مبلغاً من المال لسد حاجته الضرورية او لاستخدامه في الاستثمار والعمل او لأي غرض آخر ويشرط عليه، رد المال مع زيادة يتلقان عليها أو يقرضاها المقرض (الدائن) على الدين استغلالاً منه حاجة المقترض.

وهذا التعامل قد يقع بين شخصين او بين مؤسسة وشخص او بين مؤسسة ومؤسسة أخرى كالصارف والمؤسسات المالية.

و قد كان الناس قبل الإسلام يتبايعون بالربا إلى أجل فإذا حل الأجل قال الدائن للمدين (أتقضى أم تربى؟) ويعني بذلك أن نفي بالدين أم تزيدني على مالي بذمتك واصبر عليك أجيلا آخر؟^٣ وحرم الله تعالى هذا الربا حرمة صريحة بقوله تعالى:

﴿وَاحْلَلَ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحْرَمَ الرِّبَا﴾ سورة البقرة/ص ٢٧.

كما حرمتها السنة النبوية بقول النبي ﷺ : اجتنبوا السبع الموبقات)

قيل: يا رسول الله وما هي؟ قال ﷺ : الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقدف الحصنات المؤمنات الغافلات. كما وروي عن النبي ﷺ انه: لعن آكل الربا وموكله وشاهده وكاتبه^٤.

الثاني: ربا الفضل

و هو الزيادة المنشورة بين الاموال العينية المتباينة سواء أكانت تقياس بعيار الوزن أو الكيل وهذه الزيادة في أحد العوضين مقابل الآخر الذي هو من نفس جنسه محمرة في الشرع، ولو كان

^٢ النسيمة من الفعل (نسأ) بمعنى آخر وأجل (المعجم الوسيط، ج ٢، ص ٩٢٣).

^٣ محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي - احكام القرآن - القسم الأول ص ٢٤١.

^٤ عبد الله بن احمد بن محمد بن قداحة (٦٣٠). المغني، ج ٤، ص ٣، مطبعة الامام بالقلعة بمصر / تحقيق الدكتور محمد خليل هراس.

العوضان مختلفين في الجودة أو الشكل أو الصناعة^٥. ويسمى أيضا ربا المعاملة (أو الربا المعامل) وهو ما يقع في عقد من العقود التجارية كالبيع مثلاً كبيع عشرة أطنان من الحنطة بأحد عشر طناً من الحنطة فالزيادة هنا محمرة^٦.

و هذا النوع من الربا هو موضوع بحثنا هذا.

المطلب الثاني: دليل تحريم ربا التفاضل وعلته

جاءت احاديث الرسول ﷺ وافرة في تحريم ربا التفاضل ومنها:

١. حديث أبي سعيد الخدري - قال رسول الله ﷺ : لا تبيعوا الذهب بالذهب إلا مثل بمثل ولا تشقووا^٧ بعضها على بعض ولا تبيعوا الورق بالورق(الفضة) ا منها غائباً بناجر متفق عليه.^٨

٢. قال رسول الله ﷺ : (الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثل سواء يدا بيد فإذا اختلفت هذا الأصناف فيبيعوا كيف شئتم إذا كان يدا بيد). رواه مسلم^٩.

٣. قال رسول الله ﷺ : (الذهب بالذهب وزن بوزن مثل والفضة بالفضة وزن بوزن مثل بمثل ، فمن زاد واستزداد فقد أربى الآخذ والمعطي فيه سواء) رواه مسلم^{١٠}.

كما جاء في احاديث اخرى:

^٥ نفس المصدر السابق.

^٦ السيد محمد تقى المدرسي ، احكام العاملات ، ص ١٤٦ .

^٧ تشقو: تزيدوا عليها أي ترجوا.

^٨ ابن حجر العسقلاني ، بلوغ المرام من ادلة الاحكام ، ص ١٧٠ ، رقم الحديث ٨٢٥ ، مطبعة مصطفى محمد بالقاهرة.

^٩ ابن حجر العسقلاني: بلوغ المرام من ادله الاحكام_ ص ١٧٠ رقم ٨٥٢ مطبعة مصطفى محمد بالقاهرة.

^{١٠} المرجع السابق نفس الصفحة _ رقم الحديث (٨٥٢) وينظر صحيح الامام مسلم ، ج ٥ ، ص ٤٢_٤٥ .

روى هشام بن الحكم انه سأله أبا عبد الله الصادق ع عن علة تحريم الربا فقال:
(لو كان الربا حلالا لترك الناس التجارات وما يحتاجون إليه فحرم الله الربا لتفر الناس
من الحرام إلى الحلال والى التجارات من البيع والشراء...).^{١١}

علة تحريم ربا المفاضلة:

اتفق فقهاء الشريعة الإسلامية على أن التعامل الربوي وبشكل عام يتعارض مع القواعد الثابتة للدين الإسلامي ، من حيث عقيدته وقيمه الأخلاقية ونظامه الاقتصادي الذي لا يهدى حق الفرد ولا حق المجتمع ، وذلك لكونه نظاما عمليا سار في إطار ثابت من القانون والأخلاق ينظر إلى مصلحة المجتمع مفضلا إياها على المصلحة الشخصية في القرآن الكريم والسنّة النبوية الشريفة في الترغيب في ثواب الله عز وجل في الآخرة عن الأعمال الصالحة ، والترهيب من عقوبة اليوم الآخر ، وازدراء المجتمع من يخرج عن هذه القواعد.

اما علة تحريم ربا المفاضلة فان الشريعة الإسلامية السمحنة قد حددت حقوق الإنسان وأمرت بالحفظ عليها. بان حددت طرق اكتساب المال واشترطت ان لا يكون هذا الكسب والمنفعة على حساب خسارة الغير عندها تكون هذه المنفعة غير المشروعة في الاسلام حرام ومنوع بقوله تعالى:
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ يَنْكِمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونْ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ، وَلَا تَقْتِلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا وَمَنْ يَفْعُلُ ذَلِكَ عَدُوًا وَظَلَمًا فَسُوفَ نُصْلِيهِ نَارًا﴾ سورة النساء ٢٩-٣٠

و من هذه الآية الكريمة نرى أن الإسلام قد اشترط لمشروعية التجارة شرطين هما :

- ١- ان تكون هذه التجارة منفعة عن تراضي بين المتعاقدين.
- ٢- ان لا تكون منفعة طرف على خسارة الطرف الثاني .

^{١١} مختلف الشيعة في احكام الشريعة -لفقيه حسن يوسف مطر- العلامه الحلي ج ٢١٢ ابواب احكام العقود ، الباب الثامن ص ٤٢٤ .

كما ان الاسلام قد شبه التجار الذي يستسغى أكل أموال غيره بقاتل نفسه ، كما يستدل من هذه الآية على ان التحرير قد تعلق بالتجارة من مبيعات المطعومات او الثمينات من الذهب والفضة . فالجنس إذا بيع بمثله سواء كان من الموزونات او من المكيالات فانه حرام ويعد ربا التفاضل .

ولقد جاء ابن قدامة في المغني بان الفقهاء اتفقوا على ان ربا الفضل لا يجري إلا في الجنس الواحد ، وإن المطعومات المترادفة في الانتفاع والغذاء إذا اختلفت في الجنس فانه يجوز بيع بعضها بالآخر بالتفاضل كالتمر بالزبيب ، والذرة بالدخن ، واستندوا في ذلك إلى قول الرسول ﷺ : بيعوا الذهب بالفضة كيف شئتم يدا بيد وبيعوا البر بالتمر كيف شئتم^{١٢} .

و من هذا فان المماطلة تجب في المعيار وهو الكيل والوزن عند اتخاذ الجنس في العوضين وهذا يشمل كل مفهوم في مثله ولا يجوز التفاضل فيه ، ولا فرق بين المتجانسات عندما تتبادر في الصنعة أو الجودة ولا يجوز فيها التفاضل وتخصيص الصلة في المثلثيات بالجنس والمقدار (الكيل والوزن) يسهل وضع الضوابط المعتمدة وللحذر من الوقوع في ربا التفاضل بزيادة الحرمة لمثل هذه البيوع التي يقدم عليها الطامعون لغرض الحصول على الزيادة الفاحشة ، وبهذا أيضا اخذ الفقه الجعفري في منع التفاضل بين الجنس الواحد في المطعومات^{١٣} . والمقصود بوحدة الجنس وحدة الأصل ، فالخنطة ودقيقها يعادن جنسا واحدا ، والتمر ودبسه كذلك ، واللبن والزبدة وكل المشتقات اللبنية يعد جنسا واحدا ، وهكذا بالنسبة للعنب وخله والتفاح وعصيره وما شاكل ذلك^{١٤} .

وعند التطبيق في النماذج المقدمة نرى أن الشارع قد حرم بيع الجيد بالرديء متفاضلا أو بيع الخنطة بالدقائق بالتفاضل لأن المحسنة والمعيار أي الوزن بين الدقيق والخنطة أو الكيل بين الجيد والرديء بالوزن باقيان فيها^{١٥} .

^{١٢} ابن قدامة ، المعني ، ج ٤ ، و صحيح مسلم ، ج ٥ ، ص ٤٣ .

^{١٣} جعفر بن الحسن المعروف بالحقن الحلبي ، شرائع الاسلام ، المجلد الأول ، القسم الثاني ، ص ١٧٩ ، دار مكتبة الحياة في بيروت عام ١٩٧٨ .

^{١٤} السيد محمد تقى المدرسي ، احكام المعاملات ، ص ١٨٥ .

^{١٥} علي المرغيناني ، الهدایة ، ج ٢ ، ص ٤٧٤٦ .

كما حرم الشارع استبدال الخنطة بجنسها ومن نوع غير نوعها، لأجل تحسين الزراعة بالتفاصل أو عند رغبة المستفيد منها للأكل باستبدالها بغير الدقيق كمشتقات غذائية متنوعة تختص بها الخنطة الخشنة عن الناعمة، ففي هذه الحالة حرم الشارع التفاضل بينهما ويجب مساواتهما لاتخادهما في الجنس.

كما ان هذه الأمتعة حين تباع بجنسها فإنما يفسر هذا يقصد حصول البائع من هذه الأشياء على النوع الأفضل والأجود من جنسها وكأنه يريد استبدالها بخimer منها. ولهذا فان الشريعة السمحاء تمنع هذا التصرف لما فيه من تغريب وتضليل لذا فان تطلب من الراغبين بيع هذا الجنس من المطعومات ان يبيعها بشمن ثم يشتري به النوع الذي يرغب به من المطعوم الذي باعه وبهذا يتتجنب الربا ولا يقع في تغريب الغير او تضليله.

فالصلة في هذا التحرير (ريا المفاضلة) هو وجود الجنس والمعيار بين البدلين لذلك أوجب الشرع التمايز بين البدلين وأوجب التفايض بينهما في مجلس العقد كما حرم التأجيل في البدل فكانت هذه الشروط الثلاثة قيودا على مقاصد هذا التعامل ومانعا في الضرر الريبوى.
و كذلك لرفع الغبن الكبير الذي فيه وان من العدل في المعاملات هو مقاربة التساوى لذا يفترض وضع نسبة لها تقارب او تشابه قيمة احد الشيئين الى جنسه في مقابلة نسبة قيمة الشيء الآخر إلى جنسه ومثال ذلك :

إذا باع احدهم كبشًا بخنطة في هذه الحالة يجب ان تعكس نسبة ثمن الكبش الى بقية الخراف هي نفس نسبة قيمة هذه الخنطة الى سعر الخنطة في السوق ومن هذا فإذا كان سعر الكبش مثلاً عشرون فيجب ان يكون ثمن كمية الخنطة المستبدلة أيضاً عشرون وهذا هو التعامل العادل الصحيح لذا فان منع التفاضل في هذه الأشياء يرجع إلى علتين :

- ١- وجود العدل منها والحرص على منع التفاضل بين الجنس الواحد.
- ٢- منع المعاملة في بعضها بقدر الامكان لأنها تشبه المعاملة المصرفية.

وما تقدم فان علة الربا في هذه الأصناف الكيل او الوزن لكونها من المطعومات والأقواس والتي تشبه أن تكون حفظ العين فيما هو قوتا وطعاماً ولكنهما من ضروريات حياة الناس ، ولهذا

كان من حكمة الشرع ان يحفظها من الاستغلال الربوي بالقيود المانعة في التفاضل فيما بينهما عند تماثلهما في الجنس والمعيار^{١٦}.

المطلب الثالث: شروط تحقق ربا المفاضلة

ربا المفاضلة او المعارضة : هو بيع شيء بشيء مثلك لكن بزيادة . مثل بيع الشخص ألف لتر من اللبن بالف ومائة لتر من اللبن فلأن العوضين من جنس واحد فيكون الألف ازاء الألف اما المائة لتر الزائدة فليس إزاءها شيء ف تكون ربا أي اكلا للمال بالباطل التي ينهي عنها القرآن الكريم صراحة . وفي السنة النبوية الشريفة وهذه الزيادة في البدل التي تتحقق الفائدة تكون على أقسام :

- ١- أن تكون زيادة عينة كبيع طن من الحنطة بطن ونصف من الحنطة ايضا فنصف الطن من الحنطة هنا يقع دون شيء يقابلها في المعاملة ف تكون زيادة عينة .
- ٢- وقد تتحقق الفائدة من خلال التفاوت الزمني كبيع طن من الرز حالا لقاء طن من الرز مؤجل الى بعد سنة من حين توقيع العقد فالتفاوت الزمني هنا يكون بمثابة الربا ، اذ للزمن قسط من الشمن . فلا يجوز بيع شيء باخر من جنسه بالتسوية ولو كانت من دون زيادة . اذ ان وجود التأجيل الزمني في احد العوضين المتاجسين يجعل المعاملة ربوية^{١٧} .
- ٣- وقد تكون الفائدة بتقديم خدمة اضافية معينة تضم الى عقد البيع . كبيع طن من التمر لقاء طن من التمر وحرث دونم من الارض . فبالرغم من ان التعاقد قد وقع على شيئين من جنس واحد من دون زيادة ولا أجل . الا ان إضافة العمل (وهو حرث دونم من الارض) الى احد العوضين جعل العقد ربويا^{١٨} .

فيما تقدم نرى ان ربا المعارضة لا يتحقق الا بتوفير شرطين في الصفقة التجارية :

^{١٦} ابن رشد بداية المجتهد، ج ٢، ص ١٣١-١٣٢.

^{١٧} السيد محمد تقى المدرسي ، احكام المعاملات ، ص ١٨٥.

^{١٨} نفس المصدر السابق ، ص ١٨٥.

الشرط الاول: ان يكون العوضان من المكيل او الموزون فما يباع بالعدد كالبيض او بالمسح كالاقيمة او بالمشاهدة كالسمك فلا يقع فيه الربا بل يجوز بيع بعضهما ببعض بالتفاضل فيصح بيع عشرين بيضة بخمسة وعشرين بيضة. او بيع عشرة امتار من القماش باثني عشر مترا منه.

الشرط الثاني: ان يكون العوضان من جنس واحد كبيع الحنطة والحنطة والمقصود بوحدة الجنس وحدة الاصل فالحنطة ودقيقها يعدان جنسا واحدا والتمر ودبسه كذلك واللبن والزبدة، وكل المشتقات اللبنية تعد جنسا واحدا ايضا.

بما ان تفاوت افراد الجنس الواحد في الموصفات الفرعية او في النوعية والمحودة لا يخرجها عن وحدة الجنس. فالحنطة الممتازة والحنطة الرديئة يعدان جنسا واحدا وان اختفت قيمتهما السوقية والرز العنبر والرز البسمتي يعدان من جنس واحد ايضا كذلك الأمر بالنسبة الى انواع التمور.

كما ان وحدة الجنس في اللحوم تعود الى وحدة الحيوان المتخذ منه اللحم فانواع لحوم الغنم هي جنس واحد بينما لحم البقر ولامب العجل جنسان فلا يجوز الزيادة في الاول وتجوز الزيادة في الثاني. كما ان العنوان العام لا يتحقق وحدة الجنس ، فالرز والحنطة لا يعدان جنسا ابدا وان أطلق عليهما عنوان الحبوب . والتفاح والبرتقال. لا يعدان جنسا واحدا وان كانوا يدخلان تحت صنف الفواكه وهكذا ولكن الحنطة والشعير يعدان جنس واحدا في الحكم الفقهي وذلك لورود النص به فلا يجوز بيع الشعير بالحنطة او العكس تفاصلا^{١٩}.

^{١٩} نفس المصدر السابق، ص ١٨٦.

المبحث الثاني العقود المستثناء من التفاضل الربوي

المطلب الأول: عقد السلم أو السلف^{٢٠}

السلم أو السلف: عقد يع آجل بعاجل. والعاجل هو: رأس المال أي الثمن على ان تسلم البضاعة فيما بعد(كبيع السيارة بشمن معين يدفعه المشتري حالا على ان يتسلم السيارة بعد فترة زمنية محددة).

وقد شرع هذا النوع من العقود استثناءً للحاجة إليه من المزارعين في إنتاجهم من حنطة وشعير وقطن وغيرها، واصحاب الأنعام في حياتهم الاقتصادية من إنتاج الصوف والشعر والدهن واللبن وغيرها من البضائع الخاضعة للكيل والوزن.

مشروعية:

يتفق الفقهاء على مشروعية هذا العقد في الشريعة الإسلامية نظرا حاجة الإنسان إلى التعامل به، لذلك استثنى الفقهاء هذه العقود من التحرير برب المفاضلة ليشمل التعامل بمثل هذا العقد، فمثلا كان أهل المدينة حين قدم النبي ﷺ إليهم يسلفون من ثمار النخيل بأعيانهم فنهاهم عن ذلك لما فيه من الضرر لو اصاب هذه الأشجار عاهة فلا تثمر شيئا ولكنه ﷺ أباح لهم التسليف بالشمار دون تحصيص الشجر بعينه واشترط في التمر النوع والوزن والوصف ثم. جاءت إحكام القرآن في اباحة عقد السلم للتعويض عما كان يتعامل الناس به من الربا. وأوضحت للمرابين سوء العاقبة عليهم وعلى من سايرهم. فأنذرتهم الآيات بما يترتب على التعامل الربوي من القطيعة بين الناس وتحجر قلب المتعاملين به كما أوضحت الآيات لهم حقهم برؤوس أموالهم النقية من الربا وحصتهم على التعامل بلا استثمار النافع لهم ومردود ذلك التعامل في تنشيط الحالة الاقتصادية في الزراعة وتربية الحيوان لخير المجتمع بقوله تعالى: (يا أيها الذين امنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا

^{٢٠} السلم يفتح السين واللام و سل فيما نقل عن المازري، ان السلف لغة اهل العراق و ان السلم لغة اهل الحجاز و هو السلف القديم راس المال و تسليمه في المجلس، فالسلف اعم (ليل الاوطار لشوكاني، ج ٥، ص ٢٢٦) المطبعة العثمانية المصرية، ط ١، ١٣٥٧هـ.
وفي اللغة: السلف ماقيل من الثمن على المبيع وفي المعاملات: القرض الذي لا منفعة للقرض فيه. ويفيد ايضا بيع السلم.
السلم: فهو بيع شيء موصوف في الذمة بشمن عاجل (المجل الوسيط، ج ١، ص ٤٤٦ - ٤٤٨)، مجمع اللغة العربية. (١٩٦٠ - ١٣٨٠)

ان كنتم مؤمنين فأن لم تفعلوا فاذدوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلكم رؤوس اموالكم
لاتظلمون ولا تظلمون). سورة البقرة _٢٧٨_٢٧٩

ثم بعد ذلك وجه القرآن الكريم المؤمنين إلى التعاون والتعاطف وخطاب الدائنين للتسهيل
والتسهيل مع المدينين المفسرين ورغبتهم بعطايا الله لهم بقوله تعالى: (وان كان ذو عسرة فنظرة إلى
ميسرة، وأن تصدقوا خيرا لكم ان كنتم تعلمون. واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم، توفى كل
نفس ما كسبت وهم لا يظلمون) ^{٢١}.

وهذه الآيات المحرمة للربا هي خير تمهيد لتشريع عقد السلم الذي أوضحتها الله تعالى في آية
قرآنية بقوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إذا تدایتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه) ^{٢٢}.

ومن المفسرين من جعل المراد بالمدانية في عقد السلم، فالله تعالى عندما منع الربا في الآيات
المتقدمة أدنى في عقد السلم طريقاً حلالاً وسبيلاً مشروعاً لتحصيل المنافع المطلوبة منه ، فالمقصود هو
بيع العين بالتقديم (الدين) وهو ما يبع شمن مؤجل أو العكس من ذلك هو بيع الدين بالعين ، وهو ما
سمي بالسلم وكلاهما دخلا تحت مفهوم هذه الآية ^{٢٣}.

كما قال صاحب تفسير المنار: (إنَّ المدانية تشمل الدين والقرض) أما جمهور الفقهاء فقالوا (إن
الدين عام يشمل القرض والسلم وبيع الأعيان إلى أجل وهو الصواب) ^٤.

مشروعاته في السنة النبوية:

فقد جاءت أحاديث عده في مشروعية عقد السلف وكذلك بعضها يبين شروطه الضابطة لما
علمه :

قال رسول الله ﷺ : (من اسلف في شيء فليس في كيل معلوم وزن معلوم إلى أجل
معلوم) ^{٢٥}.

^{٢١} سورة البقرة، الآية ٢٨٠-٢٨١.

^{٢٢} سورة البقرة، الآية ٢٨٣.

^{٢٣} الفراخ الرازي، التفسير الكبير، ج ٧، ص ١١٥-١١٦.

^{٢٤} السيد محمد رشید رضا، تفسیر المنار، ج ٣، ص ١٢٠.

وأجمع الفقهاء على أن الاجتماع قد انعقد على مشروعية عقد السلف، حيث نقل ابن المنذر في دليله الأصول فقال: أجمع كل من نحفظ عنه من أهل العلم على أن السلم جائز لأن الشمن في البيع أحد عوصي العقد، فجاز أن يثبت في الذمة كالشمن، ولأن الناس حاجة إليه، لأن أربابا للزروع والثمار والتجارات يحتاجون إلى النفقة على أنفسهم وعليها تكتمل وقد تعوزهم النفقة فجوز لهم ليرتفعوا ويرتفق المسلم بالاسترخاص^{٢٦}.

ناقشت الفقهاء مشروعية عقد السلم من حيث توفر أركان العقد بشكل عام، وخصوصاً محل العقد، إلا أنهم جوزوه في الشريعة بناء على نصوص السنة النبوية، أو ما جاء في آية المداینة بقولهم (إن الترخيص في السلم مخالف للقياس الظاهر أي عدم توفره ركن المحل ولما كان السلم معدوم المحل وقت العقد، فإن ظاهره لا يقاد على سائر العقود). وأجاب على ذلك صاحب الهدایة (بأن الحديث الشريف الذي نهي فيه الرسول ﷺ عن بيع ما ليس عند الإنسان ورخص في السلم وقال (والقياس وإن كان يأباه) ويعني بقوله هذا القياس يرفض هذا العقد لخلاف ركن تخلصه ركن مهمل من أركان العقد وهو محل العقد ولكنه يقول بعد ذلك (ولكنا تركناه بما رويناه)^{٢٧}.

شروطه:

يشترط في بيع السلف عدة شروط وهي:

- ١- ضبط البضاعة بالأوصاف والمميزات التي تختلف القيمة والرغبة بسببهما ولا تجب المبالغة في ذلك بل يكفي الضبط بالمقدار الذي يعتبره العرف كافياً لجعل البضاعة معلومة ولرفع الجهالة. ويختلف المقدار اللازم للتوصيف باختلاف الأشياء والأسوق والأعراف فقد يكون ضرورياً في بضاعة ما ذكر سنة الصنع كالسيارة مثلاً إذ يؤثر ذلك في القيمة والرغبة أو المواد الغذائية حيث من المهم معرفة تاريخ إنتاجها وتاريخ انتهاء استخدامها. وقد لا يكون ذلك ضرورياً في بضاعة أخرى

^{٢٥} نبيل الاولار، ج ٥، ص ٢٢٦.

^{٢٦} علي المرغيناني، الهدایة - ج ٣، ص ٥٢٥.

^{٢٧} نفس المصدر السابق، ص ٥٣.

كالأدوات والآلات وفي كثير من الأجهزة التي لا يؤثر تاريخ صنعها في زيادة أو نقصان الرغبة أو في القيمة.

أما البضاعة التي لا يمكن ضبط أوصافها وميزاتها بالتصنيف كبعض أنواع من الجلود واللحوم والسجاد اليدوي وبعض الصناعات اليدوية الأخرى فإن البيع السلفي باطل فيها.

أما إذا كانت بأوصاف دون المتفق عليها فيتحقق للمشتري الرفض أو عدم القبول. أما إذا كانت الموصفات بأجود من المتفق عليه فعلى المشتري القبول بالبضاعة إلا إذا كانت لديه حاجة خاصة بالبضاعة ذات الموصفات الأقل جودة.

٢- دفع الثمن كله للبضائع في مجلس البيع قبل الانفصال، أما إذا تفرق المتعاقدان قبل استلام رأس المال من قبل المسلم إليه. انفسخ العقد وكان باطلاً عند أبي حنيفة والشافعي والحنابلة. أما مالك فقد أجاز تأخيره إلى ثلاثة أيام. أما السيد محمد تقى المدرسي فأضاف: إذا كان دفع المشتري بعض الثمن في مجلس البيع صحيحة البيع بمقدار الثمن المدفوع وبطل البيع بالنسبة إلى الباقي ولكن لا يجبر البائع على القبول به. إذ يبقى له الخيار في فسخ عقد البيع^{٢٨}.

٣- ضبط مقدار البضاعة بما يعد فيها من الكيل أو الوزن أو العدد أو المسح أو الزمن كعمر الحيوان والأشجار ومقدار القوة الكهربائية.

٤- ضبط المدة المقررة لتسليم البضاعة بالأيام والشهور والسنين بل وبالساعات في بعض الحالات. فلو كانت المدة مجهولة بحيث تنتهي إلى الجهة في السلعة أو تدخل في إطار البيع الضروري المنهي عنه كان العقد باطلاً^{٢٩}.

٥- إمكانية وجود البضاعة عند حلول الأجل، وإن لم يكن موجوداً بالفعل حيث العقد، أي أن يكون البائع قادراً على تسليم البضاعة من حيث توفرها في تلك الفترة فلو باع مادة زراعية على أن

^{٢٨} السيد محمد تقى المدرسي، أحكام المعاملات، ص ١٧٩.

^{٢٩} نفس المصدر السابق.

يسلمها في الشتاء بينما هذه المادة لا يمكن وجودها في ذلك الفصل لم يصح البيع أي أن يكون جنس المسلم فيه موجودا عند حلول أجل التسليم^{٣٠}.

٦- يعين مكان تسليم البضاعة إن كانت الأعراف التجارية تختلف باختلاف الأمكانة وكان عدم التيقن سببا للضرر المنهي عنه شرعا. إلا إذا كان مكان التسليم محددا لدى الصرف بحيث لا يحتاج إلى ذكره في العقود كمل لو كان عرف السوق يقضي بتسليم البضاعة في ميناء بلد المشتري مثلا.

٧- لا يجوز السلم بالعقار لعدم انضباطه بالوصف^{٣١}.

٨- يجب أن يكون العقد ناجزا ولا يدخله خيار الشرط^{٣٢}.

الحكمة من استثناء السلم

من الواضح لدينا أن تعاطي الربا من المعاصي الكبيرة وعلى الإنسان أن يتوب إلى الله تعالى من ذلك، ولكي تقبل توبيته عليه رد كل الزيادات الربوية التي أخذها ولهذا شرع عقد السلم استثناء من العقود وضمان تحقيق شرعية التعامل به ولضمان حقوق العاقدين وهي :

١- تشجيع القادرين على الإنتاج الزراعي والحيواني وحتى الصناعي من استثمار طاقاتهم ومواردهم المنتظر إنتاجها قبل موسم نضجها ليوفروا حاجاتهم الضرورية سواء لعوائلهم أم لإنتاجهم في فترة انتظار توفر الإنتاج.

٢- تحقيق الشرعية الإسلامية لهذا العقد الذي جاء بنقصه ركن من أركانه ألا وهو محل العقد وذلك لرفع الحرج والتيسير على المعاشر من توفير النقد لثلا يضطر إلى الربا الحرم لا بل سوف لا يفكر بفرض الربا الحرم بعد أن وجد الطريق الحلال الذي يستبد به المرابي فيستغل حاجته في فترة انتظار محصوله. كما أن تعاقده على السلم سيشعر بأنه صاحب صفة تجارية تدر عليه النقد العاجل فتيسير عسره وتقضى حاجته وعندها لا يشعر بمنة أحد أو تفضل منه وإنما هو قد ضمن بيع محصوله مقدما مما سيساعده على بذل الجهد والنشاط في العمل لتوفير المبيع في موعده.

^{٣٠} الشوكاني، نيل الاوطار، ص ٢٢٦-٢٢٥.

^{٣١} محمد عايش، فتح الجليل، على مختصر العلامة خليل، ج ٣، ص ٣٨.

^{٣٢} نقى الدين الدمشقي، كفاية الاخبار، ج ١، ص ١٤٢.

٣- يحقق عقد السلف المصلحة لطرف العقد فهو بالإضافة إلى توفير النقد إلى باائع المتوج كما انه من جهة اخرى يضمن لأصحاب الحرف ما يحتاجون إليه في صنعتهم سواء من غلال أم انتاج الحيوان أو في تجارتة التي سبق أن تعاقد عليها. فهو قد ضمن إيفاءه بالتزامه بعد أن تم عقد السلم. كما ان الشريعة في تحليلها لهذا العقد فقد فتحت منفذًا معقولاً أمام المصالح الحقيقة للعاقدين وللمنفعة العامة في عقد السلم. ولو ان فيه تنازلاً من صاحب البيع ببعض الفرق من ثمنه لو كان يبعه في موسمه إلا أن عدم جوئه إلى الربا وتخليصه من الاستغلال يكون بدليلاً لهذه الخسارة.

المطلب الثاني عقد الاستصناع

هو عقد يتضمن بيع يستحق في الذمة فيطلب المشتري عمله من الصانع الذي يصنعه أي ان المبيع ينحصر في شراء منفعة صناعية يختص بها صاحب الحرفة فيبيع خبرته في تصنيع الشيء الذي يطلبه المشتري حسب حاجته ومثالها خياطة القماش وصناعة الحديد والنحاس وصناعة الخشب والسراجة وغيرها من الصناعات.

ويعد عقد الاستصناع عقد سلم من حيث عدم وجود ركن المحل في عقد البيع هذا. ولهذا فإن الاستدلال عليه يكون بنفس النص القرآني في آية المدينة وإلى نفس الحديث الشريف بقوله ﷺ : من اسلف فليسلف في كيل معلوم وزن معلوم إلى أجل معلوم^{٣٣}. كما أن فيه مصلحة حاجة الناس إليه كذلك ادخلوه ضمن صور الاستحسان المعتمد على النص وتم استثنائه من القاعدة الربوية^{٣٤}.

شروط عقد الاستصناع

١- من مقتضيات عقد الاستصناع ان يكون مؤجلاً ولكن ليس الأجل الملزم وذلك لأن التأجيل المتعارف عليه في عقد الاستصناع موضوع الإمهال وتأجيل المطالبة وليس للإلزام كالأجل المشروط في عقد السلم الذي يكون الأجل شرطاً فيه.

^{٣٣} محمد بن علي الشوكاني، نيل الاوطار، ج ٥، ص ٢٢٦، ط ١٣٥٧، المطبعة العثمانية المصرية.

^{٣٤} د. عبد الكريم زيدان، الوجيز في أصول الفقه، ص ٢٢١، ط ١، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢ م مطبعة دار النذير بغداد.

٢- توضيح المصنوع توضيحاً تماماً نافياً للجهالة التي تدعو إلى النزاع بين العقددين أو إلى الضرر، كذكر جنسه ونوعه ومقداره وأوصافه المميزة وتختلف هذه الصفات باختلاف المصنوع.

أن يكون بما جرى العرف بالتعامل به استصناعاً كالملابس والأواني والأخشاب والمعادن. أما إذا حصل بما لم يتعارف ويتعامل به الناس فيكون سلماً ويجب أن توفر فيه شروط عقد السلم.

وما تقدم يتضح بأن الأصل في عقد الاستصناع أن الأجل فيه غير لازم وأنه مطلوب لغرض إنجاز الصناعة، فمثلاً إذا قال طالب الصنعة للصانع أريد أن تفرغ من هذا التصنيع غداً أو بعد أسبوع أو بعد شهر على الأكثـر، فإن هذا القول مشروع وموافق للعقد اتفاقاً وأن هذا الوقت لا يمنع حـث الصانع على إنجاز العمل الصناعي المطلوب كما لا يمنع الصانع أن ينهـي العمل المطلوب منه قبل هذه الفترة لأن ذكر المدة هو للتـعجـيل وليس للـزـوم فـإن الأـجل مـقـبـول ولا يـصـيرـ العـقدـ سـلـماً.^{٣٥}

كما أنه لما كان محل العقد لم يتعين إلا إذا رضـيهـ المستـصـنـعـ لهـ بـعـدـ روـيـتهـ فـلهـ إذـنـ أـخـذـهـ جـبراـ عن الصانع إذا رضـيهـ ولا يـحقـ لـلـصـانـعـ بـيعـ لـغـيرـ المـسـتـصـنـعـ لهـ كـمـاـ لاـ يـحقـ لـهـ فـسـخـ العـقدـ.

وبهـذا التـوجـيهـ يـتـضـحـ لـنـاـ أـنـ الفـقهـاءـ أـرـادـواـ إـبـعـادـ عـقدـ الـاستـصـنـاعـ عـنـ فـرـضـ الـوقـتـ عـلـىـ الصـانـعـ أوـ إـلـزـامـهـ بـشـكـلـ وـاجـبـ وـذـلـكـ حـذـرـاـ مـنـ مـاـ دـخـلـةـ التـأـجـيلـ الـمـحـدـدـ بـالـزـمـنـ بـدـلـ الـاسـتـصـنـاعـ الـذـيـ يـعـدـ شـيـةـ دـاخـلـةـ فـيـ رـيـاـ النـسـيـةـ. أـمـاـ عـنـدـ وـضـعـ الـوقـتـ مـوـضـعـ الـلـزـومـ الـحـتـمـيـ فـاـنـهـمـ فـيـهـ اـنـتـقـالـاـ إـلـىـ عـقدـ السـلـمـ الـذـيـ يـحـبـ فـيـهـ التـزـامـ بـشـرـوـطـهـ الـخـاصـةـ بـهـ.

المطلب الثالث عقد بيع الوفاء

إن عقد البيع يكون باتاً إلا أن الشريعة والقانون قد ينحـانـ المـعـاـدـينـ أوـ أحـدـهـماـ حقـ الاـخـتـيـارـ.

والمـعتـادـ أنـ يـكـونـ خـيـارـ الشـرـطـ لـلـمـشـتـريـ أـكـثـرـ مـنـهـ لـلـبـائـعـ فـقـدـ يـشـتـرـطـ لـنـفـسـهـ ثـلـاثـةـ أـيـامـ يـمـكـنـهـ مـنـهـاـ رـدـ المـبـيـعـ. إـذـاـ شـاءـ وـيـسـتـرـدـ الـثـمـنـ وـفـقـاـ لـلـحـدـيـثـ الـشـرـيفـ (إـذـاـ بـايـعـتـ فـقـلـ لـأـخـلـاـ بـهـ وـلـيـ الـخـيـارـ ثـلـاثـةـ أـيـامـ).

^{٣٥} الفتوى الهندية المسماة بالفتوى العالكيرية، ج ٣، ص ٢٠٨ - ٢٠٧. دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٠.

و يكون خيار الشرط في عقد بيع الوفاء يكون للبائع وليس للمشتري وهو أيضا لا يحدد بزمن، وبهذا يشترط فيه البائع انه متى رد ثمن المبيع إلى المشتري فله الحق في استرداد المبيع.

و من الواضح إن العاقدين في هذا النوع من العقود يتحمل انهما قصدا تحقيق هدف معين إلا وهو الاحتيال والتهرب من الربا المحرم، وذلك لأن البائع المحتاج إلى الاستدانة عند عدم وجود من يقرضه المال بغير الزيادة الربوية فيلجأ إلى بيع الوفاء حيث يتقدم إلى بيع ماله إلى المشتري مقابل الشمن المتفق عليه بينهما ويشترط البائع استعادة المبيع منه إذا عاد إليه الشمن ويكون بذلك البائع قد قضى حاجته بشمن المبيع، كما ان المشتري قد انتفع بالسلعة المباعة وهو مطمئن بأن البائع سيسترداد المبيع بخيار الشرط الذي اشترطه لصالحه كما انه سيسترداد ماله الذي دفعه ثمنا للسلعة هذا وقد اختلف الفقهاء في صحة عقد بيع الوفاء الذي لم يتقييد بوقت محدد للشرط.

ذهب جمهور الفقهاء

ان العقد غير صحيح وان المنعقد عليه إذا ما أعقبه تسليم المبيع فهو عقد رهن. وله جميع أحكام الرهن. ومنها عدم تصرف المشتري بالمبيع إلا بإذن مالكه لأنه لا يملك المبيع.

الفقه الحنفي :

إن الخيار للبائع ولم يحدده بوقت وكأنه يريد أن يثبت حق البائع في خيار الشرط مثل حق المشتري، ثم علق هذا الحق بالخيار بعدم تمام السبب وهو العقد عند وجود الشرط وجعل هذا التخويل قياسا على الحق الذي دعا إليه الشع^{٣٦}.

الفقه الشافعي :

اعطى الخيار للعاقدين أو أحدهما ولكنه يوجب في الحالتين تعين مدة خيار الشرط بثلاثة أيام، كما يوجب شرط القبض في المجلس^{٣٧}.

^{٣٦} علي المرغاني، الهدایة، ج ٣، ص ٢٢.

^{٣٧} النوروي في المنهاج في مغني المحتاج للشربيني الخطيب، ج ٢، ص ٤٧٤٦.

ثم نقل عن الشافعي قوله((بجواز تصرف البائع في المبيع إذا كان قد جعل لنفسه الخيار ببيعه أو هبته واستدل لقوله هذا بأن البائع يتصرف في ملكه فهو يملك العقد لأن العقد كان معلقاً بخياره، وما يكون للمشتري وهو لا يملك إلا غير انتظار فسخ العقد)).

الفقه الحنفي:

أجاز خيار الشرط للبائع وقالوا((ولا فرق بين كون الخيار لهما أو لا أحدهما ولكنهم رأوا تصرف المشتري بالبيع يسقط حق البائع في الخيار أو استرجاع المبيع ثم انهم يرجحون الرأي القائل بأن بيع الوفاء غير صحيح لأن فيه شرط رد المبيع إلى البائع فيقولون (والصحيح انه لا يصح شيء من هذه التصرفات لأن المبيع يتعلق به حق البائع تعلقاً يمنع جواز التصرف فمنع صحته كالرهن)).^{٣٨}

الفقه المالكي:

ذهب مالك إلى جواز خيار الشرط من البائع أيضاً، وإن المبيع لا يعد باتاً إلا بمحض الخيار ولكن لم يحدد مدة الخيار.^{٣٩}

الفقه الجعفري:

الخيار الشرط : وهو يثبت باشتراط المتعاقدين أو أحدهما أي حق الفسخ لهم معاً أو لا أحدهما خلال مدة معينة يتلقان عليها وخلال مدة الشرط يحق لصاحب الخيار فسخ المعاملة والرد حتى من غير سبب ، والرواية النقية توضح لنا هذا الخيار :

سئل الإمام الصادق عليه السلام احتاج إلى بيع داره فجاء إلى أخيه فقال : أبى عك داري هذه تكون لك أحب إلي من أن تكون لغيرك ، على أن تشرط لي إن أنا جئتكم بشمنها إلى سنة أن تعيدوها علي . فقال الإمام عليه السلام : لا بأس بهذا أو جاء بشمنها إلى سنة ردها عليه) . ويجري خيار الشرط في كل العقود باستثناء عقد النكاح .^{٤٠}

^{٣٨} ابن قيامة، المغني، ج ٥، ص ٥١٤.

^{٣٩} الإمام مالك، الموطأ في شرحه توير الحوالي للسيوطى، ج ٢، ص ٩، مطبعة المصطفى محمد.

^{٤٠} يختلف الشيعة في أحكام الشريعة، ج ١٢، كتاب التجارة أبواب الخيار، ص ٣٥٥، الباب ٨، ج ١، للعلامة الحلي.

وما تقدم نرى أن المحور الذي يدور عليه هو الفرق بين عقد الوفاء وعقد الرهن وهو ما يتعلق بحق تصرف المشتري بالبيع ومن هذا نرى أن جمهور الفقهاء قد مالوا إلى اعتباره عقد رهن وليس بيعا، بل أن فريقا من الفقهاء اعتبروه تحابيلاً ومواوغة للتهرب من الربا. ولو أنه قد جاء بصيغة البيع في إيجاب وقبول وهمما ركنا عقد البيع الموجب للملكية. وذلك لأن انتفاع البائع بالثمن وانتفاع المشتري بالسلعة يعد صورة قريبة من القرض الذي يجر منفعة وانه قريب من الزيادة الربوية المحرمة، حيث ان المتعارف عليه هو ان خيار الشرط المنووح للبائع للمشورة والاستفسار وليس لاستعادة المبيع الختامية لهذا لا يفسر هذا التصرف من البائع الا بالتحليل إلى الربا^٤.

ومن هذا كان هذا البيع من البيوع التي تحمل شبهة الربا ولكنها في كلياتها يمكن اعتبارها استثناء من الربا وذلك يجعل البائع فيه خيار الشرط الاعتيادي بيده واحتبس البذل عند المشتري دون تصرف فيه. ولما كانت القاعدة الفقهية الشرعية تقول : (العبرة في العقود للمقاصد والمعانى وليس للألفاظ والمبانى) وحيث ان مقصد المتعاقدين هو عقد بيع الوفاء لذلك عدّ الفقهاء عقد بيع الوفاء واستثنوه من ربا المفاضلة.

الخاتمة

إن الشريعة الإسلامية نظام يعتمد على الوحي الإلهي من خالق الإنسان وهو العليم بما يصلح ويسعد البشرية لهذا منعت التعامل بالتفاضل الربوي بين الهيئات والأفراد، وذلك لمنع الاستغلال الذي دائماً يكون ضحيته الفئات الضعيفة في المجتمع.

وهذا الاتجاه أكدته القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة وأوضحتها الأئمة الأطهار وفقهاء المسلمين حيث أنهم أكدوا أن الشروط والأموال أن تكون في خدمة جميع الناس وان ملكيتها لله تعالى وما هي إلا ودائع يد البشر لتنفق في اوجه الخير والنفع العام، ولهذا حرم الله تعالى الربا لمنع سلط القوي الغني على الضعيف الفقير. وبخاصة في مجاملات المعاملات المالية التي لا يستغني عنها الناس تطبيقاً للمبدأ الاقتصادي لأنه لا يجوز للأموال أن تربح بنفسها وبخاصة الذهب والفضة لأنها

^٤ علي قرائمة، دروس المعاملات الشرعية، ص ١٩٦ ، مطبعة الفتوح، مصر.

أثمان وأقيام وموازين ويجب أن تربح مع العمل والجهد والانتفاع، كما أكدت على مبدأ ثان وهو أن الشريعة السمحاء لا تسمح بـأن تكون منفعة فريق من الناس على حساب خسارة فريق آخر. وإنما الأموال يجب أن تنفق في مجالات المصالح والمنافع الحقيقة ويكون مردودها للمجتمع وليس للفرد فقط. ولكن مع هذا رأينا الشريعة السمحاء ومع نصوص التحرير قد اقررت استثناء بعض العقود من التفاضل الربوي عندما وجدت الحاجة إليها في المعاملات التي يعتمد عليها الضعفاء لتعود عليهم بالمنافع وتيسير حاجاتهم ومصالحهم بما يحقق المصلحة للفرد والمجتمع.

ولهذا أرى أن ننظر إلى بعض حالات الربا الضرورية نظرة واقعية تلائم معطيات العصر الذي نعيشه الآن آخذين بنظر الاعتبار العرف والعادات والقوانين المعمول بها في أراضي الشريعة الإسلامية وأراضي العمومرة الباقية. لأن الربا يعد الآن من أكثر الموضوعات. الاقتصادية والدينية أهمية، لوجود مسائل كثيرة تتعلق به يحتاج بحثها إلى تعمق دراسة الأبحاث العملية التي أجراها علماء الاجتماع والقانون ومقارنتها بالنصوص التي وردت بشأن مسألة تحريم الربا لكي تتجلى على ضوء ذلك جميع الإبهامات المتعلقة بالربا أو أكثرها.
ان هناك من المسائل الواقعية الكثيرة التي تتطلب الحل.

الموقف من امرأة أو قاصر يقتضي في مصاريفه ويفكر بعاقبة أمره فيوفر مبلغاً ليكون له عوناً في المستقبل أمام مشكلة المحافظة على هذا المبلغ فهو يخشى أن تتدنى عليه يد آثمة فتسرقه منه أو أن جعله تحت تصرف شخص آخر فقد يتبدد ولا يستطيع الحصول عليه وقت حاجته وإن تركه في إحدى المؤسسات الحكومية أو الأهلية (المصارف) ستتشوبه شبهة الربا المحرمة.

كما ان الأعمال الصناعية والزراعية والأعمال المتعلقة بالنقل والتجارة في عصرنا هذا لا يمكنها أن تتتعش بدون رؤوس الأموال الكبيرة التي تتطلب تأمين القسم الأعظم منها عن طريق القروض المصرفية.

إضافة إلى أن كثير ما يقع العامل أو الصانع أو الزارع في ضائقة مالية لا يحلها إلا قرض يسير من المصرف يكون نعمة كبيرة له مع كونه ذا فائدة (ربا) ولكن تحريم الفائدة يغلق الطريق أمام مثل هذه الحلول مما يؤدي إلى حرمان عائلة كاملة في أكثر الأحيان. أليس قرض بناء المساكن والقروض المعطاة لفتح مجالات العمل تعتبر (مع كونها مصحوبة بالفائدة) وسيلة لرفاه الطبقات المحرومة؟

وهذا معناه حرمان هذه الطبقات من هذه الوسيلة وستظل تحت وطأة الفقر والحرمان إذن علينا أن نأخذ برأي آية الله العظمى السيد محمد تقى المدرسى في أحكام المعاملات، ص ١٤٥ الذي جاء اجتهادا وقياسا لما نصت عليه الشريعة الإسلامية السمحنة التي جاءت رحمة للعالمين :

((أخذ الربا حرام وكذلك دفعه والشهادة عليه وكتابته والحرمة ثابتة، بلى إلا الاضطرار قد يجوز المحظور كحالة استثنائية ضرورية ولكنه لا يتحول حكم الحرمة إلى حكم الحلية بصورة كلية لذلك فإن الضرورة تقدر بقدرتها)) وتعنى هذه الحرمة القاعدة إن الضرورة إذا أباحت القيام بعمل محظور شرعا يجب أن يكون الخرق في حدود ارتفاع تلك الضرورة فقط وليس بشكل مطلق. فان كان الجوع مثلا يهدد حياة الإنسان ولم يكن ما ينقذه غير أكل الميتة، فان أجازت الشريعة له ذلك فلا يعني تناوله الميتة إلى حد الشبع والامتلاء بل يجوز له الأكل منها بقدر ارتفاع خطر الموت فقط، وليس اكثرا من ذلك قيل (في مثل آخر) بجواز الاقتراض من المصارف الربوية في حالة الاضطرار في هذه الخطوة يجب أن تقتصر على حدود الضرورة فعلا. فإذا كانت الضرورة هي الاقتراض لمعالجة مرض عضال (مثلا) فان الاقتراض ينبغي أن يتحدد في المبلغ الذي يحتاجه لواجب العلاجة وملابساتها الضرورية فقط ، أما اقتراض مبلغ اكبر للقيام بأمور أخرى غير ضرورية في البين فلا وشكنا.

آمل أن يكون بخشى هذا (إن شاء الله) بادرة خير للمشروعين في تشريعاتهم المستقبلية في معالجة موضوع الربا لتحقيق الأمن والمنافع للعباد والبلاد.

المصادر

- ١- المنهاج، يحيى بن شرف النووي في مغني المحتاج، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، ١٩٥٨.
- ٢- منهج الجليل على مختصر العالمة خليل، طبعت الاوقيسيت.
- ٣- الموطأ، الامام مالك في الشرح المسمى بتوكير الحوالك، للسيوطى، مطبعة مصطفى محمد.
- ٤- نيل الاوطار، محمد بن علي الشوكاني ، المطبعة العثمانية المصرية، ١٣٥٧.
- ٦- الوجيز في أصول الفقه، عبد علي زيدان، ط١ ، دار النذير ، بغداد ، ١٩٦٢ .

٧. الهدایة في شرح بداية المبتدئ، علي المرشدانی المرعثانی، مطبعة محمد علي صبح، مصر.

**أهمية
وكالات الانباء
كمصدر
من مصادر الاعلام**

د. صالح شاكر وتوت

٢٠٠٤ / ١٤٢٥ م

أهمية وكالات الأنباء كمصدر من مصادر الإعلام

المقدمة

تمثل وكالات الأنباء مصدراً رئيسياً للأخبار ضمن مسار العملية الإعلامية لقد تبوأَت هذه المؤسسات مركز الصدارة في التعامل مع الأحداث ومتابعتها وتغطيتها مجرياتها للجمهور عبر شبكاتها ومراسليها في مختلف البلدان والمناطق الساخنة من العالم. وقد استحوذت هذه الوكالات وخاصة الكبيرة منها ذات الصفة العالمية حيزاً واسعاً ومؤثرة في هذا الميدان، وبالتالي هيمنتها على مجرى تدفق الأخبار.

يحاول هذا البحث متابعة هذا الموضوع والوقوف على مفاصله المهمة في ضوء التجربة الميدانية للعمل في إحدى الوكالات المحلية.

تضمن البحث ثلاث مباحث رئيسية.. تناول المبحث الأول منها (دور وكالات الأنباء وأهميتها في العملية الإعلامية).. فيما يختص المبحث الثاني (وكالات الأنباء العربية والعالمية).. أما المبحث الثالث فقد كرس نحو (ظاهرة تدفق الأخبار باتجاه واحد)

/ مشكلة البحث

العملية غير المتوازنة في بث الأخبار بين الوكالات العالمية الكبرى في البلدان المتقدمة والوكالات الأخرى في البلدان النامية وكيفية إعادة التوازن والتداول الحر للأخبار ضمن نظام إعلامي دولي جديد.

هدف البحث /

التعریف بهذه الوکالات وأنشطتها الفاعلة وسط عالم ساخن الأحداث وتطور تکنولوجی کبیر في تقنية الإعلام ، والدور الذي تلعبه الوکالات المحلية في الدول النامية في خضم هذه التحولات.

منهجية البحث /

اعتمد البحث على المنهج الوصفي والتحليلي فيتناوله الموضوع وصولاً للنتائج.

المبحث الأول:

دور وكالات الانباء وأهميتها في العملية الإعلامية

تعتبر وكالات الانباء من ابرز وسائل الاعلام تأثیراً على الصعیدین الداخلي والخارجي .. وهذا التأثیر ناتج عن سبیین اساسین هو ان وكالة الانباء لا يقتصر عملها على المحيط الداخلي وانما یشمل نطاق عملها المحيط الخارجي فهي قادرة على الوصول الى مناطق وبقع جغرافية تعجز وسائل الاعلام الایخرى عن الوصول اليها بسبب الاجهزة المستخدمة في نقل الخبر وبشه.^١

وتعرف وكالات الانباء بانها المؤسسة التي تمتلك امکانیات واسعة تمکنها من استقبال الاخبار ونقلها وتستخدم شبكة من المراسلين لجمع الاخبار في عدد كبير من دول العالم.. كما تستخدم العديد من المحررين في مركزها الرئيسي يتولون تحریر المواد الاخبارية عالمية كانت ام محلية وارسالها باسرع وقت الى مكاتب الوکالات في الخارج للتوزیع المحلي على الصحف ومحطات الاذاعة والى وكالات الانباء المتعاقد معها والصحف ومحطات الاذاعة والتلفزيون خارج المناطق المشتركة فيها مباشرة.^٢

^١ طه البصري- وكالات الانباء والنظام الاعلامي الجديد بغداد ١٩٨٢ ص ٣.

^٢ عبد العزيز الغنام- مدخل في عالم الصحافة- دار النجاح- بيروت ١٩٧٢ ص ٧٧.

وتعد وكالات الانباء ايضاً بانها وسيلة من وسائل الاعلام غير المباشرة تصل الى الجمهور من خلال وسائل الاعلام الجماهيرية المعروفة كالصحافة المكتوبة والصحافة المسموعة والصحافة المسموعة المرئية.

وهي المصدر الرئيسي الذي تعتمد عليه وسائل الاعلام وتقتبس منه الاخبار والمعلومات والم蒙ون الرئيسي لهذه الوسائل بالمادة الاخبارية على اختلاف انواعها واشكالها^٣ وتقوم بدور عالمي هام في نقل وتبادل الانباء عبر القارات ويوهل لها للقيام بهذا الدور قدراتها التكنولوجية وكوادرها البشرية المدربة التي تستعين بها في جمع الانباء وتوزيعها بلغات عديدة في مختلف أنحاء العالم، فضلاً عن قدراتها المادية التي تجعلها قادرة على نقل اخبار العالم وتشكيل التصورات عن الاشخاص والشعوب والثقافات والوصول الى كل انسان على سطح الكره الأرضية^٤.

كما ان وكالات الانباء هي مصنع الاخبار في العالم تستخدمها الدول كافة، فهي مؤسسات كاملة واحتكرات دولية لا يستهان بها تستخدمها الدول الكبرى في تنفيذ سياستها نشرها وهجوماً ودفاعاً ودسائس وهي السلاح الرابع مع اسلحة البر والجو والبحر.

لهذا فان الصحيفة والاذاعة قادرتان على تغطية مناطق جغرافية في الغالب تكون قريبة الى مناطق البث الا اذا استخدمت وسائل تقوية في الغالب تكون قريبة الى مناطق جغرافية متعددة وهي عملية قد تكون صعبة في كثير من الحالات^٥.

^٣ تيسير ابو عرجه- الاعلام العربي تحديات الحاضر والمستقبل- عمان- دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ١٩٩٦ ص ١٧.

^٤ رفيق سكري- دراسة في الرأي العام والاعلام والدعائية- لبنان.

^٥ جامعة الدول العربية- الامانة العامة- توصيات اللجنة الدائمة للاعلام العربي دورة (٥٥) القاهرة ١٩٩٥ ص ١٧٧.

^٦ فريد ايار- التداول الحر المتوازن للمعلومات ضمن نظام اعلامي دولي جديد بيروت ١٩٨٢.

المبحث الثاني:

وكالات الانباء العربية والعالمية

إن وكالات الانباء لديها القدرة على ان تصل الى بقع جغرافية متعددة ويمكن لوكالة انباء واحدة ان تغطي كل العالم مجرد استخدام مرسلات ذات طاقة محددة وبتوجيه البث نحو منطقة جغرافية محددة.. فهذه الامكانية في الاجهزة المستخدمة والخاصة بوكالات الانباء تعطيها ميزه اقوى واكثر في التاثير من باقي وسائل الاعلام لأن الطاقة والرسالة التي تحتاجها الكلمة المطبوعة للبث هي اقل بكثير من الطاقة التي تحتاجها الكلمة الصحفية او التي يحتاجها الصوت او الصورة في النقل الى اماكن بعيدة ولذلك فمن السهل جدا استخدام مرسلات بطاقة محددة من اجل ايصال الكلمة المطبوعة الى اي مكان في العالم^٧.

هذا سبب يجعل وكالات الانباء أكثر قابلية وقدرة على التاثير وسبب آخر هو ان لوكالات الانباء بموجب طبيعة عملها وتعاملها مع الاحداث اليومية السريعة فهي اوسع انتشارا من بقية وسائل الاعلام الاخرى ، أي الصحف التي يكون لها مراسل في بلد او عدة بلدان او اكثرا - اما وكالات الانباء فلها مراسلون في مناطق متعددة من العالم فسعه الانتشار هذه ايضا توفر لها معلومات اضافية ومواد تجعل الاقبال عليها اكثر وبذلك يزداد تأثيرها في الوسطين الداخلي والخارجي على اعتبار انها يمكن ان تزود القاريء او المستمع او مشاهد التلفزيون بتفاصيل اكثر من اي مؤسسه اخرى وبذلك تستطيع الوكالة ان تؤثر بشكل فاعل في ذهنیه المواطن في الداخل والخارج لأنها توفر له كامل الاهتمامات التي يمكن ان توفرها له وسائل الاعلام الاخرى.

وبهذا تساهم هذه الوكالات اولا في تنوير المواطن وتعریفه بسياسة بلده الداخلية والخارجية وتجعله مواكبا للتطور الذي يحصل في بلده في النواحي التنموية او السياسية او الاجتماعية او الاقتصادية او الثقافية وكذلك فيما يحصل من تطور في هذه البلدان وليس بالضرورة ان تكون المادة مباشرة من وكالة الانباء واما هي معكوسه من خلال الصحيفة او الراديو او التلفزيون.

^٧ طه البصري - وكالات الانباء والنظام الاعلامي الجديد بغداد ١٩٨٢ مصدر سابق.

وتنقسم وكالات الانباء الى ثلاث مجموعات:

- ١- وكالات وطنية.. وتقوم هذه الوكالات بجمع المعلومات من البلد الذي تعمل فيه ثم تعالجها وارسالها الى الخارج.. اما الاخبار التي تصلها من الخارج فتشيرها فقط في بلدتها وبصرف النظر عن كونها تمتلك مكاتب للمراسلين في دول اخرى فهي بجوهرها وكالات وطنية.
- ٢- وكالات اقليمية.. وهي وكالات وطنية تحولت الى مراكز لتبادل الاخبار بين عدة دول تقع في منطقة واحدة او بين دول متقاربة.
- ٣- وكالات عالمية.

فهي تجمع و تعالج و تخزن و ترسل الاخبار من العالم كله والى العالم وساعد ظهورها على تطور الصحافة مما جعل ظاهرة الاتصال تأخذ بعدها جديداً فمن ناحية المكان صار العالم اكثر قرباً ومن ناحية الزمان اصبحت المعلومات اكثر حداثة من ذي قبل^٨ .. وتقديم هذه الوكالات خدمات معقّدة ومتنوعة فمنها الخدمات العامة التي تغطي كامل الاحداث الكبيرة والشؤون المتعددة الى الخدمات المتخصصة المختلفة مالية- علمية- رياضية- طبية^٩ كذلك فهي تعد اهم المنابع الخيرية من حيث جمع الاخبار ونشرها فور ورودها^{١٠}.

وبشكل عام يمكن ايجاز ابرز الوكالات العالمية والتي تشكل مصدراً رئيسياً لاخبار ومعلومات دول العالم وخاصة دول العالم النامي وهي.

١- وكالة اسيو شيتل برس AP

ترجع اصولها الى عام ١٨٤٨ حيث قدمت نفسها لاوربا كمؤسسة غير عادية باسم الجمعية التعاونية لاصحاب الصحف.. واكتسبت بالتدريج صفتها العمومية لكل البلاد والتي احتكرت فيما بعد العمل الاعلامي والاخباري في كل الولايات المتحدة الامريكية.

^٨ ياس خضرير البياتي- الاعلام الدولي والعربي- بغداد- جامعة بغداد- مديرية دار الكتب والنشر ١٩٩٣ ص ١٩٣ .

^٩ بيار البير- الصحافة- ترجمة محمد برجاوي ط بيروت منشورات عديدات ١٩٧٠ ص ٣١ .

^{١٠} عبد العزيز الغنام- مدخل في علم الصحافة ج- الصحافة اليومية- بيروت دار النجاح ١٩٧٢ ص ٧٥ .

ومنذ عام ١٩٣١ فتحت هذه الوكالة فروعها في لندن وباريس وبرلين ثم تغلغلت في السوق الاوربية للاخبار وتقوم حاليا بتقديم خدماتها الى اكثر من (١٥) الف جريدة والى محطات الاذاعة والتلفزيون في اكثربلد او لديها اكثربل (١١٥) مكتب داخل الولايات المتحدة و(٧٠) مكتب خارج الولايات المتحدة وعدد موظفيها يزيد على (٥) الاف موظف ومعدل حجم الاخبار المغطاة اربع وعشرين ساعة يعادل (٢٠) مليون كلمة.^{١١}.

٢- وكالة اليونايتيد برس انترناشونال UP1

ووجدت هذه الوكالة عام ١٩٥٨ نتيجة دمج وكالة اليونايتيد برس (UP) مع وكالة الانباء الدولية (NS).. وتعد هذه الوكالة من اهم الوكالات في امريكا ولها (١٠٠) مكتب داخل الولايات المتحدة و(٥٢٨) مكتب في دول العالم ومعدل البث اليومي لها (١٤) مليون كلمة وتبث اخبارها بخمسين لغة وتعمل لمدة (٢٤) ساعة يوميا.

٣- رویترز

تعد وكالة رویترز البريطانية من اكبر الوكالات العالمية في مجال الاخبار والمعلومات اسسها يوليوس رویتر عام (١٨٥١) في لندن وتشرف على ادارتها اربع جمعيات للاتحادات الصحفية وهي جمعيتا، مالكي الصحف البريطانية ووكالة الصحافة المتحدة الاسترالية ووكالة الصحافة النيوزيلاندية ووكالة برس اسوشيشن.

وتزود وكالة رویترز بالمواد الصحفية اكثر من (١٢٠) بلدا وتشير اخبارها بشكل منتظم ولديها (٤١٠٠) مشترك وعدد مكاتبها (١٦٣) مكتب موزعه في العديد من دول العالم فيما يبلغ بها اليومي (٥) ملايين كلمة.

^{١١} نشرة تعدادها اليونسكو تتضمن معلومات عن الوكالات العربية والعالمية ١٩٨٤.

٤- وكالة الصحافة الفرنسية AFP

تعد هذه الوكالة امتداد لوكالة هافاس التي تأسست عام ١٨٣٥ واستمرت حتى الحرب العالمية الثانية.. وقد عاودت نشاطها بعد ان تحررت فرنسا من سيطرة المانيا عام ١٩٤٤ وكانت مدعاومة من قبل الحكومة الفرنسية الا انها استقلت كليا عام ١٩٥٧ واخذ يشرف على ادارتها مجلس يمثل الصحف والاذاعة والشعب اضافة الى مثل عن الوكالة نفسها.. وتقديم هذه الوكالة خدماتها بخمس لغات هي الفرنسية والالمانية والعربية والاسبانية والانجليزية ولها ١٢٥٠٠ الف مشترك و ١٨٧ مكتب منتشرة في العديد من دول العالم ويبلغ معدل يثها اليومي (٢) مليوني كلمة.

وتعد وكالات الانباء الاربع وهي الاسيوشيتيد برس واليونايد برس -الامريكتان - ورويترز - البريطانية - ووكالة الصحافة الفرنسية مصدرا رئيسيا للانباء للكثير من وسائل الاعلام في دول العالم وخاصة العالم الثالث بحيث أصبحت هذه الوكالات تختكر معظم الانباء الدولية وتهيمن على النشاط الاعلامي لكثير من الدول وهو ما يدل على ان الحاجة تزداد الى هذه الوكالات العالمية بسبب سعه امكاناتها وقدراتها وانتشارها وهي المصدر الاساسي وصاحب الفضل في الحصول على الخبر من مصادر الاصحية او تقوم بنقل الاخبار عن طريق الوسائل الاعلامية وعلى جهود الوكالات المحلية وصحافتها في كثير من البلدان.

ومع تطور تكنولوجيا الاتصال التي أصبحت احد سمات العصر، فان الوكالات العالمية للانباء لم تتأثر اطلاقا كما يعتقد بعض المعينين بان اتساع مجالات الاعلام والاتصال المختلفة قد اضاعفت اهمية وكالات الانباء بل على العكس من ذلك تعد اليوم من اكبر المؤسسات الاعلامية استفادة من هذا العصر اذ لم يقتصر بها على الكلمات فحسب بل ان هناك مئات الصور والرسوم والبيانات وكل ما يساعد على الاحاطة بكل ما يجري في العالم وبجميع الاهتمامات، توزعها على الوسائل الاعلامية المشتركة في خدماتها.

وإذا ما أخذنا بالحسبان فان فكرة تاسيس وكالات الانباء العالمية قد وضعت على اساس تزويد المنشركين فيها من افراد وشركات ورجال الاعمال بنباء التجارة والمال واسعار البضائع وحالة السوق.

الى ان تطورت لتشمل فيما بعد الاخبار بانواعها والتي كانت في بدايتها

مشروعات تجارية فحسب^{١٢} فقد أصبحت الاخبار الاقتصادية والمالية ارضية للمنافسة الدائمة بين الوكالات الاربع.

ولكن تنوع الخدمات الاعلامية لهذه الوكالات الاربع الكبرى والانتقال من سوق المعلومات العامة الى سوق المعلومات المتخصصة الذي يحقق ربحا وايرادا اكثرا من السوق الأول يتطلب امتلاك هذه الوكالات التقنيات الخاصة بنشر هذه المعلومات ومستلزماتها والاستفادة من المتخصصين بال المجالات التقنية فضلا عن القائمين بالاتصال الذين اصبحوا متخصصين ب مجالات تقديم المحتوى .. لذا فان توظيف مثل هذه الطاقات الانتاجية التكنولوجية والبشرية اصبح يتطلب استثمارا ضخما باتجاهات الانتاج او البحث ودراسة الجدوى في اطار البناء المؤسسي ومن ثم فان المعلومات التي تبث اصبحت تعمل وفقا لبناء ضخم بآلياته^{١٣} ومن اجل تلافي المنافسة بين هذه الوكالات العالمية والمخاطر المالية والحفاظ على مستوياتها تجاه المنافسة فقد اتبعت خطوات يمكن تلخيصها بالاتي :

- أـ. احتكار التقنيات الخاصة بنشر المعلومات.
- بـ - بـ . تحقيق النزعة الربحية من خلال توظيف هذه التقنيات لخدمة السوق العالمية في تقديم المعلومات المتخصصة وال通用ة التي تتوج وتوزع على كل قارات العالم.
ومن هذين المنطلقين تستعر شدة المنافسة بين الوكالات الاربع فيقول (فيليب كifer) في سنة ١٩٨٥ ويفضل ترخيص خاص اتسم بخرقه لكل مظاهر المودة غدت AFP وكالة الصحافة الفرنسية اول وكالة تتمكن من استخدام البرق البصري ولم تتمكن منافساتها من الحصول على ترخيص باستخدامه الا بعد خمس سنوات لاحقا.

^{١٢} امال كمال قلنجي - وكالة ابناء رويتز وصناعة الاخبار اطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة الى كلية الاداب - جامعة بغداد ١٩٩٥ ص ١٨.

^{١٣} محمد عبد الحميد - نظريات الاعلام واتجاهات التأثير ط ١ القاهرة عالم الكتب ١٩٩٧ .

ولما كانت وكالات الانباء مصدراً كبيراً للانباء وبعد ان استعرضنا الوكالات الاربع العالمية فلا بد من الحديث ولو بصورة موجزة عن التطور العام لوكالات الانباء العربية.. فالاقطار العربية حتى منتصف الخمسينيات من القرن الماضي كانت تفتقر الى وكالات انباء محلية لذا كانت وسائل الاعلام تعتمد في الحصول على الاخبار العربية العالمية على وكالات الانباء العالمية والاذاعات العربية والاجنبية وبعد ذلك التاريخ اقدمت بعض المؤسسات الخاصة في بعض الاقطارات العربية على تأسيس وكالات للانباء وكان ذلك في مصر والمغرب ، فقد اقامت الصحف المصرية عام ١٩٥٦ وكالة انباء الشرق الاوسط كشركة خاصة عام ١٩٥٩ غير ان هذه التجربة لم تتجاوز هذين القطرتين اذ عمداً بقية الاقطارات العربية الى اقامة وكالات انباء رسمية خاصة بها.

وقد تحولت وكالة انباء الشرق الاوسط الى القطاع العام عام ١٩٦١ كما تحولت الوكالة المغربية الى مؤسسة رسمية تعبر عن رأي وفكرة السلطة السياسية وتعرف باختياراتها المركزية وتساندها مساندة مطلقة لذلك فان الحكومات العربية هي التي تموّل ميزانيات وكالات الانباء.

وتشكل الوكالات المصدر الاساسي للاخبار المتداولة وطنياً والتي تستغلها بنسبة كبيرة باقي وسائل الاعلام كالصحافة والاذاعة والتلفزيون وهذا ما يجعل وسائل الاعلام في البلد الواحد متشابهة تماماً ومعتمدة اساساً على ما تبثه وكالات الانباء الرسمية وخصوصاً فيما يتعلق بمختلف نشاطات السلطة والهيئات الرسمية التابعة لها ، وعموماً فان حجم الميزانيات المخصصة لوكالات الانباء ضعيف الى حد ما ولا يسمح في اغلب الاحيان بتطوير شبكة الوكالات على الاقل وطنياً.

فالمكاتب المحلية لهذه الوكالات هزيلة العدد وفي بعض الحالات غير موجودة اطلاقاً كما ان العنصر البشري لا يسمح عادة بتطوير شبكة المكاتب المحلية لهذه الوكالات.. وقد ادى هذا الوضع الى سيطرة وكالات الانباء العالمية على سير تدفق الاخبار محلياً ودولياً ذلك لأن ضعف وكالات الانباء العربية يجعلها تعتمد على الوكالات العالمية ولوكلات الانباء العربية وظيفتان رئيستان هما :

- ١- جميع وتوزيع الانباء المحلية.
- ٢- ضبط توزيع واستخدام الاخبار المتداولة من المصادر المختلفة سواء

محلية او عربية او عالمية بحيث تراعي وجهه النظر الرسمية وتنما الامكانيات البشرية والمادية والفنية بين وكالات الانباء العربية فبعضها كبير والآخر صغير بل ان بعض هذه الوكالات لا تمتلك اجهزة البث الاخباري التليبرنتر فتعمد الى توزيع نشرات مطبوعة مثل وكالة الانباء في اليمن وموريتانيا.

وتعاني معظم الوكالات العربية من عدم توفر المرسلات الكافية لايصال نشراتها الى مناطق اخرى خارج حدودها .. ولما كانت هذه الوكالات تتركز على اوربا في توزيع اخبارها فعمدت الى افتتاح مكاتب لها في الدول الاوربية في وقت تغطي وكالات الانباء العربية ٩٥٪ من استقبال وبث الاخبار داخل الحدود العربية.

وقد ظهرت دعوات على مستوى المؤسسات العربية والافراد الى ضرورة اقامة وكالة انباء عربية قومية ودولية لانهاء السيطرة الدولية للوكالات الكبرى الا ان هذه الدعوات لم تلق استجابة من الدول العربية لانشاء هذه الوكالة لاسباب تتعلق بالمشاكل الكثيرة التي تواجهها الوكالات العربية في عملها منها.

١- مشاكل داخلية ومن هذه المشاكل

- أـ. السعي الى تحقيق الربح عن طريق تفضيل الكمية على النوعية.
- بـ. تقديم اخبار ناقصة بهدف كسب اكبر عدد من المشتركين.
- جـ. السرعة على حساب الدقة.
- دـ. قيام الوكالات بسرقة الاخبار المنشورة من الوكالات الاخرى واعطاء مصدر الوكالة السارقة.

هـ. عدم تفهم بعض المسؤولين وتصورهم بان الاعلام اداة لخدمة الاشخاص.

وـ. نقص الكادر الفني المتخصص في عمل الوكالات.

٢- اما المشاكل الخارجية فهي :

- أـ. الفهم الخاطئ لكثير من الدول والمسؤولين حول تبعية الوكالة.
- بـ. الخدمات العربية تؤثر على عمل الوكالات والمراسلين.
- جـ. توفر فرص لراسلي الوكالات المعتمدين.

ومن المفيد ذكر أسماء عدد من الوكالات العربية ورموزها المستخدمة في البث.

١ - وكالة انباء الشرق الاوسط (أ. ش. أ).

٢ - وكالة الانباء العراقية (واع) توقف بثها بعد حل وزارة الاعلام.

٣ - وكالة الانباء السورية (سانا).

٤ - وكالة الانباء الجزائرية (داج).

٥ - وكالة الانباء اليمينية (سبا).

٦ - وكالة الانباء الاردنية (بترا).

٧ - وكالة الانباء الفلسطينية (وفا).

٨ - وكالة انباء المغرب العربي (حاب).

٩ - وكالة تونس افريقيا (وات).

١٠ - وكالة انباء السودانية (سوانا).

١١ - وكالة انباء الامارات (وام).

١٢ - وكالة الانباء القطرية (قنا).

١٣ - وكالة الانباء الكويتية (كونا).

١٤ - وكالة الانباء الليبية (واقع).

١٥ - وكالة انباء السعودية (واس).

١٦ - وكالة الانباء الصومالية (صونا).

١٧ - وكالة انباء عمان (العمانية).

١٨ - وكالة انباء الخليج (و. أ. خ).

١٩ - وكالة الانباء الموريتانية (وحص).

٢٠ - اتحاد وكالات الانباء العربية (فانا).

المبحث الثالث:

ظاهرة تدفق الأخبار باتجاه واحد.

ما تقدم يتضح لنا ان ظاهرة تدفق الاخبار في اتجاه واحد تمثل ابرز الظواهر في الحياة الدولية الراهنة حيث نجد ان هذا التدفق يوجه معظمها من الدول الكبرى الى الدول الصغرى من الدول التي لديها القوة ووسائل التكنولوجيا تجاه الدول الاقل تقدما مما خلق مشكلات كبيرة في عدم توازن التدفق الاعلامي وأوجد هيمنة واضحة للأنباء على حساب وكالات الانباء المحلية.

وكان الجدل حول هذا الاختلال قد ازدادت حدته بشأن مسألة التدفق الدولي للأنباء وسيطرة وكالات الانباء الكبرى على جمع الانباء ونشرها وذلك لان عملياتها الواسعة على نطاق العالم شبيها بالاحتكار في مجال نشر الانباء على الصعيد الدولي اذ تهيمن هذه الوكالات على نشر ما يقارب ٨٠٪ من انباء العالم ويدعو بعض الكتاب الى ان هذه الوكالات هي السبب الاساسي في الاختلال القائم في تدفق المعلومات على النطاق الدولي^{١٤}.

ويأتي هذا الاتهام لاملاك تلك الوكالات شبكة واسعة من المراسلين المنتشرين في شتى انحاء العالم اضافة الى استخدامها لأحدث تقنيات الاتصال الى جانب خبرتها الطويلة في جمع الانباء ومعالجتها وتوزيعها بلغات عديدة في انحاء العالم ولكل وكالة اكبر من مائة مكتب منتشرة في دول العالم وتستخدم الاف الموظفين والمراسلين للقيام بجمع مئات الالاف من الكلمات كل يوم وتوزيع ملاريين الكلمات على النطاقين المحلي والعالمي.. وكل منها يصدر انباءه على مدار ٢٤ ساعة في اليوم الى الالاف من الوكالات الوطنية والصحف المشتركة ومحطات الاذاعة والتلفزيون في اكبر من مائة دولة وجميعها يقوم بخدمة منظمة بالانكليزية والفرنسية والالمانية والاسبانية والروسية والبرتغالية والعربية وبلغات اخرى اقل اهمية^{١٥}.

^{١٤} تيسير ابو عرجه- الاعلام العربي- مصدر سابق ٢ ص ١٧١.

^{١٥} ماكريدي وآخرون- مصدر سابق- ص ١٣٧.

في حين ان اماكن كثيرة من العالم النامي لا تملك وكالات انبائها الوطنية والصحف والاذاعة مراسلون خاصون اضافة الى ان هناك ثلاثة بلدان ليس فيها وكالات للانباء، ويفتقر ثالثاً وكالات الانباء الموجودة الى المعدات الالازمة لارسال المعلومات الى البلدان الاخرى لذلك فهي تعتمد اعتماداً كاملاً على وكالات الانباء العالمية للحصول على الانباء الخارجية.. وعلى الرغم من كثرة عدد وكالات الانباء في الدول النامية فان عدد غير قليل من هذه الوكالات دون المستوى المطلوب لكونها مجرد مكاتب لجمع وتوزيع الاخبار وهذا يعني ان انشائها جاء رغبة من الحكومة لفرض سيطرتها وتحكمها في الاخبار والمعلومات التي ستزوج في الداخل.

و بما ان الجميع بحاجة الى المعلومات السياسية والاقتصادية وغيرها من المعلومات لذا لم يكن هناك وسيلة اخرى لتداول المعلومات والاخبار ورغبة من الجميع في معرفة ما يجري في العالم مما ادى الى هيمنة وكالات الانباء العالمية الكبرى على تدفق الاخبار والمعلومات ومهما تكون نوايا هذه الوكالات فانها لا بد ان تخضع خلال مسيرتها لعدد من الضغوط المالية والايديولوجية والتكنولوجية^{١٦}. وهناك ظاهرة اخرى تتعلق بنوع التغطية الاخبارية للاحاديث الدولية حيث اوضحت الدراسات العديدة في هذا المجال.

ان الاحاديث التي تقع في الدول الغربية المتقدمة هي المستهدف الاول في التغطية الاخبارية في صحف الدول النامية وذلك عكس ما يحدث في الاعلام العربي اذ ان التغطية الاعلامية كما يدور في العالم النامي تتركز على الانقلابات والازمات والطائف وكل ما يعطي صورة مشوهة للحقائق فضلا عن ضآلتها من الناحية الكمية^{١٧}.

وتجاهلها لعمليات التنمية وسائل المشروعات الايجابية في معظم دول العالم الثالث وهذا ما اكده لجنة ماكيرايد للاعلام بمنظمة اليونسكو اذ ان هذه الحقيقة ادت الى مزيد من السيطرة من جانب الاعلام الغربي ومزيد من التبعية من جانب الاعلام النامي.

^{١٦} التقرير النهائي للجنة الدولية للدراسة مشكلات الاتصال اليونسكو باريس ١٩٨٩.

^{١٧} احمد عبد الملك - قضايا اعلامية - عمان - دار مجذلاوي للنشر ١٩٩٩ ص ١٠٣ .

ان وكالات الانباء العالمية تنقل للدول النامية اخبار الدول النامية الاخرى واخبار الدول الشمالية.. ولا تثبت الاخبار الجديرة بالتقديم.. وبهذا تفرض على الدول النامية رؤيتها هي للعالم وليس كما تراه شعوب دول عالم الجنوبي فهذه الوكالات لا تكرس لابناء البلاد النامية الانسبة ٢٠٪ او ٣٠٪ من تغطيتها الاعلامية على الرغم من ان البلاد النامية تشكل ما يقرب من ثلاثة ارباع البشرية^{١٨}.

فعلى سبيل المثال ان وكالة انباء يونايتيد برس انترناشونال تكرس ٧٠٪ من اخبارها للاحاديث الجارية في شمال العالم وان ٣٠.٢٪ لامريكا اللاتينية و ١٠.٨٪ لافريقيا و ١٠.٥٪ لاوروبا ودول الاتحاد السوفياتي سابقا مع نسبة لا تتجاوز ٢١ - ٣٠٪ عن بلدان العالم الثالث^{١٩}.

واكدت دراسة اجريت في عام ١٩٧٩ وتناولت (١٤) صحيفة من كبريات صحف امريكا اللاتينية ان ٩٠.٧٪ من اخبارها العالمية مصدرها وكالات الانباء العالمية وهذا ما ينطبق بالضرورة على دول العالم الثالث ومنها الدول العربية^{٢٠}.

لذا فان الصحف في هذه البلدان تغدو وكأنها مجرد سوق لتوزيع اخبار هذه الوكالات مما يؤثر في قوة وشخصية تلك الصحف^{٢١}.

وذكرت اليونسكو في وثيقة دولية ان ثمة مشكلات وعوامل تعرقل العمل الاعلامي الى الدول النامية ومنها:^{٢٢}

- ١- ندرة الموارد المالية التي تعاني منها الدول النامية بصفة عامة ومرافقها الاتصالية بصفة خاصة.
- ٢- نقص الكوادر الفنية المؤهلة في مجال الاتصال والاعلام العديدة.
- ٣- المنافسة الشديدة بين موردي المعدات الفنية ووسائل الاتصال الحديثة.

^{١٨} مصطفى المصمودي- النظام الاعلامي الجديد- مصدر سابق ص ٤.

^{١٩} صابر فلحوط و محمد البخاري- التبادل الاعلامي دمشق العدد ٤.

^{٢٠} محمد المسماك- اشكالية الاعلام في لبنان واثرها في عملية السلام- مجلة دراسات عربية- بيروت- دار الطلبة العدد ١٩٩٩ ص ١٦.

^{٢١} د. ابراهيم امام- مصدر سابق ص ٥٣.

^{٢٢} وثيقة منظمة اليونسكو رقم ١١ ص ١١ - ١٠

- ٤- انخفاض القدرة الانتاجية للدول النامية في مجال انتاج معدات واجهزة اتصال.
- ٥- نقص المعلومات التي يمكن الاعتماد عليها والمناسبة للمستهلكين والمتمركة في الدول المتقدمة.

٦- استعداد غير كاف من قبل الدول المتقدمة لمساعدة الدول النامية في تطوير بناءها الاساسية في مجال الاتصال حيث لم يحظ هذا المجال بالاولوية المناسبة في مجال التعاون الدولي.
ويفسر هستر عملية التغطية الاخبارية في الدولة النامية فيلاحظ ان تدفق مثل هذه الانباء ودراسات حارس البوابة^{٢٣}.

تصبح ذات اهمية قصوى عندما تتناول تدفق الانباء الى الدول النامية ومنها ويقول ان حجم الرسائل الاخبارية التي تنقل الى الدول النامية ومنها يقل كثيرا عن الاخبار المتبادلة بين القوى الصناعية والغربية الكبرى وهكذا فان عملية الاختبار التي تحدد ما يتداور من خلال البوابات قد تحجب التدفق الاخباري تماما اذا كان حجم الرسائل الاخبارية قليل).

ويضيف د. هستر ان العاملين في وسائل الاعلام بالدول النامية سواء كانوا منهم من يعمل في مؤسسات حكومية او من يتمنى منهم للقطاعات المستنيرة من المواطنين يعلمون ان الانباء التي تخرج من بلادهم والتي تمر من البوابات العالمية للانباء لا تتجاوز القطرات عندما تصل الى بقية دول العالم^{٢٤} وقد فرضت وكالات الانباء الدولية نفسها على اعلام الدول النامية مستفيدة من تطور التقنيات والامكانات الفنية العالمية ومن منهج وطريقة ادائها التي تمثل في شمولية التغطية للاحادث في العالم وكتابة النص بصيغة توحى بالموضوعية والتجرد وسرعة توصيل الخبر وتأمين التسهيلات التقنية لتلقي الخبر^{٢٥}.

^{٢٣} حارس البوابة هو المسؤول الاخبارية الذي يقرر ما هي الانباء التي تبناها الوكالة وما هي تلك التي لا تبث راجع نظرية حارس البوابة الاعلامية د. جبهان احمد رشتي - الاسس العلمية لنظريات الاعلام - القاهرة - مترجم ص ٢٧٨.

^{٢٤} مجذ الهاشمي - الاعلام الدولي والصحافة عبر الاقمار الصناعية - عمان - دار المأهوج للنشر والتوزيع ٢٠٠١ ص ٩٤.

^{٢٥} خير ميلاد ابو بكر - التدفق الاعلامي من جانب واحد: ملامح الصورة والمخاطر السياسية والاجنبية على الوطن العربي - مجلة البحث الاعلامية طرابلس - مركز البحوث والتوثيق الاعلامي والثقافي التعبوي العدد ١٧ ١٩٩٩ ص ٣٥.

وتشير الدراسات الى ان وكالات الانباء العالمية تضع الاجندة لدول العالم الثالث بل وللعالم كله تقريباً فما تعتبره تلك الوكالات هاماً يصبح هاماً لدول اخرى.

وبما ان هذه الوكالات مرتبطة اساساً بالدول الصناعية المتقدمة فانها لا تستطيع الخروج عن الخط المرسوم لها ، لذلك فان عملية تشويهها للاخبار المنشورة عن بلدان العالم الثالث تتعدى حدود نشر معلومات كاذبة ليأخذ اشكالاً اخرى منها : أ- المغالاة في التاكيد على احداث ليس لها اهمية ، ب- وضع الحقائق التي لا ترتبط بعضها في قالب واحد وعرضها بشكل يوحي بانها متصلة وتكون حالة واحدة. ج- عرض الحقائق بطريقة ضمنية تعكس حالة رضا مما يقدمه النظام المهيمن. د- التشويه القائم على خلق حالة مزاجية وعقلية مسبقة نحو الاحداث وذلك عن طريق تقديم الاحداث ذات الابعاد المعروفة باسلوب خلق حالة خوف او شك لا اساس لها من الصحة. هـ - التشويه من خلال التعطيم او عدم نشر اي معلومات متصلة بالحدث او الموقف الذي لا يخدم مصالح الدول التي لا تنتمي اليها وكالات الانباء العالمية^{٢٦}.

كما ان الاخبار والمعلومات التي تروجها هذه الوكالات لا تتلائم في الواقع الحال مع بلدان العالم الثالث و حاجاته لانها جمعت ونشرت عن طريق مصادر واجهة الوكالات الغربية اضافة الى ان المحتكر هو الذي يحدد اي المواقف تقدم وأيها يمنع وهم يعلمون انهم يتحكمون بذلك التدفق اذ يحصلون على المعلومات التي يريدونها وبالشكل الذي يروننه مناسباً وفي الوقت الذي يرغبون فيه ايضاً^{٢٧} ، فضلاً عن ذلك تعمل على خدمة مصالح الدول التي تنتمي اليها في تغطيتها الاخبارية لمختلف احداث العالم لا تنفل هذا الامر وانما هو في صميم عملها في هذا الاتجاه على رغم ما تدعيه من موضوعية او حياد في نقل الاخبار (فهذه الوكالات تلجأ الى تلوين الاخبار طبقاً لمصالحها ومصالح النظم السياسية والاقتصادية التي

^{٢٦} د. ياس خضرير البياتي - الاستراتيجية الامريكية للغزو الاعلامي مجلة شؤون سياسية العدد ١٩٩٤ ص ٥٤.

^{٢٧} راكييل ساليناس باسكير - وكالات الانباء والنظام الاعلامي الجديد بيورت ، اتحاد وكالات الانباء العربية ١٩٨٩ ص ١٢٨ .

تبعها)^{٢٨} والامر نفسه بالنسبة للعالم العربي الذي يشكل جزء من دول الجنوب اذ يوجد ما يزيد عن ٢٢ وكالة انباء عربية الا ان بعض هذه الوكالات اقرب الى مكاتب اعلامية تابعة لوزارات الاعلام مباشرة وانتاجها ضعيف قياسا الى السيل الكثيف الذي تتوجه وكالات الانباء العالمية الكبرى مما يدفع وكالات الانباء العربية الى اللجوء الى الوكالات الدولية خصوصا فيما يتعلق بانباء العالم الخارجي وحتى فيما يتعلق بالانباء المحلية ذاتها فليس من الغريب مثلا ان تنقل بعض الوكالات العربية عن الوكالات الاجنبية احداثا تجري في محيطها الجغرافي والثقافي والوطني ، ويفسر هذا الوضع ضعف هياكل وكالات الانباء التابعة لها يضاف الى ذلك ان وجود مكاتب خارجية تابعة لبعض هذه الوكالات لا يعني في حد ذاته ضمان تدفق مرضٍ للأنباء إذ أن هذه المكاتب غالبا ما تكون مصالح حكومية ملحقة بالسفارات والهيئات الدبلوماسية العربية في الخارج^{٢٩} .

وعلى الرغم من التطور الذي حصل في عمل وكالات الانباء العربية وسعى وسائل الاعلام العربية لتتوسيع مصادر انبائها الخارجية فان وكالات الانباء الغربية ما زالت هي المصدر الرئيسي للاخبار الخارجية وهي اي الوكالات الغربية هي التي تحدد حجم ونوعية اهتمامات وسائل الاعلام العربية وللأسباب التالية.

١ - طغيان النموذج الغربي لمضمون الاخبار الخارجية على وسائل الاعلام العربية من حيث التركيز على انباء الصراع والعلاقات الدولية والتطورات الداخلية في الدول الاخرى بخاصة تلك الاخبار المثيرة او غير المألوفة مع قلة الاهتمام او تجاهل الانباء التي تمس التطورات الايجابية في الدول النامية وخاصة الاخبار المتعلقة بالتنمية بالإضافة الى العاصفة الاخبارية التي وضعت عالم الجنوب بما فيه الوطن العربي على كرسي الاتهام بعد احداث ١١ ايلول ٢٠٠١.

٢ - التركيز على انباء العالم الاول وبخاصة الولايات المتحدة وغربي اوروبا وتقديمه في كم الاخبار ومضمونها على انه محور الاحداث الصالحة للبث عبر العالم ومركز ادارة النظام الدولي كله وخاصة في العلاقات الدولية وادارة الصراع الدولي.

^{٢٨} د. محمد نجيب الصرايره مصدر سابق ص ١٣٩.

^{٢٩} مصطفى المصمودي - النظام الاعلامي الجديد - مصدر سابق ص ٢٢٦.

- التعديم الاخباري المتعمد وتحريف اخبار العالم الثالث ويأتي ذلك من خلال نشر كم من الاخبار لا تتناسب اطلاقا مع وزنه في المجتمع الدولي اما تحريف الانباء بالمعنى الدقيق للعبارة يحدث عندما تحل الاخطاء او الاكاذيب محل الحقائق الثابتة او عندما يضاف تفسير محرف الى الخبر عن طريق استخدام صفات التحثير او القوالب الجامدة مثلا فهناك طرقا متعددة يتم بها تحريف الصورة الكاملة للاحاديث والمواقف وهذا يحدث عندما تعطي احداث لا تنطوي على اهمية حقيقة موضعا بارزا وعندما تخرج امور سطحية او لاصلة لها بالموضوع مع حقائق ذات اهمية فعلية او صنع الاخبار من حقائق عشوائية وتقديمها كحقيقة متكاملة او عندما تجمع الحقائق الجزئية لكي تعطي انطباعا بانها الحقيقة الكاملة او عرض الحقائق بطريقة تثير شكوكا ومخاوف لا اساس لها من الصحة او مبالغ فيها يهدف التحكم في رد الفعل من جانب الافراد او حتى جماعة باكميلها او حكومات او التزام الصمت ازاء حقائق واحاديث يفترض انها تهم الجمهور.

ومن خلال ما تقدم يتضح لنا ان حركة الاخبار تمثل قلة في الانسياب من الجنوب الى الشمال اي من الدول النامية الى الدول التي تعتبر متقدمة (كما ونوعا) ولهذا فقد خطت الدول النامية خطوات منها تأسيس مجمع لوكالات انباء عدم الانحياز وبدأ نشاطه في كانون الثاني ١٩٧٥ في بغداد بيوغسلافيا.. كما تم في نيسان عام ١٩٧٤ في بغداد عقد مؤتمر لوكالات الانباء العربية تم فيه تعديل نظام اتحاد وكالات الانباء العربية بما يضمن التنسيق بينها لايجاد السبل لزيادة تدفق المعلومات العربية الى اوربا وافريقيا وامريكا اللاتينية بذلك عمل هذا الاتحاد على عقد ندوات بين وكالات الانباء العربية من جهة ووكالات انباء افريقيا واوربا وامريكا اللاتينية من جهة اخرى.

وان كانت هذه الخطوات قد مثلت البداية في العمل على اعادة التوازن في انساب المعلومات والاخبار بين دول العالم فان الضرورة تقضي بتوفير شروط كثيرة امام وكالات الانباء التي تعمل في الدول التي تسير نحو النمو لتقترب من الوكالات الكبرى تكنولوجيا وفنانا واعلاميا وهذه الشروط هي :

- ١- توفير قدر كامل من اجهزة الاتصالات واجهزه نقل المعلومات الصوريه.
- ٢- توفير قدر كامل من المشتركين في اوربا وامريكا والدول الاخرى تستلم المعلومات من خلال عقد اتفاقيات تعاون معها.

- ٣- مساهمة اليونسكو مع المنظمات الإقليمية القائمة للمساهمة في تدريب العاملين وتطوير قدراتهم سواء من الناحية الفنية أو الإعلامية.
- ٥- اعداد كادر متخصص قادر على تميز المعلومات التي تثير اهتمام شعوب اوربا وامريكا والدول الأخرى.

المصادر

- ١- احمد عبد الملك- قضايا إعلامية- عمان- دار مجذلاوي للنشر ١٩٩٩ ص ١٠٣
- ٢- التقرير النهائي للجنة الدولية لدراسة مشكلات الاتصال- اليونسكو- باريس .. ١٩٨٩
- ٣- آمال كمال قلنجي- وكالة أنباء رويتز وصناعة الأخبار أطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة الى كلية الآداب - جامعة بغداد ١٩٩٥ ص ١٨.
- ٤- بيار البيير- الصحافة- ترجمة محمد برجاوي ط ١ بيروت- منشورات تحديات ١٩٧٠ ص ٣١.
- ٥- تيسير ابو عرجه- الإعلام العربي تحديات الحاضر والمستقبل- عمان دار مجذلاوي للنشر والتوزيع ١٩٩٦ ص ١٧.
- ٦- تيسير ابو عرجه- الإعلام العربي- مصدر سابق ط ٢ ص ١٧١.
- ٧- جامعة الدول العربية- الامانة العامة- توصيات اللجنة الدائمة للإعلام العربي- دورة ٥٥٩ القاهرة ١٩٩٥ ص ١٧٧.
- ٨- خبر ميلادي ابو بكر- التدفق الإعلامي من جانب واحد: ملامح الصورة والمخاطر السياسية والأمنية على الوطن العربي- مجلة البحوث الإعلامية- طرابلس- مركز البحوث والتوثيق الإعلامي والثقافي التعبوي العدد ١٧ ١٩٩٩ ص ٣٥.
- ٩- د. إبراهيم إمام- تدفق الأخبار- القاهرة ١٩٨٩ ص ٥٣.

- ١٠ - د. ياس خضير البياتي - الاعلام الدولي والعربي - بغداد - جامعة بغداد - مديرية دار الكتب والنشر ١٩٨٣ ص ١٩٣.
- ١١ - د. ياس خضير البياتي الاستراتيجية الأمريكية للغزو الإعلامي - مجلة شؤون سياسية العدد ٢ ١٩٩٤ ص ٥٤
- ١٢ - راكيل ساليناس باسكير - وكالات الانباء النظام الإعلامي الجديد - بيروت - اتحاد وكالات الانباء العربية ١٩٨٩ ص ١٢٨.
- ١٣ - رفيق سكري - دراسة في الرأي العام والاعلام والدعائية - لبنان
- ١٤ - صابر فلحوط و محمد البخاري - التبادل الإعلامي - دمشق - العدد ٤ ١٩٩٩ ص ١٦.
- ١٥ - طه البصري - وكالات الانباء والنظام الإعلامي الجديد ١٩٨٢.
- ١٦ - عبد العزيز الغنام - مدخل في عالم الصحافة ح ١ الصحافة اليومية - بيروت - دار النجاح ١٩٧٢ ص ٧٥
- ١٧ - عبد العزيز الغنام - مدخل في عالم الصحافة - دار النجاح - بيروت ص ٧٧
- ١٨ - عواطف عبد الرحمن - قضايا التبعية الإعلامية والثقافية في العالم الثالث - الكويت - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - سلسلة عالم المعرفة ١٩٨٤ ص ٨١.
- ١٩ - فريد أبيار - التداول الحر المتوازن للمعلومات ضمن نظام اعلامي دولي جديد - بيروت ١٩٨٢.
- ٢٠ - ماكرايد وآخرون - مصدر سابق - ص ١٣٧.
- ٢١ - محمد السماك - إشكالية الإعلام في لبنان - مجلة دراسات عربية.
- ٢٢ - محمد عبد الحميد - نظريات الإعلام واتجاهات التأثير ط ١ القاهرة - عالم الكتب ١٩٩٧.

- ٢٣ - محمد الهاشمي - الإعلام الدولي والصحافة عبر الأقمار الصناعية - عمان - دار المناهج للنشر والتوزيع ٢٠٠١ ص. ٩٤.
- ٢٤ - مصطفى المصمودي - النظام الإعلامي الجديد - القاهرة ١٩٩٠ ص. ٤.
- ٢٥ - منظمة اليونسكو رقم ١١ ص. ١١.
- ٢٦ - نشرة تعدادها اليونسكو تتضمن معلومات عن الوكالات العربية والعالمية .

الخبر الصحفى

عنصر اساسي من عناصر العملية الاعلامية

د. صالح شاكر وتوت

١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م

الخبر الصحفى

عنصر أساسى من عناصر العملية الإعلامية

المقدمة

تمثل الأخبار جانباً مهماً في عالم الإعلام في عالمنا المعاصر، وتبقى على الدوام السبيل الفاعل في متابعة الأحداث وتطوراتها في خضم ذلك الكم الهائل منها الذي تتجاوزه وسائل الاتصال ب مختلف أشكالها.

يمثل (الخبر) عنصراً أساسياً في تلك العملية الإعلامية، سواء في مجال الصحافة أو الإذاعة أو قنوات التلفزة وشبكات البث الفضائي.

إنَّ صناعة الأخبار وأساليب إعدادها وإخراجها قد شهدت تطويراً كبيراً في سنوات العقد الأخير من القرن الماضي، وقد امتد هذا التطور ليشمل لغة الخبر وطريقة صياغته وتحريره وقوالبه والشكل الذي يصل به إلى المتلقى. لذلك فقد أولى الباحثون، ومازالوا، هذا الموضوع أهمية خاصة انسجاماً مع تلك التطورات الكبيرة التي تشهدها الصحافة في نظرتنا إليها كعلم وفن وصناعة.

ويأتي هذا البحث مساهمة جادة لولوج هذا المترنح بأطر علمية توأكـب مستجداته.

تضمن البحث خمسة بحوث فرعية.. تناول البحث الأول (تعريف الخبر وبيان عناصره) فيما جاء البحث الثاني موضحاً (نماذج الأخبار).. أما البحث الثالث فقد تناول (مصادر الخبر

الصـفـفي).. أـمـاـ الـمـبـحـثـ الـرـابـعـ فـقـدـ كـرـسـ لـعـمـلـيـةـ (ـتـحـرـيرـ الـخـبـرـ)ـ فـيـمـاـ اـهـتـمـ الـمـبـحـثـ الـخـامـسـ وـالـأـخـيـرـ بـ(ـالـخـبـرـ الـإـلـكـتـرـوـنـيـ)ـ .

مشكلة البحث

إن التطور الهائل الذي شهدته الصحافة في توزيعها الواسع بالملايين وتنوع جمهورها ، وما رافق ذلك من تحول وتغيير في الذوق العام ، وتنوع الوسائل الإخبارية ، فقد امتد ليشمل العملية الكتابية ذاتها ، وليجعل مفهوم (الخبر) موضع جدل حاد ونقاش حاسم تناولته مدارس مختلفة. كل ذلك دفعني للخوض في هذا الموضوع ومحاولة تحديد الأطر الناجعة في تحديده.

هدف البحث

إشاعة المفاهيم العلمية الحديثة في موضوعة (الخبر) وخاصة بين الجيل الجديد من الصحفيين لتكون معايير شأتهم وفق معايير تأخذ بنظر الاعتبار ما تقدم.

منهجية البحث

اعتمد البحث على المنهج التحليلي في تناوله مفردات الموضوع وصولا إلى النتائج المتواخدة.

المبحث الأول: تعريف الخبر وعناصره

تعريف الخبر

لم يعد الخبر الصحفي مجرد وصف اعتيادي لحدث معين يحظى بالاهتمام بل أصبح صناعه ميزة لها سماتها الخاصة ، وهذه الصناعة الصحفية دخلت وتفاعلـت فيها عوامل عـدـةـ أـسـهـمـتـ فيـ تـطـورـ أـسـالـيـبـهاـ وـوسـائـلـهاـ وـطـرـائـقـ إيـصالـهاـ إـلـىـ الجـمـهـورـ.

إن عملية جمع الأخبار وإعدادها وتوزيعها دخلت مرحله مهمة من التطور الذى رافق ثورة الاتصال والمعلوماتية وهكذا نجد العملية الإخبارية قد تعقدت تبعاً لعالم مليء بالصراعات المختلفة من إيديولوجية وثقافية واجتماعية واقتصادية وسياسية تركت أثراً لها واضحاً في العملية الإخبارية.

وقد شهد النصف الثاني من القرن الماضى ظهور أنماط جديدة من أساليب تحرير وكتابه الأخبار وتغيرت النظرة إلى الخبر تعرضاً ومفهوماً وأصبحت عملية إعداده صناعة متقدمة ومعقده تجاوزت الوصف الاعتيادى للأحداث الجارية لتصبح عملية دقيقة لها وسائل وأساليبها وفلسفتها الخاصة.

وكثيراً ما كنا نقرأ في كتب الصحافة تعريفات للخبر تقاد تلقى في مفهوم عام وهو ان الخبر وصف لحدث انى يحظى بالاهتمام.

ومضت عقود طويلة ظل فيها هذا المفهوم العام راسخاً في أذهان كتاب الخبر والمحررين والمراسلين الذين وجدوا إن مهمتهم الصحفية تقوم على اطلاع القراء وتنويرهم بما يجري من أحداث.. فقد عرف فور تكليف الخبر ونشره عام ١٨٦٥ بأنه الإثارة والخروج عن المألوف.. فعندما بعض الكلب رجلاً فهذا ليس خبر ولكن عندما يعض الرجل كلباً فهذا هو الخبر^١ ويرى نيل ماكتيل الذي عمل مساعد رئيس التحرير للشؤون الخارجية في صحيفة نيويورك تايمز أن الخبر هو جمع الحقائق عن الأحداث الجارية التي تثير اهتمام القراء لكي تطبعها الصحفة^٢ وعرف جيرالد جونسون الخبر بأنه وصف أو تقرير لحدث مهم بالنسبة للجمهور كما هو مهم بالنسبة للمخبر الصحفي نفسه فقيمة الحدث بالنسبة للمخبر يتحدد بمدى قابلية هذا الحدث للنشر^٣.

ويرى فرايزر بوند إن الخبر هو تقرير وقتي عن أي شيء مثير بالنسبة للإنسان والخبر الجيد هو الخبر الذي يثير اهتمام أكبر عدد من القراء، يعتبر خبراً مهماً^٤.

^١ هوف جورج - البراق الصحفى - شركة هفت ملحن بوسطن ١٩٧٣ ص ٢

^٢ ماكتيل - تعليم الصحافة ط٤ شركة ماكميلان نيويورك ١٩٥٥ ص ١١٢

^٣ هوف جورج - البراق الصحفى . مصدر سابق

^٤ بوند، فرايزر مقدمة للصحافة شركة ماكميلان - نيويورك ١٩٦١ ص ٧٨

^٥ نفس المصدر السابق.

أما عبد اللطيف حمزه فقد عرف الخبر بأنه الجديد الذي يتلهف القراء على معرفته والوقوف عليه بمجرد صدور الجريدة وعرف د. عبد الستار جواد الخبر بأنه شيء لا نعرفه من قبل ، شيء نسيته أو إنك لم تفهمه^٦.

ومن خلال التعريف الكثيرة للخبر والتي أوردنا قسمًا منها نستطيع ان نعرف الخبر بالاستناد الى خبرتنا العملية بأنه تقرير عن حدث لم يكن معروفا عند الناس من قبل جمع بدقة من مصادر موثوقة بصحتها على أن يقوم بكتابته محرورون متخصصون في العمل الصحفي.

وعرفه ماكدوجل بأنه / تقرير عن حادث معين ترى الصحفية في نشره وسيلة للربح المادي^٧. كما عرفه فارنس فاليز بأنه / ذلك النوع الصحفي الذي يقوم بنقل معلومات معينة بشكل ملتزم حول وقائع ملموسة أو يعكس أحداث معينة بأسلوب مكثف وبأسرع طريقة ممكنة وينبغي أن يكون واقعياً ومتزماً ومقنعاً^٨.

وعرفه جلال الدين الحمامصي بأنه / كل خبير يرى بأنه جدير بان يجمع ويطبع وينشر على الناس^٩.

ويرى أديب خضور ان الخبر هو نوع صحف مستقل يقدم وقائع دقيقة ومتوازنة وجديده عن حدث يهم المجتمع^{١٠}.

اجزاء الخبر

يتكون الخبر من ثلاثة أجزاء رئيسية هي :

١- المقدمة

ويتم تحريرها باختيار أهم جزء من تفاصيل الخبر الذي يمثل مركز الثقل وصياغته في فقرة لا يتجاوز عدد كلماتها الثلاثين تتضمن ملخصا للموضوع وتكشف عن هوية الأشخاص والأماكن

^٦ د. عبد الستار جواد- فن كتابة الاخبار- عمان ٢٠٠٢ ص ٤٣

^٧ قيس الياسري- الخبر الصحفي- دراسة نظرية وتطبيقات- بغداد- دار الحكمة للنشر والتوزيع ١٩٨٧ ص ١٢ .

^٨ اديب خضور- الخبر الصحفي- دمشق- مطباع دار البعث- ١٩٨٢ ص ١٥ .

^٩ جلال الدين الحمامصي- المتذوب الصحفي- القاهرة- دار المعارف ١٩٩٣ ص ٢٣ .

^{١٠} تيسير ابو عرجه- الصحافة المعاصرة- الامارات المتحدة- دار الكتب الجامعي ١٩٩٩ ص ١٢ .

من ذوي العلاقة وتبرز الطابع المميز للخبر وتعطي آخر التفاصيل عن الحدث وتثير اهتمام القاريء لمتابعة قراءه الخبر.

٢- تفاصيل أحداث الخبر

وت تكون من أجزاء كل منها تشكل شريحة من الخبر تتناول جزء من أحداثه في وحدة متكاملة يتم ترتيبها في تسلسل وفق الأهمية التنازلية لكل منها.. اي نبدأ من الأهم ثم الأقل أهمية وهكذا.

٣- خلفيات الخبر

وهي الأصول الرئيسية التي تسببت بوقوع الحدث أو تطوراته السابقة ويمكن تجزئه أوليات الحدث إلى فقرات تتضمن كل منها جزء من تلك الأوليات أو الأصول في وحدة متكاملة ويتم ترتيبها وفق الأهمية التنازلية لكل منها.

ومن خلال خبرتنا العملية والنظرية في تحرير الخبر.. فالخبر الكامل هو الذي يعطي الإجابات الواافية والكافلة على الأسئلة الستة التالية:

- ١ - من .. من الذي لعب الدور الأول في وقوع الحدث
- ٢ - متى .. زمن وقوع الحدث.
- ٣ - أين .. مكان وقوع الحدث.
- ٤ - ماذا .. ماذا حدث.
- ٥ - كيف .. تفاصيل الحدث.
- ٦ - لماذا .. أوليات أو خلفيات الحدث.

وليس بالضرورة ان تتوفر في الخبر الإجابة على الأسئلة الستة ولكن المحرر الصحفي يسعى دائماً ليضمن خبره الإجابات على ما يستطيع من هذه الأسئلة.

كما ليس بالضرورة أن تكون لكل الأخبار خلفيات فهناك أخبار ليست لها أوليات سابقة وان ذكرت هذه الأوليات وكانت معروفة لدى القراء فإنها تصبح ليست ضرورية.

عناصر الخبر

في كثير من الكتب المنهجية التي تدرس في المعاهد والجامعات في العالم تبأينت عناصر او شروط الخبر فقد ذكر الألماني كاسبر ستيلر في عام ١٦٩٥ العناصر التالية.

- ١- الجد والطرافه
- ٢- قرب المكان
- ٣- التأثير
- ٤- الأهمية
- ٥- السلبية

ومن أكثر الدراسات التي تناولت عناصر الخبر جدلا هو ما ذهب إليه كالتونك وماري روج في الدراسة التي نشرت في كتاب (صناعة الأخبار) مؤلفيه كوهين وبونك.. وهذان الباحثان الترويجيان يريان ان هناك احتمالا اكبر لنشر الأحداث إذا كانت تلبي أيها أو بعض أو عدة معايير من المعايير الآتية :

- ١- نسبة الخبر : وهي تتعلق بالوقت الذي يستغرقه وقوع الخبر بشكل يتاسب مع وقت الوسيلة الإخبارية فحدث اغتيال مثلا أكثر جدارة صحفية من تقديم بطئ لأحد بلدان العالم الثالث.
٢. الضخامة : كلما كان الخبر أكبر كان أفضل وكلما كان دارماتيكيا كلما زادت قوة تأثيره وتحقيقه لما يسمى باندفاع الجمهور.
- ٣- الوضوح : كلما كانت الأحداث واضحة ومحددة كلما سهل على الجمهور ملاحظتها وسهل على المراسلين التعامل معها.
- ٤- الالفة : وهذه الخاصية الخبرية تتعلق بالجماعة وبالقرب الثقافي وبما يتناغم مع الجمهور الملتقي فالأشياء القرية مما تعينا أكثر من سواها.
- ٥- التمايل : هذا يعني درجة التقاء الأحداث مع توقعات الجمهور وتنبؤاته.
- ٦- الدهشة المفاجأة .. لابد ان يكون الخبر مفاجئا وغير متوقع أو نادر ليكون الخبر جيداً.
- ٧- الاستمرارية : وهذه الخاصية تفترض ان يكون الخبر جديداً ليقع في عناوين الصحف ونشرات الأنباء وان تستمر جدارته الصحفية حتى عندما تتضاءل ضخامته.
- ٨- التشكيل / التركيب : ان الحاجة في تحقيق التوازن في نشر الأخبار يجعل المحرر أو الناشر بطرح بعض العناصر المتناقضة ، مثل نشره بعض الأخبار المحلية إذا كانت غالبية الأخبار المشورة في

الصحيفة هي أخبار خارجية أو أن ينشر بعض الأخبار الحقيقة والمشوقة إذا كانت نسبة الأخبار التي تبعث على التشاؤم عالية^{١١}.

وفي كتابة المشهور الرأي العام الذي صدر عام ١٩٢٢ ذكر وولتر لييمان العناصر التالية^{١٢} :

أ- وضوح الحدث

ب- الغرابة والدهشة

ج- القرب الجغرافي

د- التأثير الشخصي

هـ- الصراع

وقد سرد الباحثين العناصر الأساسية المعتمدة في صحافة العالم الثالث والتي تؤكد على التنمية الاقتصادية والثقافة الوطنية وإبراز صورة مشرقة عن العالم الثالث وهي^{١٣} :

١. التنمية

٢. المسؤولية الاجتماعية

٣. التكامل الوطني

٤. التشقيف

٥. قرب المكان

٦. الاهتمام الشخصي

وتتجلى هذه العناصر في طريقة عرض الأخبار في صحافة العالم الثالث حيث يتم إبراز الأخبار الإيجابية وإنشاء المشاريع والمصانع وحملات التطعيم ضد الأمراض ومحو الأمية ونشاطات زعماء هذه الدول.. كما يتم حجب أخبار العنف والجريمة والفساد والفضائح والسياسات الخاطئة.

^{١١} عبد الستار جواد فن كتابة الاخبار. مصدر سابق

^{١٢} نفس المصدر السابق.

^{١٣} دليل الصحفي في العالم الثالث - ترجمة كمال عبد الرؤوف القاهرة الدار الدولية للنشر والتوزيع ١٩٨٨ ص ٥٧

ومن الناحية العملية فهناك عناصر أساسية تدخل في تشكيل بنية الخبر وتكامل داخل هيكلة العام بشكل متجانس يعطين خبرا وهي :

١- ان يكون الخبر حقيقة اي وقع فعلا.

وبهذا يجب ان تكون المعلومات والواقع والأسماء والأمكنة والتاريخ والأشخاص أو المؤسسات التي يتناولها الخبر دقيقة بأقصى ما يمكن وان اي خلل في إيراد الواقع الإخبارية من حيث دقتها ينزل الخبر أساسا وينسف الثقة لدى الشخص المتلقى بالجهة التي أوردت الخبر.

٢- أن يكون مثيرا أو يهم اكبر عدد ممكن من الناس.

وهذا يعني إن الخبر لا يعطي الواقع أو الحقائق جامدة أو بلغه روتينيه بل انه يهتم باللامح المشوقة بخصوص الواقع التي ينطوي عليها.. ولكي تهم الأخبار اكبر عدد ممكن من الناس يفترض أن تعبر بالدرجة الأولى عن مصالحهم أو أفكارهم أو عواطفهم وعليه يجب أن تكون الأخبار واقعية تتضمن حقائق ملموسة صلبة قاطعة لكي تكسب اهتمام الناس.

٣- ان تكون لفته بسيطة وموجزه لكنها متينة البناء

ان هذه الميزة ضرورية للأخبار بما يجعلها قريبة إلى مدارك الناس وعقولهم وعلى العموم فان الصحفيين يكتبون بلغه يفهمها خريج الدراسة المتوسطة كمعدل.

٤- الجده أو الحداثة

ان عنصر الجده أساسى للغاية في الأخبار فهي / أي الأخبار / تفقد ثقلها وأهميتها في الأغلب عندما تكون قدية وتمثل الجده في الأخبار عنصر استقطاب اهتمام الشخص المتلقى (قارئ، مستمع، مشاهد).

وفي جو تنافسي بين الصحافة في الداخل او مع الصحافة العربية والأجنبية يكون عنصر الجده ذا أهمية قصوى لكسب التنافس فالشخص المتلقى يهمل طبعا الصحفة أو الإذاعة التي تقدم له أخبارا وارده ومعروفة.

المبحث الثاني: نماذج الأخبار

نماذج الأخبار

بالنظر لتعقد العملية الإخبارية وتعدد وجهات النظر إلى مفهوم الخبر في ضوء المعطيات العصرية الجديدة وما أفرزته صناعة الأخبار التي تمر بمرحلة حاسمة من التطور، فقد تدارس علماء الصحافة وكتاب الأخبار والباحثون الإعلاميون واقع الخبر في ظل المنافسة الصحفية والتحول الثقافي والاقتصادي السياسي الذي يشهده العالم اليوم.

قد عقدت عدة حلقات دراسية وندوات علمية في الولايات المتحدة وأوروبا وبعض دول العالم الثالث قدمت فيها دراسات ألقت شيئاً من الضوء الجديد على مفهوم الخبر وصناعته.

وقد خلص الباحثون إلى طرح لربعة نماذج للأخبار ذات ملامح وخصائص مميزة وتجسد نظرية حرافية متطرفة للعملية الإخبارية وطائق إعداد الأخبار لتكون صالحة للاستعمال من قبل وسائل الإعلام الإخبارية المختلفة.. وكل نموذج من هذه النماذج يكشف عن القوى المؤثرة في صناعة الخبر ولكل واحد من هذه النماذج تأثيره ووقعه الخاص في غرف الأخبار لا بل حتى عند جمهورها.

١ـ نموذج المرأة

يذهب أنصار هذا الأنماذج إلى أن الخبر يعكس كمرة واقعاً معيناً بل عليه أن يؤدي هذه المهمة. فالصحفيون والمراسلون يراقبون ويتأملون من العالم الذي حولهم ويررون ما يشاهدونه بدقة ومواضعة قدر الامكان تكون المرأة صادقة في عكس الصورة التي تقف أمامها.

أنصار هذا الأنماذج يدافعون عن وجاهة نظرهم بالقول نحن لا نصنع الخبر بل نقله فقط^{١٤} ومعنى هذا إن القائمين بالأخبار ما هم إلا قناة معلوماتية ينتجهما غيرهم وهم يعكسون أي شيء يقع عليه نظرهم وليس لهم أن يقوموا بصياغة باي شكل من الأشكال^{١٥}.

^{١٤} دوريس. اي. كتاب: الاعلام والسياسة الامريكية. واشنطن / نشرة الكونغرس الريعية ١٩٨٤ ص ٧

^{١٥} اتجاهات الاعلام الغربي.. دراسة في الاعلام الانكلي امريكي بغداد- دار الحرية ١٩٩٥ ص ١٦.

والواقع إن هذه الأنماذج للخبر تتميز بها وسائل الإعلام السكسونية أو الناطقة بالإنجليزية التي تعتمد الموضوعية في التغطيات الإخبارية ونقول بأن الصحفي يصف الحدث ولا يفسره ولا يشارك

فيه .

٢- الأنماذج الحرفية

أصحاب هذا الاتجاه من دارسي الأخبار ينظرون إلى صناعة الأخبار على إنها محاولة يقوم بها محترفون ماهرون يقومون بتوليف الأخبار التي يتم اختيارها حسب أهميتها واجتنابها لجمهور وسائل الإعلام ولأسباب اقتصادية ، فإن التوجة نحو الجمهور له الاعتبار الأول .. وهذا ما يجعل الجمهور الفيصل الأول في اختيار الموضوع أو الموضوعات التي تحظى بالنشر وهذا معناه إن جمهور وسائل الإعلام هم حراس البوابه فيما يقبلونه يرى النور وما يرفضونه يهمل أو يموت .

ومن المعروف إن الصحفيين المحترفين ترسوا في كيفية مخاطبة الجمهور وتلبية طلباته واجتناب اهتمامه .. والصحفي المحترف يقاوم الكثير من الضغوط الداخلية والخارجية التي تسعى إلى إخراج الخبر أو الموضوع بالشكل الذي يزيده خدمة لصالحها وأهدافها ولكن ذلك يجافي الأعراف الصحفية والتقاليد الراسخة في غرف الأخبار.. الصحفي المحترف يرى الخبر بضاعة متطرفة خاصة للمنافسة فضلا عن كونه خدمة اجتماعية المستفيد الأول منها هو الجمهور .

إن أخلاقيات المهنة وتقاليد الصحافة العالمية ومبادئ الاحتراف تعمل عملها في ذهن كاتب الخبر المحترف وهو يحول الأحداث إلى أخبار لها بناؤها وصياغتها ولها جمهورها الذي يتلهف لتلقيها.

٣- الأنماذج المؤسساتية

يقوم هذا الأنماذج على نظرية المؤسسة وتقاليداتها وتعليماتها وطرائق تعاملها مع الأحداث والأخبار .. ويرى أنصار هو الأنماذج الإخباري إن اختيار الموضوع يبرز من خلال الضغوط التي تخضع لها العمليات المؤسساتية وأهدافها ، الإخبارية لها أهميتها الخاصة مثلما مهمة كذلك الضغوط النابعة من العمليات الفنية لإنتاج الأخبار واعتبارات الكلفة وربح الاتجاه نحو تحقيق الربح

وتطبيق الأنظمة القانونية ويز الأثر المؤسستي في الخبر من خلال الدليل الأسلوبى الذى تعتمد كل مؤسسه إخبارية أو صحفية واسعة الاتصال ويتضمن هذا الدليل الذى يسمى أحياناً كتاب اليد تعليمات لغوية وأسلوبية وطريق معتمدة في التعامل مع الأحداث على اختلاف أنواعها وتقاليد الوسيلة الإخبارية في إعداد الأخبار وتوزيعها.

هناك بعض الصحف التي تعتمد الدليل الأسلوبى لوكالة أنباء اسوشيتيد برس AP والذي ترك أثراً واضحاً في أسلوب كتابة الخبر، وقد تواترت طباعته منذ السبعينيات وانتشر استخدامه في وسائل الإعلام المختلفة.

ان شیوع استخدام الدليل الأسلوبى إنما يدل على حرص المؤسسة الإخبارية والصحيفة على التمييز وإتقان صنعتها الإخبارية ومراعاة قواعد الكتابة والمعايير الأسلوبية وهذا المسعى في حد ذاته مؤشر على ان كتابة الأخبار أصبحت صناعة متقدمة ودقيقة ولها خصائصها المميزة.

٤- الأنماذج السياسية

يرى أتباع هذا الأنماذج من الأخبار إن الخبر في أي مكان هو نتاج الميل الدييدولوجيه للقائم بالأخبار فضلاً عن ضغوط البيئة السياسية التي تعمل في ظلها المؤسسة الإخبارية.

فحين يكون المحيط السياسي ديمقراطية رأسمالية ذات توجهات تتعلق بالرعاية الاجتماعية فإن هذه القاعدة الدييدولوجية تلقي بظلالها على النظرة إلى العالم بشكل مناسب في تضاعف كل موضوع فعلى او تخيل .. فأنصار النظام القائم مثلاً يصورون على أنهم أشخاص أخبار أما خصومه فهم سيئون وتقوم وسائل الإعلام بتتابعة الشخصيات ذات الشأن وكذلك المؤسسات الكبرى.

أما الخارجون عن النظام أو ذوو الواقع الدنيا فيتم إهمالهم عموماً.
ويتضح هذا الأنماذج في الأخبار التي تنشرها وسائل الإعلام في الدول الاشتراكية حيث يكون هدف الخبر هو تشكيل الرأي العام وفق مبادئ الاشتراكية ، وفي هذه الدول تكون مهمة الصحفي مساعدة الدولة أو الحزب الحاكم في تنفيذ السياسات التي تخدم الاشتراكية وتساعد في تنفيذ الثورة.

ففي الصين مثلا ينظر للخبر على انه معلومات تقييد الحكومة ومثل هذا يقال عن بقية بلدان العالم التي تتبادر أنظمتها السياسية وثقافاتها العامة ولذلك يصح القول بأن الخبر هو نتاج البيئة والتقاليد والأيديولوجيات السائدة.

والواقع إن النماذج الإخبارية الأربع تجسد في نظرتها المختلفة تعقد العملية الإخبارية وتشابك العوامل المؤثرة في إعداد الخبر وتوزيعه في صيغته النهائية.. كما تصور كذلك النظارات المتباعدة للخبر كضاعة معروضة في السوق وتنوع من الخدمة الاجتماعية تقوم بها وسائل الإعلام وهذا ان دل على شيء فإما يدل على ان فن كتابة الخبر على درجة عالية من الدقة والمسؤولية وتقضي مهارات وخبرات كبيرة قادرة على استيعاب أبعاد العملية الإخبارية والعوامل المؤثرة فيها^{١٦}

المبحث الثالث: مصادر الخبر الصحفي

يقصد بمصدر الخبر الصحفي الإشارة إلى الأداة التي تحصل من خلالها الوكالة أو الصحفية على الخبر الصحفي .. وهذا المصدر قد يكون شخصا مثل كبار الشخصيات الرسمية أو الشعبية والاجتماعية أو كبار الشخصيات الأجنبية التي تزور البلاد وغير ذلك من المصادر الحية وقد يكون هذا المصدر جهة مثل وكالات الأنباء والإذاعات المحلية والأجنبية والصحف المحلية والأجنبية والإعلانات والنشرات الرسمية والشعبية والوزارات والهيئات والمؤسسات العامة والخاصة وغير ذلك من المصادر^{١٧}

لهذا فيمكن إجمال مصادر الأخبار الصحفية في المصادر التالية:

أولاً: المندوب الصحفي

يعتبر المندوب الصحفي من أهم المصادر الإخبارية التي تميز وكالة أو صحفية بما يحقق لها من النجاح والسبق الصحفي ويتوقف على جهوده وقدرته على العمل ما يتحقق في هذا المجال.

^{١٦} بالنسبة للنماذج الاخبارية : أخذنا الكثير من كتاب د. عبد الستار جواد فن كتابة الاخبار. مصدر سابق

^{١٧} فالروف ابو زيد - فن الخبر الصحفي - دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة - القاهرة - ١٩٨٥.

فunden تيز وكالة ما عن وكالة أخرى يعتمد في ذلك على جهود وثقافة وذكاء وإمكانية مندوبيها ومحريها وكذلك بالنسبة لأية جريدة عندما تميزها عن جريدة أخرى فيها نفس المادة الصحفية ونفس المعلومات لكن تميز بطريقة عمل مندوبيها ومحريها وصياغتهم للخبر والأخبار الفريدة التي استطاع أن يحصل عليها وينفرد بها في جريدة.

وقوة النفوذ يرجع إلى نشاط المندوب الصحفى ومهاراته في اكتساب صداقات الناس وهنا تدخل العلاقات وأهميتها في تحديد علاقات المندوب إضافة إلى ذكائه ومقدرته على تحمل مشاق العمل الصحفى يتوقف حصوله على الأخبار وعلى ما لديه من حاسة صحفية ورؤى صحيحة للأحداث المهمة.

ومن هنا نجد إن نجاح صحيفة دون غيرها إنما يتوقف على فاعليه مندوبيها في مناطق عملهم . ولهذا فإننا نرى إن وكالات الأنباء والصحف والمجلات تضع العديد من الشروط عند اختيار المندوب الصحفى منها.

- ١- النظر والسمع الجيد
- ٢- تدوين الملاحظات
- ٣- إيجاد المعلومات
- ٤- إثارة الأسئلة
- ٥- تدقيق المعلومات وتحديدها
- ٦- تحليل وتفسير المعلومات
- ٧- أن يكون سريع الحركة قادرا على أن ينتقل إلى أماكن الأحداث في وقت وقوعها في أسرع وقت.
- ٨- إن يكون قوي الملاحظة سريع البديهة يلتقط بإذنه وعينه مالا يستطيع الإنسان العادي أن يلاحظه.
- ٩- أن يكون لديه موهبة الأسلوب^{١٨}

^{١٨} نفس المصدر السابق.

ثانياً: وكالات الأنباء

تعمل وكالات الأنباء من خلال شبكة واسعة من المندوبين والمراسلين المنتشرين في جميع أنحاء العالم وهي بذلك توفر للصحف كمية كبيرة من الأخبار العالمية ما كانت تستطيع أي صحيفة الحصول عليها بوسائلها الذاتية^{١٩} لأنه لا توجد صحيفة في العالم مهما بلغت قوّة إمكانياتها تستطيع أن تغطي جميع مناطق العالم بالمراسلين.

ومن أشهر وكالات الأنباء العالمية اليونايتيد برس واسيوشيتيد برس الأميركيتين ووكالة الصحافة الفرنسية روويترز.. وقد ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية العديد من وكالات الأنباء الوطنية بحيث يكاد يكون لكل دولة وكالة أنباء وطنية.

ثالثاً: الإذاعات المحلية والأجنبية

تعتبر الإذاعات المحلية والأجنبية مصدراً هاماً من مصادر الأنباء وخاصة في تلك الدول التي تخضع فيها الإذاعة لإشراف الحكومة وسيطرتها حيث تعبر الإذاعة عن الاتجاهات الرسمية للدولة. ولأهمية الإذاعات الأجنبية كمصدر للأخبار قامت الوكالات والصحف الكبرى بإنشاء قسم للاستماع يضم أجهزة استقبال إذاعية وأجهزة تسجيل دقيقة جداً وعن طريقها يتم استقبال وتسجيل ما تذيعه جميع محطات الإذاعة في العالم.

رابعاً: الصحف المحلية والأجنبية

في أحيان كثيرة تنفرد بعض الصحف أو المجالس المحلية أو الأجنبية بنشر خبر هام أو وثيقة خطيرة قد تنقلها الصحف الأخرى أو تتبعها وتضيف إليها من مصادرها الخاصة أو انفرادها بإجراء عدد من الأحاديث الصحفية مع الزعماء المحليين أو الأجانب وقد يحوي الحديث تصريحات هامة ترى بعض الصحف الأخرى نقلها عنها.

^{١٩} دنيس مور: كل الأنباء الملائمة. لندن ١٩٨٣ ص ٣٢

خامساً: النشرات

للعديد من الوزارات والمصالح الحكومية والشعبية والهيئات الدولية والسفارات والمكاتب الثقافية والصحفية والمحلية والأجنبية نشرات خاصة تصدر دورية أو بشكل غير منتظم تضمنها أخبار الجهة التي تصدر عنها.. هذه النشرات قد تكون في بعض الحالات مصدراً للعديد من الاخبار الصحفية الهامة.

سادساً: المؤتمر الصحفى

المؤتمر الصحفى مصدر للأخبار التي تدللي بها إحدى الشخصيات فى حضور أكثر من صحفي لشرح سياسة جديدة أو قوانين أو مناقشة قضية تهم الرأى العام. والمؤتمرات الصحفية يعقدها كبار المسؤولين أو الوزراء أو الرؤساء أو الزعماء حين تكون هناك حاجة عاجلة لشرح سياسة معينة أمام اكبر عدد من الصحفيين لكي تصل حقائق الموضوع إلى نسبة كبيرة من الرأي العام الذي تخاطبه الصحف التي يمثلونها.. كذلك فان الحاجة إلى عقد المؤتمر الصحفي تكون في حالة صعوبة قيام المسؤول بمقابلة كل صحفي على حده وهذا يحدث كثيراً أثناء زيارات الملوك أو الرؤساء أو كبار الشخصيات السياسية لبعض البلاد والأجنبية حيث لا تمكنهم فترة الزيارة القصيرة من مقابلة كل الصحفيين الذين يطلبون تحديد مواعيد لإجراء أحاديث صحافية لجرائهم عندئذ يكون المؤتمر الصحفى هو الحل البديل.

سابعاً: الوزارات والهيئات الرسمية والشعبية

هناك العديد من الأخبار التي تحصل عليها الصحف تأتي من الوزارات والهيئات الرسمية والشعبية ومن الشركات والمؤسسات العامة والخاصة ومن أقسام الشرطة والمحاكم والنقابات العمالية والمهنية والمستشفيات واستديوهات الإذاعة والتلفزيون والسينما والمسرح والفنادق والملاهي والمطارات ووسائل النقل.

ثامناً: مصادر أخرى

إن المصادر التي سبق ذكرها هي ليست وحدها المصادر الإخبارية فهناك مصادر للأخبار تختلف وتتنوع حسب طبيعة كل صحيفة وشخصيتها ولونها السياسي وسياستها التحريرية ومن هذه المصادر.

- أ- أصدقاء وزملاء ومعاونو الشخصيات البارزة في المجتمع.
- ب- الحفلات والمهرجانات واللجان الرسمية والشعبية.
- ج- المجالات المتخصصة.
- د- الإعلانات.
- هـ- رسائل القراء.
- و- الإشاعات والأخبار غير المؤكدة.
- ز- الصدفة فان كثيراً من الأخبار الهامة قد يقع عليها الصحفي في حياته اليومية دون أن يكون قد خطط للحصول عليها.

المبحث الرابع: تحرير الخبر

تحرير الخبر:

تحرير الخبر يعد عنصراً أساسياً في صناعتها ما دامت وسائل الإعلام المختلفة تعامل مع السيل المتدايق من الأخبار حسب فلسفتها وطبيعة جمهورها ومواعيد صدورها.

فالخبر الذي يصل القاريء والمستمع والمشاهد يشبه أية بضاعة أخرى وصلت إلى السوق أو أيدي الزبائن بعد أن مررت بمراحل تصنيع مختلفة.. وبعد أن يصل الخبر إلى مكاتب التحرير وأقسام الأخبار ينضج إلى عملية مراجعة دقيقة وتجاذبه أقلام مختلفة بالتشذيب والقصل وإعادة الصياغة. إن التناقض بين وسائل الإعلام الإخبارية لتقديم أفضل الخدمات لزبائنها قد جعلها تتتسابق في ابتكار الأساليب الحديثة التي تجذب اهتمام الجمهور بمادتها الشفافة.. وكانت عملية التحرير هي الميدان الرئيسي الذي يجري فيه التناقض وهكذا فقد أخذت كل صحيفة أو إذاعة أو شبكة إخبارية تتبنى أسلوباً أو صياغة مميزة لأخبارها وقد أدى هذا إلى وجود قوالب صحفية جديدة ولغة إخبارية

لها خصائصها المميزة التي تقتضي من محرر الأخبار مهارة لغوية عالية لالتقاط الألفاظ والعبارات المناسبة للغة المقصودة.

ولما كان العمل الصحفى ككل فن يعتمد على الذوق السليم المبدع واللوحة الفطرية مقررونا بالثقافة الواسعة يشكل تزواجها مع بعضها القدرة المتمكنة ضمن الإطار العام مع الالتزام بالقواعد والأسس الآلية.

١- يتحتم على المحرر الصحفى أن يستوعب الموضوع استيعابا كاملا بكل دقائقه قبل الشروع بالكتابة.

٢- أن يعطي الموضوع حجمه الطبيعي دون تهويل أو إنفاص وتجنب السرد الدرامي العنيف والمفتuel بل التناول الموضوعي المبادئ.

٣- أن يتم إعطاء المفردات اللغوية اللازمة والمناسبة للتعبير عن الموضوع بوضوح كامل وبأقل عدد من الكلمات التي تستطيع أن تترجم الأحاسيس والحقائق المراد التعبير عنها وفق مبدأ (خير الكلام ما قل ودل).

٤- في التعامل مع أخبار الشخصيات يتوجب أن تكون هناك حدود معينة تميز المستويات الوظيفية والواقع القيادي لهذه الشخصيات.. فمثلا الصيغة التي تتناول فيها خبرا يتعلق برؤساء الوزارات هي غير الصيغة في تناول خبر يتعلق بأحد المسؤولين الآخرين وما دونهم من موقع.

٥- العمل الصحفى يقبل التحرك المرن الواسع في نطاق غير محدود وهذه الميزة توفر حرية العمل للمحرر الصحفى في إبداع متنه دون تقييد سوى المبادئ والأسس العامة السالفة الذكر. ولابد من الإشارة إلى أن تحرير الأخبار في الصحافة الكبرى والمتقدمة يتم على أيدي ثلاثة أنواع من المحررين.

أ- المحرر معيد الكتابة.. وتتلخص مهمته في إعادة الأخبار وفق الهياكل الضرورية وتخليصها من الأخطاء اللغوية والسياسية والصحفية وإعدادها لتكون جاهزة أمام المحرر.

ب- ب - المحرر.. المحرر هو الذي يضع الأخبار بصيغتها شبه النهائية لتكون جاهزة للبث أو النشر فهو معروف بكفاءاته الصحفية ومقدراته على بناء الخبر بناء محكما.

ج- المحرر الذوّاق.. ان هذا النوع النادر من المحررين تميّز فعلاً ومهما تتحصّر في مراجعة الأخبار والتقارير الإخبارية ليحذف منها أو يستبدل الكلمات والتعابير غير اللائقة أو تمس المشاعر العامة والذوق العام.

ان الصحافة الملزمة أو الجادة تبتعد عن عنصر الإثارة كأسلوب سهل ورخيص في كسب المتلقى بما ينطوي عليه من مداعبه الاحساسي والنوازع التي تتصل بالحيوانية أو التفاهة لكن هذا الابتعاد ينبغي ان لا يشمل الأحساسي والنوازع الإنسانية المشرقة والمتقدمة.

فالأخبار التي تشير المشاعر الإنسانية تبعد صناعة الأخبار عن الجمود واللغة والاصطناع.. كما أنها تنمّي شخصية المتلقى وتترك آفاق الحياة مفتوحة أمامه.

وعملياً فإن الأخبار الموجّه والقصيرة مقروءة أكثر من الأخبار والتقارير الإخبارية المطولة لأن قراءتها سهلة مما يجعلها في مقدمة المواد الصحفية التي يشغف القاريء بمتابعاتها ولما كانت الصحافة شأنها شأن الفنون الأخرى فهي من أكثر الفنون تطوراً بحكم طبيعتها القائمة على رصد حركة الشارع ومسيرة الأحداث ومواكبة التطورات في مجالات الحياة كافة.. ان هذه الطبيعة الخاصة للصحافة جعلتها مرآة جلية تجسّد الواقع المتغير وترصد ملامحه المميّزة بدقة وموضوعية فعكسَت لنا التحوّلات الكبّرى التي شهدتها المجتمع بأساليب متعددة تتناسب مع هذا التحوّل وطرائق التعبير عنه.. وقد أكَدَ الكتاب والمُحررون منذ البداية إن الصحافة حرفه مادتها الكتابة ولذلك كانت العناية بالمرفدة الدقيقة المتقدّمة وبالعبارة الجمدة للمعنى وبالبلاغة الواضحة التي تجعل الجملة الصحفية تؤدي مهمتها في إيصال المعلومة إلى القاريء بوضوح.

إن ضرورة التنوّع والتّجدّد هذه دفعت كتاب الأخبار والمراسلين والمُحررين إلى التّفتيش عن أفضل الوسائل والأساليب في صياغة الأخبار بشكل يواكب التّحوّل في الذوق العام للقراء وفي فنون الصحافة ذاتها.. ومن هذا المنطلق تعرضت الأساليب القدّيم إلى هزة قوية نفضّت عنها الغبار ووضعتها وجهاً لوجه أمام مسيرة التّطور والتّجدّد والتنوّع فظهرت أنماط وأساليب وقواعد جديدة منها ما هو مبتدع جديد ومنها ما هو شكل متتطور عن شكل قديم.

فالقوالب الصحفية الجديدة لم تنسف القوالب القدّيم مرة واحدة بل أضافت لها طرائق مستحدثة تناسب اهتمام القاريء المعاصر.. كذلك ابقي هذا التجديد على القوالب التي ما زالت

هناك حاجة لاستخدامها مثل قالب الهرم المعكوس و قالب التتابع الزمني إلا أن مجالات استخدام هذه القوالب أصبحت أكثر تحديداً . ومن أجل رسم صورة واضحة عن تطور كتابة الأخبار وتنوع أساليب عرضها في الصحافة العالمية سنلقي الضوء على قوالب الخبر ووصف ملامحها وخصائصها.

١- قالب الهرم المعكوس

إن هيكل الهرم المعكوس الذي يمثل قاعدة الأهمية المتناقصة هو الأكثر أهمية أو الأكثر توظيفا في كتابة الأخبار وهو هيكل حيوي للغاية لذا فان بناء الخبر وفق الأهمية المتناقصة وضمن هيكل الهرم المعكوس يوفر للمتلقي عناء ارهاق ذهنه للوصول الى الامور الجوهرية في الاخبار ونحن نسهل له هذه المهمة في مقدمة إخبارية مركزة ونترك له حرية المتابعة او إهمال الخبر .
وبلا شك فان بناء الاخبار وفق الاهمية المتناقصة يتطلب جدارة عالية في تحرير الاخبار ويتجزأ على المحرر السيطرة على سيل المعلومات الاخبارية وإعادة ترتيبها .. ولديه القدرة على اختصار ما هو اقل اهمية وبث روح التسويق في اخباره .

ان هيكل الهرم المعكوس هو في نظرنا الهيكل الاكثر أهمية في التعبير وفي التاثير وهو كذلك الهيكل السائد في اخبار الصحف ووكالات الانباء ويرجع شيعون هذا القالب لسببين :

- ١- انه اقدر الوسائل على نقل المعلومات ، فالناس عادة لا ينفقون الكثير من الوقت لقراءة الاخبار بل يكتفون في كثير من الأحيان بقراءة الجمل الأولى من الخبر أو المقال قبل أن يقرروا الاستمرار في قراءة الفقرات اللاحقة .. وقد تعلم كتاب الاخبار ومحروها هذه الطريقة خدمة لقراءهم وأدرك القراء إن أهم المعلومات توضع في البداية والأقل أهمية في نهايات الموضوعات .
- ٢- ان المساحة المخصصة للخبر او المقال تشكل دائما مشكلة بالنسبة للصحيفة فإذا كانت الاخبار قد صيغت ضمن هذا القالب أصبح من السهل اختصارها تدريجيا من أسفل الهرم وحسب الأهمية والاهتمام وطبيعة المطبوع وهكذا يستطيع المحرر احتزال خبر معين من الأسفل دون الإضرار بجوهر الموضوع .

ويرى هاو بان قالب الهرم المعكوس هو من ابسط اساليب تنظيم الاخبار القصيرة وغير
المعقدة^{٢٠}

٢- قالب التتابع الزمني

يعد هذا القالب من أقدم الاشكال الصحفية التي استخدمتها الصحافة في تغطية الأحداث بالشكل الذي وقعت فيه.. وقد استعارت الصحافة الاخبارية هذا القالب من المجالات حيث المقالات فيها ترسم بالطابع السردي الذي يمكن كاتب الخبر البارع من حكاية قصة خبرية جيدة. وغالبا ما يستخدم اسلوب التتابع الزمني في المقالات خاصة تلك التي تسجل تجارب المتحدث او ما يسرده المتكلم الذي يسجل مغامراته وتجاربه.. كما انه يوفر لكاتب الخبر فرصة فريدة حين يراد توضيح فعل معين إضافة إلى انه قالب سهل الفهم ومن الممكن ان يكون موجزا او تفصيليا وهذا راجع الى إن بعض الأخبار تكون ممتعة جدا بحيث تستدعي كتابتها سعة من الوقت حيث تعرض المعلومات ويتم سرد الحدث.

٣- قالب التشويقي

يعتبر هذا القالب على نقيض قالب الهرم المعكوس لأن أهم عنصر في الخبر يأتي في النهاية وليس البداية ويتم الاحتفاظ بعنصر مهم يتم طرحه في نهاية الموضوع. وفي بعض الأحيان تأتي القصة الخبرية التي تكتب بالأسلوب التشويقي وفق القالب الترتيبى تقريبا لانه من اكثر الاساليب تشويقا في رواية الخبر.

٤- قالب السرد المباشر

دخل هذا القالب الصحفي الجريدة اليومية قادما من عالم المجلة واسلوبها المميز وعلى القاريء أن يتبع الموضوع من البداية حتى النهاية لكي يعرف ما يتحدث عنه الكاتب.

^{٢٠} جورج. اي. هوفس. كتابة الاخبار بوسطن ١٩٩٥ ص ٤٥

وقالب السرد المباشر الذى يروي الموضوع من بدايته المنطقية إلى نهاية المنطقية لم يستخدم في الصحافة إلا نادراً.

٥- القالب التجميعي

ان القالب التجميعي يستخدم لجمع موضوعات او اخبار الحوادث والجريمة سوية في موضوع واحد ويكتب بمقديمة قصيرة وبقية تفاصيل الخبر على شكل فقرات متساوية الأهمية.

٦- قالب الدورق

وهذا القالب متفرع عن قالب الهرم حيث يتم وضع المادة الصحفية معكوسه على قمة قالب سردي أو تسجيلي بحيث يأخذ الموضوع شكل دورق الشراب.
ويستخدم هذه القالب في أخبار الحوادث غير الاعتيادية حيث هناك حاجة الى تفصيلات عديدة تحتاج الى نسج دقيق وعلى الكاتب أن يستطلع قدراته على ذلك وان يتتأكد من أن هذا القالب هو الفريد لمثل هذه الاحداث.

٧- بيضة الاوزه

ان بيضة الاوزه هو قالب قصصي كلاسيكي يظهر المشهد ثم تكشف الاحداث وينجري اياضاح المقدمة وفق المجرى الذي نجده في النهاية.
ويحتم هذا القالب على الكاتب وضع معلومات مهمة في قصته وخلفيات للاحاديث واياضاحات مشرقة تجعل من الموضوع وحدة سردية ذات نهاية مشوقة وبداية جذابة.. اما عرض التفاصيل فيمكن ان يبدأ بداية نقطة يراها الكاتب مناسبة لانطلاقته القصصية.

٨- القالب الماسى

يتميز هذا القالب بوجود مقدمة سردية وغالبا ما تكون نادرة او صورة شخصية تؤدي الى الفقرة الجوهرية وهي الفقرة التي تبرز عندها النقطة الاساسية في الموضوع يليها الفقرة المهمة التي يطلق عليها (فقرة الامامية) التي تضع النقطة الجوهرية ضمن سياقها العام.

ان الفقرة الجوهرية والفقرة المهمة تؤديان الى شكل الهرم المعكوس حيث تناوش القضايا ذات الصلة وخلفية الموضوع بتسلسل وحسب اهميتها وقد انتشر هذا القالب في الصحافة الاوربية لسيما الاسبوعية التي تعد اخبارها في سعة من الوقت وتنشر لكتاب عرفا باساليبهم المشوقة واسعة اطلاعهم وقدراتهم على استخدام النوادر في نسيج الاخبار.

٩- قالب الاحداث المتوقعة.

ذكر جورج هاو^{٢١} ان هذا القالب متتطور عن الهرم المعكوس بوجود مقدمة تلخيصيه ثم التفصيلات التي ترتب بشكل منتظم ويفكرد على عنصري المكان والزمان اكثرا من التأكيد على الموضوعات التي تعالج أحداثا سابقة وتكون على شكل أخبارا قصيرة.

ويستخدم هذا القالب في الأحداث المتوقعة من قبيل

١- الإعلانات الروتينية

٢- الأحداث المبرمجة

٣- البرامج

٤- الاجتماعات

المبحث الخامس : الخبر الالكتروني

الخبر الالكتروني

إن التكنولوجيا الحديثة قد خلقت وسائل جديدة وأوجدت أعمالا إضافية للصحفى بحيث أصبحت الكتابة الاخبارية للوسائل الالكترونية حقولا كبيرة يوفر المزيد من فرص العمل لمن يريد ان يؤسس محطة او نظام بث كابلية.

فالجريدة والمحللة ظلتا تحكمان بشكل الاخبار التي تصل الى الجمهور قرابة قرنين من الزمن ولكن الثورة الالكترونية في مجال الاتصالات اخذت تستقل تدريجيا وتأسس لها تقاليد وقوالب

^{٢١} جورج هوفر. كتابة الاخبار ص ١١٧ . مصدر سابق

خاصة تسجم مع طبيعة الوسيلة الالكترونية الجديدة وخصائصها المميزة حتى اصبح لدينا اليوم خبرا اذاعيا واخر تلفزيوني يتميز عنه بعض الخصائص التي تستدعيها وسيلة التلفزيون.

ان الاذاعة منذ نشوئها والتلفزيون ظلتا تستخدمان اساليب الجريدة في معالجة الاخبار لان كتابها ومحرريها جاءوا اليها من الصحافة اصلا ونقلوا معهم الارث الاخباري القديم الى ان بدأ كتاب الاخبار الاذاعية والتلفزيونية تقترب من جمهورها وتسعى لتلبية حاجاته ومواجهة خصوصياته.

ان ما يكتب للجريدة يخاطب القاريء وليس المستمع وهذا مالا ينسجم تمام الانسجام مع فن الكتابة للأذن الذي استحوذ على طرائق إعداد الخبر الالكتروني وتأسيس بخصائصه ومميزاته التي تضع المستمع والمشاهد في اولى الاعتبارات.

وحين ظهر الراديو في العشرينات والتلفزيون في الثلاثينات كانت اخبارهما تكتب من قبل اناس تلقوا تدريبهم في تراث الصحيفة ولكن أصبح من الواضح بالتدريج ان خبر الإذاعة ليس من الواجب ان يكون احد موضوعات الجريدة التي تتلى تلاوة.. فالمستمع لا يستطيع ان يقلب ويختار من بين موضوعات الإذاعة ففي الإذاعة والتلفزيون الاختصار من الأسفل كما في قالب الهرم المعكوس يعني إلغاء الموضوع كليا.

وهذا يعني ان خبر الإذاعة لكي يجذب المستمع يجب ان يكتب بطريقة جادة تناسب جمهور المستمعين ومستوياتهم المختلفة فمن الأسهل على الأطفال وغير المتعلمين وفاقدي البصر ان يحصلوا على المعرفة عن طريق آذانهم وهناك كثيرون يجدون ان الأذن هي السبيل الأفضل لتلقي المعلومات فالحاجة الى مخاطبة الأذن في الخبر الإذاعي لم تخلق من هذا الخبر جنسا غريبا بل ان هذه الحاجة أكدت على خصائص معينة فرضتها طبيعة الوسيلة الإعلامية الجديدة ومستلزمات ادائها كما ان كاتب الأخبار الإذاعية او التلفزيونية يستحسن ان يكون قد أتقن اصول كتابة وتحرير اخبار الجريدة اليومية لأن هذه الأصول تفرض حضورها في كل نشرة اخبار إذاعية وتلفزيونية وهناك تشابه وثيق بين الراديو والجريدة بحيث ان كاتب التعليق الإذاعي يسمى في ادبيات الإذاعة والتلفزيون كاتب الافتتاحية على الاثير ويعرف التلفزيون احيانا بأنه جريدة الهواء المchorة.. ورغم التشابه الكبير الا ان هناك فروقا اساسية بين الاسلوب الصحفي والاسلوب الاعذاعي والتلفزيوني واهم هذه الفروق :

- ١- في أخبار الإذاعة والتلفزيون يتم تجنب البنية المعمكوسه للجملة.
- ٢- تكون الجملة قصيرة جداً في الأسلوب الإلكتروني.
- ٣- في الخبر الإلكتروني يكون الفعل قريباً من فاعلة قدر الامكان.
- ٤- التعريف بالأشخاص القائمين بذكر الأسماء والوظائف والأعمار يأتي قبل الاسم في الأخبار الإلكترونية.

قواعد كتابة الخبر الإلكتروني:

هناك تشابه كبير بين الخبر الإذاعي والخبر التلفزيوني ذلك ان الإذاعة قد سبقت الشاشة الصغيرة في تقديم الاخبار بحوالي عقدين من الزمن واستطاعت ان تؤسس تقاليدها ومارساتها الصحفية وتطور لها اسلوباً مميزاً عن اسلوب الجريدة.. وحين ظهر التلفزيون أفاد كثيراً من الفن الإذاعي الذي يشترك معه في مخاطبة الأذن.. وهنا تستطيع القول ان الخبر التلفزيوني يعتمد كثيراً على قواعد كتابة الاخبار الإذاعية مع الاخذ بنظر الحسبان وظيفة الصورة ومكانتها العظيمة في النشرة الإخبارية وابرز قواعد كتابة الاخبار الإذاعية هي :

- ١- الجمل قصيرة وبسيطة
- ٢- يذكر الفاعل مع فعله سوية إذا أمكن
- ٣- عدم استخدام الجمل المعقدة والكلمات النادرة
- ٤- في الخبر الإذاعي الكلمات كتبت لكي تقرأ ولذلك لا بد ان تكون سهلة النطق
- ٥- استخدام اقل ما يمكن من الضمائر
- ٦- حداثة الخبر الإذاعي
- ٧- في الخبر الإذاعي تستخدم عبارة وصيغة قبل الاسم
- ٨- لا تبدأ الجملة بمقتبس في الاخبار الإذاعية ولا يترك اسم المصدر في نهاية المقتبس.
- ٩- لا تبدأ الجملة بالإحصاءات وكثرة الأرقام
- ١٠- استخدام المبني للمعلوم
- ١١- الحذر من تعطية اخبار الجريمة

أما الخبر التلفزيونى فشأنه شأن خبر الراديو لم يكتب لكي يمكن اختزاله من النهاية او من أية نقطة أخرى بل انه وحدة متماسكة وبناء معلوم متجانس الاجزاء له مقدمة ومتنا وختمة وإذا حذف أي جزء منه يصبح لا معنى له تماماً مثلما لو حذف الفصل الاخير من مسرحية متقدمة الصياغة.. وجود الصورة الى جانب الكلام الموجز الذي يرافقها قد جعل كاتب الخبر التلفزيونى يتوكى الإيجاز بأقصى درجاته ولكن هذا الإيجاز يجب ان يكون وافياً وهذا يعني ان على كاتب الخبر التلفزيونى أن يدع الصورة تصف الحدث لجمهور المشاهدين.. وهذا يعني ان خصائص الخبر الإذاعي هي ذاتها خصائص الخبر التلفزيونى الذي كتب للمشاهدين وليس للمسمعين فقط حيث تؤدي الصورة مهمة كبيرة في إيضاح الفكرة الأساسية للموضوع.

ومن أهم النقاط الأساسية التي لا بد أن يقف ويتأمل فيها كاتب الخبر التلفزيونى أكثر من غيره هي:

- ١- الإيجاز
- ٢- خلفية الخبر
- ٣- التعبير المجازي
- ٤- لبقة الحديث
- ٥- التطابق بين الصورة والكلمة
- ٦- أكثر الكلمات للمذيع وقلها للصورة
- ٧- مشاهدة تربط الفيديو قبل كتابة الخبر
- ٨- الإفادة من الصوت الطبيعي
- ٩- توافق النص مع منطق الصورة

تحرير الخبر الإلكتروني

يوجه (فانك) نصيحة لمحرري الخبر الإذاعي والتلفزيوني فيقول: اذا لم تكن هناك حاجة لكلمة معينة احذفها.. وإذا لم تضف الجملة في توصيل المعلومة شيئاً احذفها.. الحشو ما هو إلا إعادة

للتفكير لا تحاول أن تكتب كل شيء متوفراً عن شخص أو حدث أو فكرة إنك لا تستطيع ذلك،
وإذا استطعت فمن يرغب في سماع ذلك.^{٢٢}

بهذه الكلمات تلخص فانك القاعدة الأساسية في التحرير وهي الإيجاز وحسن الاختيار
ومراعاة رغبة الجمهور وطبيعته.

فالمحرر الناجح هو الذي يهذب ويشذب النص الإخباري ليبقى على ما هو ممتع ومهم فتحرير
الخبر الإلكتروني يبدأ باختصار المعلومات ثم الكلمات والعبارات وهذه عملية اسلوبية تحتاج من
المحرر الى مهارة لغوية عالية وذوق فني وحس صحفي بطابع جمهور الاخبار.

ويمكن اجمالاً مهمة محرر الخبر الإلكتروني بالنقاط الأساسية الآتية:

١- التحقق من المعلومات

٢- معرفة القانون

٣- التحرير من أجل المستمع والمشاهد

٤- التأكد من عدم الانحياز

٥- إدراك دور المذيع ومتطلباته

٦- فهم المئيات

ان هذه النقاط مجتمعها تعمل على خلق صورة لميكل الخبر الإلكتروني في ذهن المحرر الذي
امتلك بجدارة ادوات صنعته وتحسّن مشكلات المذيع وخرج الاخبار الالكترونية وتتشل في ذاكرته
هذه الحالة يكمل ابعادها.

وفي الختام لابد من الإشارة الى ان الخبر الذي يصل القاريء والمسموع والمشاهد يشبه اية بضاعة
اخري ووصلت الى السوق او أيدي الزبائن بعد ان مررت بمراحل تصنيع مختلفة.

هذا هو شأن الخبر وبعد ان يصل الى مكاتب التحرير واقسام الاخبار يخضع الى عملية مراجعة
دقiqueة وتجاذبها اقلام مختلفة بالتشذيب والقصل واعادة الصياغة.. وعملية التحرير الدقيقة التي
ينخضع لها الخبر تشبه العملية الجراحية التي تستأصل الاورام وترمم الجرح حتى يستقيم الجسم

^{٢٢} ارفنك اي هانك - اخبار التلفزيون والراديو - امريكا ١٩٨٠ ص ٢٤.

سلیما قادرا على الفعل ، وهذه العملية التحريرية ضرورية بسبب عامل السرعة الخامس الذي تتسم به التغطية الاخبارية التي تحكمها المفاجأة وتحديد الوقت والتنافس على السبق الصحفى .

المصادر

- ١ - ارفنك أي هانك اخبار التلفزيون والراديو ١٩٨٠ نيويورك ص ٢٩٠.
- ٢ - اتجاهات الاعلام الغربي - دراسة في الاعلام الانكليزي امريكي بغداد - دار الحرية ١٩٩٥ ص ١٦٠
- ٣ - بوند- ف- فراز- مقدمة للصحافة- شركة ماكميلان ١٩٧٣ ص ٧٨
- ٤ - بالنسبة للنماذج الاخبارية اخذنا الكثير من كتاب د. عبد الستار جواد- فن كتابة الاخبار- عمان ٢٠٠٢.
- ٥ - جورج .. اي .. هوف- كتابة الاخبار ص ٤٥ .
- ٦ - جورج هوفس- كتابة الاخبار ص ١١٧.
- ٧ - دليل الصحفي في العالم الثالث- ترجمة كمال عبد الرؤوف القاهرة الدار الدولية للنشر والتوزيع ١٩٨٨ ص ٧٥
- ٨ - د. عبد الستار جواد- فن كتابة الاخبار- عمان ٢٠٠٢.
- ٩ - دنيس مور- كل الانباء ملائمة ص ٣٢.
- ١٠ - دوريس .. اي .. كابر- الاعلام والسياسة الامريكية واشنطن ١٩٨٤ ص ٧٠
- ١١ - فاروق ابو زيد- فن الخبر الصحفى- دراسة مقارنة- دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة القاهرة.
- ١٢ - ماكتيل- تعليم الصحافة ط ٤- شركة ماكميلان- نيويورك ١٩٥٥ ص ١١٢ .
- ١٣ - هوف جورج- الابراق الصحفى- شركة هفت ملحن بوسطن ١٩٧٣ ص ٢
- ١٤ - هوف جورج- الابراق الصحفى - نفس المصدر السابق.

أبوالبركات البغدادي
(الأنباري)
أثر عصره عليه وآراؤه
النحوية

أ. مجید حمید البدیری

أبو البركات البغدادي

(الأنباري)

أثر عصره عليه وآراءه النحوية

مقدمة

حمدًا لك اللهم، وصلاةً وسلاماً على سيد المرسلين محمد عبدك ورسولك الذي آتاكه الحكمة وفصل الخطاب وعصمته من الخطأ وألمته الصواب، ومنتت عليه بفضيلة البيان، وجعلته قدوة للأنام، وعلى آله الطيبين الطاهرين ومن والاهم إلى يوم الدين وبعد:

لا يخفى على كل باحث في مجال علم النحو ما لأبي البركات البغدادي أو الأنباري من أثر جليّ في مساره، لما تتميز به من ثقافة وسعة إدراك، ووضوح منهج، وحرص على إثبات مواقف مشاهير النحاة من المسائل النحوية، فكانت مؤلفاته النحوية كالصب العظيم الذي تلتقي فيه شتى الروافد لما تشمل عليه من آراء وأفكار تمثل مختلف الإتجاهات والمدارس النحوية التي سادت عصره، ومذ تتبعنا حياة البغدادي وجدنا صلته بالتطور الذي حصل في مجالات العلم كالفقه والتفسير والمنطق والعربية على يد سلاطين القرن السادس الهجري، وبروز المدرسة النظامية البغدادية، واحتضانها تلامذة العلم، مما ولد أثراً في تكوينه الذاتي والفكري، فبني ثقافته واستمدتها، وحدد مساره العلمي من خلال تبعه ومتابعة المسار العام الذي نشأ وبيان في عصره ونحن نعلم أن الأديب أو

العالم ابن بيته يتغذى منها وينجذبها، فصاحبنا البغدادي أئمزاً لهذا الازدهار الثقافي التعليمي الذي ترعرع في مدينة العلم بغداد. وقد نسبته إلى بغداد خلافاً لما اعتاد عليه الباحثون لسببين رئيين هما :

الأول: إن بغداد كانت وما زالت قاعدة رصينة للعلم والعلماء، تهفو لها أفئدة العلماء والمسلمين فالانتساب إلى هذه المدينة العربية يعد مفخرة لهم.

الثاني: إن أكثر العلماء نسبوه إلى بغداد كالقفطي وابن قاضي شهبة واليافعي والسيوطى والقلة القليلة نسبوه إلى الأنبار، فنسبته إلى بغداد. على الأرجح أقرب للحقيقة والله أعلم.

وفي هذا البحث حاولت تقديم صورة حقيقة واضحة عن عصره وازدهاره العلمي وتحريته ومذهب النحوى ولا أعد هذا العمل تاماً لكنني حاولت إظهار الحقيقة فإن وفقت كان ما أردت وإن قصرت فلي عذر من الرسول الكريم صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين : (من إجتهد فأصاب فله أجران ومن إجتهد فاختطاً فله أجر واحد) اللهم تقبل عملنا ولا تحربنا أجره وما توفيقنا إلا بك.

أ. مجید البدری

المبحث الأول

عصر البغدادي وتطوره الثقافي والعلمي

أبو البركات البغدادي (الأباري) نتاج عصره، تأثر وأثر فيه، غذى وتغذى ونهل مما أحاط به فلابد من التعرض إلى معرفة سمات هذا العصر. بصورة مختصرة . وما تميز به لنكون على بينة من هذا العصر من النواحي السياسية والاجتماعية والفكرية، لأنها ستساعد على تبيان الواقع والأحداث وأثرها في حياة ومويوه ومسار البغدادي الفكري والثقافي، ثم اتجاهه النحوى.

فالحياة السياسية التي عاشها صاحبنا عند دخول السلاجقة بغداد في القرن السادس الهجري لم تكن هادئة بل اتسمت بالاضطراب والنزاعات المذهبية والتمزق الداخلي ، والخلفية لا يتمتع بالقوة والسلطان كما كان عليه سابقاً، بل كان مستضعفًا مضطهدًا لا يملك من أمره شيئاً

فإمبراطوريته في وضعها الخارجي ممزقة ما بين الأمويين في إسبانيا، والفاتميين في مصر وشمال أفريقيا، وبعض رؤساء العرب في وادي النهرین وشمال سوريا، أمّا داخلياً، فكان النزاع الطائفي محتمداً مما دفع ببعضهم إلى تهديد الطريق للسلاجقة مقتاً لغيرهم مما سهل للسلاجقة دورهم في الحياة العامة للبلاد. فأبدى السلاجقة في بادئ الأمر اهتمامهم واحترامهم للخليفة العباسي، إلا أنهم تنكروا للعهود والمواثيق التي قطعواها بعد أن مكّنوا قبضتهم على البلاد ورسخوا جذورهم، فأذاقو خلفاء بنی العباس أصناف الذل والعذاب.

أما سياسة السلاجقة الخارجية فكانت مبنية على العنف واستخدام القوة، وإخضاع وتطويق من كان يدين للخليفة، وبذلك استطاع السلاجقة أن يسيطروا على سلطانهم ويوحدوا الإمبراطورية العباسية بعد أن أصابها الضعف، فلمّوا شعثها وجمعوا ما تنافر منها، وقد حظي السلاجقة في أول الأمر بتأييد بعض المسلمين على أساس احترام مبادئ الدين الإسلامي^١

إلا أن التزاوج سرعان ما انفرط عقده وانقلب إلى نكمة وتمرد نتيجة لطغيان السلاجقة، مما حدا

بـ "نظام الملك"^٢ أحد سلاطين السلاجقة. أن ينتهج إسلوباً جديداً يحقق لدولة السلاجقة الاستمرار والبقاء وذلك بفتح المدارس التي تخرج علماء ومتلقين من شأنهم أن يحملوا بحماسة واعتزاد قضية الدولة السلجوقية ويدافعوا عنها ويحموها من كل خطر تتعرض له.

أما الحياة الاجتماعية، فقد كان سكان العراق خليطاً من:

١ العرب الذي بدأ نجّهم يخبو، ومكانتهم تضعف نتيجة قيام الدولة العباسية التي جاءت ردًا على العصبية التي بلغت ذروتها في عهد الأمويين، فكان كلما أهمل العنصر العربي ازداد غير العربي فنودًا وتسلطًا، إلا أن هذا لا يعني أن العربي كان خانعاً ذليلاً فقد بقي متشبثاً بمنزعته القومية، رافضاً حيناً ومتمراً حيناً آخر على حالات التعسف والاستبداد.

^١ ينظر: الكامل - ابن الأثير، ٩/٦٢٦ - ٦٢٨.

^٢ هو أبو علي الحسن بن اسحق بن العباس وزير السلطان ألب أرسلان وولده السلطان ملكشاه، قتل سنة ٤٨٥ هـ وهو منشئ المدرسة النظامية - الدائعة الصيّت - في بغداد. ينظر: وفيات الأعيان، ص.

٢. الديالمة الذين سكنوا جنوب شرق بحر قزوين
٣. الأتراك وهم من العناصر المتنفذة الذين لعبوا دوراً كبيراً وخطيراً في الحياة السياسية وتوجيهه للأحداث وفقاً لأهوائهم ومصالحهم وكانوا يتميزون بالغوضى وعدم وضوح الخط السياسي، فمواقفهم مبنية على مصالحهم.
٤. أقليات آرامية وكردية ضعيفة الشأن لا أثر لها في الحياة العامة للمجتمع^٣.
٥. الفرس الذين سكنوا العراق، كانوا مركز ثقل سياسي لما تميزوا به من سعة في السياسة والثقافة مما جعل (نظام الملك) يفرض الحضارة الإيرانية العالية على السلاجقة^٤.
- أما من الناحية الدينية، فقد كان سكان العصر الذي عاش فيه البغدادي وأقصد به عصر الدولة السلجوقية منقسمأً على طوائف عديدة منهم:
- أولاًً: المسلمين كانوا الأكثرية في المجتمع، ومنهم الخليفة، ولهم المراكز الحساسة في الدولة، وكانوا منقسمين على عدة فرق ومذاهب ولكل مذهب أنصاره
- لذلك نجد أن جميع الحركات الروحية في مملكة الإسلام كانت تتلاطم أمواجها في بغداد. فالمذهب الجعفري والحنفي والشافعي والحنبي هو بنية المجتمع البغدادي الديني وكثيراً ما كان يحصل بين هذه المذاهب احتكاكات واختلافات وفتن ينتج عنها ارتباك في الحياة العامة واحتلال في أمن البلاد. وأن معظم الخلفاء وجلّ العامة من الناس كانوا يتمتعون بنوع من الحس الديني العميق مما جعل الاهتمام ببناء المساجد وعقد الندوات الدينية واهتمام العلماء والشيوخ بالوعظ، هو الجو الديني السائد في الحياة البغدادية.

ومن الطواهر المهمة في هذه الفترة انتشار التصوف، إما نتيجة لرد الفعل للتناقضات التي كانت تحكم عصر السلاجقة والتي تمثلت في الغنى الفاحش عند الخاصة، والفقير القاتل عند العامة أو لحالة اليأس التي أصابت عامة الناس بعدم وجود أمل للخلاص واللجوء إلى العزلة تبعداً ورهبانية، أو لعل السلاجقة هم الذين شجعوا هذه النزعة نكاية بالمذهب الجعفري فشيدوا

^٣ ينظر: تاريخ العراق في عصر السلاجقة - حسين أمين، ص ١٦.

^٤ ينظر: تاريخ العراق في عصر السلاجقة - حسين أمين، ص ١٦.

وخصصوا الأماكن ليقيم فيها المتصوفون ولizarلوا عبادتهم، هذه الحالة المتناقضة خلقت لوناً من التفاعل المثير بينها وبين الحركة الثقافية فكلاهما تردد الأخرى وتصب فيها.

ثانياً: النصارى واليهود والمجوس، وهم الأقلية، وكانوا يعيشون تحت حماية الدولة مقابل الطاعة والولاء والجزية لذلك سموا بأهل الذمة^٥

أما الأخلاق: فكانت متربدة وانتهازية ومصلحية بسبب التفاوت والتناقض في الحياة العامة، أضف إلى أن قوة سلاطين السلجوقية وضعف الخلافة دفعهم إلى تسخير الدين لمصالحهم وأغراضهم وتوطيد حكمهم لكن هذا لا يعني أن العصر السلجوقي قد خلا من القيم الفاضلة والخصال الطيبة، وحسبنا أن نذكر الشيخ إسحاق الشيرازي والبغدادي، لكن الصفة العامة السائدة التي كانت تحكم بالحياة هي التردي، وهبوط المستويات العامة بجانبها المختلفة، حيث انكفاء الناس ولزمو بيوتهم وابعدوا عن مواجهة هذا الانحلال والتردي، والراجح أن هذا ناتج عن ضعف الإيمان لأن الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام قال: (من رأى منكم منكراً فليغيره...) فإذا انكفاء العلماء والثقافون واعتزلوا الحياة وتركوا ضعاف النفوس يسيرون البلاد حسب مصالحهم وأهوائهم وانحرافاتهم، فمن الذي يتحمل مسؤولية النهضة والتغيير ورفع هذا المستوى المتدني ؟ لذا نجد رجلاً فذًا واجه المشكلة بصلابة وإرادة وعزيمة جأش واسع أفق وفكر، هو (نظام الملك) الذي وضع يده على الداء وشخص بأن الجهل هو جذر المشكلة، فلابد من محاربته بالتعليم والوعظ والإرشاد وقد نجحت حملته إلى حد ما وبذر بذرته الصالحة وعمقها في النفوس، "فكان يرشح كل أحد لمنصب يصلح له بمقدار ما يرى فيه من الرشد والفضل" ، بغض النظر عمّا كان يبغى ويقصده من وراء هذه الحملة، لكن تبقى علة العلل (الفقر) هي الأصل في منبع كل تدن في المستوى الأخلاقي وتبقى الأخلاق مرهونة بها.

أما الناحية الفكرية، فمن الصعب تحديد مساراتها نتيجة الاضطرابات السياسية والدينية والاقتصادية التي رافقت العصر السلجوقي، وعلى العموم فإن تعدد الإمارات كان في صالح

^٥ تاريخ العراق في عصر السلجوقية - حسين امين، ص ١٨.

^٦ ينظر، تاريخ آل سلجوق - البغدادي، ص ٥٤.

الحركة الفكرية " لأنه فتح مجال التنافس بين العلماء والأدباء وعمل على جعل سوق الأدب رائجة ونتج عن ذلك حصيلة فكرية جيدة ^٧ ، فالحركة التعليمية قد ازدهرت ونشطت من خلال مؤلفات هذا العصر، على الرغم من أنها وضعت من أجل المدرسة النظامية فكانت "اختصاراً للكتب السابقة أو جمعاً أو تصنيناً أو شرحاً أو تفسيراً ^٨ وعموماً أن الجهد الذي بذله (نظام الملك) دفع بعجلة الحركة الفكرية إلى الأمام فكان صاحب فضل في كل جهد ثقافي ظهر في هذا العصر، أضف أن البيئة التي يذر فيها بذور العلم كانت صالحة ومهيأة، فلقد كانت بغداد أو قل كان العراق ولا يزال مهداً للحضارات والمآثر الفكرية الشامخة. وأرضه خصبة لاحتضان بذور العلم والمعروفة، فكثير المفكرون والعلماء الذين ساهموا في بناء الصرح الشامخ للعلم من خلال المدرسة النظامية الذاكورة الصيغت لوجود كبار العلماء فيها أمثال، التبريزي والشيرازي وابن الشجري والبغدادي أضف إلى ذلك مساهمة دور العلم (المكتبات) بما احتوتها من كتب وخطوطات نفيسة في نشر الثقافة العربية الإسلامية ^٩ .

المبحث الثاني: حياة أبي البركات البغدادي وأشاراته

هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن أبي سعيد، المكنى بأبي البركات، الملقب بالكمال أو كمال الدين ^{١٠} وينسب إلى الأنبار أو إلى بغداد فيقال كمال الدين أبو البركات الأنباري أو البغدادي ^{١١} . ولد سنة ٥١٣ هـ / ١١١٩ م، وقيل: إن ولادته كانت في شهر ربيع الآخر من تلك السنة ^{١٢} . واختلفوا في مكان ولادته فمنهم من قال أنه ولد في الأنبار التي ينسب إليها، ومنهم من

^٧ أدب العرب - مارون عبود، ص ٢٧٨. ينظر: تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى - عبد المنعم ماجد، ص ١٥١.

^٨ ينظر، المتنظم - ابن الجوزي، ص ٦٤.

^٩ لأدب العربي - المستشرق هـ. ترجمة كاظم سعد الدين، ص ١١٥

^{١٠} آنيات الرواية على آنيات النحاة - أبو الحسن الققطني ١٦٥/٢.

^{١١} هدية العارفين - إسماعيل البغدادي، ص ٥١٩.

^{١٢} آنيات الرواية على آنيات النحاة - أبو الحسن الققطني ١٦٥/٢.

قال أنه ولد في بغداد، فالقطبي ذكر أن أبا البركات الأنباري "سكن بغداد من صباح إلى أن توفي"^{١٣} ، وابن قاضي شهبة أورد أنه نزيل بغداد وأنه قدم بغداد في صباح^{١٤}.

أما اليافعي فيؤكد أنه "ولد في بغداد"^{١٥} والسيوطى يذكر أنه "سمع ببغداد عن عبد الوهاب الأنطاطي"^{١٦} وهذا الاختلاف شيء طبيعي في الحياة البشرية وخاصة تلك الفترة لضعف الاهتمام بولادة الوليد، ولانشغالهم في مutter الحياة العامة ولأن وفاة العالم أشهر من ولادته فهو عند الولادة مجھول مغمور لكنه عند وفاته معروف مشهور.

شخصيته وأخلاقه:

تمتع أبو البركات البغدادي بشخصية محببة إلى مجالسيه فريدة جمعت تحت أكتافها الخصال الحميدة كلها من رقة ولطف وحزم وجد وصلابة وثبات ومعرفة وقدرة على الرد السريع وبراعة في الحوار وسيطرة على نوازع النفس وخواجها، متأثراً بأستاذه ابن الشجري الذي يقول فيه: "إنه كان وقوراً في مجلسه ذا سمت حسن، لا يكاد يتكلم في مجلسه بكلمة إلا وتتضمن أدب النفس أو أدب درس".^{١٧}

ولعل هذه الصفات التي رسماها لأستاذه ابن الشجري تمثله أصدق تمثيل، وما ذكره المؤرخون يغنينا عن عد صفاتي الحميدة وأخلاقه الرشيدة.

فالقطبي ذكر إنه "كان فاضلاً عالماً زاهداً"^{١٨} ، وابن كثير يصفه "بالفقير العابد الزاهد"^{١٩} . وابن قاضي يقول فيه "كان زاهداً عابداً مخلصاً تاركاً الدنيا".^{٢٠} فسيرة البغدادي جملة من الورع

^{١٣} المصدر نفسه ١٦٦/٢.

^{١٤} ينظر، طبقات النحاة واللغويين - ابن قاضي شهبة، ص ٣٦٢.

^{١٥} مرأة الجنان - اليافعي ٤٠٨/٣.

^{١٦} بغية الوعاء - السيوطى ٨٦/٢.

^{١٧} بغية الوعاء - السيوطى ٨٦/٢.

^{١٨} أنباء الرواية - القطبي، ج ٢/ ص ١٦٩.

^{١٩} (٢) البداية والنهاية - ابن كثير، ٣٢١/١٢.

والمجاهدة والمحالدة وعلى الرغم من قدره وعلو مكانته عند الخلفاء، قنع صاحبنا وزهد في دنياه، فكان أقرب إلى مسالك الصوفية، أو قل إنه حب لنفسه الطريقة الصوفية إلا أنه لم يعتن بها مذهبًا جاء في نزهة الأباء في حديثه عن أستاذه أبي منصور الجوالقي قوله: وحضرت حلقة يوماً وهو يقرأ عليه كتاب الجمهرة لابن دريد. وقد حكى عن بعض النحوين أنه قال: "أصل (ليس) (لا أيس) فقلت: هذا الكلام كأنه من كلام الصوفية، فكان الشيخ أنكر عليّ ذلك^{٢١}"

هذه الواقعة تعطينا الدليل على أن صاحبنا لم تكن نفسه تستهوي الصوفية مذهبًا بل استهواها مسلكاً، فنراه يجالس الصوفية ويشاركونهم ويسلك مسلكهم في مواجهة أمور الحياة. إضافة إلى ذلك كان البغدادي يتسم بالجدّ والسيطرة على خوالج نفسه، ويهزّر هذا الجدّ من خلال عبارة قالها تعليقاً على مداعبة جرت بين الميداني والزمخشري "هذه فكاهة لا تليق بالمشايخ"^{٢٢} وكأنه بتصرفه هذا قد أخذ بنصيحة أستاذه ابن الشجري حين قال:

لا تمزحنْ فإنْ مزحتَ فلا يكنْ مزحًا تصاف به إلى سوء الأدب
واحذرْ مازحةً تعود عداوةً إن المزاح على مقدمة الغضب

مذهب الفقه:

من خلال مطالعتي للعصر السلجوقى، وجدت أن (نظام الملك) كان وراء الإزهار الثقافى والعلمى، فهو الذى أنشأ المدرسة النظامية ووضع أساسها وطريقة قبول الطلاب فيها، ولما كان (نظام الملك) شافعى المذهب فلابد لكل طالب دخل النظامية أن يسير على منهج الشافعية وينخلص له. فأبو البركات البغدادي دخل النظامية طالباً وتخرج منها، ليعود إليها مدرساً، فلابد له من السير في ركابها والتفقه على مذهب الشافعية، فألف تصانيفه في المذهب الشافعى "هداية الذاهب في معرفة المذاهب"^{٢٣} "بداية الهدایة"^{٢٤}. والراجح أن البغدادي لم يعتنق المذهب الشافعى

^{٢٠} الطبقات - ابن القاضي شهبة، ص ٣٦٤.

^{٢١} نزهة الأباء - ابن الأثياري، ص ٢٢١.

^{٢٢} نزهة الأباء - ابن الأثياري، ص ٢٢١.

^{٢٣} نزهة الأباء - ابن الأثياري، ص ١٠.

إلا طمعاً في المكسب أو رغبة في ملازمة النظمية بوصفها المنهل الوحيد للعلم آنذاك ولإحتواها على جلّة العلماء الأفضل، ولأنه في بداية حياته العملية كان لا بد له من ركوب المركب ، فتظاهر بالشافعية وأخفى ما في نفسه من معتقد، وإنما يفسر أن أبو البركات البغدادي قد تأثر تأثراً كبيراً بأستاذه ابن الشجري علمياً وأخلاقياً وسلوكياً وسار على خطاه حتى أنه قد أثر في منهجه الفقهي فحول صاحبنا وجهه عن العلوم الدينية إلى العلوم اللغوية والنحوية التي اشتهر بها في حياته وبعد مماته.

ثقافة^٤:

عقد الخوانساري موازنة قصيرة بين أبي البركات البغدادي أو الأنباري وأبي بكر الأنباري، قال : " والفرق بينه وبين ابن الأنباري الأول اللغوي المشهور ... أنه كان منحصر البراعة في فنون اللغة والعربية بخلاف هذا فإنه الإمام البارع والسيد المبرز في فنون شتى " ^{٢٥} .

يتجلّى لنا أن ثقافة صاحبنا نشأت دينية وانتهت نحوية إلا أن هذا لم يمنعه من ممارسة الفقه والبحث عن صور الخلاف بين المذاهب. وإذا ما علمنا بأن علوم الفقه متداخلة مع العلوم العربية، والعكس صحيح ، فإن هذا التداخل تأثر به أبو البركات البغدادي ، لذا نجد في كتابه (الأنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والковفيين) مترسماً خطى علماء الفقه في أساليب العرض والمعالجة، فثقافته الدينية أثرت فيه تأثيراً كبيراً لأنه نشأ وترعرع عليها ، وتلقفها في صباه ، فسعة مداركه وفطنته من جهة ، والظروف التي أحاطت به وملازمته لمشايخ العربية من جهة أخرى ، هي التي دفعت به إلى الإهاطة والبراعة في النحو ، فأعطى فيه أكثر مما أعطى في سواه حتى قيل فيه " وكان قد تفرد بعلم العربية وشدت إليه الرحال" ^{٢٦}

^{٢٤} كشف الظنون - حاجي خليفة ، ص ٢٢٨ . ينظر: البنية- السيوطي ، ٣ / ٨٧ . ينظر: طبقات الشافعية - الأستوي ، ص ٥٥ .

^{٢٥} الخوانساري - روضات الجنات . ٤٠٩ / ١ .

^{٢٦} الطبقات - ابن قاضي شهبة ، ص ٣٦٤ .

آثاره:

عندما نتحدث عن آثار البغدادي ، لابد من الوقوف لحظات مع أخلص أصدقائه (الكتاب) ، فقد كان مصاحباً له في عزلته ، وأنيسه في وحدته ، وعزاءه في حزنه . لقد قضى معه أجمل فترات عمره طالباً وأستاذاً ، دارساً ومؤلفاً ، لم يتركه إلا بعد لقاء وجه ربه . وفي هذه الفترة جادت قريحته بعد كثیر من المؤلفات ، نالت استحسان أهل العلم جميعاً ، فأثنوا على مجدهاته ومصنفاته لما اشتغلت عليه من مميزات.

فهذا ابن الأثير يقول : " وله تصنيفات حسنة في النحو^{٢٧} ، وشهد له ابن خلكان حيث قال : " وكتبه كلها نافعة"^{٢٨} ، وعبر القرطبي عنه " واشهرت تصانيفه وظهرت مؤلفاته "^{٢٩} . أما عدد هذه المصنفات فقد ذكر الذهبي أنها " مئة وثلاثون مصنفاً في الفقه والأصول والزهد وأكثرها في فنون العربية"^{٣٠} . وأيده في ذلك ابن قاضي^{٣١} ، وابن العماد^{٣٢} .

ومن مميزات البغدادي في مصنفاته ، أنه إلتزم المنهجية والتخصص ، فكل كتاب اتصف بموضوع خاص ، وقلما يطفر من مسألة إلى أخرى ، كما كان يفعله القدامي كالمبرد في كامله ، والباحث في بيانه ومتانز هذه المصنفات بالوضوح وسلامة العبارة وجمال العرض والتصنيف ، قال عنه سعيد الأفغاني : " الأنباري والحق يقال أدب النحو وأضفي على أسلوب عرضه المائة وقال : إنني إذا أردت التعبير عن أسلوب الأنباري بكلمة جامعة لم أجد أصدق من قولي : أسلوب رياضي جميل"^{٣٣} سواء أكان في نثره أم شعره . سأعرض أنموذجاً واحداً من نثره ، وآخر من شعره - على قوله - للتدليل على أسلوب أبي البركات البغدادي ودقته وحسن تنظيمه وتمكنه في استعمال

^{٢٧} الكامل - ابن الأثير ، ٤٧٧/١ .

^{٢٨} وفيات الأعيان - ابن خلكان ، ١٣٩/٣ .

^{٢٩} أنبأه الرواة - القسطي ، ١٧٠/٢ .

^{٣٠} العبر في خبر من غبر - الذهبي ، ٢٣٠/١ .

^{٣١} طبقات النحوين واللغويين - ابن قاضي شهبة ، ص ٣٦٣ .

^{٣٢} شذرات الذهب - ابن العماد ، ٤ / ٢٥٨ .

^{٣٣} مقدمة الاغراب في جدل الأعواب - ابن الأنباري ، ص ٢٢ .

المنطق، والاستعانة بالحجج العقلية لإثبات رأي وتفنيد آخر، قال أبو البركات البغدادي في معرض ردّه على الكوفيين في قولهم أنَّ (السين) مقطعة من سوف : " وأمّا قولهم إنَّ السين تدل على الاستقبال كما إنَّ سوف تدل على الاستقبال ، قلنا هذا باطل ، لأنَّه لو كان الأمر كما زعمتم لكان ينبغي أن يستويا في الدلالة على الاستقبال على حدٍ واحد . ولا شك أنَّ سوف أشد تراخيًا في الإستقبال من السين . فلما اختلف في الدلالة على أنَّ كلَّ واحد منهما حرف مستقل بنفسه غير مأخوذ من صاحبه والله أعلم " ^{٣٤}

أما شعره ، ففي إحدى مقطوعاته يقول ^{٣٥} : هذه المقطوعة من البحر الكامل (متفاعلن) وهذا البحر يتميز بالهدوء :

العلم أوفي حلية ولباسه العقل أوفي جنة الأكياس

جهلُ الفتى كالموت في الأرماس	كن طالبًا للعلم تحى فإنما
لترى بأنَّ العزَّ عزُّ الباس	وصُنَّ العلوم عن المطامع كلُّها
ومطامع الإنسان كالأناس	والعلم ثوب والعفاف طرازه
وبه يسود الناس فوق الناس	والعلم نور يهتدى بضيائه

مؤلفات أبي البركات البغدادي:

أما مؤلفاته فهي على ثلاثة أنواع :

- ١ - آثاره المفقودة: وعددها ثمانية وستون ، ذكر السيوطي في بغية الوعاة خمسين مؤلفاً منها ، أما ابن قاضي شهبة في الطبقات فقد ذكر ستة منها ، وحاجي خليفة في كشف الظنون ذكر ستة منها ^{٣٦} . وصاحب هدية العارفين ذكر ثلاثة منها ، وثلاثة أخرى ، اثنان منها في البيان وواحد في نزهة الأباء.

^{٣٤} الإنصاف في مسائل الخلاف - ابن الأنباري ، ٦٤٧/٢ .

^{٣٥} فوات الوفيات - الكتبى ، المجلد الثاني ، ص ٢٩٢ ، ٢٦٢ .

^{٣٦} كشف الظنون - حاجي خليفة ص ١١٨ ، ٢٢٠ .

آثاره المخطوطة: وعددتها ثمانية كتب، ذكرها السيوطي في بغية الوعاة •

- آثاره المطبوعة: وتشمل على:

أ- الآثار اللغوية: وعد دها خمسة كتب وهي:

- ١- البلقة في الفرق بين المذكر والمؤنث. وهو مليء بالشواهد الشعرية والآيات القرآنية وبعض الأحاديث النبوية.
- ٢- حلية العقود في المقصور والمدود •
- ٤- الموجز في علم القوافي.
- ٥- زينة الفضلاء في الفرق بين الضاد والظاء •

بـ كتب الترجم:

وتعنى بأخبار الأدباء والنحاة وأثارهم وتنحصر في كتاب واحد (نزهة الأباء) وله صلة بالنحو وتاريخه طبع عدة طبعات، وهدفه خدمة طلبة العلم والنحو، وفعلاً أغنى طلابه عن كثير من المراجع والموسوعات الأدبية.

جـ الآثار النحوية:

١- أسرار العربية، حققه الأستاذ محمد بهجت البيطار، طبع عدة طبعات، ويدور حول العلة النحوية، فهو لا يترك حكماً من الأحكام دون تعليل، بل يجعل لكل حكم علة ولكل ظاهرة سبباً ويتميز هذا الكتاب من أنه وضع لكل طريقة سؤال وجواب، وأنه يذكر الحكم مقروناً بأسبابه والظاهرة مشفوعة بعلتها، وأنه يتسم بكثرة الفوائد. والنماذج الآتية توضح ما ذهبنا إليه :
قال أبو البركات البغدادي حول باب (علم ما الكلم):

" إن قال قائل: ما الكلم؟ قيل: الكلم اسم جنس، واحdetه، كلمة، كقولك: نبقة ونبق، ولبنة ولبن، وثننة وثفن، وما أشبه ذلك، فإن قيل: ما الكلام؟ قيل: ما كان من الحروف دالاً بتأليفه على معنى يحسن السكوت عليه، فإن قيل: ما الفرق بين الكلم والكلام؟ قيل: الفرق بينهما، أن الكلم ينطلق على المفید وعلى غير المفید، وأما الكلام فلا ينطلق إلا على المفید

خاصة، فإن قيل: فلم قلتم: إن أقسام الكلام ثلاثة لا رابع لها؟ قيل: لأننا وجدنا هذه الأقسام الثلاثة يعبر بها عن جميع ما يخطر بالبال ويتوهم في الخيال ولو كان هنالك قسم رابع لبقي في النفس شيء لا يمكن التعبير عنه، ألا ترى أنه لو سقط آخر هذه الأقسام الثلاثة لبقي في النفس شيء لا يمكن التعبير عنه بإزاء ما سقط فلما عبر بهذه الأقسام عن جميع الأشياء دل على أنه ليس إلا هذه الأقسام الثلاثة...^{٣٧}.

قال أبو البركات البغدادي في كتابه (أسرار العربية) حول خبر المبتدأ: "إن قال قائل: على كم ضربا ينقسم خبر المبتدأ؟ قيل: على ضربين، مفرد وجملة، فإن قيل: على كم ضربا ينقسم المفرد؟ قيل: على ضربين، أحدهما: أن يكون اسمًا غير صفة، والآخر: أن يكون صفة، أما الاسم غير الصفة فهو، زيد أخوك وعمرو غلامك، فزيد مبتدأ وأخوك خبره، وكذلك عمرو مبتدأ وغلامك خبره وليس في شيء من هذا النحو ضمير يرجع إلى المبتدأ عند البصريين، وذهب الكوفيون إلى أن فيه ضميرا يرجع إلى المبتدأ، وبه قال علي بن عيسى الرماني من البصريين. قال أبو البركات: والأول هو الصحيح...^{٣٨}.

- الأغراب في جدل الأعراب، حققه الأستاذ سعيد الأفغاني وطبع عدة طبعات، ويدور حول الجدل الإعرابي، ويتميز الكتاب بالنزعة الفقهية والمجدل العقلي، وأنه يعالج الموضوعات النحوية بقدر ما يعالج الأشكال التي توضع فيها هذه الموضوعات في الجدل الإعرابي.

- الإنصاف في مسائل الخلاف، بين النحويين البصريين والkovfien، طبع بعناية الأستاذ محبي الدين عبد الحميد. ويدور حول العلاقة بين النحو والفقه، ويعدّ الإنصاف أكثر شمولية وإحاطة بمسائل الخلاف بين الكوفيين والبصريين من المؤلفات الأخرى، ويمتاز بخصائص عديدة منها، أنه جعل علم النحو علماً عقلياً كالفلسفة والمنطق، ذا أسلوب فريد من نوعه، سلساً في عرضه المسائل النحوية. والكتاب يدل على سعة ثقافة مؤلفه وخاصة عند الإثجاج والجادلة العقلية مما يؤكّد عند متابعة مسائله تعلقه بعلم الكلام والمنطق.

^{٣٧} أسرار العربية ، أبو البركات الأنباري ، ٢٨ / ١

^{٣٨} المصدر نفسه ، ١ / ٨٣ .

البيان في غريب إعراب القرآن، تحقيق الدكتور طه عبد الحميد، فيه إيضاح مجمل آراء صاحبنا النظرية في مختلف علوم اللغة وأطراف من علوم القرآن، أراد منه إشباع نزعته الدينية والتعبدية تقريراً لله جل ثناوه، وإفاده طلبه.

لم الأدلة في وجوه النحو، تحقيق الأستاذ سعيد الأفغاني، طبع عدة طبعات، ويدور حول رغبته في مواصلة الإبتكار والإبداع، وتلبية مطالب أهل الفضل بالكتابة في أصول النحو.

وفاته:

بعد عمر زاخر بالتأجع العلمي والفكري، لقي أبو البركات البغدادي وجه ربه راضياً^{٣٩} يا أيتها النفس ارجعني إلى رب راضية مرضية^{٤٠} لما قدمه من خدمة جليلة للعلم وطلابه، فكانت وفاته ليلة الجمعة تاسع شعبان من سنة ٥٧٧ هـ / ١١٨١ م ببغداد^{٤١} عن أربع وستين سنة ودفن يوم الجمعة بباب أبرز بتربة الشيخ أبي إسحاق الشيرازي (رحمه الله وتغمده بفسح جناته)^{٤٢}

المبحث الثالث: منهج البغدادي وأراءه النحوية

من الثوابت التي لا ينزعها الشك أن كل نحو لا بد أن يتبنى منهجاً خاصاً به يضفي عليه تكوينه وشخصيته وهذا ما فعله صاحبنا عند تأليفه، فمؤلفاته تعبر تعبيراً صادقاً عن ملامحه الشخصية ومداركه العلمية والثقافية وطريقة أسلوبه في العرض. والنحو لا يكون نحوياً بحق حتى تكون له آراء خاصة وموافقه المتميزة، فأبو البركات البغدادي يعدّ من القلائل الذين أبدعوا وجددوا وساهموا في بناء البنية الأساسية للأنموذج العلمي ، فأصبح بحق من روساء المذاهب ورواد الفكر والمناهج المستقلة على مدى التاريخ النحوي ، ولو أخذنا طريقة وأسلوبه في التأليف لوجدناه التزم المنهج الفلسفى والمنطقى الفقهي فى الترتيب والتقطیم ، فأراد بذلك أن يخضع علوم العربية لعلوم الفقه فى الترتيب والتقطیم. وإذا أردنا معرفة مذهبه النحوي لا بد لنا من الوقوف عند

^{٣٩} سورة الفجر، آية ٣١ - ٣٠.

^{٤٠} طبقات الشافعية - الأستوى ٦٧ / ١ . ينظر: فوات الوفيات - الكتبى ، ص ٢٩٢ .

^{٤١} أبا الرواة - القفطى ، ١٧١ / ٢ .

شخصيته لمعرفة خصائصها وسماته. وهذا يتأتى من إلقاء الضوء على بعض القضايا النحوية التي تعبّر أساساً عن هذا الاتجاه باعتبار أن للشخصية دوراً مؤثراً وكبيراً عند التأليف.

موقفه من النحاة:

لأبي البركات البغدادي موقف خاص به من النحاة، يتصرف بالعدل والإنصاف عند عرضه آراءهم. سواء أكانوا بصرىين أم كوفيين، مشهورين أم مغمورين، فموقفه يتميز بعدم التفريق بين العلماء لاسيما عند عرضه للمسائل النحوية، فمرة نراه يعرض الآراء دون التعليق عليها كقوله حول زيادة الواو العاطفة "اختلقو في جواز زيادة الواو العاطفة لغير معنى فجوze الكوفيون احتجاجاً بقوله تعالى: "وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السماوات والأرض ولن يكون من الموقنين"^{٤٢}، قوله سبحانه: "فلما أسلما وتله للجيئون وناديناه"^{٤٣}، وجعلوا منه قوله تعالى: "حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها"^{٤٤}، قوله الشاعر المتقدم أول الكتاب: وقلبتم ظهر المجن لنا... بعد قوله:

حتى إذا قملت بطونكم
ورأيتم أبناءكم شبرا
فتقديره قلبتم والواو زائدة. وذهب البصريون إلى أنها ليست زائدة في شيء من ذلك ولا تحوز،
وقول الآخر:

ثلاث خلال لست عنها مرعوي	جمعت وفحشا غيبة ونميمة
ورمي السفا أنفاسها بسهام بها يوم ذياب السبب صيام	وقول ذي الرمة: كأنا على أولاد أحبب لاحها جنوب ذات عنها التناهي فأنزلت

^{٤٢} سورة الأنعام، آية ٧٥.

^{٤٣} سورة الصافات، آية ١٠٣.

^{٤٤} سورة الزمر، آية ٧١.

يريد، لاحها جنوب ورمي السفا ، وقوله أيضا زيايتها لأن الحروف وضع للمعنى فذكرها بدون معناها يقتضي مخالفة الوضع ويورث اللبس ، وأيضا فإن الحروف وضع للاختصار نائبة عن الجمل كالهمزة فإنها نائبة عن أستفهم وزيايتها ينقض هذا المعنى . وتلك الموضع ، الواو فيها عاطفة على محدود مقدر يتم به الكلام تقديره : لنصره أو لنرشده ونحو ذلك ، ثم عطف عليه (وليكون من الموقنين) وكذلك في الآية الأخرى تقديره : عرفنا صبره وانقياده وناديناه أن يا إبراهيم وكذلك قيل في قوله تعالى : (وفتحت أبوابها) تقديره : عرفا صحة ما وعدوا به وفتحت أبوابها ، والأقوى أن تكون الواو حالية كما تقدم وسيأتي ذلك وبيان فائدته إن شاء الله تعالى . وأما البيت فتقديره : عرف غدركم وقلبتم ظهر المجن ، وحذف الجواب كثير . وفي التهذيب للبغوي من آئمة أصحابنا أنه إذا قال : إن دخلت الدار وأنت طالق ، إن قال : أردت التعليق فأقمت الواو مقام الفاء قبل قوله وإن قال أردت التجيز ينجز الطلاق يعني وتكون الواو زائدة . وزاد غيره انه إذا قال : لم أقصد شيئا يقضى بوجوب الطلاق في الحال ويلغى حرف الواو كما لو قال : ابتدأ وأنت طالق حكاه الرافعي عن إسماعيل البوشنجي مقررا له واعتراض عليه النووي واختار أنه عند الاطلاق يكون تعليقا بدخول الدار إن كان قائلها لا يعرف العربية وإن عرفها فلا يكون تعليقا ولا غيره إلا لأنه عنده غير مفيد ، وهذا الذي قاله النووي رحمة الله جار على القاعدة والله سبحانه أعلم ^{٤٥} .

وقال أبو البركات حول (الكلام على واو رب) : " كما في قول أمرئ القيس :

وليل كموج البحر أرخي سدوله علي بأنواع الهموم ليتلي

أي : رب ليل كموج البحر ، وقول رؤبة بن العجاج :

وقام الأعماق خاوي المخترق مشتبه الأعلام لامع الحق

والقائم : المظلم ، والأعماق : جمع عمق وهو ما يستدل به على الموضع والطرق من جبل وبناء وغيرهما واشتباهها التباس بعضها البعض ، والخفق : ما تخفق فيه من التراب عند هبوب الرياح ، ومثله أيضا قول الأعرابية :

^{٤٥} الانصاف في مسائل الخلاف ، ابو البركات الانباري ١٤٦/١ .

فليس إليها ما حبست سبيل وذي حاجة قلنا له لا تبع بها

وهو كثير في النظم والنشر. والذي ذهب إليه جمهور البصريين ومن بعدهم أن الجر في هذه الموضع ب(ربّ) مضمرة بعد الواو لا بالواو نفسها بل هي عاطفة ولذلك لم يعدها سيبويه في حروف الجر، وذهب المبرد والковيون إلى أن الواو هي الجارة لكونها عوضاً عن (ربّ) كما في واو القسم ولأنها واردة في أول الكلام وليس قبله شيء يعطى الواو عليه، وظاهر كلام ابن الحاجب اختيار هذا القول لأنّه عدّها من جملة الحروف الجارة. واحتاج البصريون بوجهه:

أحدّها: أنها لو كانت هي الجارة لدخلت واو العطف عليها كما في واو القسم وقد تقدم مثله.

وثانيها: أن ذلك لو كان بطريق العوض عن (ربّ) لما جاز أن تضمر (ربّ) معها كما أنه لما كانت واو القسم بدلاً عن بائه لم يجز الجمع بينهما وهنا يجوز ذلك بالاتفاق فيقال: وربّ رجل عالم لقيته.

وثالثها: أن (ربّ) قد أضمرت بعد الفاء وبـل، كقول أمرئ القيس:

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع فألهيتها عن ذي تمائم محول

وقول الآخر:

فإن أهلك فدي حق لظاه على يكاد يلتهب التهاب

وقول الآخر:

وإما تعرضن أميم عنـي وتنزعك الوشـاة أولـو الـباطـ

وقول الآخر:

بل بلدـ مـلـءـ الفـجـاجـ قـتـمةـ لاـ يـشـتـرـىـ كـانـهـ وجـهـرـهـ

والجر في هذه الموضع بإضمار (ربّ) بالاتفاق فكذلك في الواو لأن كلها من حروف العطف وأما كون ذلك صدر الكلام فالعطف فيه على شيء مقدر في الصمير فكانه قال في نفسه: ربّ شيء كان مني وربّ قاتم الأعماق ونحو ذلك وكذلك الباقي ولسائل أن يحيط عن الوجه الأول بأن امتناع دخول الواو العاطفة إنما كان لعدم ما تعطف عليه وأيضاً فلما في اجتماع الواو من الاستئصال وإنما جاز في القسم الاستئصال لكثرة دورانه في الكلام وأما الجمع بين الواو وربّ فلمانع أن يمنع أن هذه الواو هي تلك تكون عند عدمها بل عند ظهور ربّ هي عاطفة ليس إلا وليس التي يعوض

بها عن ربٍّ فيجوز حينئذ الجمع ولا يكون فيه دليل ، وأما الفاء وبل فلا شك أن ذلك قليل نادر جداً بخلاف الواو وإن الجر بعدها كثير شائع في كلامهم وكل من القولين محتمل وإن كان الأظهر قول البصريين فإذا عرف ذلك فعلى قول البصريين ليست قسماً مغايراً لما تقدم لأنها العاطفة عندهم وعلى القول الآخر المغايرة ظاهرة فيكون ذلك نوعاً على ما تقدم ويجيء على البحث المتقدم أن الواو مشتركة لفظاً بين مطلق الجمع والقسم وهذه التي يعنى ربٌ ثم هي بالنسبة إلى الأنواع الأربع المقدمة متواتطة والله تعالى أعلم^{٤٦}

ومرة أخرى يعرضها مقرونة بالموافقة الضمنية أو اختيار أحدهما ، قال أبو البركات حول تسمية الاسم اسمًا : " اختلف النحويون في ذلك ، فذهب البصريون إلى أنه سمي (اسمًا) لوجهين : أحدهما ، أنه سمي على مسماه وعلا على ما تحته من معناه فسمي اسمًا لذلك ، والوجه الثاني ، أن هذه الأقسام الثلاثة لها ثلاثة مراتب فمنها ما يخبر به ويخبر عنه وهو الاسم نحو : زيد قائم ، ومنها ما يخبر به ولا يخبر عنه وهو الفعل نحو : قام زيد ، ومنها ما لا يخبر به ولا يخبر عنه وهو الحرف ، نحو : هل وبل وما أشبه ذلك ، فلما كان الاسم يخبر به ويخبر عنه ، والفعل يخبر به ولا يخبر عنه ، والحرف لا يخبر به ولا خبر عنه ، فقد سما الاسم على الفعل والحرف ، أي : ارفع ، والأصل فيه (سمو) إلا أنهم حذفوا الواو من آخره وعواضوا الهمزة في أوله فصار (اسمًا) وزنه (إفع) لأنه قد حذف منه لامه التي هي الواو في سمو . وذهب الكوفيون إلى أنه سمي (اسمًا) لأن سمة على المسمى يعرف بها والسمة العلامة والأصل فيه (وسم) إلا أنهم حذفوا الواو من أوله وعواضوا مكانها الهمزة فصار (اسمًا) وزنه ، (إعل) لأنه قد حذف منه لامه التي هي الواو في

وسم

قال أبو البركات : وال الصحيح ما ذهب إليه البصريون وما ذهب إليه الكوفيون وإن كان صحيحاً من جهة المعنى إلا أنه فاسد من جهة التصريف^{٤٧} .

^{٤٦} الانصاف في مسائل الخلاف ، ابو البركات الانباري ٢٤٥ / ١.

^{٤٧} اسرار العربية - ابو البركات الانباري ٢٨ / ١.

قال أبو البركات البغدادي في باب المفعول معه: "إن قال قائل: ما العامل النصب في المفعول معه؟ قيل اختلاف النحويون في ذلك، فذهب البصريون إلى أن العامل فيه هو الفعل وذهب الكوفيون إلى أن المفعول معه منصوب على أبو اسحق الزجاج إلى أنه منصوب بعامل مقدر والصحيح هو الأول"^{٤٨}.

وقال أبو البركات البغدادي حول (التمييز): "إن قال قائل: ما التمييز؟ قيل: هو النكرة المفسرة للمبهم، فإن قيل: فما العامل فيه النصب؟ قيل: فعل وغير فعل فأما ما كان العامل فيه فعلاً فنحو: تصيب زيد عرقاً وتفقد الكبش شحاماً (عرقاً وشحاماً) كل واحد منهم منصوب بالفعل الذي قبله، فإن قيل: هل يجوز تقديم هذا النوع على العامل فيه؟ قيل: اختلاف النحويون في ذلك، فذهب سيبويه إلى أنه لا يجوز تقديم هذا النوع على عامله وذلك لأن المنصوب ه هنا هو الفاعل في المعنى... وذهب أبو عثمان المازني وأبو العباس المبرد ومن وافقهما إلى أنه يجوز تقديمها على العامل فيه واستدلوا على ذلك بقول الشاعر من الطويل:

أتهجر سلمى لفارق حبيبها وما كان نفسا بالفارق تطيب

ولأن هذا العامل فعل متصرف فجاز تقديم معموله عليه كما جاز تقديم الحال على العامل فيها، نحو، راكبا جاء زيد، لأنه فعل متصرف فكذلك ه هنا، والصحيح ما ذهب إليه سيبويه^{٤٩}.

وقال أبو البركات حول (الاستثناء): "إن قال قائل: ما الاستثناء؟ قيل: إخراج بعض من كل بمعنى إلا، نحو: جاءني القوم إلا زيداً، فإن قيل: فما العامل في المستثنى النصب من الوجب؟ قيل: اختلاف النحويون في ذلك، فذهب البصريون، إلى أن العامل هو الفعل بتوسط إلا وذلك لأن هذا الفعل وإن كان لازماً في الأصل إلا أنه قوي بـ(إلا) فتعدى إلى المستثنى كما تعدى الفعل بالحروف المعدية ونظيره نصبهم الاسم في باب المفعول معه، نحو: استوى الماء والخشبة، فإن الاسم منصوب بالفعل المتقدم بتقوية الواو، فكذلك ه هنا. وذهب بعض النحويين إلى أن العامل هو (إلا) بمعنى: استثنى، وهو قول الزجاج من البصريين، وذهب الفراء من الكوفيين إلى أن (إلا) مركبة من

^{٤٨} المصدر نفسه .١٧٠/١

^{٤٩} المصدر نفسه .١٨١/١

(أن ولا) ثم خففت (أن) وأدغمت في (لا) فهي تنصب في الإيجاب اعتباراً بـ (إن) وترفع في النفي اعتباراً بـ (لا) والصحيح قول البصريين^{٥٠}.

ومرة يتفرد برأيه المميز المخالف لآراء الآخرين، وهذه نماذج حول تفرده ومخالفته لآراء النحاة، قال البغدادي حول العامل في خبر المبتدأ: "اختلاف النحويون في ذلك ، فذهب الكوفيون إلى أن عامله المبتدأ ، وذهب البصريون إلى أن الابتداء وحده هو العامل في الخبر ، وذهب قوم إلى أن الابتداء عمل في المبتدأ ، والمبتدأ عمل في الخبر ، وذهب سيبويه وجماعة معه إلى أن العامل في الخبر هو الابتداء والمبتدأ جمِيعاً ، لأن الابتداء لا ينفك عن المبتدأ ، ولا يصح للخبر إلا بها فدلّ على أنهما العاملان فيه"^{٥١}.

قال أبو البركات البغدادي: "والتحقيق فيه عندي أن نقول: إن الابتداء أعمل الخبر بواسطة المبتدأ لأن المبتدأ مشارك له في العمل"^{٥٢}

وقال أبو البركات البغدادي في موضع آخر حول رافع المبتدأ ورافع الخبر:

"ذهب الكوفيون إلى أن المبتدأ يرفع الخبر والخبر يرفع المبتدأ فهما يترافقان وذهب البصريون إلى أن المبتدأ يرتفع بالابتداء، وأما الخبر فاختلفوا فيه فذهب قوم إلى أنه يرتفع بالابتداء وحده، وذهب آخرون إلى أنه يرتفع بالابتداء والمبتدأ معاً، وذهب آخرون إلى أنه يرتفع بالمبتدأ والمبتدأ يرتفع بالابتداء. أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا: إنما قلنا: إن المبتدأ يرتفع بالخبر والخبر يرتفع بالمبتدأ لأننا وجدنا المبتدأ لا بد له من خبر والخبر لا بد له من مبتدأ ولا ينفك أحدهما من صاحبه ولا يتم الكلام إلا بهما ألا ترى أنك إذا قلت زيد أخوك لا يكون أحدهما كلاماً إلا بانضمام الآخر إليه... أما البصريون فاحتجوا بأن قالوا: إنما قلنا: إن العامل هو الابتداء وإن كان الابتداء هو التعرى من العوامل اللفظية لأن العوامل في هذه الصناعة ليست مؤثرة حسية كالإحرار للنار والإغرار للماء والقطع للسيف وإنما هي أمارات ودلائل وإذا كانت العوامل في محل الإجماع إنما هي أمارات

^{٥٠} أسرر العربية - أبو البركات الانباري ١٨٦ / ١.

^{٥١} المصدر نفسه ٨٥ / ١.

^{٥٢} الانصاف في مسائل الخلاف - ابن النباري ، ١ / ٤٦.

ودلالات فالamarة والدلالة تكون بعدم شيء كما تكون بوجود شيء ألا ترى أنه لو كان معلك ثوبان وأردت أن تميز أحدهما في الآخر فصبغت أحدهما وتركت صبغ الآخر لكان ترك صبغ أحدهما في التمييز بمنزلة صبغ الآخر فكذلك هاهنا... أما من ذهب إلى أن الابتداء والمبتدأ جمیعاً یعملان في الخبر فقالوا: لأننا وجدنا الخبر لا یقع إلا بعد الابتداء والمبتدأ فوجب أن يكونا هما العاملین فيه... قال أبو البرکات: والتحقیق فیه عندي أن یقال: إن الابتداء هو العامل في الخبر بواسطه المبتدأ لأنه لا ینفك عنه ورتیبه أن لا یقع إلا بعده فالابتداء یعمل في الخبر عند وجود المبتدأ لا به كما أن النار تسخن الماء بواسطه القدر والخطب فالتسخین إنما حصل عند وجودهما لا بهما لأن التسخین إنما حصل بالنار وحدها فكذلك هاهنا^{٥٣}

أما القول في تقديم خبر ليس عليها، قال أبو البرکات البغدادي: "ذهب الكوفيون إلى أنه لا يجوز تقديم خبر ليس عليها... وذهب البصريون إلى أنه يجوز تقديم خبر ليس عليها كما يجوز تقديم خبر كان عليها، أما الكوفيون فاحتاجوا بأن قالوا: إنما قلنا: إنه لا يجوز تقديم خبر ليس عليها وذلك لأن ليس فعل غير متصرف فلا يجري مجرى الفعل المتصرف كما أجريت كان مجراه لأنها متصرفة ألا ترى أنك تقول: كان يكون فهو كائن وكن كما تقول: ضرب يضرب فهو ضارب ومضروب واضرب ولا يكون ذلك في ليس وإذا كان كذلك فوجب أن لا يجري مجرى ما كان فعلاً متصرفاً أما البصريون فاحتاجوا بأن قالوا: الدليل على جواز تقديم خبرها عليها قوله تعالى: "ألا يوم يأتيهم ليس مصروفاً عنهم"^{٤٤}، وجه الدليل من هذه الآية أنه قدم معنون خبر ليس على ليس فإن قوله (يوم يأتيهم) يتعلق بمصروف وقد قدمه على ليس ولو لم يجز تقديم خبر ليس على ليس وإنما جاز تقديم معنون خبرها عليها لأن المعنون لا یقع إلا حيث یقع العامل... قال أبو البرکات البغدادي: والصحيح عندي ما ذهب إليه الكوفيون. وأما الجواب عن كلمات البصريين في قوله تعالى: "ألا يوم يأتيهم ليس مصروفاً

^{٤٣} أسرار العربية - ابن الأباري ، ١ / ٤٤ .

^{٤٤} سورة هود، آية ٨ .

عنهم ”، فلا حجة لهم فيه لأننا لا نسلم أن (يوم) متعلق بمصروف ولا أنه منصوب وإنما هو مرفوع بالابتداء وإنما بنى على الفتح لإضافته إلى الفعل، كما قرأ نافع والأعرج قوله تعالى: ”هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم ”^{٥٥} فإن (يوم) في موضع رفع وبنى على الفتح لإضافته إلى الفعل فكذلك هاهنا ”^{٥٦}.

وقال أبوالبركات البغدادي حول عامل الجزم في جواب الشرط: ”ذهب الكوفيون إلى أن جواب الشرط مجزوم على الجوار. واختلف البصريون، فذهب الأكثرون إلى أن العامل فيما حرف الشرط، وذهب آخرون إلى أن حرف الشرط و فعل الشرط يعملان فيه، وذهب آخرون إلى أن حرف الشرط يعمل في فعل الشرط و فعل الشرط يعمل في جواب الشرط، وذهب أبو عثمان المازني إلى أنه مبني على الوقف. أما الكوفيون فاحتاجوا بأن قالوا: إنما قلنا: إنه مجزوم على الجوار لأن جواب الشرط مجاور لفعل الشرط لازم له لا يكاد ينفك عنه فلما كان منه بهذه المنزلة في الجوار حمل عليه في الجزم فكان مجزوما على الجوار والحمل على الجوار كثير. قال الله تعالى: ”لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمرجعين ”^{٥٧}، وجه الدليل، أنه قال) والمرجعين) بالخفض على الجوار وإن كان معطوفا على الذين فهو مرفوع لأنه اسم يكن... أما البصريون فاحتاجوا بأن قالوا: إنما قلنا: إن العامل هو حرف الشرط وذلك لأن حرف الشرط يقتضي جواب الشرط كما يقتضي فعل الشرط وكما وجب أن يعمل في فعل الشرط فكذلك يجب أن يعمل في جواب الشرط. وأما من ذهب إلى أن حرف الشرط و فعل الشرط يعملان في جواب الشرط فقال: إنما قلنا: ذلك لأن حرف الشرط و فعل الشرط يقتضيان جواب الشرط فلا ينفك أحدهما عن صاحبه فلما اقتضياه معا

^{٥٥} سورة المائدة، آية ١١٩.

^{٥٦} الانصاف في مسائل الخلاف ١٦٤/١.

^{٥٧} سورة البينة ، آية ١

وجب أن يعملا فيه معاً كما قلنا في الابتداء والمبتداً إنها يعملان في الخبر فكذلك هاهنا... قال أبو البركات البغدادي : والتحقيق فيه عندي أن يقال : إن ، هو العامل في جواب الشرط بواسطة فعل الشرط لأن لا ينفك عنه فحرف الشرط يعمل في جواب الشرط عند وجود فعل الشرط لا به كما أن النار تسخن الماء بواسطة القدر والخطب فالتسخين إنما حصل عند وجودهما لا بهما لأن التسخين إنما حصل بالنار وحدها فكذلك هاهنا^{٥٨}.

موقفه من السماع:

للبغدادي موقف متميز من السماع والقياس فهو على الرغم من اعتماده على القياس إلا أنه في عدد من المسائل النحوية أو قل في جلّ ما يعترضه من مسائل نحوية ، يأخذ عن السماع بالنقل والاستعمال ، فصاحبنا يكره القياس على النادر والشاذ ، يقول : "إذ لو طردننا القياس في كل ما جاء شاداً مخالفًا للأصول والقياس وجعلناه أصلاً لكان ذلك يؤدي إلى أن تختلط الأصول بغيرها وأن يجعل ما ليس بأصل أصلاً وذلك يفسر الصناعة بأسرها"^{٥٩} لهذا نجده يكثر من قول : "وهي رواية شاذة"^{٦٠} ، ويقول في موضع (أفعل التعجب) : "من الشاذ الذي لا يرجع عليه ، فهو في الشذوذ"^{٦١} ، ويقول في موضع آخر من أن الكوفيين في أدلة لهم في باب (أصول الاشتقاء ، الفعل أو المصدر) : "فسنذكر فاسدة"^{٦٢} أو عبارة "هذا باطل"^{٦٣} إلى غيره من العبارات التي تعطينا الدليل بأن صاحبنا لا يعتمد بالقليل ولا يبني عليه رأيه ولا يتخذ منها قاعدة ، أو قل : إنه يعتمد بالسمع الشائع ولا يحيى القياس على الشاذ والنادر. وهذه نماذج مما ذهب إليه :

^{٥٨} الانصاف في مسائل الخلاف - ابن الأنباري ، ٢ / ٦٠٨ .

^{٥٩} المصدر نفسه / ٢ / ٤٠٥

^{٦٠} المصدر نفسه / ١ / ١٢١

^{٦١} المصدر نفسه / ١ / ١٣١

^{٦٢} المصدر نفسه / ١ / ٢٣٩

^{٦٣} المصدر نفسه / ١ / ٢٤٩

قال أبو البركات : " إن قال قائل : هل نعم وبئس اسمان أو فulan ؟ قيل : اختلف النحويون في ذلك ، فذهب البصريون إلى أنهما فulan ماضيان لا يتصرفان واستدلوا على ذلك ... وذهب الكوفيون إلى أنهما اسمان واستدلوا على ذلك . قال أبو البركات : وال الصحيح ما ذهب إليه البصريون وأما ما استدل به الكوفيون ففاسد " ^{٦٤} .

وقال أبو البركات حول باب عسى : " إن قال قائل : ما عسى من الكلم ؟ قيل : فعل ماض من أفعال المقاربة لا يتصرف وقد حكى عن ابن السراج أنه حرف ، وهو قول شاذ لا يخرج عليه ، وال الصحيح أنه فعل ... " ^{٦٥} .

و قال أبو البركات حول الاختلاف في أصل اشتقاء الإسم : " ذهب الكوفيون إلى أن الأسم مشتق من الوسم وهو العلامة وذهب البصريون إلى أنه مشتق من السمو وهو العلو ، أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا : إنه مشتق من الوسم لأن الوسم في اللغة هو العلامة والإسم وسم على المسمى وعلامة له يعرف به ... وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا : إنه مشتق من السمو لأن السمو في اللغة هو العلو ، يقال : سما يسمو سموا إذا علا ومنه سميت السماء سماء لعلوها والإسم يعلو على المسمى ويدل على ما تحته من المعنى ولذلك قال أبو العباس محمد بن زيد المبرد : الإسم ما دل على مسمى تحته وهذا القول كاف في الإشتقاء لا في التحديد فلما سما الإسم على مسماه وعلا على ما تحته من معناه دل على أنه مشتق من السمو لا من الوسم ... قال أبو البركات البغدادي : أما الجواب عن كلمات الكوفيين قولهم إنما قلنا إنه مشتق من الوسم لأن الوسم في اللغة العلامة والأسم وسم على المسمى وعلامة

^{٦٤} أسرار العربية - أبو البركات الأثباتي . ١٠٢ / ١ .

^{٦٥} المصدر نفسه / ١ . ١٢٥ .

عليه يعرف به ، قلنا : هذا وإن كان صحيحا من جهة المعنى إلا أنه فاسد من جهة اللفظ وهذه الصناعة لفظية فلا بد فيها من مراعاة اللفظ ...^{٦٦}.

وخير الكلام عند البغدادي ما اطرد في الاستعمال والقياس أضعفه ما لم يرد في النقل (السماع) ولم يصح بالقياس.

مصادره العلمية :

حرص البغدادي على إثبات نسبة العلمي اعتزازاً وتقديراً، فقال في نزهة الآباء في معرض حديثه عن أستاذة (ابن الشجري) : " وعنه أخذت علم العربية"^{٧٧} ، أي أن البغدادي استمد ثقافته النحوية من أصولها ، لا سيما أن شيوخه هم أركان المدرسة البصرية النحوية ، أمثال : ابن طباطبا العلوي والجواليقي وابن الشجري وغيرهم من علماء عصره .

وهذا يدلل على أن أبا البركات الأنباري أو البغدادي أخذ علم النحو من منابعه البصرية ، فتأثر بها وسار على نهجها ، إلا أن فطنته وتمكنه قاده إلى التفرد في معالجة المسائل النحوية والاتساع في القياس (إن انكسار القياس في النحو لا يتحقق لأن النحو كله قياس)^{٧٨} .

أضف إلى كثرة تعلقه بالمنطق في استبطاط القواعد وتعديل الأحكام والموازنة بين الآراء ، هذه الخصائص والسمات التي تميز بها البغدادي ، اكتسبها من خلال انتماسه إلى المدرسة البصرية النحوية .

أثر المدرسة البصرية في منهجه النحوي:

يتبيّن مما عرضت أن البغدادي ، ابتداءً من موقفه وتشدده في شروط السماع وتوسيعه في القياس ، وانتهاءً بشيوخه إنه بصري النزعة ، فكراً وثقافة ومقاييس علمية ، وإن مخالفته حيناً لآراء

^{٦٦} الإنصاف في مسائل الخلاف ٦/١ .

^{٧٧} نزهة الآباء - ابن الأنباري ، ص ٤٠٦ .

^{٧٨} لمة الأدلة - ابن الأنباري ، ص ٤٤ .

البصريين لا يدل على انتمائه لغير هذه المدرسة التي تتلمذ فيها وأخذ نظرياته في السمع والقياس والعلة والتعليل والعامل.

هذه المخالفة من دلائل قدرته في اتخاذ الرأي المستقل والقوة في الشخصية ولا يخرج به عن مدرسته البصرية ، إضافة إلى أنها ظاهرة طبيعية ليست مقصورة على أبي البركات ، فقد خالف سيبويه أستاذه الخليل ، وخالف المبرد أستاذه سيبويه^{٦٩} . وإذا تبعنا أثر المدرسة البصرية للمسنا أن صلته وثيقة بها من خلال :

- ١ - تعليقه على مصنفات أبي علي الفارسي وتدريسه لتلاميذه في المدرسة النظمية^{٧٠} .
- ٢ - إعجابه وتأثره بنحو وأركان المدرسة البصرية ، والتي اتسمت فيما بعد بخصائص مميزة في التفريعات والتفصيات في الأصول ، على يد ابن السراج وأبي علي الفارسي والتي سماها المحدثون (المدرسة القياسية) ، فقد وصف صاحبنا أبا علي الفارسي بأنه "من أكابر أئمة النحو..." وابن جني بأنه حذاق النحاة... وابن السراج بأنه أحد أئمة النحو المشهورين وبأنه كان ثقة"^{٧١} .
- ٣ - تأثره بسمات المدرسة القياسية وهذا ما نجده عند البغدادي من خلال :
 - أ - الإستقلال الفكري ، ويتجلى في رغبته بالتجديد والحرص الشديد في الإبتكار والإبداع وبهذا الدافع صنف كتبه المعروفة في الأصول والاختلاف.
 - ب - التفرد في معالجة المسائل النحوية واتخاذ الموقف المتميز.
 - ج - الجدة في العرض والمعالجة وأساليب التصنيف (الترتيب والتبويب).
 - د - اتساعه في القياس حتى جعله دأبه ، قال : " إن انكسار القياس في النحو لا يتحقق لأن النحو كله قياس "^{٧٢} .

^{٦٩} ينظر : البحث النحوی عند العرب - احمد مختار عمر ، ص ١٥١.

^{٧٠} المدارس النحوية - شوقي ضيف ، ص ٢٧٨.

^{٧١} نزهة الآباء - ابن الانباري ، ص ٣١٥.

^{٧٢} لمح الأدلة - ابن الانباري ، ص ٤٤.

هـ - الإستعانة بالمنطق في طرح المسائل واستخلاص القواعد والموازنة بين الآراء ، قال : " الإبتداء يعمل في الخبر عند وجود المبتدأ لا به ، كما أن النار تسخن الماء بواسطة القدر والخطب فالتسخين إنما حصل عند وجودهما لا بهما لأن التسخين إنما حصل بالنار وحدها فكذلك ها هنا الإبتداء وحده هو العامل في الخبر عند وجود المبتدأ إلا أنه عامل معه لأنه اسم والأصل في الأسماء ألا تعلم " ^{٧٣} .

يتبيّن مما عرضت أن البغدادي اتبع في دراسته النحوية منهجاً مستقلاً ، فهو ينظر ويعتمد الأقىسة المنطقية . والأدلة العقلية في عرضه للمسائل النحوية مقتبساً خصائص المدرسة البصرية مستفيداً من أدائها وخلافاتها مع الكوفيين ، مستعيناً بالمنهج الفقهي في التصنيف والتقسيم ، وакفي بدللين على تأثير أبي البركات البغدادي أو الأنباري بالأراء البصرية :

الأول : ما قاله الدكتور فاضل السامرائي : " ولهذا لا أستطيع أن أتصور ما ذهب إليه بعض الباحثين من أن الأنباري صاحب (الأنصاف) كان بعدياً وهو الذي ألف كتابه المذكور آنفاً لتأييد البصريين ووافقهم في عامة المسائل النحوية الخلافية ولم يخالفهم إلا في تسع مسائل من مجموع (١٢١) مسألة ، ولا أدرى كيف يمكن أن يعدّ مثل هذا الرجل بعدياً وآراؤه البصرية واضحة بينة" ^{٧٤} .

الثاني : استشهاد سيبويه بقول عقيبة بن هبيرة الأستدي :

معاوي انا بشر فأسجح فلست بالجبار ولا الحديدا

على جواز الإجراء على الموضع ، فإن قوله (الحديدا) معطوف على محل المجرور قبله في قوله (بالجبار) لأن الباء زائدة . وقد خطأ ابن قتيبة في أواخر مقدمة الشعر والشعراء حيث قال : " إن الصواب الجر كبقية القصيدة" ^{٧٥} ، لكن العلماء المتصرّفين لسيبوّي وفِي مقدمتهم البغدادي في كتابه

^{٧٣} الانصاف في مسائل الخلاف - ابن الأنباري ، ٤٧/١ .

^{٧٤} ابن جنبي النحوي - د. فاضل السامرائي ، ص ٢٥٥ .

^{٧٥} الشعر والشعراء - ابن قتيبة ، ص .

الإنصاف قالوا: إن البيت روي مع أبيات منصوبة ومع أبيات مجرورة، واستشهاد سيبويه منوط بالرواية الأولى فصح الاعتماد عليه، ولهذا استشهد به الرضي على الكافية^{٧٦}.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم - رواية حفص عن عاصم، وزارة الأوقاف، العراق ١٩٧٩.
- ١ - ، الأدب العربي - المستشرق هـ. أ. جب ، ترجمة كاظم سعد الدين ، القاهرة (د.ت).
- ٢ - ، أسرار العربية - ابن الأباري ، تحقيق محمد بهجت البيطار مجمع اللغة العربية ، ط١ ، دمشق ، ١٩٥٧ م.
- ٣ - ، ابن جني النحوي - د. فاضل السامرائي ، دار النذير للطباعة والنشر - بغداد ، ١٩٦٩ م.
- ٤ - ، أنباء الرواية على أنباء النحاة - أبو الحسن الققطني (ت ٦٤٦ هـ) ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ، ط١ ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٠.
- ٥ - ، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحوين البصريين والковفيين - ابن الأباري ، تحقيق محبي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، بيروت.
- ٦ - ، إيران ماضيها وحاضرها - دونالد ولبر ، تحقيق عبد المنعم محمد حسين ، مكتبة مصر ، القاهرة ، ١٩٥٨ م.
- ٧ - ، البحث النحوي عند العرب - أحمد مختار عمر ، بيروت ، ١٩٧٢.
- ٨ - ، البداية والنهاية - أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (٧٧٤ هـ) ، دار الفكر ، (د. ت).
- ٩ - ، بغية الوعاء - السيوطي ، تحقيق محمد أبو الفضل ، مطبعة عيسى الحلبي ، ط٢ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٢ م.
- ١٠ - ، تاريخ العراق في عصر السلاجقة - حسين أمين ، المكتبة الأهلية ، ١٩٦٥.

^{٧٦} خزانة الأدب ، شاهد ١١٧ .

- ١١ - خزانة الأدب - البغدادي (ت ١٠٩٧ هـ)، تحقيق عبد السلام هرون، دار الكتاب العربي، القاهرة ١٩٦٨.
- ١٢ - روضات الجنات في أصول العلماء والسداد - الخوانساري ، مؤسسة إسماعيليان ، طهران، ٣٩١ هـ.
- ١٣ - شدرات الذهب في أخبار من ذهب - أبو الفرج عبد الحفيظ ابن العماد الحنبلي (١٠٨٩)، دار المسيرة، بيروت ، ١٩٧٩ م.
- ١٤ - الشعر والشعراء - ابن قتيبة الدينوري ، تحقيق أحمد شاكر ، دار المعارف (د. ت).
- ١٥ - طبقات الشافعية - جمال الدين أبو محمد الأسنوي (٧٧٢ هـ) مطبعة رئاسة ديوان الأوقاف ، بغداد ١٩٧٠.
- ١٦ - طبقات النحوين واللغويين - ابن قاضي شهبة (٨٥١ هـ).
- ١٧ - العبر في خبر من غرب - محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، مكتبة دار الكتب العلمية ، بلاط ، بيروت (د. ت).
- ١٨ - فوات الوفيات - محمد بن شاكر الكتبى ، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ، مصر ١٩٥١ م.
- ١٩ - الكامل في التاريخ - ابن الأثير، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩ م.
- ٢٠ - كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون - حاجي خليفة ، طهران ، ١٩٥٧ م.
- ٢١ - لمع الأدلة في وجوه النحو - ابن الأنباري ، تحقيق الأستاذ سعيد الأفغاني ، مطبعة الجامعة السورية ، ١٩٥٧ م.
- ٢٢ - المدارس النحوية - شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٨ م.
- ٢٣ - مرآة الجنان وعبدة اليقضان - عفيف الدين عبد الله بن أسعد اليافعي (٧٦٨ هـ) ، حيدر آباد ، (د. ت).

- ٢٤ ، مقدمة الأغраб في جدل الأعراب - ابن الأنصاري ، تحقيق الأستاذ سعيد الأفغاني ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧١ م.
- ٢٥ ، المتظم في تاريخ الملوك والأمم - لأبي عبد الرحمن بن علي الجوزي (٥٩٧ هـ) ، الدار الوطنية ، بغداد ، ١٩٩٠ م.
- ٢٦ ، نزهة الأباء - أبو البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ، دار النهضة ، مصر للطباعة والنشر ، ١٩٦٧ م.
- ٢٧ ، هدية العارفين - إسماعيل باشا البغدادي ذيل كشف الظنون ، ط٣ ، ١٩٥٥ م.
- ٢٨ ، وفيات الأعيان - ابن خلكان أحمد البرمكي ، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧٠ م.

This number is the first steps educcationally to bring about the spirit of science , originality of Islamic thoughts , the Qwar'nic language and the right system of free and objective information in this beloved country of civilsation and culture.

Translation from
Arabic Original
By
Sadiq al – Husaini al
Isterabadi

opinion Editing form

Iraq has witnessed , design the last three decades , deliberative and educational emptyness which throughtful became , knowledly , isolated from the world inputs and the information explosion that drived them away from deliberation uprise crucial rules which caused its shift and disappearance for the sake of the satte governings. The goverment isolated and diminished deliberation , put pressure upon writers and authers by the means of a policy tharts breek inside and outside communications. It put pressre on just voice and the right word.

That era has gone , and a new one has occured. we need to follow new delbration uprise which meet the hope for the era and make the future brighter and active. This needs co-operation towrds justice and equitablenss fixing a living model which brings about certainly a nice results.

We the staff of the university of ahlul al-bayt (allas helssings and peace he upon them) have taken in considreation to publish a high level seasonal journal. Our objective is of excellence in research , scholarship and education , open discussion meetingo for exchanging throughts and experince to deepen studying programmes and developing the gualifications of the staff.

The university , today , throgh its journal staff , put in hands its first number covering researches and human studies in literature , legal system the (Shari'a) and low.

In the name of god

No:1

Ahlulhait